يوسف النبهاني

الشاعر الفلسطيني الرائد

رسالة مقدمة من الطالب

عيسى محمد على منصور ماضي

للحصول على درجة العالمية « الدكتوراه » من كلية اللغة العربية

بجامعة الأزهر الشريف

تحت إشراف

الأستاذ الدكتور عبد السلام سرحان

الجزء الثاني

١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م

القاهرة

=((الباب الثانـــــي))=

الفصـل الخامـس : كفاحـــه الديـــني

عاش الشيخ النبهاني رحمه الله فى حلقات متصلة من الكفاح ابتداء من مولده فى اجزم سنة ١٨٤٩م حتى وفاته فى بيروت سنة ١٩٣٢م وقد كان مدار كفاحه يرتكز على قوة شخصيته وعناده ، الذى لا يتراجع مهما تجمعت القوى المضادة له • فهـــو رجل مبادئ وعقيدة ومن هذا المنطلق يجب أن نفهم كفاحه فى مجتمعه التزاما بمبادئه وعقيدته فحياته فى بيروت مركز تجمع المدارس التبشيرية المسيحية التى هى عبارة عـــن مراكز وطنية للدولة الغربية وكذلك كفاحه ضد مدرسة الأفغانى ومقاومته لتيار التجديـــد الذى تغذى تلاميذه من مدارس أجنبية بعيدة عن الفكر الاسلامى الملتزم •

التبشير المسيحى فى بيروت :

لقد كانت ظاهرة التبشير المسيحى فى الشرق العربى ظاهرة جديدة مـــن نوعها جاءت مواكبة للأطماع الاستعمارية التى تركزت فى سورية ولبنان وفلسطين • ولقـــد كانت بيروت مركز الصراع بين المسلمين والمسيحيين للحفاظ على الأكثرية منذ أقـــدم الأزمان (١) وقد كان وجود المسلمين يتراوح بين مد وجزر ابتداء من دخول المسلمين اليها لأول مرة وانتهاء بقيام الحرب العالمية الأولى فاعلان الجمهورية اللبنانيـــة دولة ذات أكثرية مسيحية • فمنذ الفتح الاسلامى غمرتها الدوحة الاسلامية وتقلـــص الظل النصرانى عنها حتى اذا استتب الحكم لبنى أمية فى دمشق أصبحت بـــيروت بكامل أهلها مدينة اسلامية حتى أوائل القرن السادس الهجرى حيث خضعت السواحل الشامية للسيطرة الصليبية التى كانت تهدف الى ازالة التراث الاسلامى من المدينـــة ولم يجد المسلمون الذين بقوا فيها العدد الكافى لاقامة الجمعة ـ اربعين شخصا ـ حتى ولا مسجدا واحدا يقيمون فيه الصلاة لأن الصليبيين هدموها جميعها •

ولقد أدى الانتصار الساحق الذى حققه صلاح الدين الأيوبى الى اعادة الأكثريـــة الاسلامية فى بيروت بالاضافة الى المعاملة الطيبة التى وجدها النصارى فى صـــلاح الدين مما أدى بهم لاعلان اسلامهم والمحاربة تحت راية الأيوبيين • ولما توفـــى

---

(١) راجع تاريخ بيروت لصالح بن يحى تحقيق الاب لويس شيخو ص ٥٤ـ٥٩ •

القائد صلاح الدين عاد الصليبيون الى بيروت نتيجة اهتزاز الممالك الاسلامية لاختلاف أولاد صلاح الدين على الحكم فعادت الأكثرية المسيحية فى بيروت حتى سنة ٦٩٠هـ حيث افتتحها المماليك فى عهد السلطان الأشرف خليل ابن الملك المنصور قلاوون فعادت الأكثرية الاسلامية " من بابها الى محرابها كما يقولون " ثم حل الأتراك محل المماليك عام ٩٢٢هـ وبقيت بيروت محافظة على أكثريتها الاسلامية وان كان الأتراك قد تساهلوا فى عودة بعض المسيحيين اليها من الجبال المحيطة بها ، وفى النصف الثانى من القرن الثامن عشر أصبحت بيروت تحت حكم الأمير يوسف الشهابى الذى اتخذ من النصارى بطانة له فازدادت الهجرة المسيحية الى بيروت وسرعان ما ظهر أحمد باشا الجزار داعيا الى شعار عودة الاسلام والمسلمين الى بيروت التى عرفت فى عهده مدا اسلاميا كثيفا وجزرا نصرانيا واضحا بحيث اشتركوا جميعا ــ موارنة وروما وأرثوذكسا ــ فى الصلاة فى كنيسة واحدة خلافا لما تسمح به طقوسهم المتناقضة .

وبقى الحال كذلك الى أن توفى أحمد باشا الجزار وانطلقت قرائح شعراء النصارى للتعبير عن فرحتهم فقال الشاعر الياس ادة :

وافى السرور وصح ترجيح الأمل ** بهلاك غاشم لا يعاد له مثل
عين ولكن للمظالم والردى ** شر العوالم ان تفكر أو عمل
احمد ولكن ليس يحمد بالورى ** ملعون فى ثوب المساوى قد دخل
جزار لكن للفضائل جازر ** مهدى ولكن بالرذايل قد حفل
لله درك يامنونلقد بدت ** منك الحياة وطاب حكمك واعتدل (1)

أما أهالى بيروت فقد عمهم الأحزان وصاحبهم الخوف من أن ينتقم منهم أهالى الجبل النصارى لما بينهما من الضغائن فقال الشاعر عبد اللطيف فتح المفتى يصف مشاعر المسلمين :

يا أيها الجزار أعناق العدى ** يامن هم السادات والأمجاد
هم أهل بيروت الذين تزينت ** منهم بدر عطائك الأجياد
وملكتهم وودادهم لك صادق ** ما ان لهم فيمن سواك وداد

---

(1) الغرر الحسان للأمير حيدر أحمد الشهابى ج ٢ ص ٤٠٩ .

لا نقص فيه ولست فيه مشاركا ** بل فيك دوما لم يزل بسزداد
ولقد خدمتك مادحا بقصيدة ** ومديح مثلك في الأنام رشاد (١)

وبعد موت أحمد باشا الجزار أخذ الوضع الديني يعود لصالح الوجود النصراني على حساب الوجود الاسلامي حتى فتحت المدينة من قبل ابراهيم باشا المصري عام ١٨٣١ الذي أباح سكن بيروت للنصارى بتشجيع من فرنسا التي وراء الحملة فأخذ النصارى يتوافدون من قمم الجبال فرحين مغتبطين متخذين من " حنا البحري " — النصراني مفتاحا لقلب القائد الذي استخلصه لمشورته .

يقول الشيخ طه الولي " وعندما أجبر ابراهيم باشا على الجلاء عن مدينة بيروت في تراجعه عن سائر فتوحاته بسورية والأناضول . كانت الدول الغربية تمسك بزمام المبادرة في توجيه السياسة العثمانية وتعمل على تطبيق وصية القائد الصليبي لويس التاسع الذي لاقى حتفه في تونس في الحروب الصليبية . وكانت هذه الوصية تقضي بابعاد المسلمين عن الشواطئ الشرقية للبحر الأبيض المتوسط الذي حولته الفتوحات الاسلامية الى بحر العرب بعد أن كان يسمى بحر الروم وما كادت سنوات القرن التاسع عشر الميلادي تشارف نهايتها وسنوات القرن العشرين تواجه بدايتها . حتى أصبح سكان بيروت يتقاسمهم الدينان : الاسلام والنصرانية سواء بسواء " (٢)
ويقول الشيخ طه الولي أيضا : " وجدير بالذكر أن تهافت النصارى على دخول بيروت والاقامة فيها لم تكن عفوية ولا عادية بل انها كانت نتيجة لمخطط غربي قديم مدروس تواضع على اعداده وتنفيذه على مراحل زعماء السياسة الغربية في ذلك الحين واجتهدوا في افتعال الأسباب الملية لنجاح هذا المخطط على الوجه الذي رسمته لهم من قبل وصية لويس التاسع الذي يلقبونه (بالقديس لويس) بينما كان القناصل الأوروبيون في البلاد السورية بدمشق وحلب وبيروت يتعاونون فيما بينهم على تنسيق جهودهم السرية في هذا الصدد وستر اغراضهم الحقيقية بمناورات سياسية — ظاهرها التعاون مع الدولة العثمانية لاقرار الأمن واعادة الهدوء الى البلاد المضطربة بالفتن الطائفية التي كانوا هم من ورائها بالفعل وباطنها تنظيم هجرة

---

(١) مجلة المشرق اليسوعية سنة ١٩٣٣ مجلد ٣١ ص ٤١١ مقال لويس اسكندر المعلوف .
(٢) تاريخ المساجد والجوامع الشريفة في بيروت طه الولي ص ٢١–٢٢ .

جماعية كثيفة للأسر النصرانية من داخل سورية الى ساحلها المحاذى لجبل لبنان ومن ثم تركيز هذه الهجرة بلباقة وهدوء فى بعض أنحاء الجبل وبصورة خاصة فى مدينة بيروت بالذات وذلك تمهيدا لاقامة كيان سياسى وادارى مستقل من لون طائفى معين تحكمه بعض الأسر الاقطاعية التى استدرجت بدعايات مختلفة الى اعتناق الديانة النصرانية وأعطيت لها المناصب الحكومية الملائمة ومن بين هذه الأسر التى ارتدت عن دين آبائها وأجدادها فرع آل أبى اللمع من عائلة قائدبية الدرزية وبعض آل شهاب من سكان " الحدث " وغزير (١) الذين كانوا من أهل السنة والجماعة قبل أن يرتدوا عن دينهم ويصبحوا نصارى ، وقد ذكر لى العلامة الاستاذ عارف بك الكندى أن الأمير بشير الشهابى الشهير بالمالطى حاول عن طريق الترغيب ادخال الشيخ نسيب تلحون فى النصرانية ولما رفض هذا الشيخ الدرزى الارتداد عن دينه سامه الأمير الشهابى سوء العذاب الى أن أدركه الفرج بتدخل عزيز مصر محمد على باشا الذى أمر الأمير المذكور بالكف عن اغراء الناس بتغيير دينهم (٢) "وفى سنة ١٨٤٠ افتعلت فى دمشق فتنة طائفية رعناء بين المسلمين والنصارى بدسائس الأجانب الخبيثة وأدت هذه الفتنة الى نزوح عدد كبير من الأسر النصرانية من دمشق فى اتجاه جبل لبنان وبيروت ، ثم فى سنة ١٨٦٠ قامت فى البلاد فتنة طائفية أخرى كانت أشد نكالا وتخريبا من الأولى لكن فى جبل لبنان هذه المرة حيث توزعت الأدوار بين الانكليز الذين تظاهروا بتأييد الدروز ، والفرنسيين الذين تظاهروا بتأييد النصارى وكان من نتيجة هذه الفتنة الأخيرة أن نفذت المرحلة الثانية من المخططات الغربية القاضية بتهجير الطائفة النصرانية من مختلف المذاهب الى بيروت ليصبح النصارى فيها بعد زمن قليل أكثر عددا ونفوذا من أهاليها المسلمين وكان ذلك تمهيدا لما حصل بعد الحرب العالمية الأولى من قيام دولة لبنان الكبير واتخاذ بيروت عاصمة رسمية لهذه الدولة التى أصبح اسمها الآن " الجمهورية اللبنانية" (٣) .

---

(١) مكانان فى بيروت .

(٢) تاريخ المساجد والجوامع الشريفه الشيخ طه ص ٢٤ .

(٣) المصدر السابق .

وقد ظهر الغرض من اقامة هذا الكيان السياسي الجديد " الجمهورية اللبنانية" في رسالة اللورد دوفرين الى مسيو بولفر بتاريخ ١٥ تشرين ثاني عام ١٨٦٠ وكانا في اللجنة العثمانية الأوروبية التي ناقشت حوادث عام ١٨٦٠ بين النصارى والدروز ومنها ما يلي " ان غايتي من هذه الرسالة ايقاف سعادتكم على ملخص الترتيبات التي سيطرحها مندوب فرنسة على بحوث رصفائه على ما أرجح بخصوص تنظيم جبل لبنان ويمكن أن يقال ان قوام مشروعه : انشاء امارة مسيحية مستقلة في قسم من لبنان تمتد من شماليه حتى نهر الألى بما فيه كل الجبهة الغربية وشواطئها البحرية وستخص مرافئ طرابلس وبيروت وصيدا في هذه الامارة المستقلة ، وتنتزع تماما من الحكومة التركية ، فمع كرور الأيام لابد للدروز وسائر الطوائف الغير المسيحية من أن تستنسب الجلاء عن هذه الامارة الجديدة لاختلاف سكانها عنهم مذهبا فتصبح امارة لبنان ملجأ منسع الأطراف وينسنى لمسيحيي دمشق وسائر أنحاء سورية أن يهاجروا اليها (١) .

وفي رسالة ثانية بين دوفرين وبولفر في ٩ تشرين أول ١٨٦٠ يقول دوفرين " واذا كنت فقهت نية المسيودى بوفور – قائد الحملة الفرنسية بلبنان آنذاك – فالتعويل على مشروعه يؤول الى تقليص ظل الدولة التركية عن مرافئ صيدا وبيروت وطرابلس وتصبح لبنان على ما قال " معقلا يلجأ اليه جميع مسيحيي سورية " (٢) .

وجاء في الرسالة أيضا : " أتشرف بان أخبر سعادتكم بأني تجاذبت أمس وقائد الحملة الفرنسوية أطراف الحديث فصرح لي بأن التنظيم الوحيد الكامل الذي فيه راحة لسورية في المستقبل قائم بتولية مسيحي وطني على كل لبنان بمينه والى الايالة مراعاة للظواهر " (٣) فقد كانت الروح الصليبية تحكم جميع العلاقات بين الدول الغربية والشرق العربي .

يقول الاستاذ محمد عزت دروزة " .... ومن الجدير بالذكر أن الملك شارل العاشر ودع الحملة بخطبة صليبية دلت على الروح التي تحفز فرنسة الى البغي

---

(١) مجموعة المحررات السياسية والمفاوضات الدولية عن سوريا ولبنان تعريب فيلب وفريد الخازن ج ٣ ص ٤٨ .

(٢) المرجع السابق ج ٣ ص ٨٣ .

(٣) المرجع السابق .

وقد جاء فيها : " ان العمل الذى ستقوم به الحملة توضية للشوف الافرنسى سيكون بمساعدة العلى القدير لفائدة المسيحية كلها " وقد كانت مثل هذه الروح من جملة الحوافز ونقاط الارتكاز الاستغلالية فى صلة فرنسة بلبنان وسورية ومطامعها فيهما " (١) .

بعد كل هذا يتضح لنا أن الصراع بين الاسلام والمسيحية فى منطقة لبنان كان صراعا تاريخيا ، كان سجالا حسب الأحوال السياسية حتى اذا جاء العصر الحديث كان أكثر جدية واصرارا لتوسع المطامع الاستعمارية التى اتخذت من الاقليات الدينية مراكز لنفوذها السياسى (٢) الذى انتهى الى انشاء دولة مسيحية وأخرى يهودية على أرض اسلامية مما يدل على أن الصراع فى المنطقة كان دينيا صليبيا مهما تعددت أشكاله وأساليبه .

وفى منتصف القرن التاسع عشر نشطت الحركة التبشيرية فى بلاد الشام وقد كانت هذه ظاهرة جديدة اذ أن الصراع التاريخى بين المسلمين والنصارى فى المنطقة كان سياسيا متركزا حول السلطة أما فى العصر الحديث فقد نشطت الارساليات التبشيرية فى مختلف الدول الأوروبية وكانت هذه ظاهرة جديدة فى المنطقة ، وقد كان لضعف دولة الخلافة سياسيا وتقدم الدول الغربية فى العلوم الحديثة مع تيقظ الروح الصليبية هى الاسباب المباشرة لظاهرة التبشير المسيحى . وقد كان عملهم منظما ومدروسا فقد كانت المؤتمرات العالمية للمبشرين تعقد ويندارس فيها النتائج التى توصلوا اليها .

وقد كتب الشيخ محب الدين الخطيب رحمه الله عن هذه المؤتمرات تقريرا جاء فيه : " وقف شيخ من دعاة النصرانية فى آخر مؤتمر عقده البروتستانت قبل الحرب العظمى فخطب فى زملائه الدعاة قائلا ما معناه " لقد جرت الدعوة الى النصرانية فى أنحاء كثيرة من الوطن الاسلامى وأن تجاربى تخولنى أن أعلن بينكم على رؤوس الأشهاد أن الطريقة التى سرنا عليها الى الآن لا توصلنا الى الغاية التى ننشدها فقد

---

(١) حول الحركة العربية الحديثة جـ ٢ ص ١٧٤ .

(٢) محاضرات عن الامير شكيب أرسلان ص ٥ .

صرفنا من الوقت شيئا كثيرا وأنفقنا من الذهب قناطير مقنطرة وألفنا ما استطعنا أن نؤلف وخطبنا ما شاء الله أن نخطب ومع ذلك كله فاننا لم ننقل من الاسلام الى النصرانية الا عاشقا بنى دينه الجديد على أساس الهوى أو نصابا سافلا لم يكن داخلا فى دينه من قبل حتى نعده قد خرج منه بعد ذلك ولا محل لديننا فى قلبه حتى نقول انه قد دخل فيه ومع ذلك فالذين تنصروا لو بيعوا بالمزاد لا يساوون ثمن أحذيتهم فالذى نحاوله من نقل المسلمين الى النصرانية هو باللعب أشبه منه بالجد فلتكن عندنا الشجاعة الكافية لاعلان أن هذه المحاولة قد فشلت وأفلست ، وعندى أنه يجب علينا قبل أن نبنى النصرانية فى قلب المسلمين أن نهدم الاسلام من نفوسهم حتى اذا أصبحوا غير مسلمين سهل علينا أو على من يأتى بعدنا أن يبنوا النصرانية فى نفوسهم أو فى نفوس من يتربون على أيديهم ، ان عملية الهدم أسهل من عملية البناء فى كل شىء الا فى موضوعنا هذا لأن هدم الاسلام من نفس المسلم معناه هدم الدين على العموم وهى خطة مخالفة لما ندعو اليه لأنها خطة الحاد وانكار للأديان جميعها ولكن لا سبيل الى تخليص المسلمين من الاسلام غير هذه السبيل ، فانظروا ماذا أنتم فاعلون (١) .

وقد عقد مؤتمر تبشيرى دولى فى القدس كتب عنه فى مجلة الفتح فقال عقد مؤتمر تبشيرى عام فى القدس سنة ١٩٢٤ وقد شهد هذا المؤتمر نواب من المؤتمرات المحلية ووفود من سائر البلاد الاسلامية منها بلاد العرب والعراق وايران وتركية والصين والهند البريطانية وجزائر الهند الشرقية الهولندية ، وكان عدد المؤتمرين محدودا فلم يتجاوز الثمانين شخصا ولكن كان فى هؤلاء أعاظم رجال التبشير ومعلميهم وأطبائهم والقائمين بالأعمال الاجتماعية التبشيرية ، وكان منهم أيضا رجال العمل المندوبون من جمعيات التبشير فى أوروبة وأمريكة والبلاد المتصلة بحركة التبشير فى العالم الاسلامى ولم يكن الحضور قاصرا على من ذكر من المبشرين بل انضم اليهم زعماء الكنائس المحلية وفيهم جماعة من المسلمين المتنصرين الكبار .

واذا روجع تاريخ التبشير لا يرى فيه أن قد مر يوم تضافرت فيه طوائف كثيرة ذوات قوة وعمل للنظر فى حركة التبشير فى العالم الاسلامى مثل ما كان فى المؤتمر العام المعقود فى القدس وفى المقررات والبحوث التى نظر فيها المؤتمر مليا ، ووجد أن —

---

(١) مجلة الفتح عدد ١٩١ السنة الثانية ص ٩–١٠ .

خطورتها عظيمة وهى مما يجب تبليغه الى كل مبشر يحمل بين جنبيه قلبا حيا لتوسيع مملكة المسيح •

استطاعت هذه المؤتمرات ان تبين بدلائل قاطعة أن الاسلام قد انقض غزله وحاق به الضعف وتفككت حزمته وهذا واقع أكثر ما يكون سياسيا وعلى الاجمال أصبحت الروح القومية تدحر روح الجامعة الاسلامية وتحل محلها فان المسلم التركى على سبيل المثال أخذ ينقلب ليصير تركيا أكثر منه مسلما • وكان لالغاء الخلافة تأثير عميق ليس فقط فى تركية بل فى جميع العالم الاسلامى • وقد أخذت الظواهر تتكاثر من جميع النواحى لتدل بصدق قاطع على انحلال الرابطة ، الاجتماعية فى الاسلام ، وآثار هذا الانحلال تقدما جليا فى ابراز مكانة المرأة الاجتماعية وعلى الأخص فى المدن ومن ثمار هذا الانقلاب النسائى العدول عن الزواج الباكر والتوسع فى الحرية على المرأة بحيث صار فى وسعها حضور الحفلات وسماع الخطب والمحاضرات وحضور الولائم وانشاء الأندية النسائية والتصرف بحرية فى الحجاب وتطلب العلوم والمعارف • وقد كان لانتشار المدنية المادية الغربية بجميع آثارها الحديثة المتنوعة نتيجة كبيرة سببت القضاء على حالات الانحلال الحادثة •

ومما ينفى عن دعاة حركة النصرانية ويعدونه نجاحا لهم أن يروا المسلم المصرى ينقلب ليصير مصريا أكثر منه مسلما ، والمسلم الهندى ينقلب ليصير هنديا أكثر منه مسلما فكل من يسايرهم على انجاح هذه النزعة يعده المسلمون من أذناب دعاة النصرانية أو من آلاتهم التى لا تعقل " •

ومن الغريب أن يبتهج الذين يزعمون أنهم يدعون الى دين المسيح بانتشار المدنية المادية الغربية بين البشر ، مع أن دينهم روحى أكثر مما يحتاج اليه البشر فكأنهم يرضون بافلاس المبدأ الأساسى فى دينهم نكاية فى الاسلام ليس الا ومثل هؤلاء لا يدعون الى المسيحية ولكن يعيشون ليكيدوا للاسلام والمسيحية فى آن واحد وقد باد كثير من ضروب التعصب وظهرت روح جديدة تطلب النظر والبحث فى الأماكن البعيدة عن مواطن الاسلام وهى معروفة بالحزم غاينها احداث الانقلاب والتجدد فى جميع مناحى الحياة وقد برهن كثير من رجال المؤتمر على أنهم ما عادوا يرون ذلك المسلم الأبى باسلامه العالى الجبهة بدينه الذى كانوا يرونه من قبل " (١) •

---

(١) مجلة الفتح العدد ٩٠ ، ص ٨ـ٩ السنة الثانية •

مدارس التبشير المسيحي :

افتتحت هذه المدارس أولا كمدارس دينية تابعة لطائفتها . ولكنها كانت مراكز دينية لنشر الدين المسيحي بطريقة تربوية جديدة [(١)] اذ لم تعد طريقة التبشير التقليدية تجدى .

يقول الاستاذ محمد عطية خميس :

" فبينما اجتمع مؤتمر المبشرين في جبل الزيتونة بفلسطين عام ١٩٠٩ وقف مقرر المؤتمر ليقول " ان جهود التبشير الغربية في خلال مائة عام قد فشلت فشلا ذريعا في العالم الاسلامي لأنه لم ينتقل من الاسلام الى المسيحية الا واحد من اثنين : اما قاصر خضع بوسائل الاغراء بالاكراه واما معدم تقطعت به أسباب الرزق فجاءنا مكرها ليعيش " وهنا وقف القس زويمر المعروف ليقول " كلا ان هذا الكلام يدل على أن المبشرين لا يعرفون حقيقة مهمتهم في العالم الاسلامي ... انه ليس من مهمتنا أن نخرج المسلمين الى المسيحية كلّا .. انما مهمتنا أن نخرجهم من الاسلام وأن نجعلهم ذلولين لتعاليمنا ونفوذنا وأفكارنا ولقد نجحنا في هذا نجاحا كاملا . فكل من تخرج من مدارسنا لا مدارس الارساليات فحسب بل والمدارس الحكومية والأهلية التي تتبع المناهج التي وضعناها بأيدينا وأيدى من ربيناهم من رجال التعليم كل من تخرج من هذه المدارس خرج من الاسلام بالفعل وان لم يخرج بالاسم . وأصبح عونا لنا في سياستنا دون أن يشعر وأصبح مأمونا علينا ولا خطر علينا منه لقد نجحنا نجاحا منقطع النظير " [(٢)] .

" وقد ذكر مسيو اتين لامى " في مقال نشرته " العالمين " الفرنسية في عدد ١٥ سبتمبر سنة ١٩٠١ أنه يمكن استغلال المدارس المسيحية في القاء بذور الشك في نفوس النشىء المسلم . وافساد عقيدتهم فقال الكاتب المذكور " ان مقاومة الاسلام بالقوة لا تزيده الا انتشارا فالواسطة الفعالة لهدمه وتقويض بنيانه هي تربية بنيه في المدارس المسيحية . والقاء بذور الشك في نفوسهم من عهد النشأة لتفسد عقائدهم الاسلامية من حيث لا يشعرون وان لم يتنصر منهم أحد فانهم يصيرون لا مسلمين ولا مسيحيين . وأمثال هؤلاء يكونون بلا ارتياب أضر على الاسلام مما

---

(١) اضافة الى كونها مراكز نفوذ استعمارية للدول التابعة لها .

(٢) مؤامرات ضد الاسرة المسلمة محمد عطية خميس ص ٥٥-٥٦ .

اذا اعتنقوا المسيحية وتظاهروا بها " (١) ويقول مسيو انين لاهى أيضا : ان طريقة تربية أولاد المسلمين وان كان لها من التأثير ما بيناه ، فان تربية البنات فى مدارس الراهبات أدعى لحصولنا على حقيقة القصد ووصولنا الى الغاية نفسها التى وراءها نسعى بل أقول ان تربية البنات بهذه الكيفية هى الطريقة الوحيدة للقضاء على الاسلام بيد أهله (٢) .

موقف النبهانى من التبشير المسيحى :

بعد كل هذا يتضح لنا أن البلاد الشامية وبالذات لبنان — موطن الشيخ النبهانى (٣) كانت ميدانا لصراع دينى لحقب طويلة متعاقبة ، وقد كان المستعمرون يخططون لجعل لبنان دولة مسيحية ، ثم قدمت الارساليات التبشيرية من الغرب مدعومة سياسيا واقتصاديا من دولها الغنية بالعلم والمال . وليت الأمر كان يقف على توعية طوائفها بالمسيحية بل تعداه الى نشرها بين المسلمين وهذا جرهم لمحاربة الاسلام والعمل على تقويضه بشتى الوسائل ولما وجدوا بعد البحث والدرس فى مؤتمراتهم العالمية التى كانوا يعقدون بعضها فى القاهرة أو القدس أو الهند — أن عملية دعوة المسلمين الى المسيحية بصورتها التقليدية مستحيلة والأكثر استحالة استعمال القوة فى ذلك ثم وجدوا أن الدعوة السافرة للمسيحية لا تجدى مطلقا ، لذلك وضعوا منهجهم على أساسين :

الأول انشاء المدارس التربوية الحديثة المدعومة بالعلم الحديث (٤) الذى يفتقر له المسلمون وعلى رأسهم الدولة العثمانية وذلك لاغراء أبناء المسلمين للالتحاق بها ليتثقفوا بنفس الثقافة الهادفة التى يتلقاها أولاد المسيحيين .

والأساس الثانى : العمل على تغيير العادات الاجتماعية والخلقية عند المسلمين خصوصا النابعة من مفاهيم اسلامية عن طريق تطعيمهم بالحضارة الحديثة

---

(١) مؤامرات ضد الاسرة المسلمة ص ١٦ .

(٢) مؤامرات ضد الاسرة المسلمة ص ٣٩ — ٤٠ .

(٣) الحقيقة ان الشيخ النبهانى ولد وترعرع فى اجزم من قضاء حيفا ولكنه بحكم عمله عاش فى بيروت واتخذها مقرا له .

(٤) راجع مجلة الفتح عدد ١٨٦ السنة الثانية ص ١٠ .

الغربية ليتخلوا عما يربطهم باسلامهم سلوكا وبالتالى عقيدة وليصبح المسلمون بعد هذا مسيرين بنظم وأساليب غربية نابعة من المسيحية الموجهة بأهداف استعمارية •

من هذه الظروف والملابسات يتحدد موقف الشيخ النبهانى وغيره من علماء المسلمين العاملين •

من هنا نشط الشيخ النبهانى رحمه الله لتأليف الكتب التى تدور حول الاسلام وشخصية الرسول والرد على جميع دعاة التجديد فى الدين والأخذ بالحضارة الغربية المطعمة بالمسيحية (١) لتثبيت الاسلام واظهاره واضحا كما أنه أخذ يهاجم الدين المسيحى نفسه موضحا ما فيه من تغيير وتزوير داعيا المسلمين أن يبتعدوا بأبنائهم عن مدارس النصارى داعيا لهم الى ايجاد مدارس للمسلمين تأخذ بالعلوم الحديثة بأساليب اسلامية •

وهو فى نثره وشعره لا يجد فرصة أو مجالا الا وينبه فيها على محاسن الاسلام محذرا من آفات مدارس النصارى • ففى كتابه " أفضل الصلوات على سيد السادات " يقول : ان مدارس الافرنج التى يفتحونها فى البلاد الاسلامية يجعلون من أهم الشروط لدخولها تعليم التلميذ ولو كان مسلما الدين المسيحى ودخوله فى جملة التلاميذ المسيحيين الى الكنيسة فى كل يوم للعبادة ويفصل منهم الأعمال الدينية ومن لا يقبل هذا الشرط لا يقبلونه ويوجد فى بيروت جملة من هذه المدارس وفيها بعض أبناء المسلمين منها المدرسة اليسوعية ومدرسة المطران المارونية وهم لا يلامون على ذلك لأنهم يفعلون فى مدارسهم ما يوافقهم ويبينون شروطهم ولا يجبرون أحدا على الدخول وانما اللوم العظيم على المسلم الذى يرضى بدخول ولده الى هذه المدارس ينام ويقوم ويدخل الكنيسة على الشرط المعلوم والذى أقوله ان المسلم الحقيقى لا يدخل ولده هذا المدخل الخطير الا لجهله بشرطهم المذكور أو لجهله بالحكم الشرعى فى ذلك أما شرطهم فيها هو ذا نعلنه ليعلمه كل واحد وأما الحكم الشرعى فى ذلك فهو شائع فى كتب الشريعة الغراء ولا يخفى على أحد من العلماء وها أنا ذا اقتصر على نقل عبارة القاضى عياض فى كتابه " الشفاء " الشريف

---

(١) راجع مقتطفات من أقوال الاستاذ ليوبولد فايس فى كتاب مؤامرات ضد الاسرة المسلمة محمد عطية خميس ص ٢٨ •

ليعلم ذلك الحكم كلّ أحد ولا يبقى عذر بعده لمسلم .

قال رحمه الله فى أواخر كتابه المذكور بعد أن ذكر أشياء كثيرة من المكفرات .
" وكذلك نكفر بكل فعل أجمع المسلمون أنه لا يصدر الا من كافر وان كان صاحبه مصرحا بالاسلام مع فعله ذلك الفعل كالسجود للقمر أو للشمس والقمر والصليب والنار والسعى الى الكنائس والبيع مع أهلها والترى بزيهم من شد الزنانير وفحص الرؤوس وقد أجمع المسلمون أن هذا لا يوجد الا من كافر وأن هذه الأعمال علامة على الكفر وان صرح فاعلها بالاسلام " .

انتهت عبارته بفروعها .

وبعد نشر عبارة هذا الامام ومعرفة الحكم الشرعى فى دين الاسلام واعلان شرط الدخول فى هذه المدارس لم يبق عذر لمن يدعى الجهل فى ذلك من المسلمين فاذا أبقى أحد منهم بعد هذا ولده فى تلك المدارس وأمثالها فما هو الا من فقد اليقين وعدم المبالاة بأمر الدين نعوذ بالله " انها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور " وحينئذ يجب على الحكومة اخراج أولئك المساكين رغما عن أوليائهم الذين هم أصل بلائهم . ووضعهم فى مدارسها الكافلة بتعليمهم وتهذيبهم وتدريبهم وتأديبهم مع السلامة من كل محذور خدمة للدولة والدين وحاميهما حضرة سيدنا أمير المؤمنين نصره الله تعالى " (١)

ويقول الشيخ النبهانى رحمه الله " ونحن فى هذا العصر نرى كثيرا من المسلمين والنصارى ولاسيما بعد دخولهم المدارس الافرنجية يخرجون من أديانهم ويصيرون زنادقة أبغض شىء اليهم الدين وأهله واذا ذكروا أنبياء الله تعالى ورسله الكرام يصفونهم بما لا ينبغى " . (٢)

---

(١) أفضل الصلوات على سيد السادات يوسف النبهانى ص ٢٦٥ وفى مقابلة مع الاستاذ المؤرخ محمد جميل بيهم فى بيته فى بيروت فى ١٩٧٥/١/١٣ . افادنى بما يشبه كلام الشيخ النبهانى وأن غالبية المسلمين كانوا لا يرضون بما يفعله بعض المسلمين الذين يرسلون اولادهم الى مدارس النصارى لذلك انشأوا مدارس المقاصد الخيرية كبديل .

(٢) نجوم المهتدين ورجوم المعتدين ص ٥٩٤ .

ويقول أيضا " أما المسلمون فهم بفضل الله تعالى وحسن توفيقه مبرؤون من الشك في صحة دينهم دين الاسلام وصدق نبيهم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام سوى من قدر الله شقاوتهم وايقاع الخلل في دينهم بتربيتهم في مدارس النصارى واقامتهم فيها عدة سنين ليلا ونهارا فهؤلاء لا يسلم منهم الا القليل وحسبنا الله ونعم الوكيل ...

ان المسلم الحقيقي لا يمكن أن يضع ولده ، أو من له عليه ولاية في تلك المدارس بعد أن يعلم أخطارها أو أضرارها على الدين ومثل من يتربى فيها من الخطر الذين يسافرون الى أوروبة وأميركة وغيرهما من البلاد التي لا اسلام فيها ويقيمون هنالك سنين كثيرة مختلطين بأهلها منقطعين عن الاسلام والمسلمين تاركين الصلاة والصيام منعكفين على الخمور والفجور وأنواع الحرام فهؤلاء وأمثالهم ممن يكون على هذه الحالة الشنيعة ولو في بلاد الاسلام لا يستغرب وقوع الشكوك في دينهم والأوهام فقد قال صلى الله عليه وسلم " المعاصي بريد الكفر " والبريد معناه الرسول أي أنها تتقدم قبل الكفر لتهيء له موضعا في قلب مرتكبها لما تحدثه فيه من الظلام المتتابع بتتابعها حتى تنطفي أنوار بصيرته فتدخل عليه الشكوك في صحة الدين شيئا فشيئا الى أن يعمى بالكلية فيرتحل منه الايمان ويحله الكفر والعياذ بالله تعالى " (١) .

وفي كتابه " ارشاد الحيارى من تحذير المسلمين من مدارس النصارى " الذي يدل عنوانه على محتواه يقول الشيخ النبهاني في المقدمة " أما بعد فان من أعظم المصائب على الملة الاسلامية والأمة المحمدية ما هو جار في هذه الأيام في كثير من بلاد الاسلام من ادخال بعض جهلة المسلمين أولادهم في المدارس النصرانية لتعلم بعض العلوم الدنيوية واللغات الافرنجية وفي ضمن ذلك يتعلمون الديانة المسيحية ويشاركون أولاد النصارى في عباداتهم الدينية مما هو كفر صريح مما لا يرضى به الله تعالى ولا محمد صلى الله عليه وسلم ولا المسيح مع أنه تغني عن تلك المدارس — التي افتتحها النصارى الافرنج في البلاد الاسلامية لاغراء أولاد المسلمين وغيرهم — المدارس الاسلامية الكثيرة التي تزيد على المئات والألوف التي افتتحها في سائر أنحاء ممالكه المحروسة خليفة العصر حضرة سيدنا السلطان الأعظم أمير المؤمنين السلطان الغازي عبد الحميد خان الثاني أعز الله به الاسلام والمسلمين وأدام له النصر العزيز والفتح المبين فقد فتح بعون الله تعالى وحسن توفيقه وامداد روحانية نبيه

---

(١) المصدر السابق ص ٦٠٦ .

ممالك دولته العلية العثمانية حرسها الله من كل بلية ما يغني المسلمين عن التطلع الى مدارس النصارى في علم من العلوم الدنيوية والأخروية أو لغة من اللغات الشرقية والغربية كل ذلك حرصا منه على سلامة دينهم ودنياهم فهو الذى نصره وحرسه وحماه الأب الشفيق لجميع المسلمين بل هو أحرص منهم على حسن تربية أولادهم بالصفة المشروعة التي تجمع بين سعادتي الدنيا والدين وسلامة عقائد المسلمين والحمد لله رب العالمين .

فلما رأيت ذلك كذلك وعلمت يقينا أن كل من أدخل ولده من المسلمين الى تلك المدارس النصرانية فقد ألقى نفسه وولده في أعظم المهالك وعرفت أنه لا يجوز لي ولا لغيري من أهل الملة الاسلامية السكوت على هذه المنكرات التي هي على الملة والأمة أعظم بلية " .

ويقول أيضا " اعلم قبل الشروع في المقدمة أن بعض المنكرات لا تحتاج الى اقامة دليل يثبت أنها أمر منكر بل النظر الى شدة قبحها وظهور شناعتها يكفي في انكارها مجرد حكاية حالها مثلا : زنى رجل بامرأة نهارا في الملأ العام في مجمع الناس فهذا الا يلزمك اقامة دليل لتقبيح فعله بل مجرد حكاية حالته هذه القبيحة كاف للانكار والتشنيع عليه ومن ذلك ـ بل أعظم والله من ذلك ـ ما ارتكبه هؤلاء الفساق المراق من جهلة المسلمين من ادخال أولادهم في مدارس النصارى ولا سيما على الشروط الآتية فاذا فلان المسلم أدخل ولده الى مدرسة نصرانية بشرط أن يتعلم دين النصارى ويدخل الى الكنيسة مع أولاد النصارى ويعبد معهم عبادة النصارى فهذا الفعل ـ لكونه بلغ منتهى القباحة والشناعة كما ان فاعله بلغ منتهى الضلال والرقاعة ـ لا يحتاج لاقامة دليل على اثبات قباحته وكونه من أنكر المنكرات وأشنع الشناعات بل مجرد حكايته كاف لاظهار شناعته وذم من ارتكبه من الجهال وأهل الفسوق والضلال (١).

ويقول الشيخ النبهاني ـ أيضا ـ معقبا على تحذير الامام الغزالي المسلمين أن يعلموا اولادهم قبل بلوغهم أشعار عشق من كتاب رياضة النفس وتهذيب الخلق من احياء علوم الدين (٢) .

---

(١) ارشاد الحيارى ص ٢ـ٤ .

(٢) راجع احياء علوم الدين للغزالي ج ٣ ص ٦٢ـ٦٤ المطبعة العثمانية المصرية ١٩٣٣م .

"فانظر رحمك الله أيها المسلم العاقل المشفق على نفسه وولده ، كيف صنع هذا الامام الكبير فى تعليم أولاد المسلمين من حين تأديبهم فى صغرهم ـ الأشعار التى فيها ذكر العشق وأهله ومخالطة أهله خوفا على قلوبهم من بذر الفساد فكيف تراه يقول فيمن يدخل ولده مدارس النصارى فيتعلمون دينهم ويدخلون كنائسهم ويتعبدون فيها بعباداتهم مع أولادهم ويخالطونهم ويتعلمون منهم ويعيشون معهم ليلا ونهارا عدة سنين ، وما كان يخطر فى بال أحد أنه يأتى على المسلمين زمان يقع فيه بعضهم فى مثل هذا الأمر الشنيع والفعل الفظيع واذ قد وقع ذلك الآن فى كثير من البلدان وجب علينا الانكار وتمييز سبيل الجنة والنار" (١) .

وعن مطامع الافرنج من مدارس التبشير يقول النبهانى : " اعلم أنى أقمت فى مدينة بيروت مدة طويلة تزيد الى الآن على خمس عشرة سنة فاطلعت فيها على شىء من أحوال هذه المدارس النصرانية التي لا يجوز لكل مسلم أن يدخل اليها ولده أو من له حكم عليه بوجه من الوجوه .

وبيروت هذه هى أعظم مدن سواحل البحر الشامى وقد صارت فى الأزمنة الأخيرة مجتمع الواردين من الأقطار البعيدة والقريبة من المسلمين وغيرهم ولذلك كان للافرنج فيها عناية مخصوصة ففتحوا فيها المدارس العظيمة وأنفقوا عليها النفقات الكثيرة وعمموا فيها التعليم وقبول التلاميذ من سائر الجهات ولكنهم جعلوا من أهم شروطها تعليم دين النصارى وفعل العبادة النصرانية فى كنيسة المدرسة لكل التلاميذ ولم يفرقوا فى ذلك بين اولاد النصارى واولاد المسلمين فأولاد المسلمين ماداموا فى تلك المدارس هم نصارى كأولاد النصارى من غير فرق" (٢) .

ويقول أيضا " وانظر أيها المسلم العاقل ـ رحمك الله وأرشدك الى ما فيه رضاه ـ الى اجتهاد الدول الافرنجية فى فتح المدارس فى بلاد الاسلام وانفاقهم عليها النفقات الكثيرة على مر الشهور والأعوام واعتنائهم بشؤونها الاعتناء التام .. أتراهم يا أخى يفعلون كل ذلك شفقة على ابنك المسلم الذى هو ليس من ملتهم ولا من دولتهم وحرصا على نجاحه ؟ !! كلا .. والله انهم لم يفعلوا ذلك الا لمقاصد مهمة وفوائد لهم كثيرة جمة تقابل نفقاتهم وأتعابهم اضعافا مضاعفة، وهى

---

(١) المصدر السابق ص ١٤ .

(٢) ارشاد الحيارى ص ١٥ .

كلها عليك وعلى ابنك وعلى دينك وأهل ملتك دواء عظيمة ومصائب كبرى !! يعلم ذلك جميع العقلاء ولا يخفى الا على الجهلة الأغبياء .

فمن فوائدهم أنهم يخرجون هؤلاء الصبيان الذين يتعلمون فى مدارسهم من دين الاسلام اخراجا حقيقيا بقلوبهم وان بقوا فى الظاهر مسلمين ويستجلبون محبتهم لهم محبة ممتزجة بلحمهم ودمهم ينشأون عليها . وذلك بتعلمهم لغاتهم وعوائدهم وكتبهم وأحوال مشاهيرهم وتراجمهم يرويها لهم المعلمون بأجمل الروايات وفى ضمن ذلك يذمون لهم عقائد الاسلام ومشاهير المسلمين وأئمة الدين حتى ربما يتجاوزون الى سيد المرسلين وحبيب رب العالمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين . وتتكرر هذه الأمور على سمع الصبى المسلم فى عدة سنين فلا يخرج من المدرسة الا وقد تجرد بالكلية من دينه وجنسيته الاسلامية وصارت تلك الدولة المعدة للمدرسة التى تعلم فيها أحب اليه من دولته وجنسيتها أحب اليه من جنسيته معتقدا فيها وفى رجالها الكمال وهو لم يتعلم شيئا من دين الاسلام وسيرة نبيه سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ومناقب أصحابه الهداة المهديين وفضائل أئمة دينه المبين وأحوال خلفائه الراشدين ومن بعدهم من السلاطين والأمراء العادلين . بل روى له عنهم شياطين أولئك المعلمين عكس أوصافهم الجميلة ومناقبهم الجليلة فاعتقد فيهم خلاف الكمال الذى اعتقده على خلاف الحقيقة من أعداء دينه . ودولته وهؤلاء التلاميذ يكبرون ويعيشون فى الظاهر فى جملة المسلمين وفى الحقيقة هم أعداء للدولة والدين وقد أشربت قلوبهم الزندقة والضلال المبين وترى الواحد منهم لا يجد خلوة مع من يشاكله فى ضلاله وسوء حاله الا ويتذاكر معه فى الاعتراضات على دين الاسلام ودولة الاسلام وعوائد المسلمين ويمدحون ملك الدولة صاحبة المدرسة التى يكملون فيها دروس الضلال ويتجردون من الدين ومعالم الكمال ولا تزال هذه المدارس النصرانية تخرج من هؤلاء الزنادقة فى كل سنة عددا كثيرا فيجتمع منهم فى عدة سنين الجم الغفير جلهم أو كلهم على هذه الحال وقد جعلوا الحق وراءهم ظهريا وماذا بعد الحق الا الضلال ؟ .

ثم أورد — رحمه الله — نصوصا نقلها من كتاب تربية المرأة للاستاذ محمد أفندى طلعت المصرى — نقلا عن مجلة غربية اسمها " العالمين " — تبين أهداف الدول الغربية فى مساعدة مدارس النصارى ضمن خطة للقضاء على الاسلام بطريقة تربية أبنائه على أسس تشككهم فى كل الأديان . مشيرا الى حرص هذه المدارس

على تربية البنات في مدارسها لأثرها البالغ في تربية أبنائها وتوجيه الأسرة .

ويوضح الشيخ النبهاني مبعث الشك في أذهان الناشئة الذي يخرجهم عن الاسلام وكل الأديان فيقول " حينما يتعلم التلميذ المسلم في هذه المدارس أحكام دين النصارى يراها . هو ـ كما يراها أهلها ـ غير معقولة ولا مقبولة يناقض بعضها بعضا واذا اعترض هو أو أحد التلاميذ النصارى على حكم من أحكامها وجلها بل كلها معترضة وسأل عنه المعلم ينهره ويقول له : اسكت الدين فوق العقل لأن المعلم يعلم هو أيضا أن ذلك معترض ولكن لا جواب عنده ، وقد سمع من معلمه قبله هذه الجملة الدين فوق العقل لسد باب الاعتراضات على دينهم فانه باب واسع عندهم ولا يمكن سده بأجوبة صحيحة ولا يزال التلميذ كلما ترقى في معرفة أحكام دين النصارى يزداد نفورا منه وجزما بعدم صحته ولكنه مع ذلك ينتقل ذهنه الى عدم صحة جميع الأديان ويفضل عليها الزندقة وعدم الالتزام بدين منها. ويحسن له ذلك ويرغبه فيه عدم التكاليف الدينية من فعل المأمورات كالصيام والصلاة وسائر العبادات وترك المنهيات كالزنا والخمر والربا والقمار وما أشبه ذلك مما تستحليه نفوسهم من المعاصي فهذا مما يرغبهم في عدم التدين بدين من الأديان كما عليه أكثر الافرنج وان كانوا في الظاهر نصارى [(١)] .

ويقول الشيخ النبهاني ـ أيضا ـ : ومن العجائب أنا نرى طوائف النصارى على الاطلاق لا يضعون أولادهم في مدارس المسلمين مهما كانت ناجحة بل لا تضع طائفة منهم أولادها في مدارس طائفة أخرى لئلا تتغير عقائدهم فان كل طائفة منهم تكفر الأخرى وكذلك اليهود مع قلتهم وذلتهم فتحوا لأولادهم مدارس مخصوصة بهم لئلا يحتاجون في تعليمهم الى وضعهم في مدارس المسلمين أو النصارى كل ذلك من هذه الطوائف لحرصهم على أديان أولادهم وفي حال مشاهدتنا ذلك منهم نرى كثيرا من فساق المسلمين غير حريصين على دين أولادهم فيضعونهم في مدارس أي طائفة من طوائف النصارى بل وفي مدارس اليهود أيضا ويخاطرون بدينهم غاية المخاطرة ليتعلموا شيئا من اللغات الافرنجية ..

---

(١) المصدر السابق ص ٢٣ .

فانظر أيها المؤمن حرص هؤلاء على أديانهم الباطلة وعدم حرصك على دينك الحق وتعجب من نفسك ان كان ينفعك العجب .

وأما قولك انى لا أخشى على ولدى اتباع ديانتهم لأنها ظاهرة البطلان فهذا يا أخى من تسويلات النفس ووساوس الشيطان لأن ولدك متى اختلت عقيدته الاسلامية فدخوله فى دينهم وعدم دخوله سيان وها أنا ذا اجتهدت فى نصحك والله المستعان (١) .

ويقول أيضا " أيها الغلام المسلم الذى يريد أبوه أن يهدم دينه بادخاله هذه المدارس لتوهمه تعمير دنياه – اما لجهله واما لكونه زائغ العقيدة ليس من أهل الاسلام فى الباطن وان كان فى الظاهر مسلما – اياك أن تطيعه فى هذا الأمر العظيم الذى عاقبته عليك الكفر والضلال والهلاك والوبال فانك غير مكلف بطاعته الا اذا أطاع الله تعالى ... فان الضرر الذى يترتب على دخولك هذه المدارس فى دينك .. لو قطعت لأجله اربا اربا حتى تتخلص منه لما كان ذلك كثيرا فلا شك أن أباك الجاهل أو الزنديق المنافق اذ رأى منك الجد فى الامتناع يضعك فى مدارس المسلمين الخالية من هذه الأخطار فتكون أنقذت نفسك من النار (٢) .

وأخيرا يدعو النبهانى الى استعمال القوة فى اخراج أولاد المسلمين من مدارس النصارى فيقول " يجب ويفترض على كل مسلم له قدرة على اخراج بعض أولئك الأولاد المسلمين من المدارس النصرانية أن يخرجهم بما يقدر عليه اما بأن يكون والد ذلك الصبى أو وليه صديقا له فينهاه ويلح عليه بالترهيب والترغيب وأن يكون له مناسبة مع بعض أصدقائه فيحيلهم عليه واما بأن يبلغ أمره الى أحد من ينفذ عليه أمرهم من حاكم وغيره واما بأن يعطيه مالا ان كان حمله على ادخال ولده الفقر والحاجة كما – هو حاصل فى مدارس البنات التى افتتحها البروستانت فى بيروت .

والحاصل أنه يجب على كل مسلم بكل حيلة وكل وسيلة تمكنه أن يخرج ذلك الصبى أو الصبية واذا قدر على ذلك ولم يفعله فهو آثم مستحق للعقاب من الله تعالى

---

(١) المصدر السابق ص ٤١–٤٢ .

(٢) المصدر السابق ٣٨ ، ٣٩ .

هذا اذا كان غير راض بقلبه بذلك وأما اذا رضى بدخول أحد أولاد المسلمين وكفرهم على الوجه المذكور فهو كافر مثل من أدخلهم وهو راض بذلك فان الرضا بالكفر كفر والله الهادى وعليه اعتمادى .(١)

ويقول أيضا " .... فهؤلاء - أى : الذين يدخلون أولادهم مدارس النصارى - يجب على ولى الأمر أن يمنعهم من ادخال أولادهم ومن تولوا أمورهم من صبيان المسلمين الى هذه المدارس النصرانية شفقة عليهم واحتياطا لسلامة أديانهم ولا هادى الا الله ولا حول ولا قوة الا بالله(٢) .

ويبدو أن المنافسة بين المسلمين والنصارى فى لبنان كانت مصيرية فكل فريق لا يدخر ما ينتقص به الفريق الآخر .

وقد ترك لنا الشيخ النبهانى بعض المؤلفات التى كانت من آثار هذه المنافسة ففى كتابه نجوم المهتدين ورجوم المعتدين فى دلائل نبوة سيد المرسلين والرد على أعدائه اخوان الشياطين " . حيث صدره بقوله تعالى " قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون" وغيرها من الآيات التى تحض أهل الكتاب على التفاهم ونبذ العصبية والمكابرة .

كما ذكر حديثا رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به الا كان من أصحاب النار" .

ويقول فى المقدمة - بعد أن أطال فى ذكر أوصاف الكمال لله تعالى ومحاسن الرسول صلى الله عليه وسلم ومحاسن الاسلام ورحمة الله بعباده بأن أرسل لهم سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم - قال :

---

(١) ارشاد الحيارى فى تحذير المسلمين فى مدارس النصارى ص ٤٦-٤٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٧ .

أما بعد : فاني كنت سمعت بكتاب ضلال وبهتان ، وسفه وعدوان سماه صاحبه الهداية " أي : هداية الشيطان الى سبيل النيران ، لأنه هو الذى هداه اليه وأملاه عليه ، فهو كتاب ابليس .. أوحاه الى هذا الخاسر الخسيس الذى الفه بقصد الرد بلا حق .. على السيف الصقيل واظهار الحق ولم يقتصر فى غيه على ذلك بل سلك فى تيه الضلال أقبح المسالك فلم تطلب نفسى النظر اليه ولو للرد عليه لشدة كراهتى للكفر وأسبابه ، وبغضى للسفيه وسبابه وقلت كثير من علماء الاسلام وجها بذة الايمان من هو أوسع منى علما وأصح منى فهما وأكثر منى فضلا وأقل منى شغلا ، وأقدر منى على اثبات الحق ودفع الباطل وأمهر منى فى اقامة الحجج وترتيب الدلائل وان كانت صحة دين الاسلام وبطلان غيره من الأديان أثبت من أن يفتقر كل منهما الى الاثبات بقلم أو لسان وأظهر من أن يحتاج الى المهارة فى اقامة الدليل والبرهان ، ثم بعد أن مضى على ذلك نحو سنتين قدر الله اطلاعى عليه فوجدته صحيفة بهتان وافك وحقيبة عدوان وشرك وقد كتم مؤلفه اسمه وشهر كفره وظلمه ولا ملام عليه ولا عتب فليس بعد الكفر ذنب ، وقد أراد بزعمه أن يموه به على الخلق ويخفى بباطله اظهار الحق ويضمد بما حشاه به من خلقان الأباطيل جروح السيف الصقيل وهيهات هيهات لا تزول الحقائق بالترهات ... ولو اشتغل برد ما قالوه فى تزييف معتقده فقط من دون أن يتصدى الى الاعتراض على الدين المبين دين الاسلام ويرميه من كنانة افكه وكفره بسهام الأوهام لكان ذلك أخف الشرين ولكنه ضم الى المكابرة تزيين القبيح وتقبيح الزين .

.. وسميته (نجوم المهتدين ورجوم المعتدين فى دلائل نبوة سيدنا محمد سيد المرسلين والرد على أعدائه اخوان الشياطين ") ثم يتكلم عن مساعدة روح القدس له أسوة بحسان رضى الله عنه فيقول : " ... لا أشك فى انه حصل لى ذلك فى تأليف هذا الكتاب والحمد لله المنعم الوهاب فانى حينما كنت أكتب الردود على ذلك الجحود ، كنت ربما أكتب كراسا (١) أو قريبا منه فى نحو ساعتين أو ثلاث بقلم الرصاص ويدى فى غاية السرعة بالكتابة حتى كان مملیا يملى علىّ ذلك بل لو أملى على أحد لما بلغ الأمر تلك السرعة ولا أعلم لذلك سببا الا التأييد والامداد والالهام الذى ذكره لحسان النبى عليه الصلاة والسلام ،

---

(١) هذا خطأ شائع والصواب : كراسة ، والجمع كراس وكراريس " .

ومن اطلع على كتابي هذا وعلم حالي وقلة بضاعتي في العلم والفهم مع كوني لم أشتغل في تأليفه الا في أول النهار غالبا وقد تم في نحو أربعة أشهر مع كثرة عوائق وعلائق — يتيقن صحة الحديث الوارد في حق حسان وأنه ليس خاصا به بل هو لكل من نافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقلم أو اللسان ٠٠٠٠٠٠ وان القرآن المجيد هو كلام الله تعالى الحق " الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد " هذه عقيدة كل مسلم عالم أو جاهل حقير أو جليل قد رسخت في قلوبهم رسوخ الجبال فلا يمكن أن تزلزلها عواصف الاكاذيب والأباطيل واعلم أنه ليس من خلقي المجادلة بخشونة مع أهل الأديان ولو كانوا من عبّاد الأصنام فضلا عن أهل الكتاب فقد أوحى الله تعالى الى سيدنا ابراهيم عليه السلام يا ابراهيم حسن أخلاقك مع الكفار تنل منازل الأبرار واختلاطنا في أوطاننا معهم كثير وان اختلف المصير فهم وان خالفونا في الدين اخواننا في الطين ، كلنا أولاد آدم وآدم من تراب ، وكم لهم عنا ولنا منهم في الشؤن الدنيوية أصحاب فلا تجوز الانسانية اساءة بعضنا لبعض ، ومجاملة كل منا للآخر هي في حكم السنة ان لم تكن في حكم الفرض ، ولكن عذرى فيما صدر مني من ذلك مقبول لما صدر منهم من التعدى في حق القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم فصارت اجابتهم واساءتهم عليّ من الفروض المحتومة ولولا ذلك لما أسأتهم بكلمة لقوله تعالى : " ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن " وأباح لنا ذلك بقوله سبحانه " الا الذين ظلموا منهم " ولا شك أنهم من أظلم الظالمين باعتراضهم على القرآن وسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وقد ألفوا الكتب وشحنوها بأسباب الشحناء ونشروها منطوية على الأضاليل الباطلة والقول الهراء ، معترضين بها على دين الاسلام اعتراض الشوهاء على الحسناء فتذكرنا بذلك قول المعرى أبي العلا :

اذا عير الطائي بالبخل مادر	وعير قسا بالفهاهة باقل
فياموت زر ان الحياة ذميمة	ويا نفس جدى ان دهرك هازل

ولما كانت اعتراضاته وهي على كثرتها بلا محصل وليس على شيء منها معول ، لا تخرج عن أن تكون في شؤون النبي صلى الله عليه وسلم أو شؤون القرآن[1]

---

(١) نجوم المهتدين ورجوم المعتدين في دلائل نبوة سيدنا محمد سيد المرسلين والرد على أعدائه أعداء الشياطين ص٢ — ١٤ .

ويقول الشيخ يوسف النبهانى معاتبا النصارى على اعتقادهم صحة التوراة وقد ورد فيها نسبة زنا الأنبياء فى الأقارب " ولو أنك ايها النصرانى العاقل تأملت قليلا لما رضيت أن تنسب الى سادتك الانبياء أقبح الأوصاف التى ينسبها لك أحد أعدائك فضلا عن أصدقائك حين يقول لك يازانى أو يا ابن الزانية ولضاقت عليك الأرض بما رحبت ، ومع ذلك فأنت تنسب هذا الوصف الشنيع لأحب الخلق اليك وأعظمهم لديك ، ولا ترضى لنفسك أن تذكر حكايات الزنا والفواحش فى مجلس أو كتاب حتى كتاب القصص المكذوبة والمرذولة كألف ليلة وليلة اذا ... لحذفها منها وترضاها لكتاب الله تعالى التوراة وتنزه نفسك عن ذكرها فى كتابك اذا ألفت كتابا وتعد ذلك من قلة الحياء وسوء الأدب ولا تنزه الله تعالى أن يذكرها فى كتابه كما نزهت نفسك الخبيثة عن ذلك . فأنت لو دققت أدنى تدقيق وانصفت أقل إنصاف لمقت نفسك غاية المقت وتبينت أنها على ضلال مبين وجهل عظيم فى هذا الاعتقاد القبيح الذميم .

فيا أيها النصارى الكاثوليك كيف اعتقدتم صحة ورود هذه الفواحش فى التوراة عن الله تعالى منسوبة الى أنبيائه الكرام ولم تبالوا باعتقاد عدم عصمتهم وهم سادات الأنام وأنتم تعتقدون عصمة البابا من الخطأ والآثام كيف رضيت عقولكم أن تكون منزلته عندكم فى الدين فوق منزلة الأنبياء والمرسلين صلوات الله على نبينا وعليهم أجمعين .

فأنتم أفرطتم فى تعظيمه كل الافراط حتى رفعتموه فوق النبيين الى اعلى عليين فسلط الله عليه البروتستانت حتى حقروه غاية التحقير فأنزلوه مع الشياطين الى أسفل سافلين كما وضعه رئيسهم لوثر نقلا عن اظهار الحق (1) الناقل له عن كتبهم " أليس من العجيب اعتقاد عصمة هذا الرجل وعدم عصمة النبيين .

فيا أيها العقلاء لا أقل من أن تجعلوا أنبياء الله تعالى بمنزلته وتعتقدوا فيهم العصمة من الزنا ونحوه كما اعتقدتموها فيه وحينئذ يجب عليكم أن تعلموا يقينا أن جميع ماورد فى التوراة فى حق الأنبياء من تلك الاقاصيص والحكايات هى من الأكاذيب الباطلات والدسائس المختلقات التى لا يجوز اعتقاد صحتها بحالة من الحالات وأنتم يامعشر البروتستانت قد نقحتم دين النصارى تنقيحا بالغا وحذفتم كل مازاده عليه أصحاب المجامع فى العصور السابقة مع أنهم بلا شك أعظم أمانة من

---

(1) اظهار الحق على دين النصرانية الشيخ رحمة الله الهندى .

الزنادقة الملحدين الذين لا دين لهم وجميع ما كانوا زادوه من الأحكام الدينية هو بيقين أقل فحشا من هذه الفواحش التي نسبتها التوراة الى الأنبياء فما الذين منعكم من أن تكملوا معروفكم بحذف هذه الأباطيل والافتراءات المدسوسة في كتب دينكم في حق الأنبياء والمرسلين صلوات الله على نبينا وعليهم أجمعين واذا لم تسمح نفوسكم بحذفها كلها فلا أقل من أن تحذفوا رميهم بالزنا ولا سيما رميهم بالبنات والقرابات وسجودهم للأصنام وتعتقدوا أن هذه الشناعات والأكاذيب الباطلات لا يمكن أن تكون بالهام من الملك العلام فلو فعلتم ذلك لاستحققتم الثناء الجميل وسلمتم من هذا الوصف الذميم . ولكن الأمر ليس بيدكم فالله يهدى من يشاء الى صراطه المستقيم " (١) .

وقد حذر الشيخ النبهاني رحمه الله من الطرق الخفية التي يشوه النصارى بها التراث . بالحذف والزيادة عن طريق ما يطبعون من الكتب فدعا الى مقاطعة كل ما طبعوه وعدم الاطمئنان له فقال " يوجد في بيروت مطبعة للرهبان اليسوعيين طبعوا فيها كثيرا من الكتب والمجاميع الأدبية التي جمعوها من كتب المسلمين ولكنهم لعدم أمانتهم في النقل أزالوا من الكتب التي نقلوا منها العبارات التي فيها تأييد لدين الاسلام وتعظيم لرسول الله .. سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام .

فمن ذلك أنهم طبعوا كتاب " فقه اللغة " فأزالوا خطبته بالكلية لما فيها من تعظيم الحضرة المحمدية عليها من الله أفضل صلاة وأكمل تحية .

ومن ذلك أنهم طبعوا كتاب " الألفاظ الكتابية " فغيروا وبدلوا في عباراته في محلات كثيرة فاذا قال كما قال الله تعالى يغيرون عبارته بقولهم كما قال القائل أو كما قيل وهكذا . وجمعوا مجموعا كبيرا عدة أجزاء أكثرها من كتب المسلمين وحذفوا من عباراتهم ما يتعلق بتعظيم دين الاسلام وتفخيم حبيب الرحمن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام . بل أبدلوا في بعض الأحيان عبارات علماء المسلمين الصحيحة المليحة بعباراتهم الفاسدة القبيحة . وذلك فيما يتعلق بشؤون سيد المرسلين ودينه المبين وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين . فأنا أحذر جميع المسلمين من الكتب المطبوعة بالمطبعة اليسوعية في بيروت — ولو كانت من كتب وتآليف المسلمين

---

(١) نجوم المهتدين ورجوم المعتدين ص ٦٠١ — ٦٠٢ .

فضلا عن مجامعهم التى جمعوها وطبعوها مثل المجموع الذى سموه " مجانى الأدب " فى عدة أجزاء فانهم لا أمانة لهم فى النقل يحرفون الكلم عن مواضعه ويمزجون مضاره بمنافعه ويضعون السم فى الدسم ويبدلون الصحة بالسقم فاياك ايها المسلم أن تشترى شيئا من كتبهم فانى والله ما اخبرتك الا عن علم ويقيم لا عن ظن وتخمين واذ رأيت بعض التقاريظ باسم بعض علماء المسلمين على بعض كتبهم فلا تعبأ بها فأنهم اذا ثبت تصرفهم فى نفس تلك الكتب بالتحريف والتعديل وحذف مالا يوافق مذهبهم واثبات ما يوافقه وان خالف دين صاحب ذلك الكتاب فما يمنعهم من التصرف فى التقاريظ على حسب هداهم وما يوافق مصلحتهم فالحذر من كتبهم الحذر وها انا انذرتك ايها المسلم وقد اعذر من أنذر (١) .

وقد رد النصارى على الشيخ يوسف النبهانى فى كتابيه " نجوم المهتدين " و " ارشاد الحيارى " ردوا عليه فى مجلة " المشرق " كما يلى :

" الشيخ يوسف النبهانى " اطلعنا أحد الأدباء على عدة تآليف حديثة نشرها فى مصر الشيخ يوسف بن اسماعيل النبهانى رئيس محكمة الحقوق فى بيروت فقرأنا بعض نصوصها فاذا هى كلها قذف وطعن فى النصرانية وتعظيم للاسلام فأما تعظيم الشيخ لدينه فهو وشأنه وليس لنا أن نعارضه فيه وأما تشنيعه على النصرانية ومعتقدات النصارى فدليل واضح على أنه لا يعرف من عقائد ديننا شيئا من ألفها وبائها ولا أريد برهانا على قولى الا هذه الأسطر القليلة التى تشهد على جهل الشيخ بما يعرفه صغارنا " واستشهد بما كتبه الشيخ النبهانى فى كتابه نجوم المهتدين ص ٣١ " ثم قال " فهذا مبلغ علم الشيخ فى معرفة الدين المسيحى وفى هذه الأسطر وحدها نيف وعشرة أغلاط فى طبعته تنطق بطول باعه فى الجدال وقد كان حضرته سبق وبرهن على مقدرته فى البحث والمناظرة فى كتابه " ارشاد الحيارى فى تحذير المسلمين من مدارس النصارى " الذى زين بعض ترهاته أحد أفاضل الكتبة ونحن أيضا لا نأبى مناظرة الشيخ والدفاع عن ديننا واقناع كل عاقل بصحته ان شاء النزول معنا فى هذا الميدان على شرط أن نعرض له حجتنا بالحرية التامة وأن تعقد لجنة يرضى بها الفريقان تحكم حكما عدلا فى أقوال المناظرين " (٢) .

---

(١) ارشاد الحيارى فى تحذير المسلمين من مدارس النصارى ص ٥١ـ٥٢ .

(٢) مجلة المشرق الاب لويس شيخو السنة الثانية عشر ١٩٠٩ ص ٧١٨ ـ ٧١٩ .

وبالمناسبة نشير الى أن هذا هو الأسلوب نفسه الذى استعملته مجلـــــة المشرق فى هجومها على الاستاذ محمد كرد على تحت عنوان (ضراء العلماء) محـــرر مجلة المقتبس لانه وصف الحضارة الشرقية والعمران العربى وأطراهما اطراء يستدعـــى تحفظـــا كثيرا كما يقولون ومما جاء فى قولهم " .... وما كنا لنتعرض لقوله لـــو لا بخسه فى أمور كثيرة حقوق النصرانية لما عدد " آثار الهمجية الغربية فى أدوار الظلمات وكرر ما يتناقله عن الأجيال الوسطى قوم من أهل الأغراض فى نعت تلك القـــرون وما كنا لنظن أن رجلا متنورا مثل محرر " المقتبس " ينقل كثيرا من تلك الأحاديـــث الباطلة التى أكل عليها الدهر وشرب فيشنع بها على الدين النصرانى . نعم اننا لسنا ممـــن يزعم أن كل شىء فى النصرانية كان مقدسا كاملا ونعلم أنه وجدت فيها كمـــا وجدت فى غيرها آثار من الضعف البشرى الا أن أعداء الدين قد تحاملوا عليهـــا ترويجا لغاياتهم ونسبوا الى الكنيسة أشياء كثيرة قد زكاها من تبعتها كبار العلمـــاء فى زماننا كمسألة محكمة التفتيش والحكم على غاليـــلى وكأخبار لوثاروس ولعله خدع بمـــا كتبه الشيخ محمد عبده فى كتابه " الاسلام والنصرانية " فيسوؤنا أن أدباء المسلميـــن يرمون الكلام على عواهنه وينقلون مزاعم النصرانية دون أن يتحققوا صحتها فاننـــا مستعدون أن نكشفها لهم بالبينات الواضحة " (١) .

من هذا يتضح لنا أن مجلة المشرق ردت على الأستاذ محمد كرد علـــى نفس الأسلوب والمنهج الذى ردت به على الشيخ يوسف النبهانى أما العبارتان الأخيرتان من الردين فقد كانتا على الوزن والقافية نفسيهما من الاستعداد للمناظرة الشخصيـــة المباشرة الى الاستعداد للكشف والتوضيح بالبينات مما لا يحصل مثله عادة .

هذا ويبدو أن النبهانى كان معرضا للاعتداء عليه من النصارى لوقوفـــه ضدهم فقد تردد عن طبع كتابه " نجوم المهتدين ورجوم المعتدين " خوفـــا من الاعتداء عليـــه حيث يقـــول " فى المبشرة العاشرة " من المبشرات المنامية " رأيت فى أحـــد الربيعين من سنة ١٣٢٢ أنى جالس فى المسجد النبوى مستقبلا حجرته الشريفـــة صلى الله عليه وسلم ناظرا اليها وأنا أكرر قول الامام الاباصيرى :

ومن تكن برسول الله نصرته // ان تلقه الاسد فى آجامها تجـــم

وبعد هذا الســـرد صممت على طبع كتابى نجوم المهتدين ورجوم المعتدين فـــى

---

(١) مجلة المشرق الأب لويس شيخو ١٢ـ٢١٠ .

دلائل نبوة سيدنا محمد سيد المرسلين والرد على أعدائه اخوان الشياطين" بعد أن كنت مترددا في طبعه خوفا من وقوع محاذير فبعد هذه المبشرة سهل الله أسباب طبعه فطبع في مصر ولم يحصل شيء من الموانع والحمد لله رب العالمين (١) .

شعر النبهاني في محاربة التبشير المسيحي :

كما سخر النبهاني نثره في محاربة النصرانية وبيان تناقضاتها والتحذير من مدارسها كذلك استخدم شعره ووجدانه للغرض نفسه مع الحجاج العقلي والاتيان بالأدلة ومن الجدير بالذكر انه لم يتعرض لليهودية الا عرضا ، ولربما لأنهم لم يتعرضوا للدين الاسلامي كما أن التبشير بالدين اليهودي غير موجود أصلا ولا يشجعونه لأنهم يعتقدون أنفسهم مميزين عن غيرهم "كشعب الله المختار" ففي قصيدته "الرائية الكبرى في الكمالات الالهية والسيرة النبوية ووصف الملة الاسلامية والملل الأخرى ، التي من عنوانها التزم النبهاني بذكر اليهود في أربعة وعشرين بيتا في حين أن القصيدة بلغت ٧٢٥ بيت .

ومما جاء في" فصل الكلام مع اليهود في شأنه صلى الله عليه وسلم ووصف دينهم الذميم وما فيه من اعتقاد التجسيم" :

ويا قاتل الله اليهود فانهم	**	أشد الورى كفرا واخبثهم مكرا
عقيدتهم في الله شر عقيدة	**	تنزه عنها ربنا وعلا قدرا
وقد حرفوا مثل النصارى كتابهم	**	وزادوا حروفا حبرها لعن الحبرا (٢)
وأفحشها يعقوب صارع ربه	**	فيا بئس هذا القول من فرية تترى
سجيتهم فحش الخناء ودينهم	**	كأنفسهم خبثا حوى العار والعرا (٣)
فلا تعجبن من قذفهم (٤) أنبياءهم	**	وهم خيرهم نفسا وأطهرهم (٥) أزرا
ففي طبعهم بغض الخيار لأنهم	**	على الشر والشنار قد فطروا فطرا

---

(١) البشائر الايمانية في المبشرات المنامية ص ١٣ــ١٤ .

(٢) الحبر هنا عالم اليهود .

(٣) اصل العر الجرب .

(٤) قذفهم اتهامهم اياهم بنحو الزنا حاشاهم من ذلك .

(٥) ازر جمع ازار وهو الثوب الاسفل خلاف الرداء .

ولا عجب انكارهم لمحمد ** وقد فعلوا من قبل فى الأنبيا النكرا
وكم أسفرت فيه بأسفار دينهم ** بشائر لكن لم تجد عندهم بشرا (١)
فكم من نبى منهم فتكوا به ** فكانوا ومازالوا أشد الورى خسرا
ومن سادة الأحبار قد حل حبه ** قلوبا بنور العلم قد عمرت عمرا (٢)
وكم من يهود صدقوا سيد الورى ** ولكنهم كانوا بنسبتهم نزرا
ومؤمنهم ايمانه ضد طبعه ** وكافرهم بالطبع قد ناسب الكفرا
خبائثهم لا ينتهى وصف رجسها ** فكم لوثوا عصرا وكم لوثوا مصرا
وقد مسخت منهم خنازير جمة ** وبعض غدا قردا وبعض غدا فأرا (٣)
لقد شملتهم لعنة بعد لعنة ** من الله مغضوبين قد دحروا دحرا
فدعهم فان اللعن أعمى قلوبهم ** وبه عن شهود الحق قد قصروا قصرا

أما النصارى : فقد أكثر من القول فى دينهم مستعملا كثيرا من الحجج العقلية والنقلية ففى فصل الكلام مع النصارى فى اثبات نبوته صلى الله عليه وسلم بالدلائل الباهرات ووصف دينهم وما فيه من الفوائل والآفات " ومما قاله فى هذا الفصل :

وقل للنصارى مالكم مع عقولكم ** وقد ظهر الاسلام وليتم الظهرا
فأنتم اذا مثل اليهود بجحدكم ** كلاكم عن الحق المبين قد ازورا
وليس لكم عذر بترك اتباعه ** فانجيل عيسى عنه صرح بالبشرى
وتوراة موسى قد تحلت بذكره ** فكم زينت فيها بشائره سفرا (٤)
وأخبار شعيا والزبور وغيرها ** وكم رئيت رؤيا له عبرت عبرا
ودعوة دين ليس تبقى لكاذب ** ثلاثين عاما قد جرى ذلك المجرى
ودعوته دامت وعم انتشارها ** سنين مئات اربعا تتبع العشرا

---

(١) اسفر الصبح اضاء والاسفار جمع سفر بالكسر كتاب .

(٢) الاحبار علماء واليهود الذين اسلموا .

(٣) راجع حياة الحيوان تجد قصص مسخهم .

(٤) الديوان ص ١٥ ج ٢ ــ ٣١٧ .

ويقول منها أيضـــا :

وبينت من آفـــات ملتكم لكـــم ** عجائب لا تبقى لتابعها عـــذرا
بذلت لكم منى نصيحة مشفـــق ** ولا أبتغى شكرا لديكم ولا أجـــرا
أجيراننا والله انى لخيركـــم ** محب لنفسى اذ أحب لها الخـــيرا
نراكم أدق الناس فكرا بصنعـــه ** وأبلد خلق الله فى ربكم فكـــرا
نرى لكم عقلين عقلا لدينكـــم ** وعقلا لدنياكم بهـــا زنده أورى (١)
وقد كنتم من قبل تخفـــون دينكـــم ** حياء فلا أدرى لما اخترتم النشـــرا
ويا ليتكم أبقيتموه محجبـــا ** فمن فطنة الشوهاء أن تلزم الخـــدرا
ووالله لولا انكم تنشرونـــه ** لنا وكشفتم عن معايبه الســـترا
اذا كان فضل السبق يحملكـــم علـــى ** بقاء على الدين القويم وان أزرى (٢)
فكونوا يهودا واعلوا باعتقادهـــم ** بعيسى والا فاتبعوا الملة الفـــرا
ألم تنظروا يا قوم ديـــن محمـــد ** وفى افقه شمس الهدى أسفرت سفـــرا (٣)

ثم تكلم عن اعتقادهم فى التثليث وصلب المسيح عليه السلام . وفيه يقول :

جعلتم اله العالمين ثلاثـــة ** غلطتم فان الله لا يقبل الكـــثرا
واذ قلتم كى تعلموا فحشى غيكـــم ** ثلاثتها فرد غدا أمركم امـــرا (٤)
ثلاثتها وفـــرد فـــرد ثلاثـــة ** فيا لك زورا صـــير العقـــل مـــزورا (٥)
ولا عـــذر عند الله والعقل لا مـــرى ء ** يدين بأن الله قد حل فى العـــذرا (٦)
ولكن روح القدس اذ جاء نافخـــا ** بها حملت عيسى وما برحت بكـــرا
وألقته طفـــلا مثل أبنـــاء آدم ** وما زاد شيئا عن سواه ولا ظفـــرا
وبالـــدر غذتـــه فللـــه دره ** نبيا كريما كان فـــى أمـــه بـــرا

---

(١) أورى الزند / أخرج نـــاره .

(٢) أزرى بأخيه ادخل عليه عيبـــا .

(٣) الديوان ص ٢١٧ ـ ١٩ ٣ .

(٤) امرا : عجبـــا .

(٥) مزورا : مائـــلا .

(٦) العذرا : مريم عليها الســـلام .

وقد كان مثل الناس فى كل حاجة ** فيأكل مضطرا ويخرج مضطرا
وان كان من أم أتى دون والد ** فآدم من فخارة أحرز الفخرا
وحواء فى عكس المسيح تخلفت ** فلا أم بل من ضلع آدمها اليسرى
ثلاثة أقسام ورابعها الذى ** برا الله من أبناء آدم أو يبرا (١)

ثم أخذ يناقش معهم المسيح المصلوب – كما يقولون – هل كان الناسوت أم اللاهوت متهوفا باعتقادهم صلبه فقال :

تقولون رب ثم قلتم عبيده ** شرار الورى جاروا على ضعفه جورا
وما يستحق اسم الاله سوى الذى ** تعالى اقتدارا أن يهان وأن يزرى (٢)
ألا أخبرونا هل سمعتم بمعشر ** سواكم رأوا فى صلب ربهم فخرا
فهذا اعتقاد القوم والحق أنه ** دعا ربه فورا فخلصه فورا (٣)

وفى فصل آخر تكلم عن زعمهم حكمة الصلب لتخليص بنى آدم من خطيئته عليه السلام وفى فصل ثالث تكلم عن وصف الصليب وعبادتهم له ومما قاله :

أفى كل شىء ناقض العقل دينكم ** كأن عليكم فى وفاق النهى حجرا
متى واحد منكم رأى قط واحدا ** رأى من صليب قد تقلده خيرا
فتنتم به من غير أسباب فتنة ** يقال لأهليها لعل لهم عذرا
هو الوثن الأعلى الذى عم شره ** فما اللات والعزى وثالثة اخرى (٤)
فلم ير فى الأكوان شكلا كشكله ** بفتنته الشيطان قد نشر الكفرا

---

(١) برا يبرا خلق يخلق .
(٢) يزرا يهان ويعاب .
(٣) الديوان ص ٣١٩ – ٣٢١ .
(٤) ثالثة اخرى : هى مناة صنم كان لهذيل وخزاعة بين مكة والمدينة .

الى أن يقـــول :

وكـم عبدوا وسط الكنائـس شكلـــة ** كصورة عيسى والحوارين والعـــذرا (١)
فهـذى هى الأوثان وهى بيوتهـــا ** وكم انفقوا تبراوكم نذروا نـــذرا
فما بالهم قد الحقوا الذم كلـــه ** بمن عبدوا الأصنام والعجل والشـورا
أما ينصفون القـوم فالأمر واحـــد ** كلاهم عن الديـن القويم قـد ازورا
وسيدنا عيسى برىء وأمـــه ** من الشرك أو أن يمنحـا مشركا شكـرا (٢)

وله فصل فى " وصف الرهبان هجاهم فيه هجاء مقذعا . قال فيه :

وكم فتيات راهبـات وفتيـــة ** رهابين من زهد بهم سكنوا ديـــرا (٣)
ويا حبذا تلك الفعال لو انهـــا ** تكون مع الاسلام نالوا بها أجـــرا
ولكنهم مع شركهم بالههـــم ** ولم يؤمنوا بالمصطفى ضيعوا العمـــرا
فوا اسفا من حبسهم لنفوسهـــم ** لقد خسروا الدنيا ومار بحوا الأخـرى
ولكنهم كفوا عن الناس شرهـــم ** وما أوصلوا للناس نفعا ولا ضـــرا
فلو كان ترك الشر يقضى بشكرهـــم ** على ما بهم أكثرت فى حقهم شكـــرا
وشبه اذا ما شئت بالضبع بعضهـــم ** نوى لخداع الناس من ديره جحـــرا
ومنهم قسوس خالفوا النـــاس للأذى ** وجروا عليهم من لظـى غيهم جمـــرا
رموا بسهام الخبث فى كل بلــدة ** كسلح الحبارى حين ترمى به الصقـــرا
وقد زعموا التبشير لكن ربنـــا ** يكذبهم اذ قال فى الذكر" لا بشـرى" (٤)
فيا بؤسهم من مجرمين جزاؤهـــم ** سجون من النيران تحجزهم حجـــرا
أضرت بهم أنوار دين محمـــد ** فهرت من الأنوار اكلبهم هـــرا

---

(١) فى التعبير ضرورة شعرية والا فهم الحواريون .. لا الحوارون ، والشكلة: الشبه
د /سرحان

(٢) الديوان ص ٣٢٣ــ٣٢٥ .

(٣) الرهابين جمع رهبان .. مفرد ، وقيل : رهبان جمع راهب ، ورهابين جمع الجمع .
د /سرحان

(٤) اشارة لقوله تعالى : "يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ....."
سورة الفرقان آية ٢٢ " .

وكم نبحوه وهو فى الأفـــق طالـــــع ** ولكن نبح الكلب لا يصل البـــدرا
وما سائنى اغواؤهم لمعاشـــــــر ** من الناس ضلوا بدلوا كفرهم كفـــرا
ولكنهم عاشوا ولا ثوا وأفســـــدوا ** وشنوا على الاسلام من شركهم شـــرا
أولئك اقوام اذا قال قائـــــــل ** هم شر خلق الله قلت لهم : جـــيرا (١)

وفى فصل رابع " ذكر بعض عجائب دينهم كالقربان وهو بزعمهم استحالة الخبز والخمر الى لحم عيسى ودمه عليه السلام " ومما قاله فى هذا الفصل :

ومن أعجب الأشياء خبز وخمـــــرة ** اذا طفق القسيس فوقهما يقـــــرا
يصيران حالا لحمه ودمـــــــا ** فأعجب به خبزا وأعجب بها خمـــــرا
أما يستحيل اللحم والدم فى الحشـــا ** الى قذر لا أستحب له ذكـــــرا ؟
فهل أحد فى الكون يرضى لنفســـه ** بهذا ؟ فيرضى الرب سبحانه بـــرا (٢)

وفى فصل آخر " ذكر المشح وهو ـ عند المسيحيين ـ خنق القسيـــس المريض عند اليأس من شفائه " .

وفى فصل آخر تكلم على الاعتراف وهو أن يعترف المذنب منهم بذنبه للقسيس ليغفر له) .

ومن أقبح الأشياء حسناء غـــادة ** كان بعينيها اذا نظرت سحـــرا
محاسنها تزرى بأحور مائـــــس ** (رنا وانثنى كالسيف والصعدة السمرا) (٣)

---

(١) جيراى حقا او نعم أو اجل القاموس المحيط مادة جيروالديوان ص٣٢٥ : ٣٢٦ .
(٢) البر من اسماء الله الحسنى مأخوذ من البر وهو الخير الديوان ص٣٢٦ : ٣٢٧ .
(٣) أزرى به عابه واهانة . الاحور الذى فى عينيه حور وهو شدة بياض العين مع شدة سوادها وماس مال وتبختر فى مشيته . والصعدة القناة المستوية تنبت كذلك لا تحتاج الى تثقيف والصعدة السمراء هنا : الرمح وهذا شطر بيت من كلام ابن النبيه فى مطلع قصيدة والشطر الثانى هو قوله :
فما أكثر القتلى وما أرخص الأسرى .

سبى الناس منها ردفها وقوامها ** ووجنتها الحمر أو مقلتها الحورا
تجيء عليها الطي والحلل انجلت ** ممطرة مصقولة صفت الشعرا
بها يختلي قسيسها وهو أعزب ** شقاشقه من توقه هدرت هدرا (١)
فتعترف الأنثى له بذنوبها ** ولو بالزنا سرا ليمنحها الغفرا
ولا جائز منهم هجوم عليهما ** ولو بقيا في السرو حدهما شهرا
ورب امرئ من غير قصد عراهما ** فشاهد مدهوشا بعروتها الشزرا (٢)
ومن لم يكن يجري اعترافا كهذه ** فذلك أشقى القوم أعظمهم وزرا
فأف لدين يهتك العرض بالرضا ** ويوهم رب العرض أن له أجرا (٣)

وقال في وصف عقلائهم وفي " وصف فرقة البروتستانت التي ضللت كل فرق النصارى وضللوها ثم تكلم في فصل عن "الكلام على قولهم الدين فوق العقل والفرق بين دينهم ودين الاسلام المؤيد بالعقل والنقل " ثم تكلم في فصل عن " الكلام على اسناد راجه تعالى للافرنج بالنعم الدنيوية وذكر حكمة بعض الأحكام الشرعية " وتكلم في (وصف مجامع أنسهم وبه تظهر حكمة مشروعية الحجاب للنساء . ومما جاء فيه قوله :

وليس بازراء بهم مس عرضهم ** فأعراضهم ليست تشد بهم أزرا (٤)
فقد جعلوا للرقص في وقت لهوهم ** ليالي أنس كم لهم أطلعت بدرا
فزوجة ذا في حضن هذا وزوجه ** بزوجته أجرى الذي معها أجرى
نساء رجال كالمراة تعانقوا ** بأحسن أشكال تثير الهوى قهرا
فلو نظر العنين فيهن نظرة ** لما احتاج في تقويم قوته أخرى

---

(١) الشقاشق جمع شقشقة – بكسر الشينين – وهي شيء كالرئة يخرجه البعير من فمه اذا هاج . والتوق هو الشوق الى الشيء والتروع اليه وخصه الفقهاء بالاشتياق الى النساء وهدر البعير ردد صوتا في حنجرته .

(٢) عراهما : غشيهما وجاءهما وعروة القميص ونحوه أخت زره الذي يدخل فيها وذلك كناية عن الزنا . وهي من أحسن الكنايات ولم أطلع عليها لغير النبهاني وقد ذكر ذلك صادقا .

(٣) الديوان ص ٣٢٩ .

(٤) أزرى به عابه واهانه والازر القوة قال تعالى أشدد به أزري .

وأتقى عباد اللـه ليـس بممكـن ** هنالك تقواه اذا لم يكن صخـرا
فلا تلم ابنا قد توله بعد هـا ** اذا لم يكن طوعا لوالده بـرا
فان لم يكن هذا زناء فانـه ** أخوه سوى أن الزنا فعله سـرا
ومن قبل هذا ماسمعنا بأمـه ** قد استحسنته هكذا علنا جهـرا
ولو خيروا فى فعل ذلـك مسلمـا ** وأنثاه لاختارا على فعله القبـرا
حياؤهما قد ناسب الدين منهمـا ** كما أن هتك السوءتين قد ناسب الكفـرا
فنحمد رب العالمين لشرعـه ** حجابا عن الاسلام قد حجب المهـرا (١)

تحذيره من المدارس المسيحية فى شعـره :

وكما حارب مدارس التبشير فى نثره حاربها أيضا فى شعره مبينا أهدافهـا وأضرارها ، وأول ما يتبادر الى الذهن صدقه فى دعواه واخلاصه فى اسداء النصيحة للمسلمين من أضرار هذه المدارس وعدم جدواها ، ومما قاله فى هذا الفصل الـذى عنوانه " نصيحة المسلمين وتحذيرهم من الفتن العصرية التى أعظمها وأخطرها المدارس النصرانية .

فيا أمة الاسلام فى الدين مجدكـم ** وقد أدركت أعداؤكم ذلك السـرا
عقاربهم دبت لكم فتحفظـوا ** ولا تحسبوا جمرا أتوكم به تمـرا
وقد زعموا مع لينهم حب خيركـم ** فلا تخدعوا من فى الأفاعى رأى خيرا ؟
ألا انتبهوا فالقوم دسوا لدينكـم ** دسائس كفر قد تغر امرا غـرا (٢)
وأعظمها شرا مدارس فى القـرى ** وفى البدو والأمصار قد نشرت نشـرا
تربى لكم أطفالكم فى حجورهـا ** وقد جعلت درس الضلال لهـم درا
فصار كثير منهم مثل أهلهـا ** سوى الزى والأسماء واتحدوا كفـرا
ألا فانظروا كم أخرجت من بنيكمـو ** زنادقة بالكفر قد ربحوا الخسـرا
وصاروا من الأعداء لا فرق بينهـم ** سوى أنهم فى الدين أعظمهم ضـرا

---

(١) الديوان ص ٣٣٥ـ٣٣٦ .

(٢) الدسيس اخفاء للمكر كما فى لسان العرب وفى معنى ذلك الدسيسة والجمـع الدسائس من الدس ومعناه كما فى القاموس الاخفاء ودفن الشئ تحـت الشئ وتغر : تخدع . والغر الذى لم يجرب الامور .

وهم كل يوم بازديـاد دينكـم ** يزيد بهم نقصا ويحكم خسرا
فكيف بمن يأتون من بعد عصركـم ؟ ** اذا دام هذا فالمنوا ذلك العصرا
وكم نادم من وضع أولاده بهـا ** وقد سبقت أسيافها العذل والعذرا
ألا انتبهوا ما قد مضى غير عائـد ** وبالحزم بعد اليوم فاستقبلوا الأمرا
ومن يدعي الاسلام وهو مثابـر ** على الغي لم يبرح به الشهر والدهرا
وليس له أعمال خير فـؤاده ** بأنوارها يبيض من بعد ما اغبرا
فلا صام لاصلى ولا حج لالـه ** زكاة ولا أعمال بر بها بـرا
كمن قد تربى في مدارس شيدت ** لتخريب دين الله عاش بها عمرا
فصار يحب الكافرين وشبههـم ** يرى لذة في قربهم ويرى فخرا
مناسبة قد ألفت بين أهلهـا ** تجر الى الأشكال أشكالهم جـرا
ويكره أهل الدين حتى قريبـه ** ولاسيما من كان أشعث مغبرا
وما ذنبهم الا تمدنه وهـم ** على فطرة الاسلام قد فطروا فطرا
فاسلام هذا مثل ثوب مـزور ** وقبيق فمن يكساه في حكم من يعرى
فذلك عريان وان كان كاسيـا ** وأفضل منه مؤمن لبس الطمرا (١)
وكم هالك في الكافرين عـداده ** وان كان بين المسلمين حوى قبرا
نعم علموا أولادكم كل نافـع ** من العلم ان العلم أعظم أن يزرى
ولا سيما ما فيه تأييـد دينكـم ** فاعداؤكم بالعلم قد ملكوا الأمرا
أعدوا لهم من قوة ما استطعتـم ** فلا يقبل الله لاهمالكم عـذرا
ومن دون علم كيف تحصل قـوة ** نكف بها عنا من المعتدي الضرا
ولكن حفظ الدين شرط محتـم ** فلا خير في الدنيا اذا ضاعت الأخرى (٢)
ولا تيأسوا من رحمة الله انكـم ** متى ما أطعتم ربكم جبر الكسرا
وهذا الذي ــ من سخطه ــ تشهدونه ** جرائركم زادت فجرت لكم جمرا (٣)

---

(١) الطمر : الثوب الخلق .

(٢) ليس في اللغة حتم ــ بتشديد التاء ــ ولكنه خطأ شائع والصواب : محتوم
د . سرحان

(٣) الجرائر جمع جريرة وهي الجناية .

وينصركم ان تنصروه بطاعـــة ** بأن تتبعوا من شرعه النهى والأمـــرا
ألم تـــهدوه ناصرا عند نصركـــم ** له فبترك النصر قد ترك النصـــرا
فعودوا بعد ، فهو الكريم وانـــه ** اذا اعتذر الجانى له يقبل العـــذرا
عسى ولعل الله يأتى بفتحـــه ** ويحدث للاسلام من لطفه أمـــرا
ألم يشرح الرحمن صدر محمـــد ** وأكد أن العسر يستصحب اليســـرا
هنيئا لعبد عاش فى الناس مسلمـــا ** ولم يعتقد شركا ولم يعتنق كفـــرا
فذاك مليك العصر لوبات طاويـــا ** وأمضى جميع العمر فى عيشة غـــبرا (١)
فعقباه عند الله جنة عدنـــه ** وينسى بحلو الفوز كل الذى صـــرا
وآخر خلق الله من كان كافـــرا ** وان ملك الدنيا وعاش بها دهـــرا
فعقباه فى أخراه أسوأ حالـــة ** ومثواه نار الله قد زفرت زفـــرا
فيا معشر الاسلام فزتم بحظكـــم ** فحمدا لمولاكم وشكرا له شكـــرا
ويا معشر الكفار موتوا بغيظكـــم ** فما نفعتكم حين ذكرتم الذكـــرى (٢)

وفى "رائيته الصغرى فى ذم البدعة ومدح السنة الغرا" التى بلغـــت أبياتها نحو خمسة وعشرين وخمسمائة بيت خصص معظمها فى هجاء جمال الديـــن الأفغانى ومحمد عبده ورشيد رضا ومحمود شكرى الألوسى والوهابية • وفى الفصـــل الأخير منها ما سماه " حسن الختام بمدح النبى عليه الصلاة والسلام مع التلهـــف والتأسف على حالة المسلمين والاسلام" وقد ذكر مدارس النصارى وخطرها على أولاد المسلمين فقال :

أحذر قومى من عداة تألبـــوا ** علينا وساموا ديننا الخسف والخســـرا
لقد علموا الاسلام حصنا مشيـــدا ** وأنهم لا يظفرون به قهـــرا
فساقوا عليه من مدارسهم ـــم ** جيوشا بلا حرب بها أحرزوا النصـــرا
مدارس فى حكم الكنائس أحكمـــت ** أبالسهم فيها الدسائس والمكـــرا
موائد علم تحتوى كل مشتهـــى ** بها وضعوا سما بها نفثوا سحـــرا

---

(١) المعيشة الغبرا عيشة الجوع الشديد فى السنين المجدية •

(٢) الديوان ص ٣٣٩ـ٣٤٢ •

بها انقلبت أولادنا من عداتنــــــا ** وخيلت البلوى لنانعمة كـــــبرى
وها قد جنى بين الأنام جنائهــــــا ** لملتهم من روضها الحنظل المـــرا(١)

هكذا جند الشيخ يوسف النبهانى رحمه الله فكره وقلمه فى محاربة التبشـــير المسيحى ومدارسه فى بيروت التى هى مركز التبشير فى العالم الاسلامى واذا قدرنــا الأوضاع الثقافية واتجاهاتها فى عصره نحو كل ما هو أوروبى أو حديث وقد بهـــرت الناس القوة السياسية والاقتصادية التى لا يدين أصحابها بالاسلام مما جعلهم يقلدون هؤلاء تقليدا ان لم يكن أعمى فقد كان بدون فكر وترو – على حساب دينهـــم ومعتقداتهم التى لا يزال السواد الأعظم يقدسها ولا يرى غيرها بديلا .

أمام كل هذه المفارقات كان الشيخ يوسف النبهانى يؤدى رسالته الـــتى تحملها من قريته – اجزم – ومن الأزهر الشريف بكل أمانة واخلاص متحديا كـــل الصعاب بلا خوف أو تعب ومن هنا ندرك مدى حقد وكراهية النصارى له ، ولعلـــه يقصد هم هم وأعوانهم عندما يشتكى من كثرة أعدائه وما يلحقونه به من ضرر . ولعـــل المركز الاجتماعى والعلمى الذى يحتله الشيخ يوسف النبهانى – كما يقول الاستـــاذ نديم الجسر كان أعلى وأرفع من أن يصلوا اليه ولكنهم تمكنوا من الحاق الأذى بولده(٢) محمد شمس الدين الذى لم يعش طويلا بعد وفاة والده اذ لم يقض أكثر من أربـــع سنين حيث دفن بجواره رحمهما الله . ولعل من وجه الغرابة أن أذكر اجتماعـــى بالمرحوم الأستاذ محمد على الطاهر الصحفى والكاتب الفلسطينى المشهور صاحب جريدة "الشورى" التى كانت تصدر فى القاهرة .. أقول لقد اجتمعت به فى بيروت فى بيتـــه الواقع فى شارع "جان دارك" قرب الجامعة الأميريكية وقد بلغ من العمر عتيا ولما سألتـــه عن الشيخ يوسف النبهانى لم أسمع منه – لشدة مرضه – الا قوله "كان ضد النصـــارى هم يكتبون ضده ، وهو يكتب ضدهم – وقد توفى بعد اجتماعى به بعشرة أيام تقريبا(٣) .

---

(١) جنى الزهر والتمر قطعه وجنى الذنب فعله ففى جناتها تورية . الديـــوان ص ٣٩٦ – ٣٩٧ .

(٢) هكذا حدثنى الاستاذ أمين النبهانى – أبو نبهان .

(٣) اجتمعت به بتاريخ ١٢ / ١٠ / ١٩٧٤ . رحمه الله .

مدرسة الأفغاني :

لقد احتلت مدرسة الأفغاني مكانا بارزا فى شعر الشيخ يوسف النبهاني . وقد كان خلافه مع هذه المدرسة دينيا خالصا فالأفكار التى كانت تنادى بها كانت معاكسة لأفكاره ومبادئه وقد كان من آثار هذا الصراع أن ترك لنا قصيده باسم "الرائية الصغرى فى ذم البدعة ومدح السنة الغراء وقد طبعت هذه القصيدة أربع طبعات فى مصر وتونس والمدينة المنورة وقد بلغت أبياتها خمسمئة وخمسين بيتا وجعل لها "خمسة تنبيهات" .

الأول " قال فيه "قد اشتملت هذه الرائية الصغرى على الثناء على الله ورسوله والكتاب والسنة ومدح الأئمة الأربعة ومذاهبهم ومقلديهم وذم هؤلاء المبتدعة الذين جهزهم ابليس فى هذا العصر جيشا محاربا للاسلام والمسلمين ، وقد تجاوز بعضهم الى من قبلهم من أئمة الهدى والصحابه رضى الله عنهم أجمعين .

واعلم أن هؤلاء المفتونين يدعون الاجتهاد المطلق واستنباط الأحكام من الكتاب والسنة ويرفضون المذاهب الأربعة (١) مع جهلهم المركب وفسقهم المحقق وتهتكهم فى أنواع المعاصى فى الكبائر والصغائر وسائر الآثام وتركهم ماعدا الشهادتين من أركان الاسلام فلا صلاة ولا زكاة ولا حج ولا صيام ، ومع كونهم كالأنعام أو أضل من الأنعام يدعى كل واحد منهم أنه من أئمة الاسلام ويدعو الناس الى الاجتهاد فى الدين حتى العوام وهم مع كل ذلك لا يتقيدون بالحلال والحرام وانما دينهم كلام فى كلام وصارت أحكام الدين عندهم كل ما خطر ببالهم ووافق أغراضهم وجرى على ألسنتهم وأقلامهم من الألفاظ المنمقة والمعانى الملفقة التى تلقفوها من مقالات الفلاسفة وكتاب الفرنجة

---

(١) يقول جمال الدين الأفغاني "... انى لم أعرف فى أئمة المذاهب شخصا أعظم منى حتى أسلك طريقته" وعن دعوته الى وحدة الأديان راجع جمال الدين الأفغاني للاستاذ محمد سعيد عبد المجيد ص ٩٣ وراجع جمال الدين الايراني وعبد النعيم حسنين ص ١٩٧ ـ ١٩٨ ، وراجع ايضا تاريخ الأستاذ الامام للسيد رشيد رضا ص ح ، وراجع أيضا جمال الدين الأفغاني محمود أبو رية ص ١١ .

مما لا يوافق دين الاسلام ولا يقوله من عنده من هذا الدين أدنى كلام فينشرونه في كتبهم وجرائدهم بصفة ترضى اخوانهم مراق المدارس وفساق العوام الذين لا يعبأون بالاسلام ولا بأحكام الاسلام •

وقد يستدلون على غير فهم وعلم ببعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ليوهموا العوام أنهم انما يأخذون من الكتاب والسنة ما يلفقونه في الأحكام فنصحي لكل المسلمين ألا يلتفتوا الى كلامهم وان يعتقدوا أنهم في هذه العصر من أعدى عداة الاسلام وحسبنا الله ونعم الوكيل ونسأله سبحانه لنا ولجميع المسلمين حسن الختام •

التنبيه الثاني " أن هؤلاء المفتونين الضالين المضلين قد مشوا بيد عنهم على أثر البروتستانت (١) من النصارى الذين يدعون اصلاح دين النصرانية بتركهم العمل بأقوال ائمتهم السابقين والاقتصار على ما في التوراة والانجيل من أحكام الدين وقد أخطأ هؤلاء الطغام بتقليد هم أولئك الأقوام لأن مازاده ائمتهم على التوراة والانجيل ليس له أصل فيهما وانما هو من ترتيب مجامعهم أما ائمة الاسلام فلم يزيدوا على الكتاب والسنة شيئا من عند أنفسهم بل جميع أحكام المذاهب الأربعة اما مأخوذة من صريح الكتاب والسنة وهو أكثر الأحكام أو مستندة الى الاجماع الذى هو مستند اليهما او الى أحدهما او مستندة الى القياس الصحيح عليهما أو على أحدهما فليس هناك

(١) ذكر الفرد سكاون بلنت التشابه بين دعوة البروتستانت ودعوة الأفغاني فقال " .... وكان هم الأفغاني في الأستانة أن يطلق العقول من الأغلال التي قيدتها طوال الأجيال الماضية ويقيم الحجة على أن الدين الاسلامي ليس شيئا ميتا ولكنه نظام يصلح للانسانية المتطورة (١) في جميع العصور فهو لا يأبى التطور وكل هذا يماثل ماحدث في احياء المسيحية بأوروبة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر على أن الغريب في شأن الاسلام هو أن يعود الفضل في نشوء روح النقد بين أهله الى رجل تربى في بلاد رجعية كآسية الوسطى وتعلم في جامعة سحيقة كجامعة بخارى (التاريخ السرى لاحتلال انجلترا مصر ص ٧٨) راجع أيضا عقد فضيلة الشيخ مصطفى صبرى موازنة بين دعوة الأفغاني ومحمد عبده ودعوة لوثر وكلفن في كتابه (موقف العقل والعلم والعالم في رب العالمين وعباده المرسلين ج ١ ص ١٤٤ ــ ١٤٥) •

(١) هذه الكلمة ومفرد أنها غير موجوده في اللغة وقد أباحها المجمع اللغوى على غير أساس • د / سرحان •

حكم فى المذاهب الأربعة خارج عن الكتاب والسنة من كل الوجوه ولا يمكن أن يستعملوا القياس الا اذا لم توجد آية أو حديث يصلح للاستدلال .

" التنبيه الثالث " أنا نحمد الله تعالى على أنا لم نكن من هذه الفرقة الضالة المضلة التى حدثت فينا معاشر المسلمين فى هذا العصر فانه لابد من حدوثها تصديقا لقول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم " لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا : اليهود والنصارى ؟ قال فمن ؟ " ففرقة (١) البروتستانت انما حدثت فى النصارى فى نحو ثلاثمائة سنة وسموا أنفسهم المصلحين لدين النصرانية فلابد أن يكون فى المسلمين فرقة تتبعهم فى وصفهم المذكور تصديقا لقول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم فظهر الشيخ جمال الدين الأفغانى أولا ثم تبعه تلاميذه وشرهم الشيخ محمد عبده ثم تلاميذه وشرهم الشيخ رشيد القلمونى ثم كثروا وتفرقوا فى البلاد وسموا أنفسهم المصلحين (٢) وهم أهل الجهل والفساد واعداء الصلاح والاصلاح .

" التنبيه الرابع " يصدق على هؤلاء المفسدين الذين سموا انفسهم المصلحين قوله تعالى فى أوائل سورة البقرة : " واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا انما نحن مصلحون ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون " . وقد نقل الحافظ السيوطى فى تفسيره " الدر المنثور " ومثله البيضاوى وابن جرير الطبرى عن سلمان الفارسى رضى الله عنه أنه قرأ هذه الآية " واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا انما نحن مصلحون " فقال لم يجىء أهل هذه الآية بعد انتهى وهى لعمرى آية باهرة ومعجزة ظاهرة مطابقة لما قبلها وما بعدها من الآيات لأوصاف هذه الفرقة الخاسرة وكنت كلما قرأت هذه الآيات يخطر فى بالى أنها موافقة لأوصاف هؤلاء الجماعة المفسدين الذين يزعمون اصلاح الدين فلما راجعت التفسير المذكور ورأيت قول سلمان المسطور تيقنت أنهم هم المرادون وان شملت ما قبلهم ممن

---

(١) اشار الكونت فيليب طرازى الى التشابه بين دعوة مارتن لوثر لاصلاح المسيحية ودعوة محمد عبده لاصلاح الاسلام ــ راجع تاريخ الصحافة (جـ ١ ص ٢٨٩ــ٢٩٠) علما بان مارتن لوثر قد اعرب عن احتقاره للقرآن الكريم ورفض قراءته عن الفرنسية ــ راجع مقالا للاستاذ القزازفى مجلة هدى الاسلام العدد من الثالث والرابع مجلد ١٩ ربيع أول وربيع ثانى ١٩٧٥ .

(٢) راجع مجلة الضياء السنة السابعة ص ٥٩٩ــ١٩٠٤ــ١٩٠٥ حيث

يدعون الاصلاح وهم أهل الفساد •

وكما كان ذلك في وصف المنافقين في عصر سيد العباد صلى الله عليه وسلم وان كنت لا أحكم على هؤلاء بالكفر وان خالفوا طرق السداد وهم في ضلالهم درجات الشقي والقريب منه والمغفل القريب من السعيد وان داموا على ما هم عليه في التلاعب بالأحكام وعداوة أئمة الاسلام فما هم من الكافرين ببعيد •

" التنبيه الخامس " قد سميت هذه القصيدة بالرائية الصغرى بالنسبة الى قصيدتي الرائية الكبرى المشتملة على ٧٢٥ بيتا وأما هذه فعدة أبياتها ٥٥٣ بيتا وهي تنقسم الى خمسة أقسام وخاتمة •

(القسم الأول) في الثناء على الله ورسوله الأعظم صلى الله عليه وسلم والكتاب والسنة ومدح الأئمة الأربعة ومذاهبهم ومقلديهم وهم أهل السنة السنية في الأمة المحمدية •

(القسم الثاني) في وصف المفسد الأول الشيخ جمال الدين الأفغاني وأهل بدعته الذين يدعون الاجتهاد ويسعون في الأرض الفساد •

(القسم الثالث) في وصف المفسد الثاني الشيخ محمد عبده المصري تلميذ الأفغاني وقد سبق شيخه في طاعة الشيطان وتأييد هذا الشأن فصار عندهم هو الأول وعليه المعول •

(القسم الرابع) في وصف الشيخ رشيد القلموني صاحب جريدة " المنار " التي تطبع في مصر وتنشر بدعهم في سائر الأقطار وهي أضر جريدة على الاسلام والمسلمين فالمؤسس لها هو الشيخ محمد عبده لنشر ضلاله المبين وتضليله للأولياء والفقهاء والمتكلمين •

==== اوضحت ما كان ينويه الشيخ محمد عبده من اصلاح الدين الاسلامي وفي توسيع نطاق العلم في الجامع الأزهر حتى يكون كاحدى الكليات الكبرى في أوروبة •

(القسم الخامس) في وصف الوهابية ووصف المجنون المفنون شكرى أفنـدى الألوسى البغدادى المتلاعب بالمذاهب الاسلامية فانه كبعض أفراد عائلته (١) كانـوا شافعيين ثم تحنفوا ثم دخلوا في مذاهب الوهابية •

(الخاتمـة) وهي حسن الختام بمدح النبى عليه الصلاة والسـلام مع التلهف والتأسف على حالة المسلمين والاسلام (٢) •

وقد افتتح الشيخ النبهانى رحمه الله قصيدته هذه بقوله :

هو الله لا نحصى لآلائه شكـرا ** له الحمد في الأولى لنا الحمد في الاخرى (٣)
وكيف نؤديه بشكـر حقوقـه ** ونعمته بالشكر تستوجبا لشكـرا
وأشهد أن الله لا رب غـيره ** وأن له في خلقه النفع والضـرا
له كل ما قد كان أو هو كائـن ** وما لسواه في الورى ذرة صغـرى
ومهما يكن منهم ومهما يكن لهـم ** فان له في ذلك الخلق والأمـرا
وكل فعال الفاعلين فعالـه ** اذا فعلوا خيرا وان فعلوا شـرا
وليس لهم منه سوى كسب فعلهـم ** فنالوا به اثما ونالوا به أجـرا
وأشهد أن المصطفى خير رسلـه ** وأعظمهم فضلا وأرفعهم قـدرا
محمد المختار من معدن الـورى ** كما اختار من بين الحصا الحافق الدرا
وبعد فاني سقت نحو عداتـه ** عساكر ترديهم وان حسبت شعـرا
بامداده أقسامها خمسة أتـت ** منظمة قد أحرزت كلها النصـرا (٤)

---

(١) كذا وهو خطأ شائع والصواب : اسرة • هـ / سرحان •

(٢) الديوان ص ٤٠٠ ـ ٤٠٢

(٣) الاو : نعمـه •

(٤) الديوان ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠ •

ثم قال من القسم الأول فى مدح الكتاب والسنة والأئمة الأربعة ومذاهبهم رضى الله عنهم :

أتى المصطفى والناس فى ليل غيهم ** فأشرق فى أفق الهدى بينهم بدرا
أتانا بدين فاق حكما وحكمة ** وقد قهر الأديان برهانه قهرا

الى ان يقول :

فما كان معلوما من الدين ظاهرا ** فهمناه لا نحتاج تقليدنا حبرا
وما احتيج فيه لاجتهاد فاننا ** بأحكامه نقفوا أئمتنا الغرا
محمد النعمان احمد مالك ** بحور علوم كم لنا قذفت درا
لطاعة مولاهم وتقواه لازموا ** وصاموا وقاموا داوموا الفكر والذكرا
فعلمهم أحكامه من كتابه ** وأفهمهم من سنة المصطفى السرا
وأشهدهم مالم يرد فيهما معا ** بنورهما قاسوا على قدره قدرا
فأقوالهم منه وليس لهم سوى ** مظاهرهم أجرى بها الله ما أجرى

الى أن يقول :

بهم أمة المختار فى دينها اقتدت ** مذاهبهم للحشر لا تفقد النشرا
رواها بحسن الضبط عنهم أئمة ** وقد ملأوا الأقطار من نشرها عطرا
وما هى الا من شريعة أحمد ** جداول تجرى كل قوم لهم مجرى
وقد أشبه الاسلام بيتا مربعا ** عليها استوى قصرا وقام بها حصرا (١)
مذاهبهم مثل المرايا صقيلة ** بها ارتسم القرآن والسنة الغرا
فأقوالهم آياته وحديثه ** بمعناهما لكن عبارتهم أخرى
قد اقتبسوا من نور أحمد نورهم ** فبان لهم ما فى شريعته أجرى
ومن بعدهم جاءوا بمقدار بعدهم ** عن المصطفى عار الظلام لهم سترا

---

(١) استوى قام وقصرا أى مقصورا عليها وفيه تورية بقصر البناء وهو البيت المرتفع •

وكل امام جاء عنه وصحبه ** لأصحابه ما بينهم لم تزل تقرا
اذا صح قول المصطفى فهو مذهبي ** وما قلته من قبل فارموا به الجدرا
وما زالت الحفاظ من كل مذهب ** تحرره حتى غدا ذهبا نضرا (١)
شريعة خير الخلق شمس منيرة ** وأنوارها قد عمت البر والبحرا
أضاءت بها الأكوان بعد ظلامها ** وكم ذا أمدت من أئمتنا بدرا
لقد أشرقت فيهم وفي كل مؤمن ** وأعطت لكل من أشعتها قدرا
ولكن بقدر القابلية نورها ** يكون قليلا بالمقابل أو نزرا
وهل يستوي أن قابلت بشعاعها ** جواهرهم أو أنها قابلت صخرا
وأجهل خلق الله من قال : انها ** باشراقها ساوت مع الحجر الدرا
وكم من امام (٢) جاء في كل مذهب ** كبير به قد أحرز المذهب الفخرا
وما منهم فرد بدعوى اجتهاده ** سمعنا له في غير مذهبه مسرى
بلى في طريق للولاية واضح ** يجوز بقاء الاجتهاد ولا حجرا
وأما طريق الدرس بالنفي والهوى ** فكم أوصلت للسالكين بها شرا
قد اجتهدوا فيها بحكم نفوسهم ** فنالوا بها منها الكبائر والكبرا
نعم كل قرن يبعث الله فيه من ** يجدد أمر الدين ينصره نصرا
وذلك اما واحد أو جماعة ** بكثرة علم أو بمنقبة أخرى
على الكل من مولاه هتان رحمة ** تمازج منه الروح والجسم والقبرا (٣)

في هذه القصيدة وضح الشيخ النبهاني عقيدته بشأن دعوى الاجتهاد وتقليده للمذاهب الأربعة وصحة الاجتهاد عن طريق الكشف للأولياء فقط حيث ان باب الاجتهاد مغلق ودعوى الاجتهاد هذه أو الأخذ من القرآن والسنة مباشرة هي أهم المآخذ التي أخذها على مدرسة الأفغاني .

والقسم الثاني من رائيته الصغرى قدمه بقوله " القسم الثاني في وصف الشيخ جمال الدين الأفغاني وأهل بدعته الجهلة اللئام الذين يزعمون أنهم

---

(١) الذهب النضر الخالص .

(٢) اشارة الى الامام الغزالي والامام فخر الدين الرازي .

(٣) الديوان ص ٣٥٠ ــ ٣٥٤ .

مصلحون لدين الاسلام يدعون الاجتهاد ويبغون فى الأرض الفساد " واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا انما نحن مصلحون الا انهم هم المفسدون ولكن لايشعرون ."

وكم من قرون قد توالت ولم يجل ** بدعوى اجتهاد مطلق عالم فكرا (١)
فكيف ادعاء الجاهلون بعصرنا ** فما أقبح الدعوى وما أفظع الأمرا
وأولهم قد كان شيخا مشردا ** به ملك الأفغان أجرى الذى أحرى (٢)

---

(١) قرون مئات من السنين لم يدع أحد فيها الاجتهاد المطلق حتى ان الامام الغزالى والفخر الرازى وهما من أهل القرن الخامس قد صرح كل منهما بأنه لا يوجد فى عصرهما مجتهد مطلق وقد بسطت الكلام على ذلك فى كتابى " حجة الله على العالمين " ورسالتى " السهام الصائبة لاصحاب الدعاوى الكاذبة " المذكورة فى أول كتابى " شواهد الحق فى الاستغاثة بسيد الخلق" صلى الله عليه وسلم الذى لم يؤلف فى معناه مثله . النبهانى .

(٢) مشرد مطرود وذلك ان جمال الدين الأفغانى لما اراد الافساد فى الدين فى بلاد الأفغان طرده ملكها وقد كان يزعم انه من أقربائه فى جهة أخرى يدعى الشرف وملك الأفغان لايدعيه . هذا قبل مجيئه الى الآستانة للمرة الأولى مطرودا من ايران . وهناك أقوال كثيرة فى أن جمال الدين ايرانى شيعى وليس أفغانيا سنيا وقد ذهب الى هذا الشيخ مصطفى عبد الرازق حيث يرى ــ محمد عبده ــ ان جمال الدين وان كان فى الحقيقة فارسيا فقد انتسب الى الأفغان لأمرين :

(١) ان يكون من السهل عليه الظهور بمظهر السنى لا الشيعى .

(٢) ان يستطيع الخلاص من رقابة الحكومة الايرانية لرعاياها فى الخارج .

" مجلة العروة الوثقى المقدمة مصطفى عبد الرازق ص ١٨) .

وأشار الى هذا ايضا أرنست رينان الذى تحاور مع جمال الدين فقال : " ... ان الشيخ جمال الدين أفغانى متحرر مما علق بالاسلام من أوهام وخرافات وهو من العناصر القوية القلب التى تسكن مرتفعات ايران المجاورة لتخوم الهند حيث تكمن روح الآرية تحت نقاب ضعيف من الاسلام . (كتاب

....

= جمال الدين الأسد أبادى المعروف بالأفغانى ترجمة الدكتور عبد النعيم حسنين ص ١٦٦ ــ ١٦٧) ، وقد تلقى السيد الأفغانى تعليمه فى النجف الأشرف على يد الشيخ مرتضى أثناء زيارته للعتبات مع والده سنة ١٢٦٦هـ وبقى أربع سنوات ثم سافر الى الهند لاستكمال تعليمه وكان عمره ست عشرة سنة ، ثم وصل الى بمباى سنة ١٢٧٠ هـ (جمال الدين الأسد أبادى وعبد النعيم حسنين ص ٦٤) ، كما أن جمال الدين كان يلبس زى علماء الدين الايرانيين طيلة وجوده فى ايران ، وقد نشر الدكتور عبد النعيم حسنين فى كتابه الذى ترجمه عن الفارسية ومؤلفه ابن أخت جمال الدين وهو ميرازا لطف الله خان ، وفيه يوضح أن جمال الدين ايرانى شيعى مولود فى قرية أسد أباد وهى معروفة فى ايران وليس من قرية أسعد أباد الأفغانية ، وفى هذا الكتاب نشرت صورة لجمال الدين وهو باللباس الايرانى مع لفيف من علماء الشيعة بزيهم المعروف وخلفه ابن أخته مؤلف الكتاب المذكور (راجع كتاب جمال الدين الأسد أبادى ص ٧٩) .

ويقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعى فى كتابه عن (جمال الدين الأفغانى ص ١٣٤) " .... ثم استدعاه ناصر الدين شاه فارس فلبى الدعوة وقصد الى طهران فأستقبله الشاه بصدر رحب وأثنى على فضله وجعله مستشاره الخاص فى اصلاح شؤون بلاده فكان له نعم المرشد الأمين وكانت لهجته صريحة كعادته فى نصح الشاه وأشار عليه بتغيير كل شأن معيب فى شؤون الحكومة " وفى ص١٣٥ يقول " ولما كان معرض باريس لعام ١٨٨٩ رجع جمال الدين اليها وفى عودته منها التقى بالشاه فى ميونخ عاصمة بافاريا فأعتذر له عما فرط منه ــ أى شاه ايران ــ ودعاه الى صحبته اذ كان يرغب فى الانتفاع بعلمه وتجاربه فأجاب الدعوة وسار معه الى فارس وأقام فى طهران فحفه علماء فارس وامراؤها وأعيانها بالرعاية والاجلال واستعان به الشاه على اصلاح أحوال المملكة وسن لها القوانين الكفيلة باصلاح شؤونها فعمل بجد فيما عهد اليه ووضع مشروع دستور لفارس يجعلها ملكية دستورية " فلو كان جمال الدين أفغانيا سنيا لما كانت له هذه الصلة بايران وشاهها وكيف يحضر الشاه رجلا سنيا ليصلح المملكة والقوانين والمعروف أن هناك عداء تاريخى مستحكم ثم كيف يلتف رجال الدين الايرانيين حول =

. . . .

= رجل سني فتكون كلمته مسموعة واشارته مطاعة كل هذا يجعلنا نجزم أن جمال الدين كان ايرانيا شيعيا ويبدو لي من الاهتمام البالغ من جمال الدين بايران وشؤونها أنه كان يرمي الى اقامة دولة شيعية كبرى لذلك ادعى الافغانية وأنه سني ليكون مسموع الكلمة في تجواله بين المسلمين لذلك كانت دعوته وأفكاره تغلف بأسلوب فلسفي جدلي وهو ما تمتاز به كتب الشيعة الدينية وقد كان الأفغاني يركز على اللامذهبية لتتساوى المذاهب جميعها فينهدم صرح المذهب السني بتساوية مع بقية المذاهب المهجورة وقد كان يسعى لان تكون ايران صاحبة السيادة في العالم الاسلامي فهو يقول " ..... ان ايران مركز الاسلام وان لها حق السيادة طبعا على شرط ألا يحكمها عنصر تركي وأن يكون حكمها بيد أبنائها ". (جمال الدين الايراني ص ١٩٦) ويقول جمال الدين أيضا " ..... وليس ببعيد على همم الايرانيين وعلو أفكارهم أن يكونوا أول القائمين بتجديد الوحدة الاسلامية وتقوية الصلات الاسلامية كما قاموا في بداية الاسلام بنشر علومه وحفظ احكامه وكشف اسراره وما قصروا في خدمة الشرع الشريف بأي وسيلة ومنهم البخاري ومسلم والنيسابوري والنسائي والترمذي وابن ماجه وأبو داود والبغوي وأبو جعفر البلخي والكليني وغيرهم وممن أنبتتهم ايران أبو بكر الرازي الطبيب الشهير والامام الفخري الرازي ممن نشأوا في طهران ... الخ من العلماء ، ان أهل فارس كانوا من أول القائمين بخدمة اللسان العربي وضبط أصوله وتأسيس فنونه ومنهم سيبوية وأبو علي الفارسي والرضا ومنهم عبد القاهر الجرجاني مؤسس علوم البلاغة لبيان اعجاز القرآن وفهم دقائقه على قدر الطاقة البشرية .... الخ من علماء اللغة والتصوف والفقه ... فأي فضل كان ولم يكن لهم فيه اليد الطولى وأي مزية من الله من بها على الاسلام ولم يكونوا من السابقين لاقتنائها نعم وفيهم جاء قول النبي صلى الله عليه وسلم "لو كان العلم في الثريا لناله رجال فارس" فيا أيها الفارسيون تذكروا أياديكم في العلم وانظروا الى آثاركم في الاسلام وكونوا للوحدة الدينية دعامة كما كنتم للنشأة الاسلامية وقاية انتم بما سبق لكم أحق الناس بالسعي في استرجاع ما كان لكم من فتوة الاسلام أنتم أجدر المسلمين بوضع أساس للوحدة الاسلامية وما ذلك ببعيد على طيب عناصركم وقوة عزائمكم أظن أنه لا يخفى عليكم أن هذا الوقت هو أحسن الأوقات لندائكم بالوحدة مع الأفغانيين والتحالف =

....

= معهم على المادين لتكونوا بالاتحاد معهم حصنا حصينا وحرزا منيعا تقف دونه أقدام الطامعين . (العروة الوثقى لا انفصام لها العدد الصادر يوم الخميس ١٤ أغسطس ١٨٨٤ ق ٢ ص ١٠٤) .

وقد ذكر الدكتور عبد النعيم حسنين فى مقدمة ترجمته لكتاب ميرز الطف الله خان عن جمال الدين تسعة شواهد تثبت أن جمال الدين ايرانى شيعى (ص ٩ — ٢٩) ، وقد كانت الصفحة الأولى من الكتاب صورة لجمال الدين مكتوبا تحتها " جمال الدين فى زى علماء الشيعة الذى كان يلبسه فى ايران " ومن خلال اطلاعى على ما كتب عن السيد جمال الدين أن الذين قالوا بافغانيته اعتمدوا على مصدر واحد هو الشيخ محمد عبده الذى أخذه من لسان السيد جمال الدين نفسه وليس من مصدر آخر ، كما أنى لا أستبعد أن يكون سبب فتور العلاقات بين السلطان عبد الحميد والسيد جمال الدين هو اكتشاف السلطان لهوية السيد الايرانية الشيعية خصوصا بعد مقتل السلطان ناصر الدين شاه ايران الذى كان للسيد فى قتله اليد الطولى لخلاف سياسى بينهما حيث أرسل خليفته مظفر الدين شاه عريضة موقعة من أعيان قرية أسد أباد الايرانية التى ولد فيها السيد بأنه ايرانى شيعى ، تحريضا للسلطان عبد الحميد عليه وفى مجلة " العرفان " كتب السيد صالح الشهرستانى مقالة عن السيد جمال الدين قال فيها " ..... وانى وان كنت واثقا منذ أن شرعت قبل ما يقرب من ٤٢ سنة فى البحث عن تاريخ حياة هذا العالم المصلح اللبق أى منذ أن نشرت أولى مقالاتى عنه على الصفحات (٥٨ ، ٢٣٥ ، ٤٠٤) من المجلد ٢٤ من مجلة (العرفان) الزاهرة المؤرخ فى سنة ١٣٥٢ هـ — ١٩٣٣ م نعم تأكدت من مليته الايرانية وأرومته العلوية نتيجة لتحقيقاتى عنه فى العراق وايران وفى مختلف الأسفار والمؤلفات التى بحثتها ولكن خلال هذه السنوات الطويلة تعززت لدى تلك الثقة أكثر وأكثر وزال عن ذهنى بعد ماكان يراودنى أحيانا من الشك فى امكان ما يذهب اليه كثير من الكتاب العرب من تبعية السيد جمال الدين الأفغانى وذلك على أثر زيادة التحقيق والتتبع والاستزادة مما كتبه الباحثون عنه خلال العقود الأخيرة فى القرن العشرين وخاصة بعد اطلاعى مؤخرا على كتاب طبعته جامعة طهران باللغة الفارسية تحت رقم (٨٤١) وباسم مجموعة (أسناد ومدارك =

....

= جاب نشده دربارة سيد جمال الدين مشهور بافغانى) أى مجموعة الوثائق والمستندات غير المطبوعة عن السيد جمال الدين المشتهر بالأفغانى لجامعية الاستاذين الدكتور أسفر مهدوى وأبرج قسار والمطبوع فى مطبعة جامعة طهران سنة ١٣٤٢ هـ مجلة العرفان (٦٥٥) أيار مارس حزيران الموافق ربيع الثانى وجمادى الاولى ١٣٩٤ هـ ص ٥٩٩ ـ ٦٠٠ وقد وجدت فى صفحة ٦٠٠ من العدد نفسه صورة للسيد جمال الدين بالملابس الايرانية الشيعية مع نخبة من العلماء الايرانيين الشيعيين .

ومما يؤيد عندى شيعية جمال الدين الشبهات التى كانت تحوم حول معتقداته وأفكاره التى أراد بها أن يهجن الاسلام فقوبل بالرفض والطرد من علماء الأزهر خصوصا الشيخ عليش والشيخ الشربينى والشيخ يوسف الدجوى وغيرهم وبقى عداء مستحكما بين علماء الأزهر وأتباعه حتى ان جمال الدين نفسه كان يدعو الى الفرعونية الجاهلية .

يقول الأستاذ سليم المنحورى بعد أن وصف المركز الذى وصل اليه الأفغانى بفضل الماسونية : " انكم معاشر المصريين قد نشأتم فى الاستعباد وربيتم بحجر الاستبداد وتوالت عليكم قرون منذ زمن الملوك الرعاة حتى اليوم وأنتم تحملون عبء نير الفاتحين وتعنون لوطأة الغزاة الظالمين تسومكم حكوماتهم الحيف والجور وتنزل بكم الخسف والذل وأنتم صابرون بل راضون وينتزف قوام حياتكم ومواد غذائكم المجموعة بما يتحلب من عرق جباهكم بالمقرعة والسوط وأنتم فى غفلة معرضون ، فلو كان فى عروقكم دم فيه كريات حيوية وفى رؤسكم أعصاب تتأثر فتثير النخوة والحمية لما رضيتم بهذا الذل والمسكنة ولما صبرتم على هذه الضعة والخمول ولما قعدتم على الرمضاء وأنتم ضاحكون تناوبتكم أيدى الرعاة ثم اليونان والرومان والفرس ثم العرب والاكراد والمماليك ثم الفرنسيس والعلويين وكلهم يشق جلودكم بمبضع نهمه ويهيض عظامكم بأداة عسفه وأنتم كالصخرة الملقاة فى الفلاة لاحس لكم ولا صوت انظروا أهرام مصر وهياكل منفيس وآثار طيبة ومشاهد سيوة وحصون دمياط شاهدة بمنعة آبائكم وعزة أجدادكم .

═══

....

وتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ** ان التشبه بالرجال فلاح [(١)]

والسؤال هو هل يصدر مثل هذا الكلام ممن يدعو الى جامعة اسلامية بنية صادقة .

وقد أتخذ الشيخ أبو الهدى اصيادى من ايرانية جمال الدين وسيلة للطعن فيه [(٢)] .

وعلى ايرانية جمال الدين يشهد بروكلمان بذلك فيقول " ... ومهما يكن من أمر فقد كان الاسلام ولا يزال هو المهيمن على الحياة الدينية فى مصر وانما يرجع الفضل فى ذلك فى المحل الأول لتأثير جمال الدين وهو فارسى آثر لأغراض سياسية أن ينتسب الى الأفغان حيث قضى سنى شبابه [(٣)] .

كما كتبت مجلة الاخاء الايرانية التى تصدر فى طهران عدة مواضع كانت تصرح فى جميعها بايرانيته فتقول " المصلح جمال الدين أسد آبادى المعروف بالأفغانى [(٤)] .

---

(١) كتاب سحرهاروت (من ص ١٨٠ / ١٨٣) .
(٢) راجع كتاب البينات فى الدين والاجتماع والأدب (١ : ١٥١) .
(٣) الاسلام فى القرن التاسع عشر (١٠٢ / ١٠٣) .
(٤) راجع العددين ٤٥١ ، ٤٥٤ من المجلة .

تسمى جمال الدين مع قبح فعلـــه ** كما وضعوا لفظ المفازة للصحـــرا (١)
يقولون : هذا المصلح الأكبر الــذى ** به صار حكم الدين فى عصرنا يســـرا
مذاهب أهل العلم ممن تقدمـــوا ** توافق أحوال الزمان الذى مـــرا
وأبدع هذا الشيخ للناس مذهبـــا ** يوافق فى تيسير أحكامه المصـــرا (٢)
غدا كل عبد فيه صاحب مذهـــب ** به صار فى الأحكام مجتهدا حـــرا
فقد كان تنورا لطوفان غيهـــم ** ولكن محل الماء فار لهم جمـــرا
أتى مصر مطرودا فمات بقطرهـــا ** فيا قبحه شيخا ويا حسنه قطـــرا (٤)
وكنت بذاك الحين فيها مجـــاورا ** بأزهرها صاحبت أنجمه الزهـــرا (٥)
بتاريخ ست والثمانين قد تلـــت ** مع المائتين الألف فى الهجرة الغرا

---

(١) وقد سموا الصحراء مفازة تفاؤلا والا فهى مهلكة ومن هذا القبيل تسميـــة هذا الافغانى الضال المضل جمال الدين وهو من أقبح المفسدين فـــى الدين .

(٢) منها تحليله لربا القروض راجع جمال الدين الافغانى عبد الرحمن الرافعى ص ١٦٥ .

(٣) التنور هو الذى يخبز به وقد كان ظهور طوفان نوح عليه السلام من التنـــور فجمال الدين هذا بمنزلة التنور لضلال هذه الفرقة ولكنه لم يفر لهم مـــاء وانما فار نارا .

(٤) يقول الاستاذ سليم بك المنجورى " ... وبعد أن اقام فى الهند ردحـــا جاء فروق عاصمة الدولة العلية فاتصل بصدرها " أمين عالى باشا " وحظـــى لديه ولما رغب اليه الصدر أن يخطب فى دار الشورى ارتجل خطبه فى الصناعات غالى فيها الى حد ان أدمج النبوه فى عداد الصنائع المعنوية فشغب عليـــه طلبة العلم وشددت عليه صحف الوقت بما الجأ الصدر الى ابعـــاده قصد مكه مجاورا وجاور هناك عاما وبضع عام أخذ فى خلالها مبـــادىء اللسان العربى ثم جاء مصر " كتاب سحرهاروت ص ١٧٨ " .

(٥) كنت مجاورا فى مصر فى الجامع الازهر سنة ١٢٨٦ هـ وهى التى حضر فيهـــا جمال الدين الأفغانى الى مصـــر .

حضرت بفقه الشافعي خطيبـــــة ** على شيخ شربيني فألفيته بحـــرا (١)
وجاء جمال الدين يومـا لدرســـه ** فألقى على الأستاذ أسئلة تـترى (٢)
ففاضت عليه من معارف شيخنـــا ** سيول أرته علمه عنده قطـــرا
واذ شم منه الشيخ ريح ضلالــه ** والحاده أولاه مع طرده زجـرا (٣)
وذاكرته يوما فأخبــر أنـــه ** كأستاذنا لم يلحق في مصره حبـرا
ومن بعد هذا حاز في مصر شهـرة ** وألقى دروسا للفلاسف في مصـرا
وحين أتاه ذلك الحين عبـــده ** وأمثاله أفشى لهم ذلك السـرا
أسر لهم محو المذاهب كلهـــا ** ليرجع هذا الدين في زعمه بكـرا (٤)

---

(١) شيخ شربيني هو شيخنا الامام العلامة الشيخ عبد الرحمن الشربيني شيـخ الجامع الأزهر رحمه اللـه .

(٢) تـترى متتابعـة .

(٣) الالحاد الميل والعدول عن الحق يقول الاستاذ سليم بك المنحـوري " وبرز في علم الاديان حتى أفضى به ذلك الى الالحاد والقول بقدميه العالم زاعما ان الجراثيم الحيوية المنتشرة في الفضاء هي المكونة بتـرق وتحوير طبيعيين .... وان القول بوجود محرك أول حكيم وهما نشأ عن ترقي الانسان في تعظيم المعبود على حسب ترقيه في المعقولات " (كتاب سحر هاروت ص ١٧٦) .

(٤) كتب فضيلة الشيخ محمد زاهد الكوثري مقالا بعنوان " اللامذهبية قنطـرة اللادينية " وبين كيف أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يدرب أصحابه على الفتوى وأن العلوم التي انتشرت بين الناس عن أصحاب الرسول في الآفاق هي من عند الرسول صلى الله عليه وسلم ثم وضح تداخل المذاهب الأربعة وتلقيهم العلم عن بعضهم ومنهجية كل واحد منهم ثم قال " فمذاهـب تكون بهذا التأسيس وهذا الدعم اذا لقيت في آخر الزمن متزعما في الشرع يدعو الى التمذهب بها باجتهاد جديد يقيمه مقامها محاولا دعم امامته باللامذهبية بدون أصل يبنى عليه غير شهوة الظهور تبقى تلك المذاهـب وتابعوها في حيرة بماذا يحق أن يلقب من عنده مثل هذه الهواجـس والوساوس أهو مجنون مكشوف الأمر غلط من لم يقده الى مستشفى المجاذيب =

....

= أم مذبذب بين الفريقين يختلف أهل العقول في عده من عقلاء المجانين أو مجانين العقلاء ؟؟ ، بدأنا منذ مدة نسمع مثل هذه النعرة من أناس هم في حاجة شديدة - على ما أرى - الى الكشف عن عقولهم بمعرفة الطبيب الشرعي قبل الالتفات الى مزاعمهم في الاجتهاد الشرعي القاضي - في زعمهم - على اجتهادات المجتهدين فعلى تقدير ثبوت أن عندهم بعض العقل فلا بد أن يكونوا من صنائع هذا الدين الحنيف ممن لهم غاية ملعونة ترمي الى تشتيت اتجاه الأمة الاسلامية في شؤون دينهم ودنياهم تشتيتا يؤدي بهم الى التناحر والتنابذ والتشاحن والتنابز يوما بعد يوم بعد اخاء مديد استمر بينهم منذ بزغت شمس الاسلام الى اليوم ..... فاذا تم لدعاة النعرة الحديثة قصر الاجتهاد على شخص واحد من أبناء العهد الحديث بمؤهلات غير مألوفة وتمكنوا من ابادة المذاهب المدونة في الاسلام لهؤلاء الأئمة الاعلام ومن حمل الجماهير على الانصياع لآراء ذلك الشخص يتم لهم ما يريدون ولكن الذي يتغنى بحرية الرأي على الاطلاق بكل وسيلة كيف يستقيم له منع الطامحين من أبناء الزمن الى الاجتهاد أم كيف يجيز املاء ما يريد أن يمليه من الاراء على الجماهير مرغمين فاقدي الحرية أم كيف يبيح داعي الحرية المطلقة حرمان الجماهير المساكين المقلدين من حرية تخير مجتهد يتابعونه باعتبار تعويلهم عليه في دينه وعلمه في عهد النور ؟ ولم يسبق لهذا الحجر مثيل في عهد الظلمات وهذا محال لا أستطيع الجواب عنه . وقصارى القول أنك اذا قمت بدرس أحوال القائمين بتلك النعرة الخبيثة وجدتهم لا يألفون المألوف ولا يعرفون المعروف أعمت شهوة الظهور بصائرهم حتى تراهم يصادقون المتألبين على الشرف المسكين فنعرتهم هذه ما هي الا نعيق الالحاد المنبعث عن أهل الفساد فيجب على أهل الشأن أن يسعوا في تعرف مصدر الخطر واطفاء الشرور وليست هذه الدعوة المنكرة سوى قنطرة اللادينية السائدة في بلاد أخرى منيت بالالحاد وكتبت لها التعاسة والمؤمن لا يلدغ من جحر واحد مرتين ، والعاقل من اتعظ بغيره والله يقول الحق وهو يهدي السبيل (١) .

---

(١) مقالات الكوثري (ص ١٢٩ / ١٣٧) .

فلم يلف منهم غير خل موافـــق * * سميع له قولا مطيع لـه أمـــرا
فساق على الاسلام منهم حجافــلا * * يرى فرقة سارت فيتبعها أخـرى (١)
أغاروا على الاسلام فى كل بلـــدة * * فما تركوا نجدا وما تركوا غـــورا
شياطين بين المسلمين ففرقـــوا * * باغوائهم كم أفسدوا جاهلا غمـرا (٢)
قد اختصروا بالجهل دين محمـــد * * وما تركوا من عشر احكامه العشـرا
لقد زعموا اصلاحه بفسادهـــم * * وكم حملوه من ضلالاتهم اصـرا (٣)
كفئران قصر أفسدت فيه جهدهـــا * * ترى نفسها قد أصلحت ذلك القصرا
فما بالهم لا يصلحون نفوسهـــم * * أما هى بالاصلاح من غيرها أحرى ؟
وقد جاء فى القرآن ذكر فسادهـــم * * وزعمهم الاصلاح فى السورة الزهرا (٤)

---

(١) ناقش الشيخ مصطفى صبرى الاستاذ محمد فريد وجدى فيما كتبه فى مجلـة الازهر من التشكيك فى صحة النبوة دون شبهات وانها ضرب من ضـروب العبقرية وان الاله هو الاثير الذى فى الجو راجع موقف العقل والعلـم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين ص ١١٧ ـ ١٢٤ ج ٢ .

(٢) الغمر : الجاهـل .

(٣) الاصـر : الثقـل .

(٤) قال الله تعالى فى سورة البقرة " واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض " الآية نقل السيوطى فى تفسير " الدر المنثور " عن سلمان الفارسى رضى الله عنـه أنه سئل عن هؤلاء القوم فقال لم يأتوا بعد وذكر ذلك البيضاوى فـى تفسيره وقال الشهاب فى حاشيته انه نقله عن تفسير ابن جرير الطبـرى قلت ـ أى النبهانى ـ لا شك أن المنافقين المذكورين فى هذه الآيـات السابقة واللاحقة والخوارج الذين خرجوا على سيدنا على وغيره من أئمـة الاسلام متصفون بهذه الأوصاف الذميمة الا أنهم لم يدعوا أنهـم مصلحون لدين الاسلام ولقبوا أنفسهم بهذا اللقب مثل هذه الفرقـة الضالة فرقة جمال الدين الأفغانى ـ ومحمد عبده المصرى وتسمية هؤلاء أنفسهم المصلحين تبعوا فيها فرقة البرتستانت النصرانية فانهم سمـوا أنفسهم المصلحين لدين النصارى بتركهم العمل بما زاد على التـوراة والانجيل ورفضهم كلام أئمة النصارى الأقدمين أصحاب المجامع =

....

= وغيرهم فتبعهم من المسلمين هؤلاء الضالون فرفضوا مذاهب أئمة الاسلام وادعوا الاجتهاد المطلق وأنهم قادرون على أخذ الأحكام من الكتاب والسنة مع أنهم من أجهل الجهال في دين الله وأفسق الفساق ، ولكنهم كانوا مظهرا لمعنى هذه الآية القرآنية بعد أربعة عشر قرنا من نزولها ، كما أنهم كانوا مظهرا لتصديق قوله صلى الله عليه وسلم "لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا : اليهود والنصارى ، قال فمن ؟ صلى الله عليه وسلم فهذا الحديث الصحيح ينطبق على هذه الفرقة الضالة تمام الانطباق .

وفى دره المنثور سلمان قائـــل * * هم بعد لم يأتوا فخسرا لهم خسرا
وها هم أتونا مثل ما قال ربنا * * بأوصافهم فأعجب لها آية كبرى (١)
خوارج لكن شيخهم غير نافع * * ولكنه قد كان أزرق مغبرا (٢)
بفعل البروستنت اقتدوا باجتهادهم * * لقول رسول الله لو دخلوا جحرا
أولئك قد ألفوا زوائد دينهم * * وقد ضللوا فى ذلك القس والحبرا
قد اجتهدوا فى دينهم حينما رأوا * * مجامعهم زادته فى نكره نكرا (٣)
ومهما يكن عذر لهم فى اجتهادهم * * فمجتهدونا اليوم قد فقدوا العذرا
ومع كونهم مثل البروستنت فارقوا * * أئمتهم كل غدا عالما حبرا
فقد قلدوا أهل المجامع منهم * * بمؤتمر للبحث فى الدين فى مصرا (٤)

---

(١) ها هم أتونا : أسلوب خاطئ ، وصوابه : هاهم أولاء . د/سوحان

(٢) خوارج أى مثل الخوارج الذين خرجوا على الامام على وغيره من أئمة الاسلام السابقين غير أن أولئك الخوارج كان من رؤسائهم نافع بن الازرق وهؤلاء شيخهم غير نافع ففى نافع تورية ، وكذلك فى أزرق والمراد بالازرق شديد السمرة مع الغبرة وهكذا كان لون جمال الدين الافغانى ومحمد عبده المصرى يصلح أن يطلق على كل واحد منهما الأسود السالخ وهو اسم الحية .

(٣) مجامعهم هى أن ملوكهم السابقين كقسطنطين كانوا يجمعون علماء دينهم فيتذاكرون ويزيدون فيه وينقصون منه على حسب أهوائهم وأغراض ملوكهم .

(٤) وقد تبعوا النصارى أصحاب المجامع بتشكيل جمعية فى عهد قريب فى مصر وسموها المؤتمر الدينى ليبحثوا فيه عما يرونه لتحسين دين الاسلام بزعمهم فى الزيادة والنقص وكان تشكيل هذا المؤتمر سبع وعشرين وثلاثمائة وألف هجرية وخدعوا شيخ الازهر الاستاذ العلامة الكبير سليم البشرى فجعلوه رئيسا لهم ولكن الله تعالى لم يجمع قلوبهم على الاجتماع فيه فلم يجتمعوا ولكنهم فى عام تسعة وعشرين وثلاثمائة وألف قلدوا البروتستانت وتبعوا أثرهم بتشكيل جمعية سموها جمعية الدعوة والارشاد ، لترسل مبشرين =

به سنن القوم النصارى تتبعوا ** على الاثر لم يعدوا ذراعا ولا شبرا
فلله در المصطفى سيد الورى ** فقد طابقت أخباره كلها الخبرا
أمن بعد قول الله أكملت دينكم ** يريدون فى الاسلام أن يحدثوا أمرا ؟
يقولون لا نرعى كتابا وسنة ** ونتبع زيدا فى الديانة أو عمرا (١)
وذلك حق قصدهم فيه باطل ** وخير كلام قد أرادوا به شرا
أرادوا به من جهلهم بنفوسهم ** لترفع دعوى الاجتهاد لهم قدرا
فصارت جميع الناس ساخرة بهم ** كما يدعى الحجام سلطنة كبرى
وما أخذت كل المذاهب عندنا ** بغير كتاب الله والسنة الغرا (٢)

= يدعون الناس الى دين الاسلام مثل المبشرين الذين يرسلهم البروتستانت يدعون الناس لدين النصارى وجعلوا لهذه الجمعية مدرسة لتعليم كيفية هذا الارشاد وأركان هذه الجمعية هم رشيد رضا صاحب جريدة المنار واخوانه المجتهدون أصحاب هذا الدين الجديد الذى يرفض المذاهب الاربعة الاسلامية وكلهم من تلاميذ الشيخ محمد عبده وعلى مذهبه ومشربه ولذلك لا نأمل أن يقدر الله على يدهم خيرا للاسلام والمسلمين وان كان يوجد فيها أخيار ولكنهم بالنسبة الى أولئك قليل ، ويكفيك دلالة على صحة ذلك أن نفوذ الشيخ رشيد فى هذه الجمعية أكثر منهم جميعا ولو أخليت هذه الجمعية منهم لرجونا خيرها ولكان يترتب عليها خير عظيم لو كان أهلها من أهل السنة والجماعة اتباع المذاهب الاربعة والسر الباطن فى تشكيل هذه الجمعية من هؤلاء والله أعلم ــ هو أن يتبعوا البرتستانت فى جميع أعمالهم ، ومن أهمها بعد استقلالهم فى دينهم تشكيل مدارسهم لاضلال التلاميذ وارسال المبشرين لدعوة الناس لدينهم فقام هؤلاء من المسلمين وقلدوهم بذلك ومشوا على أثرهم فيه لتحصيل تمام المشاكلة والمشابهة بين الفريقين وبذلك يتبين تمام مطابقة الحديث الصحيح لهم وهو قوله صلى الله عليه وسلم " لتتبعن سنن من قبلكم " وقد سهل على هؤلاء المبتدعين تقليد البروتستانت ولم يسهل عليهم تقليد أئمة المذاهب الاربعة كما أنهم سهل عليهم تقليد أئمة اخوان الشياطين مثل محمد عبده وجمال الدين ولم يسهل عليهم تقليد أئمة الأمة المحمدية بأسرها منذ أكثر من ألف سنة .

(١) راجع تاريخ الأستاذ الامام ص ح .

(٢) قال الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ١٤ ــ ٢٤٧ بسنده الى ابن كرامة =

فكل دعاوى الاجتهاد نودها * * ونرمى بها بحرا ونرمى بها بـرا
وما يدعيه اليوم غير حثالة * * بأسفل حوض العلم كدرت المجرى
قد اجتهدوا أن لا تكاليف عنده هم * * فصاروا اباحيين لانهى لا أمـرا
فيفعل فى الاحكام فعل دوابه * * اذا أطلقت من دون قيد الى الصحرا
وقد جاوزوا أطوارهم ودوابهم * * على حالها ما جاوزت مثلهم طـورا
فما قط شاهدنا حمارا مسابقا * * جوادا وتيسا صارع الليث والنمـرا[1]
وهم لو تعدوا ألف طور ومثلها * * حدودا وأطوارا لما جاوزوا القمـرا
يقولون انا كالائمة كلنا * * رجال وما زادوا على أحد ظفـرا
وقد أخطأوا أين الثريا من الثرى ؟ * * وما لبغاث الطير أن يشبه النسـرا
نعم مثلهم وزنا بوزن وصورة * * على صورة كالترب قد أشبه التبـرا
ولو ثم مرآت يرون نفوسهم * * بها لرأوها بين أهل النهى ذرا[2]
يقولون أغنانا كتاب وسنة * * ولم يبقيا فينا لغيرهما فقـرا
وفى الالف منهم ليس يوجد حافظ * * لجزء حديث قل أو سورة تقـرا
وما قرؤوه منهما عن جهالة * * فلا فاهم معنى ولا عالم سـرا
تراهم اباحيين أو هم نظيرهم * * اذا كنت عن اسرارهم تكشف الستـرا
وكل امرىء لا يستحى فى جداله * * من الكذب والتلفيق مهما أتى نكـرا
فمن قال صلوا قال قائلهم له * * يجوز لنا فى البيت نجمعها قصـرا

= قال كنا عند وكيع يوما فقال رجل أخطأ أبو حنيفة فقال وكيع كيف يقدر أبو حنيفه ان يخطىء ومعه مثل أبى يوسف وزفر فى قياسهما ومثل يحيى بن أبى زائدة وحفص ابن غياث وحيان ومندل فى حفظهم الحديث والقاسم بن معن فى معرفته باللغة العربية وداود الطائى وفضيل بن عياض فى زهدهما وورعهما ومن كان هؤلاء جلساءه لم يكد يخطىء لانه ان أخطأ ردوه — مقالات الكوثرى ص ١٣٢ .

(١) كذا والصواب : ولا تيسا ، وسيأتى

فلم نر نورا زاحم الأسد قبله *.* ولا حدأة من قبله زاحمت نسـرا

وهو الاسلوب الصحيح لانه يجب تكرار حرف النفى ، ويظهر أنها ضرورة الشعر .

(٢) الذر صغار النمل .

وان قيل لا تشرب يقول شربتهـــا ** بقصد الشفا أو قال ليس اسمها خمرا (١)
فيجهر كل المعاصى مجـــادلا ** بما نفث الشيطان فى قلبه ســـرا
وفى الالف منهم واحد ربما أتـــى ** مساجدنا لكن اذا كان مضطـــرا
واخبرنى من لا أشك بصدقـــه ** بأن قد رأى من بال منهم بلا استبرا
ولازمه حتى أتى بعد مسجـــدا ** فصلى ولم يحدث من الحدث الطهـــرا
وآخر منهم قد أقام صلاتـــــه ** بدون اغتسال مع جنابته الكـــبرى
على وجه كل من ظلام علامـــــة ** به عرفت من لم يكن يعرف الأمـــرا ؟
بهم غربة الدين استبانت بمصرنـــا ** فيا قبحهم قوما ويا قبحه عصـــرا
يقولون عصر النور فيه تنـــوروا ** ولكنه من نورة تحلق الشعـــرا (٢)
وقد حلقت ايمانهم من قلوبهـــم ** فما تركت من نور ايمانهـــم أثـــرا
معادن سوء يتقى المرء شرهـــم ** يجاملهم جهرا ويلعنهم ســـرا
ويجلب مغناطيس الحادهم لهـــم ** من الناس لعنات وان لعنوا الغيرا (٣)
ذئاب على الاسلام صالوا وما اكتفوا ** بأنيابهم حتى به انشبوا الظفـــرا
مقاريض اعراض بالسنـــة لهـــم ** حداد بها قد اشبهوا الجرذ والفأرا (٤)

---

(١) يقول الاستاذ سليم بك المنحورى عن عادات السيد الافغانى فى طعامه وشرابـــه " ٠٠٠٠ واذا تعاطى مسكرا فقليلا من الكونياك " كتاب سحر هـــاروت ص ١٨٥ ٠

(٢) قال فى المصباح النورة بضم النون حجر الكلس ثم غلبت على أخلاط تضـــاف الى الكلس من زرنيخ وغيره تستعمل لازالة الشعر وتنور اطلى بالنورة ٠

(٣) ناقش الشيخ مصطفى صبرى ما نشره الاستاذ محمد فريد وجدى فى الاهـــرام من أن نوابغ الكتاب والشعراء فى البلاد الاسلامية يستبطنون الالحـــاد ، ويهيئون الاذهان لقبوله دسا فى مقالاتهم وقصائدهم (موقف العقل والعلم ص ٩٩ ـــ ١٠٠ جـ ١) ٠

(٤) الجرذ : بضم الجيم وفتح الراء التى سكنت هنا لضرورة الشعـــر ٠
د /سرحان

وانى وان أحكم لظاهر حالهـــــم ** باسلامهم بالقول لا أكفل السـرا (١)
ففى وجه كل قد بدا من ظلامـــه ** دخان يرينا أن فى قلبه جمـرا
ولم أجتمع والله منهم بواحـــد ** وذاكرته الا وددت له القبـرا
ولم استمع دعواه الا مقتـــه ** والا قرأت الحمق فى وجهه سطـرا
وأعداؤهم من بيننا كل عالـــم ** ولا سيما ان كان فى فقهه بحـرا
وان كان مشهور الولاية ضمنـت ** جوانحهم من بغضة الحصة الكبـرى
على ديننا ساقوا كتائب كتبهـــم ** وفى حربه جاءت جرائدهم تتـرى
فيا أمة الاسلام يا خير أمــــة ** بسيل الهدى تقفو أئمتها الغـرا
الا فاحذروا الأسد الضوارى مرة ** ومن هؤلاء المارقين احذروا عشـرا
مجاذيم من داء الضلالة كلهـــم ** فما أحد من دائه أبدا يبـرا
تجارت بهم أهواؤهم كالذى جرى ** به كلب يعدى اذا نهش الغيـرا
وهم كل يوم فى ازدياد كأنهـــم ** أبالسة بالحك قد ولدت أخـرى (٢)
كأسنان مشط كلهم فى ضلالهـم ** فلا أحد يبدى على أحد فخـرا
ولا تائب منهم وهل ثم توبـــة ** وهم لا يرون الوزر فى نفسه وزرا
أجاهدهم ما دمت حيا فان أمـت ** تركت لهم جيشين نظمى والنثـرا
ولست أبالى ان أفز بجهادهـــم ** اذا فاتنى فتح لرومية الكبـرى (٣)

---

(١) الى مثل معنى هذا البيت يقول الاستاذ سليم بك المنحورى " .... ومنذ ذلك الوقت — أى اخراجه من مصر مطرودا — احتجبت عن المؤلف سليم بك المنحورى — اخباره حتى ظهرت فى باريس صحيفة العروة الوثقى موسومة باسمه وموشاه بقلم دهقان رجاله الشيخ محمد عبده فعلم من منزعها أنه عاود الاستمساك بالدين الحنيف وجنح الى نهج خطة جديدة تكسبه ميل العالم الاسلامى ورضاءه عنه . (سحر هاروت ص ١٨٤) .

(٢) أبالسة جمع ابليس وقد ورد أنه يحك فخذه بفخذه يتولد من ذلك أبالسة

(٣) ورد فى الحديث الشريف أن المهدى فى آخر الزمان يفتح رومية الكبرى (الديوان ص ٣٥٤ — ٣٦٥) .

((القسم الثالث في وصف شيخهم الثاني الشيخ محمد عبده تلميذ الأفغاني وقد سبق شيخه في طاعة الشيطان وتأييد هذا الشأن فصار عندهم هو الاول وعليه في بدعهم المعمول)) .

لهم شيخ سوء من بني القبط أصله * * بمحنته الشوهاء نسبته تقرا
على قلبه ساد الهوى فهو عبده * * وقد سكن الشيطان من رأسه وكرا
أبو مرة في مصر أحرز امرة * * فصير عيش المسلمين بها مرا (١)
أبو جهل هذا العصر قد صار مفتيا * * بمصر فأحيا الجاهلية في مصرا
جرئ على الفتوى بحق وباطل * * بحكم الهوى والجهل ما شاء أجرى (٢)
وليس بعلم الفقه يلحق محضرا * * وان راح يعدو خلفه أبدا حضرا (٣)
ومع جهله في ديننا وعلومه * * يرى نفسه أعلى ائمته قدرا (٤)
فنون جنون الجاهلين كثيرة * * وأقبحها قرد يرى نفسه بدرا
لسان له كالثور لف نباته * * ولكنه بالجهل قد غلب الثورا
فلم نر ثورا زاحم الأسد قبله * * ولا حدأة من قبله زاحمت نسرا (٥)
تولع بالدنيا وصير دينه * * اليها على ما فيه من خفة جسرا
يمينا اذا كانت يمينا وان تكن * * يسارا سعى يعدو اليها من اليسرى

---

(١) ابو مره كنية ابليس والامرة هنا الافتاء .

(٢) " الشيخ محمد عبده مصلح جرئ حاول الهدم والبناء في اقدس هيكل عند البشر فيما يعتبره الناس دينا " العروة الوثقى ص ٣٣ ؛

(٣) المحضر هو خادم القضاة الذي يرسلونه لطلب الاخصام والحضر هو شدة العدو .

(٤) راجع المسائل الكافية ص ١٢١ .

(٥) راجع هامش ص ٤١٣ رقم (١) .

فمن جهة يدعى الامام ويقتـــــدى ** بأعمال أهل الكفر من جهة أخرى (١)
يذم خيار المسلمين وعندمـــــا ** يرى حاجة للكفر يستحسن الكفـــرا
لكيما يقال الشيخ حــر ضميــــره ** فيبلغ عند القوم مرتبـــة كبـــرى (٢)
أتى لبلاد الشام أيام نفيـــــه ** فاثبت فيها من ضلالته بـــــذرا (٣)

---

(١) ناقش الشيخ مصطفى صبرى سبب اشتهار الشيخ محمد عبده فقال "... وفى الحقيقة ماذا يمكن أن يكون سبب اشتهار الشيخ من بين علمـاء مصـــر واستحقاقه لدوام الصحف والمجلات فى الاشادة باسمه هل هو عدم سلوكـــه الطريقة العلمية كغيره فى الدفاع عن الدين وعدم نجاحه فيه لهذا السبـب كما ذكره هيكل باشا أو كونه متهما فى دينه والاول غير معقول جدا أن يكـون سببا لاشتهار أحد من العلماء وامتيازه على غيره فتعين الثانى .

ولا تقل غير معقول أيضا أن يكون اتهام الرجل فى دينه مزية له ومنقبـــة أدت الى ارتفاع درجته عند الناس اذ لا تستبعد كونها مزية له عند الذيـــن يعدون هذه التهمة حرية وهم المتغلبون فى زماننا وقد قال فضيلة الاستـــاذ المراغى شيخ الازهر فى خطبه ألقاها بمناسبة الاحتفال بذكرى الشيـــخ محمد عبده يوم ١١ يونيه ١٩٤١ نقلا عن الامام الغزالى "استغفر كـــل من بالكفر لا يعرف وبالضلال لا يوصف" وكان هذا القول من الشيـــخ الخطيب بعد كلام عن الاتهام المعروف الموجه نحو الشيخ المحتفل بذكراه" موقف العقل والعلم والعالم ج ١ ص ١٣٩ .

(٢) راجع التاريخ السرى لاحتلال انجلترا مصر الفريد بلنت ص ٨١ .

(٣) كانت الحكومة المصرية قد نفت الشيخ محمد عبده من القطر المصرى فجاء الـــى بلاد الشام وأقام فيها عدة سنوات تمكن فى أثنائها من بذر ضلاله فى نفـوس الجهال من أبناء المدارس وطلبة العلم وكان ينتقل من بلد الى بلد فأثـــر تأثيرا سيئا ، وكان قد نفى من علماء مصر العاملين وصلحائها الكاملين الشيخ محمد عبد الجواد وأخوه الشيخ أحمد فسكنوا فى بيروت كالشيخ محمد عبده فأقبل على هذين الاخوين الصالحين جمهور المسلمين اقبالا عظيما ونفروا مـــن الشيخ محمد عبده نفورا كبيرا وكان معروفا عندهم بعدم التقوى فلا يزالون =

بها باض بيضا كان ابليس حاضنـــا * * له فسعت افراخه تتبع الاثـــرا
وعاد الى مصر فأحدث مذهبــا * * ولوث من اقذاره ذلك القطـــرا (١)

= يعترضون على أفعاله وأحواله المخالفة للدين ... ومع ذلك أقبل عليه فساق المسلمين ومراقهم وغير المسلمين من الدروز والنصارى والمبتدعين فصار يحبهم ويحبونه وهكذا أصحابه في مصر " لم نسمع برجل صالح وقعت بينه وبينه أدنى محبة وقد أجمع كل الناس على اختلاف الملل والنحل أنه وشيخه الافغاني وجميع تلاميذه ومحبيه لم يكن أحد منهم من صلحاء المسلمين بمعنى الصلاح المعروف في دين الاسلام من العمل بالفرائض والمندوبات وترك المحرمات والمكروهات وهو وهم جميعا لا يعدون الصلاح في العالم وغيره منقبة بل بالعكس ينسبون الصلحاء الى الغفلة وقلة العقل ولا يرون لهم أدنى مزية ، ولذلك ترى جماعته يبالغون في الثناء عليه ويجعلونه فريد العصر مع مشاهدتهم تركه الصلاة والصوم والحج وغير ذلك من فرائض الاسلام مع شربه الخمر ومعاشرته لنساء النصارى وغير ذلك من المحرمات وقد تمكن بدهائه وقوة شيطانه أن يرسخ في أذهانهم استحسان الفسوق والمروق من الدين واستقباح الصلاح واتباع سبيل المؤمنين ولذلك لا تجد أحدا منهم ملازما للصلوات مثابرا على الطاعات تاركا لأنواع الفسوق والمحرمات فهؤلاء هم الذين يدعون الاجتهاد ومن لا يدعيه من المسلمين معدود عندهم من المغفلين الاوغاد ولا يعجبهم الا أمثالهم أهل الزيغ والفساد والتاركون لشرائع الاسلام المجاهرون بالفسق والزندقة والالحاد ومع كل هذا يعتقدون في أنفسهم أنهم على الحق وجميع الأمة من أهل المذاهب الاربعة على الباطل فالحمد لله الذي عافانا مما ابتلى به هؤلاء اللئام الذين كاد بهم الشيطان في هذا الزمان المسلمين والاسلام .

(١) أحدث : أوجد ، وفيه تورية بأحداث من الحدث بمعنى نقض الطهارة بنحو بول أو غائط .

وأيد أعداء البـلاد بسعيــــه * * وأوهم أهل الجهل أن بهم خيـرا (1)

---

(١) فى هذا البيت والخمسة الابيات التى تليه يشير الشيخ النبهانى الى صلـة الشيخ محمد عبده بالانجليز ومحاباته لهم .

وهنا أذكر ما جاء فى التقارير التى كانت القنصلية البريطانية فى القاهـرة ترفعها عما يجرى من أحداث داخل القطر الى حكومتها فى لندن .

جاء فى تقرير سنة ١٩٠٥ ص ١٥ تحت عنوان فقره ٧ " الشيخ محمد عبده " فى خلال العام الماضى اختفت شخصية عظيمة من مسرح الحيـاة السياسية والاجتماعية فى مصر وذلك بموت الشيخ محمد عبده وأحب أن أسجل هنا اعتقادى الراسخ بأن موته المبكر كان خسارة كبرى لمصر وحين وصلت الى القاهرة فى سنة ١٨٨٣ كان الشيخ محمد عبده فى محنة فقد كـان أحد زعماء الحركة العرابية وقد عفا عنه الخديوى السابق بما جبل عليه مـن فطرة طيبة وقد أدى عمله القضائى بأمانة وكفاءة وفى عام ١٨٩٩ ارتقـى لشغل منصب مهم وهو وظيفة (المفتى) فكان لمعرفته العميقة بالشريعـة الاسلامية ولآرائه المتحررة المستنيرة (Lightend) أثرها فى جعل مشورته والتعاون معه عظيم الجدوى ويمكننى أن أشير هنا على سبيل المثـال الى الوجهة التى اختارها حين ثارت مشكلة صناديق التوفير وتساءل النـاس ان كان الاسلام يبيح للمسلمين استثمار أموالهم فيها فقد استطاع الشيـخ محمد عبده وقتذاك أن يقترح طريقا يمكنهم من ذلك دون اخلال بالشريعـة الاسلامية ... والأيام وحدها هى التى ستكشف عما اذا كانت الآراء التـى تعتنقها المدرسة التى تزعمها الشيخ محمد عبده سوف تستطيع التسرب الـى المجتمع الاسلامى وأنا شديد الرجاء فى أن تنجح فى اكتساب الانصـار تدريجيا ... وان اتباعه ليستحقون أن يعاونوا بكل ما هو مستطاع مـن عطف الأوربى وتشجيعه " .

ويقول فى موضع آخر : وأنا أوافق موافقة تامة على اشارة السير مالكولـم ماكلريث فى شأن الضربة القاسية التى عوقت طريق الاصلاحات التى من هـذا =

....

= النوع ـ اصلاح المحاكم الشرعية ـ بموت الشيخ محمد عبده ، وقد أشرت فـــى
موضع سابق من هذا التقرير الى ما أنجزه هذا الرجل الممتاز من خدمـــات

وفى مكان آخر يتكلم عن الوطنية فى مصر فيقول " انه شديد الاقتنـــــاع
بأن الامل ضعيف أو معدوم فى هذه الوطنية كما يفهمها الحزب الوطنى " ثـم
يقول / وقبل أن أنهى الكلام عن الحركة الوطنية المصرية أحب أن أشيـــر
الى مسألة أخرى الى جانب هؤلاء الذين يدعون لأنفسهم صفة الوطنيـــــة
توجد جماعة أخرى من المصريين الذين لا يتمتعون بمثل شهرة الفريق الاول ،
ولكنهم يقلون عن منافسيهم استحقاقا لهذه الصفة على الرغم من اختلافهـــم
معهم فى المنهج الفكرى وفى أسلوب العمل وهذه الجماعة الصغيرة العـــدد
والآخذة فى الازدياد هى الحزب الذى يمكن أن أسميه على سبيل الاختصـار
بأتباع المفتى الاخير الشيخ محمد عبده وقد أشرت مرارا فى تقريراتى السابقـــة
الى المبادىء التى تنادى بها هذه الجماعة المصرية وفكرتهم الأساسية تقـــوم
على اصلاح النظم الاسلامية المختلفة دون اخلال بالقواعد الأساسية للعقيـــدة
الاسلامية فهم وطنيون حقا بمعنى أنهم راغبون فى ترقية مصالح مواطنيهـــــم
واخوانهم فى الدين لكنهم غير متأثرين بدعوة الجامعة الاسلامية ويتضمن برنامجهم
ـان كنت قد فهمته حق الفهم ـ التعاون مع الاوربيين لا معارضتهم فى ادخال
المدنية الغربية الى بلادهم والامل الاساسى فى الوطنية المصرية بالمعنى الوحيد
الذى يمكن أن يكون صحيحا وعلميا يكون فى تقديرى فى أولئك اللذين ينتمـــون
الى هذا الحزب ، لذلك عين منذ وقت قريب أحد الأعضاء الممتازين من هـــذا
الفريق وهو سعد زغلول باشا " وزيرا للمعارف " .

Reports by His Majesty's agent and consul - general
on the finances adminstrations and condition of
Egypt and the Sudan.

تعريب الدكتور محمد محمد حسين

London printed for his majest's stationary by office
by Harrison and sons, st Marstin's lane printers
in ordinary to his majesty.

وقد حصلت على الترجمة من الدكتور محمد حسين نفسه .

....

= ولقد أثارت شخصية محمد عبده وتلاميذه سعد زغلول ولطفى السيد وقاسم أمين كثيرا من الشبهات حولها منها ما أثاره الدكتور على سامى النشار فى محاضراته على طلبة جامعة الاسكندرية ودار العلوم فعارضه الدكتور عثمان أمين الذى يقدس الشيخ محمد عبده وقد سجل الاستاذ محمد عطيه خميس وقائع هذه المعارضة على صفحات مجلة صوت الاسلام العدد ١٤٠ــ ٢١ يونيه ١٩٦٢ م ثم اشترك الاستاذ العقاد فى الدفاع عن الشيخ محمد عبده وهجم على الدكتور النشار وتصدى له كاتب آخر بتوقيع ناقد هجم العقاد ومحمد عبده وعثمان أمين ٠

راجع أيضا " نظرة عابرة " للشيخ محمد زاهر الكوثرى ص ١١ ــ ١٢ حيث تكلم عن أثر الانجليز فى العفو عن الشيخ محمد عبده من نفيه وفى ترقيته لمنصب القضاء والافتاء وصلته باللورد كرومر ٠

يحسن بين الناس قبح فعالهم * * ومهما أساءوا راح يلتمس العذرا
بمقدار ما خان البلاد وما أتى * * لاعدائها نصحا علا عندهم قدرا (١)
ولم يقتنع منهم بدنيا استفادها * * ولكنه قد شارك القوم فى الاخرى
وأحدث بين المسلمين نظيرهم * * برستنت صاروا مثلهم فرقة أخرى (٢)
ونال بجاه القوم فى الناس رتبة * * بها حاز فيمن شاء النفع والضرا
فأصلى رجال العلم من كل مذهب * * بنار فساد منه قد قذفت جمرا
فمن رهبة أو رغبة كم سعى له * * طغام من الجهال اكسبهم خسرا (٣)
وألقى لهم درسا يخالف حكمه * * بازهرها المعمور دين أبى الزهرا
وقد ضل فى القرآن مع عظم نوره * * كما خبطت عشواء فى الليلة القمرا (٤)

---

(١) قال صاحب الاعلام الشرقية : ولما صدر العفو عن المترجم وعاد الي مصر قال اللورد كرومر فى كتابه " مصر الحديثة " ان العفو صدر عن الشيخ محمد عبده بسبب الضغط البريطانى وكان أهم غرض له من الاصلاح اصلاح العقيده والمؤسسات الاسلامية (ص ٦٨) أما السيد رشيد رضا فيرجع الفضل فى العفو عن الشيخ محمد عبده من منفاه الى احمد مختار باشا ولا ينكر وساطه كرومر أيضا (تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ ص ٨٩٤ ـ ٨٩٥) .

(٢) يقول مستر بلنت " ... ميينت أصل الاسلام ومفاخره وتدهوره الظاهرى بالتدهور الذى خيل للناس أنه استولى على المسيحية منذ أربعمائة سنة والذى قد تلافاه الاسلام كما تلافته المسيحية فى الاصلاح الدينى وتحرير أفكارها من قيود التقاليد الضيقة التى أوقفت تطورها وعرقلت تقدمها وقد شرحت الآراء كما تعلمتها من الشيخ محمد عبده أستاذ المدرسة الجديدة الحرة وتوسلت الى مواطنى بكل ما فيهم من خير أن يعطفوا على آمال احرار المسلمين ويؤيدوهم ضد الرجعيين ذوى المكائد والتعصب الأعمى والذين يلجأون فى آخر الأمر الى حل مشكلاتهم بحد السيوف . (التاريخ السرى لمصر ص ٩٢) .

(٣) الطغام أوغاد الناس وادنياؤهم الواحد والجمع فيه سواء .

(٤) ذكر الشيخ مصطفى صبرى قولا لمحمد عبده وهو " ان وجود شى فى القرآن =

فتفسيره من رأيه ليس خاليـــا ** فاما يرى فسقا واما يرى كفــرا[1]
أحذر كل الناس من كتب دينه ** وبالرد والاعراض تفسيره أحـرى
وساوس أوحتها اليه أباليـس ** بها يجد المراق ان عذلوا عـذرا
عقيدته من قبحها مثل وجهه ** تشاهد فى مرآة ملتنا الغبـرا
وأقواله مثل السراب بقيعة ** بظاهرها قد تخدع الجاهل الغـرا[2]
به برزت حسناء فى شر منبت ** كما نبتت فى الدمنة البقلة الخضرا

= لا يقتضى صحته " وقوله لرشيد رضا هو " ان المعجزات شبهة لا حجـة " راجع كتاب (موقف العقل والعلم والدين من رب العالمين وعباده المرسلين ص ٣٤٧ ـ ٣٤٨) .

(١) يقول الشيخ زاهد الكوثرى " .... وتعويله ـ محمد عبده ـ على أهل الكلام واعتماده على الرأى فى الافتاء والتفسير طول حياته وليس عنده من علم متن الحديث ورجال الحديث وعلل الحديث ما يمكنه من الجولان فى ميدان البت فى بالرواية بالرواية " (مقالات الكوثرى ص ٣٧٤) . وعن منزلته العلمية أيضا يقول الشيخ محمد بن يوسف الكافى " ... ولقد أخطأ الشيخ محمد عبده خمس مرات فيما كتبه فى هذا الموضوع ، حيث انه يقرر أنه لا وجود للشيطان حقيقة وانما هى خلجان فى النفس وشعور فى القلب ، خطأ ينزه عنه صغار الطلبة والشيخ لم يكن متميزا على غيره فى شىء يذكر الا الانشاء وطلاقة اللسان وهما مع ما حصل له فى آخر عمره من توليته المناصب المحتاج الى صاحبها اشتهر صيته واغتر بذلك من لا علم له بحقيقة أمره والا فأهل مكة أدرى بشعابها المسائل الكافية ص ١٢١ .

(٢) القيعة هى القاع وهو المستوى من الارض .

يـرى لفتى تيميـــة بابتداعـــــه * * وزلاته فى الدين منقبة كبـــرى(١)

---

(١) يقول الشيخ يوسف الدجوى فى رسالة بعثها الى الشيخ محمد زاهد الكوثرى فى ٢٩ جمادى الثانية سنة ١٣٤٨ هـ " ... وقد أنكر ـ ابن تيمية ـ حديث الزيارة وهو صحيح كما أوضح ذلك السبكى فى " شفاء السقـــام " الى غير ذلك مع أنه من الحفاظ وأشهر شىء فى مزاياه هو أنه محدث ولكنـــه التسرع يذهب النفس ويشدها والمجازفة تعمى عين البصيرة وتفقأ بصر العقـل على أنى أعترف بأن لابن تيمية وابن القيم حسنات كبرى ومحاسن عظمـــــى ومواقف مشهورة ومساعى مشكورة وتحقيقات دقيقة ومباحث أنيقة . وانه ليجـب على العالم المنصف ألا تحجبه السيئات عن الحسنات ولا الحسنات عـــن السيئات والانسان مجمع الغرائب والعجائب ومحل المتضادات والتناقضـــات وأرجو أن تعذرنى فقد هاج حفيظتنا واستثار الكامن منا ما نراه الان مـن أولئك الزعانف الذين يدعون الاجتهاد وقد رددوا صدى مقال امامهـــم ابن تيمية **واكثروا** من ذكر الكتاب والسنة وهم أبعد الناس عنهما واخلاهمـــا منهما ولو عقلوا لعلموا أنهم مقلدة ابن تيمية على غير هدى ولا بصيرة فهـــم أعظم الناس جهلا وأكبرهم دعوى يعادون المسلمين ويكفرون المؤمنين ولا غـرو فقد كفر اسلافهم من الخوارج على بن أبى طالب رضى الله عنه .... وأمـــا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده فهو غنى عن الثناء والاطراء ، وأكبر مـــن الاسهاب والاطناب ، وقد رأيناه فى حاشية العقائد العضوية يسابـــــق عبد الحكيم فيكاد يسبقه ولكننا نعجب له وقد تربى تلك التربية العقليـــــة الفلسفية كيف يسير وراء كل ناعق من الاوربيين فيردد صدى صوته بلا نقـــد ولا تمحيص وقد يكون ذلك عندهم فى محل الظن والتخمين أو الفـــرض والتقدير وربما أول له الآيات الصريحة أو السنة الصحيحة قبل أن يقـــام عليه البرهان أو يبارح محل الاستحسان ، ولعمرى ان هذا يمثل الضعـف الانسانى اكبر تمثيل ويحقق أن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن ، وأن الانسان خلق ضعيفا ، ولا داعى لأن نفيض فى بيان تلك الآراء ففى المنار =

ولكنه لم يتبعه بزهـــده * * وأقواله الحسنا وخيراته الأخـــرى (١)
يباشر نسوان النصارى ولا يـــرى * * بذلك من بأس وان كشفوا الستـــرا (٢)
ويأكل معهم كـل ما يأكلونـــه * * ويشربها حمراء ان شاء أو صفـــرا
ويفتي بحل المسكرات جميعهـــا * * اذا هي بالأسماء خالفت الخمـــرا

= منها شيء كثير واراني قد اطلت أو أمللت ولكنها نفثة مصدور فلنكتف بهـــذا سائلين الله أن يكثر من أمثالك المجاهدين المخلصين " (كلمة في السلفيـــة الحاضرة ص ٥ ـ ٧) .

(١) راجع ماكتبه الشيخ النبهاني في " العقود اللؤلؤية " معترفا لابن تيميـــة بالفضل والورع مع ما أخذه عليه في نقاط كثيرة " العقود اللؤلؤية ص ٤٠٥ " .

(٢) الذي أعلمه من حال الشيخ محمد عبده وكل من عرفه يعلمه كذلك أنه حيـــن كان في بيروت منفيا كان كثير المخالطة للنصارى والزيارة لهم في بيوتهـــم والاختلاط مع نسائهم بدون تستر ، وهذا مما يعلمه كل من عرف حالـــه في هذه البلاد فضلا عن أسفاره المشهورة الى بلاد أوربية واختلاطـــه بنساء الافرنج ، وارتكابه المنكرات من شرب الخمر وأكل المنخنقة وترك الصلوات ولم يدع هو نفسه الصلاح ولا توهمه فيه فكيف يكون قدوة في دين الاســـلام نعم هو امام للفساق والمراق مثله ولذلك تراهم على شاكلته لا حج ولا صـــوم ولا صلاة ولا غيرها من شرائع الاسلام (١) .

---

(١) هذا كلام صريح في التحامل ، ولا يمكن لمن عنده مسكة من عقل أن يصدقـــه ويؤسفني جد الأسف أن يصل التطاول والتنابذ الى هذا الحد .
د / سرحان

وأكل مخنوقا ويفتي بحله * * لئلا يقولوا : انه ارتكب الوزرا
وتحليله لبس البرانيط والربا * * به بعض أهل العلم قد الحق الكفرا(1)

---

(١) " طلب العلامة الشبراملسي مرارا مناظرة الشيخ ونشرها على صفحات الجرائد في المسائل الثلاث التي أباحها الشيخ الحل للميته ولبس البرنيطة والربا القانوني فلم يستطيع أن يقابله ، وهذه سنة كل من يريد الظهور وهو خلو مما يريد الظهور به " (راجع المسائل الكافية محمد بن يوسف الكافي ص ١٢٣) وراجع تاريخ الاستاذ الامام ج ١ ص ١٤٦ ـ ١٤٧ حيث أكد السيد رشيد محاربة الامام للثورة العرابية في كل مجال خصوصا في القسم الادبي من الوقائع المصرية التي رأس تحريرها وفي ص ١٤٩ يقول رشيد رضا " ... وقد قال الامام لعرابي مرارا كثيرة عليك بالهدوء والسكينة وأنا أضمن لك أكثر مما تطلب في بضع سنين ونهاه بعد ذلك عن محاربة الانجليز " وفي الصفحة نفسها يقول : " انتهت الثورة العرابية بالاحتلال الانجليزى وقبض على زعمائها والقوا في غيابة السجن ليحاكموا فيقتلوا تقتيلا ، وجعل الفقيد منهم لأمر ما " ليت السيد رشيد رضا وضح لنا العبارة الأخيرة ولعل فيما حدث للاستاذ الامام بعد النفي ما يلقى الضوء على الموضوع اذ أنه أول من عاد من جميع المنفيين حيث توسطت له الأميرة نازلي حليم لدى اللورد كرومر الذي بمساعدته عين في منصب مفتي القطر المصري وزادت صلاته بالانجليز وثوقا ، ويقول الاستاذ أحمد أمين " انكشف الغطاء وظهر العداء ودبرت المؤمرات ودست الدسائس وكلما أمعن الخديوى في ذلك اضطر الشيخ محمد عبده الى كثرة الاتصال بالانجليز وكلما اتصل زاد غضب الخديوى حتى لقد هم الخديوى بعزله عن الافتاء فصرح اللورد كرومر " أنه لا يوافق على عزله من منصب الافتاء مهما كانت الأحوال ما دام موجودا ، (زعماء الاصلاح في العصر الحديث ص ٣٢٠) .

ويقول الدكتور فيليب حتى " .... وكان الجو الفكرى في مصر في آخر القرن التاسع عشر قد أصبح ملائما لاستقبال الأفكار الجديدة وانمائها وذلك بتأثير الكتابات والخطب التي كان يذيعها المصلح الحر الشيخ محمد عبده وكان قد بلغ أعلى مركز ديني في البلاد ـ مركز مفتي الديار المصرية ـ

وكم زار باريزا ولنـدرة ولـــــم * * يزر مكة يوما ولا طيبـة الغــــرا
وان كان يوما للريــاء مصليــــا * * يرى تاعلا يوما وتاركها شهــــرا
فمن قال كالكلب العقور فصــادق * * سوى أنه فى الدين قد فعل العقرا (١)
وقد كنت فى لبنان يومــا صحبتــه * * لقرب غروب الشمس فى صحوة كبرى (٢)
وصليت فرض الظهر والعصر بعــده * * لديه وما صلى هو الظهر والعصـرا
وكان صحيح الجسم لا عذر عنــده * * بلى ان ضعف الدين كان له عـذرا
ومع كل هذا فهو أستاذ عصــره * * فأف له شيخا وأف له عصـــرا (٣)

---

(١) عقــره جرحـــه .

(٢) قد دعانى رجل من أهل جبل لبنان سنة خمس وثلاثمائة وألف هجرية الى بيتـه فتوجهت معه فوجدت هناك الشيخ محمد عبده فتصاحبنا من الصباح الــى المساء لم أفارقه نهارا كاملا فصليت الظهر والعصر وهو لم يصل ظهرا ولا عصرا ولم يكن به علة ولا عذر الا خوفه من أنه اذا صلى بحضورى يقول أولئك الحاضرون الذين كان لا يصلى أمامهم انه مراء فى هذه الصلاة لأجلى فغلب عليـــه شيطانه وأصر على عدم الصلاة والا فقد بلغنى عنه أنه كان يصلى تارة ويتـرك تارة والترك أكثر .

(٣) " .... وكان من مضار الشيخ ـ محمد عبده ـ بالاسلام وعلمائـــه ، أن الناشئين بعده من حملة الأقلام بمصر المنحرفين عن الثقافة الاسلامية لمـــا أكبروا الشيخ وآراءه الشاذة ـ التى انتقدتها فى هذا الكتاب وأوجـــدوا له من السمعة العلمية السامية مالا يزال طنينه فى أذن الشرق الاسلامــى ـ ولا شك فى تأييد القوة الماسونية له ـ كان ذلك حثا للذين يحبون الشهرة والظهور من شباب العلماء وكهولهم على نيل ما أرادوه بوساطة الشــذوذ فى الرأى والتزلف الى الكتاب المتفرنجين بل الانتهاء الى الماسونيـــة (موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين مصطفـى صبرى ج ١ ص ١٣٤) .

ويقول أيضا " ..... أما النهضة الاصلاحية المنسوبة الى الشيـخ محمد عبده من أنه زعزع الازهر عن جموده على الدين فقرب كثيرا مــــن =

. . . .

= وكان محمد عبده قد تتلمذ على جمال الدين الأفغاني وكان محمد عبده لا يرى أي تناقض أساسي بين الاسلام والعلم الحديث ولقد فسر بعض الآيات القرآنية تفسيرا عقليا وأوضح قصور الطريقة المدرسية الاسلامية وبينما كان جمال يقول بالثورة السياسية لتحقيق الاصلاح المنشود كان محمد عبده يرى أن اليقظة الدينية هي التي تحققه وقد ساهم كلاهما أكثر من أي كاتب عصري في تمزيق ثوب المحافظة والرجعية الذي التف به الاسلام منذ العصور الوسطى .... وهو أول من هجم بعنف على تعدد الزوجات والطلاق والحجاب . (تاريخ العرب مطول د . فيليب حتى ص ٨٨٨) وترجم له صاحب الاعلام الشرقية فقال وفي الفتاوى والمسائل العلمية المهمة كان ينكر الوسيلة ويحلل الموقوذة ويسوغ لبس القبعة ويجيز ربح صناديق التوفير ويحاول الاجتهاد ويفسر القرآن على غير طريق السلف وبسبب هذه الفتاوى رد عليه كثير من مشاهير العلماء في مصر " (راجع الاعلام الشرقية ص ٦٩) . كما حامت شبهات أخرى حول الشيخ محمد عبده يقول الاستاذ عثمان أمين "..... فلا عجب أن نراه في بيروت يسعى الى توكيد روابط الود بين أهل الأديان الثلاثة السائدة في الشرق العربي وقد حانت الفرصة لذلك حين جاء الى سوريا " مرزا باقر " الفارسي الذي كان قد عرفه الشيخ محمد عبده في باريس اثناء الاشتغال بتحرير العروة الوثقى .وانصل محمد عبده في بيروت ببعض الشخصيات المعروفة بالاهتمام بالشؤون العامة . والف هو ومرزا باقر جمعية سرية سياسية دينية ، غرضها التأليف بين الاسلام والمسيحية واليهودية والعمل على اقامة الوئام بين أهل هذه الاديان والتعاون على ازالة ضغط الغرب على الشرق وانضم الى تلك الجمعية " مؤيد الملك " أحد وزراء ايران ،و"حسن خان " مستشار السفارة الايرانية في الآستانة كما انضم اليها بعض الانجليز واليهود " محمد عبده للاستاذ عثمان أمين ص١٠٣- ١٠٤ .

ومن هذه الشبهات ما ذكره الاستاذ عثمان أمين حيث يقول "وكان طبيعيا — وقد أتصل المجاور الأزهري بتلك الشخصية القوية الجذابة — أن يفتن بها وأن ينساق الى الطريق التي رسمتها له: فلابدع اذن أن نرى اللاهوتي الشاب الذي كان يناصر في "العقيدة المحمدية" آراء السنيين والاشاعرة — وهم يمثلون حزب المحافظين في الاسلام — لا يتردد الآن في التحول عن تلك الطريق واذا به في "الحاشية على شرح العقائد العضوية" ينقلب مناصرا المعتزلة والعقليين وجموع النظار من الاحرار والمتسامحين " المرجع السابق ص ٢٥ .

وقبل غروب الشمس صاحب شيخـــه * * لقرب العشا أيام جاورت فى مصرا (١)
حكى الحسن بن الأسطوانى وهو من * * بدور الهدى فى الشام أكرم به بدرا (٢)
حكى أنه من بعد ما مات عبــده * * رأى عينه فى النوم مطموسة عـورا
فأولت أن الشيخ دجال عصـره * * وما زال دجالا وان سكن القبـرا
فقد مات لكن أحيت الدجل كتبــه * * وورث كلا من تلاميذه قــدرا
وهم كلهم والشيخ أيضا وشيخـه * * الى الأعور الدجال نسبتهم تـدرى
ولولا حديث المصطفى لأسامــة * * يقول به هلا شققت لـه الصـدرا
لما صحت الدعوى باسلام بعضهـم * * لدى وما استبعدت عن بعضهم كفـرا
وكنت كتبت الكاف والفاء بعدهـا * * على جبهات القوم كى يعرفوا والسرا
كما جاء فى الدجال يكتب لفظهـا * * فيقرأ من يقرأ ومن لم يكن يقـرأ
فقد أشبهوه فى معـان كثيـرة * * من الدجل والالحاد والبدع الأخرى

= الازهريين الى اللادينيين خطوات ولم يقرب اللادينيين الى الدين خطـوة واحدة وهو الذى أدخل الماسونية فى الأزهر " بوساطة شيخه جمال الدين الأفغانى " (المرجع السابق ج ١ ص ١٣٣) .

(١) اجتمعت فى مصر سنة سبع وثمانين ومائتين وألف هجرية بالشيخ جمال الدين الأفغانى وانا مجاور ولازمته من قبل الغروب الى قرب العشاء فلم يصـل المغرب وتحققت أنه كان تارك صلاة ويصلى فى بعض الأحيـان . والغالب عليه الترك كتلميذه الشيخ محمد عبده وفرقته كلهم تاركون الصلاة ولا أظـن أنه يوجد منهم واحد مداوم على صلاته وقليل منهم يصلى تارة ويتركها تـارة أخـرى .

(٢) أخبرنى العالم العامل الصوفى الكامل الشيخ حسن أفندى الأسطوانى خطيب الجامع الأموى فى دمشق الشام وهو من المداومين على حج بيت اللـه الحرام وزيارة النبى عليه الصلاة والسلام فى كل عام بأنه رأى فى منامه الشيـخ محمد عبده بعد وفاته أعور العين ففسرت رؤياه بأن ذلك لكونه من أعظـم الممهدين فى هذا العصر للأعور الدجال .

وما الفرق الا أنهم في قلوبهم * * عما هم ودجال الورى عينه عورا
تقدم فيها نائبا عنه عبده * * فأغوى الذى أغوى وأغرى الذى أغرى
فويل له ويل لمن يتبعونه * * ومن كان من اعدائهم فله البشرى (١)

((القسم الرابع في وصف رشيد رضا صاحب جريدة المنار التي تطبع في مصر وتنشر بدعهم في سائر الأقطار ومؤسسها محمد عبده كبير هؤلاء الأشرار)) .

وأما رشيد ذو المنار فانه * * أقلهم عقلا وأكثرهم شرا
أتاني ببيروت بشرخ شبابه * * بمقلته السودا ووجنته الحمرا (٢)
له لحية مقصوصة من جذورها * * تترجم عنه ان في نفسه أمرا
وكان ولي الأمر عندي جالسا * * نصوحي جزاه الله عن نصحه خيرا (٣)
فوبخه مستقبحا ما أتى به * * وأبدى له من سخطه النظر الشزرا
وأفعاله تبدى قبيح ضلاله * * وتكشف عن مكنون الحاده السترا
وأطواره في حكمها قد تناقضت * * بحكم هواه كل وقت ترى طورا

---

(١) الديوان ص ٣٦٥ – ٣٧٤ .

(٢) المقلة شحمة العين التي تجمع البياض والسواد والوجنة ما ارتفع من الخدين .

(٣) ولى الأمر هو نصوحي بك الذى كان واليا في بيروت .

فكم ذا أراد النصب فى درس جامـع * * فأولاء أرباب التقى الخفض والجـرا (١)
وكم قام يتلو فى الكنيسة خطبـة * * بها ناب عن قس وعانقه جهـرا (٢)
وكم قام فى وسط الجامع خاطبـا * * وقد مزج الايمان بالخلط والكفـرا
له كجمال الدين نسبه كـاذب * * بها زاد فى طنبوره نغمة أخـرى (٣)

---

(١) النصب يطلق فى اصلاح الناس على الاحتيال والكذب للحصول على شـىء من الدنيا ، ويقال لفاعله نصاب ، وهكذا الشيخ محمد عبده وشيخـه وتلاميذه جميعا ولا سيما هذا السفيه رشيد رضا كلهم نصابون اتخذوا دينهـم لهوا ولعبا وباعوه بعرض قليل من الدنيا قاتلهم الله أنى يؤفكون والخفـض خفض المنزلة وجر الشيء سحبه وفى هذه الثلاثة تورية بالنصب والخفض والجـر ولم يكن من أرباب التقوى فقد هجم عليه المسلمون فى جامع سيدنا الحسيـن فى مصر حينما سمعوا منه ألفاظا شنيعة فى حقه رضى الله عنه وكادوا يفتكـون به لولا هروبه وكذلك وقع له فى الجامع الأموى مثل ذلك وكادوا يفتكون بـه لولا أن خلصه منهم بعض الحاضرين وأخرجه من دمشق الشام ليلا ، فذهـب الى قريته واختفى فيها ثم هرب الى مصر من البلاد الشامية لما حصل لـه فى طرابلس من الضرب والجرح وفى دمشق الشام من الهيجان العظيـم والطرد الأليـم .

(٢) خطب فى كنيسة من كنائس مصر وصارت طوائف المسلمين تلعنه على هـذه الخطبة وهو لا يبالى " اذا قل دين المرء قل حياؤه " ولم تر فرقة مـن أهل البدع أقل حياء من هذه الفرقة وهو ممتاز بينهم بذلك .

(٣) زعم جمال الدين الأفغانى أنه شريف كما زعم هذا الرجل وكلاهما كـاذب ولا دليل لواحد منهمـا على صحة ما قاله سوى مجرد دعواه وهـؤلاء الجماعة هم من أكذب الناس ولا عدالة لهم ولا يوثق بأخبارهم مطلقـا ولا تقبل شهادتهم فى حق غيرهم فضلا عن أنفسهم وحاشا أن يخرج مـن السلالة الطاهرة هكذا أوغاد من أهل الضلال والالحـاد .

وقد سمعت أذناى قول ابن عمه * * مجيبا بأن لا نسبة لهم تدرى (١)
وهذا منار السوء مرآة مجده * * وقد أظهرت فى موضع الشرف الشرا
أتى مصر مطرودا وقد خان دينه * * ودولته يا لهف قلبى على مصرا
أتاها وقد مس الثرى فى بلاده * * من الجوع لا بِرّا حواه ولا بُرّا
فآواه فى أكنافه الشيخ عبده * * وأشبعه خبزا وأشبعه خسرا
وهذا منار السوء أسسه له * * ولقنه التضليل سطرا تلا سطرا
غدا ناشرا فيه ضلالات شيخه * * كما نشر الزراع فى أرضه البعرا
ففذى بهاتيك النجاسات معشرا * * بدون عقول خمنوا بعرها تمرا
وكم ضل رأيا من سقامة فهمه * * بأمر صحيح من شريعتنا الغرا
ولو سأل الاشياخ أدرك سره * * ولكنه مع جهله قد حوى كبرا
ومنه حديث الشمس بعد غروبها * * فتسجد تحت العرش تستأذن السيرا
بآخر شهر الصوم من عام سبعة * * وعشرين قد أبدى المنار له ذكرا
رواه الامامان البخارى ومسلم * * فصحته كالشمس قد طلعت ظهرا
وما شك فى صدق الحديث وانما * * رأى خبر المختار ما طابق الخُبرا (٢)
وصرح فيه أنه غير واقع * * وأن رسول الله لم يعرف الأمرا (٣)

---

(١) زارنى فى بيروت ابن عم الشيخ رشيد من قرية قلمون التابعة لطرابلس فسألته هل هم ينتسبون الى الشرف فقال ليس لهم نسبه وقد غاب عنى اسمه الآن وهو قد كان بينه وبين الشيخ رشيد دعوى تتعلق بامامة جامع تلك القرية ووقفه تغلب عليه الشيخ رشيد رضا وأبوه مدة من الزمن ثم استرجعه فعارضوه فى ذلك .

(٢) الخُبر بالضم العلم بالشىء .

(٣) يقول الشيخ يوسف النبهانى بعد أن ذكر قصة انكار السيد رشيد رضا لسجود الشمس (.... وأزيد هنا أن ما قاله صلى الله عليه وسلم فى سجود الشمس هو مثل قوله تعالى فى سورة الحج " ألم ترى أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يهن الله فما له من =

١٩

فهل بعد ذا التكذيب يحتاج كفره * * اثباته بين الورى حجة أخرى
واذ كان لم يؤمن بأمر مغيب * * بدنيا فأولى أن يكذب بالأخرى
وفي جزء شعبان من العام نفسه * * ببيروت للاسلام قد جوز الكفرا
أباح لهم أن يعبدوا بكنيسة * * عبادة أهليها بمدرسة كبرى
وقلده من لم يبالوا بدينهم * * لكيما يقول الناس ان لهم عذرا
فيا أمة الهادى لقد طال صبركم * * على فاجر بالدين والمصطفى أزرى
ويا أهل مصر كيف صار عدوه * * يكذبه ما بين أظهركم جهرا
وعهدى بكم للدين أسدا فما الذى * * لكم قد جرى حتى تهيبتم الهرا
ألا غيرة كالشام أشكركم بها * * فلست أودى ما حييت لهم شكرا
طرابلس من غيظها بسمت له * * كما أظهر الضرغام من غيظه البشرا
وقد برقت كالسيف أرجاؤها له * * فجاءته بعد البرق صاعقة كبرى
وساق الفاروق من نسل بنته * * مقدم قوم كاد يسكنه القبرا(١)
على رأسه انصبت عصاه كأنها * * قناة له شقت وأجرت به نهرا
عليه سطا كالليث شتت جمعه * * ففروا جميعا عنه اذ سمعوا الزأرا
وأدماه منه فتكة عمرية * * أراد بها ذاك الهزبر له زجرا

= مكرم ان الله يفعل ما يشاء (٢) ، وقد ورد نحو ذلك فى عدة آيات فلا حاجة للاطالة بذكرها كما قالوه فى تفسير هذه الاية من معنى السجود هو معنى السجود فى الحديث الشريف من أنه الخضوع أو غيره واذا كان قوله هذا صلى الله عليه وسلم عند هذا الضال المضل مخالفا للواقع المشاهد فكذلك قوله تعالى هو عنده مخالف للواقع المشاهد لانه مثله بدون أدنى فرق أعوذ بالله من غضب الله وقد ثبت بذلك جهله العظيم وكفره الوخيم بتكذيبه هذا النبى الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم فكيف بعد هذا يجوز سكوتكم عليه يا أهل مصر وعلى مناره وقد صلاكم بنار ضلاله وناره ويجب على الاستاذ الاعظم شيخ الازهر أن يخصص جمعية من العلماء بترتيب مجلة وظيفتها المحاماه عن الاسلام والرد على كل من تعرض له بسوء من الكفرة والمبتدعة اللئام (العقود اللؤلؤية ص ٦ ــ ٧) .

(١) الفاروق سيدنا عمر رضى الله عنه ومن نسله ابن المقدم من أعيان طرابلس الشام =

(٢) هذا نوع من المجاز المرسل الذى علاقته الاطلاق والتقييد .

أراد بها ايقاظه من سباتـــه * * وكان بخمر العجب ممتلئا سكـــرا
أراد بها تحذيره مـــن ضلالـــه * * فكانت له من عظم شقوته أغـــرا
وجاء دمشق الشام من بعد يبتغى * * دراسة شوك قد توهمه بـــرا
أتى المسجد المعمور ينشر فرشـه * * وقد طبق الارجاء من أرهـه جـأرا
وكان بها من تونس الغرب صالـح * * شريف فلما فاه ألقمـه فهـــرا(١)
محا ظلمات الغى نور بيانـــه * * وأخمد من نيران الحاده الجمـــرا
رماه بسهم من كنانة علمــــه * * فخار ومن أعلى منصته خــــرا
وأولاه من آل الخطيب خطيبهـم * * فتى العلم عبد القادر الصدمة الاخرى(٢)

= وهو سبط الولى الشهير العارف بالله شيخنا الشيخ على العمرى رحمه اللـه وقد نسيت الان اسمه جزاه الله عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء •

(١) حضر درس ذلك المبتدع جماعة من علماء الشام لينظروا ماذا يقول فلما خـرج عن الجادة تصدى له العلامة الامام أحمد جهابذة الاسلام السيد الشريـف الشيخ صالح أفندى التونسى وكان مقيما فى الشام وقتئذ مشغولا بنشـــر العلم وهو الآن فى القسطنطينية يقرأ الدروس ويطيب بتحقيقاته النفـوس ويتعقب أهل البدع الذين يدعون الاجتهاد ويسعون فى الأرض الفساد •

(٢) آل الخطيب هم من أفضل بيوت العلم فى دمشق الشام يتوارثونه كابرا عن كابـر وهم أشراف من السلالة القادرية • والشيخ عبد القادر هذا هو من أنجـــب نجبائهم وأفضل علمائهم وهو من أفاضل الشبان أصحاب الهمم العلية الذيـــن تفتخر بهم الشام فى هذا العصـــر ، فقد خاطر بنفسه مرارا لتأييـــد هذا الدين المبين والذب عن شريعة جده سيد المرسلين فى مقابلـــة الزنادقة والمبتدعين فوقاه الله شرورهم وألقى كيدهم فى نحورهـم •

جزى الله أهل الشام خير جزائه * * وتاب على من تابعوا ذلك العيرا (١)
وجاء الى حمص فخاب وأرسلت * * اليه حماة ان أتى أرضها النذرا
فعاد الى مثواه فسى قلمونة * * ومن خوفه كالضب قد لزم الجحرا
فكانت له في عمره شر رحلة * * بها بين تجار الهدى ربح الخسرا
وعاد الى مصر من الشام هاربا * * ينفض عن اعطافه الموت والذعرا
ومن نحو عام جاءنى فنصحته * * كما تنصح الثعبان أو تنصح الفأرا
وذاكرته في شيخه وهو عبده * * تملكه الشيطان عن قومه قسرا
فقلت له لو كابن سينا زعمتم * * وعالم فاراب وأرفعهم قدرا
لقلنا لكم حقا وان كان باطلا * * ولم نر في هذا على ديننا ضرا
ولكنكم مع تركه الحج مرة * * وحج لباريز ولندرة عشرا
ومع تركه فرض الصلاة ولم يكن * * يسر بذا بل كان يتركها جهرا
ومع كونه شيخ المسون مجاهرا * * بذلك لا يخفى أخوتهم مصرا
ومع غير هذا من ضلالته التى * * بها سار مثل السهم للجهة الأخرى
تقولون أستاذ امام لديننا * * فما أكذب الدعوى وما أقبح الأمرا
ونحن نراه عندنا شر فاسق * * فيقتل فسقا بالشريعة أو كفرا
رضينا بحكم الله فينا وفيكم * * وحكم رسول الله والشرعة الغرا
تعالوا نباهلكم فنلعن من غدا * * بنا وبكم أولى بلعنته أحرى
فيا ربنا العن شرنا وأضرنا * * بتحكيمه في الدين مع جهله الفكرا
وخص رشيدا ذا المنار وشيخه * * وشيخهما ان شئت بالحصص الكبرى (٢)

---

(١) العير الحمار ٠

(٢) اعتمد العلماء تحريم لعن المعين بخصوصه ولو كان كافرا ولذلك لما عينت في هذا البيت هؤلاء الثلاثة رؤوس الضلال قلت ان شئت ان الأمر في ذلك راجع لمشيئة الله تعالى أى ان كانوا مستحقين فالعنهم لعنا كبيرا ٠

ثلاث أثافٍ تحتها نار فتنة * * ومن فوقها الإلحاد صار لها قدرا[١]
وقد دخلوا حزب المسون بهمة * * بها حل كل من محافله الصدرا
ومذهبهم حكم الديانات واحد * * تساوى به الاسلام والملل الاخرى
فلو ثم دين لم يجوز دخولهم * * ولكنه من قبل ذلك قد فرا
فمن مات منهم مات أقبح ميتة * * فلا رحم الرحمن سحنته الغبرا
ومن عاش منهم عاش نحو جهنم * * يحث على آثار أشياخه السيرا
فيا رب أصلحهم وان لم ترد لهم * * صلاحا فلا تنجح الهى لهم امرا[٢]

القسم الخامس في وصف الوهابية ، أتباع محمد بن عبد الوهاب النجدى التابع في بدعته لابن تيمية ووصف المجنون المفتون شكرى أفندى الالوسى البغدادى المتلاعب بالمذاهب الاسلامية فانه كبعض أفراد أسرته كانوا شافعيين ثم تحنفوا ثم دخلوا في مذهب الوهابية وهو مؤلف كتاب "غاية الامانى في الرد على النبهانى" الذى انتصر فيه لمذهب الوهابية على المسلمين ، وأثبت به عداوته لسيد المرسلين وصرح فيه بنقد أئمة دينه المبين صلى الله عليه وسلم .

وأعجب شيء مسلم في حسابه * * غدا قلبه من حب خير الورى صفرا[٣]
أولئك وهابية ضل سعيهم * * فظنوا الردى خيرا وظنوا الهدى شرا
ضعاف النهى أعراب نجد جدودهم * * وقد أورثوهم عنهم الزور والوزرا
مسيلمة الجد الكبير وعرسه * * سجاح لكل منهم الجدة الكبرى
الى الله بالمختار لم يتوسلوا * * لان لكل عند خالقه قدرا[٤]

---

(١) الاثافى جمع أثفية بتشديد الياء وقد تخفف الياء في الجمع وهى الحجارة التى تنصب وتجعل القدر عليها .

(٢) الديوان ص ٣٧٤ـ ٣٨٥ .

(٣) في حسابه أى في حسبانه وظنه وفيه تورية بحساب العدد يرشحها ذكر الصفر في القافية والصفر الخالى وفيه تورية بصفر الحساب .

(٤) التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم الى الله تعالى عند الوهابية شرك وقدر الشيء مبلغه وماله عندى قدر أى حرمة ووقار قاله في المصباح .

فقد ورثوا الكذاب اذ كان يدعـــى * * بأن له شطرا وللمصطفى شطـــرا(١)
أشار رسول الله للشرق ذمـــة * * وهم أهله لا غرو أن اطلع الشـــرا(٢)
به يطلع الشيطان ينطح قرنـــه * * رؤوس الهدى والله يكسره كســـرا
فكم طعنوا فى الأشعرى امامنـــا * * ومالنا تريدى الحبر أكرم به حبـــرا
بتحقير أحباب الاله تقربوا اليـــه * * فنالوا البعد اذ ربحوا الخســـرا
ويعتقدون الأنبياء كغيرهـــم * * سواء عقيب الموت لا خيـــر لا شـرا
وقد عذروا من يستغيث بكافـــر * * وما وجدوا للمستغيث بهم عـــذرا
وكم رحلوا للشرك فى دار رجســـه * * وجابوا الى أوطانه البـــر والبحـــرا
وما جوزوا للمسلميـــن رحيلهـــم * * لزورة خير الخلق فى طيبة الغـــرا
رموا بضلال الشرك كل موحـــد * * اذا لم يكن منهم عقيدته بتـــرا
وهم باعتقاد الشرك أولى لقصرهـــم * * على جهة للعلو خالقنا قصـــرا(٣)
هوا الله رب الكل جـل جلالـــه * * فما جهـة بالله من جهـة أخـرى
تأمل تجد هذى العوالم كلهـــا * * بنسبة وسع الله كالذرة الصغـــرى(٤)

---

(١) ادعى مسيلمة الكذاب أنه شارك النبى صلى الله على وسلم فى الرسالة .

(٢) ورد فى صحيح البخارى أن النبى صلى الله عليه وسلم أشار الى جهة الشـــرق وهو فى المدينة المنورة وقال : من ههنا يطلع قرن الشيطان .

(٣) الوهابية يعتقدون أن الله تعالى منحصر فى جهة العلو وهم بهذا الاعتقـــاد الفاسد يستحقون اطلاق الشرك عليهم فانه يلزم من ذلك اعتقادهم بوجـــود آلهة كثيرة فان الارض كروية والسماء تعلو فى سائر جهاتها فكل علو لقـــوم فى جهة هو سفل لقوم آخر فى جهة أخرى وعلـــو هؤلاء أصحاب السفـــل هو أيضا سفل لقوم آخرين وهكذا فى كل بقعة وكل قوم على وجه الارض فيكـــون حينئذ اله كل قوم فى علوهم وهو غير اله للقوم الذين هذا العلو سفل لهم بـــل الههم ما كان فى جهة علوهم وعلوهم أيضا هو سفل لقوم آخرين فيكون الههـــم ليس الها لاولئك بل الههم فى علوهم فاعلم ذلك ثم بعد نظمى هذه القصيـــدة التى ذكرت فيها هذا المعنى بنحو سنة راجعت تفسير الفخر الرازى عند قوله تعالى فى سورة طه (الرحمن على العرش استوى) فوجدته ذكر هذا الاحتجاج فحمدت الله تعالى على موافقته مع زيادة عليه .

(٤) الذرة ـ النملـــة الصغـــيرة .

فحينئذ اين الجهات التى بهــــا ** على الله من حمق بهم حكموا الفكـرا
وان اختلافا للجهات محقـــــق ** فكم ذا من الاقطار قطر عـلا قطـرا
وكل علو فهو سفل وعكســـــه ** وقل نحو هذا فى اليمين وفى اليسرى
فمن قال علو كلها فهو صــادق ** وذلك قد يقضى بآلهة أخـــرى
ومن قال سفل كلها فهو صــادق ** فليس لهم رب على هذه يـدرى
فمن يا ترى بالشرك أولى اعتقادهــم ** أولئك أو أصحاب سنته الغـرا ؟
حنابلة لكن مذهــب أحمــــد ** امام الهدى من كل ما أحدثوا يبرا (١)
وقد عم فى هذا الزمان فسادهــم ** فما تركوا شاما وما تركوا مصــرا
ولم ينفرد شذاذ مذهب أحمـــد ** فقد ضل قوم من مذاهبنا الأخـرى
كشكرى الألوسى تابعا اثـر جـده ** وأعمامه لكنهم آثروا الستـرا (٢)

---

(١) نقلت عن الامام أبى الفرج بن الجوزى وهو من أئمة الحنابلة فى كتابى " شواهد الحق " أن الامام أحمد رضى الله عنه برئ من اعتقاد الجهة وأن هـؤلاء الحنابلة الذين يعتقدونها هم مخطئون أفحش الخطأ ومخالفون لمذهب امامهم فى ذلك .

(٢) شكرى الألوسى هو شكرى أفندى ابن عبد الله أفندى ابن محمود أفندى الألوسى البغدادى صاحب التفسير الشهير وحفيده هذا شكرى هو مؤلف كتـاب " غاية الأمانى فى الرد على النبهانى " رد به على كتابى " شواهـد الحق فى الاستغاثة بسيد الخلق " صلى الله عليه وسلم ، وحيث انه جديد فى مذهب الوهابية وانما ورثه عن أبيه وجده فقط أراد بهذا الكتاب أن يثبت عندهم أنه أرسخ منهم فى مذهبهم ولذلك بالغ فى ذم أئمة المسلميـن من العلماء والاولياء العارفين وانما اخفى حاله ولم يصرح باسمه فى ظهـر الكتاب بل قال انه تأليف أبى المعالى السلامى لان دولة بعض من يخشى بأسهم كانت قائمة فلم يتجاسر على اظهار نفسه ولكن المطبعة التـى طبعته فى مصر والجماعة الذين طبعوا على نفقتهم من النجديين وجمعيـة الوهابية ومن أشدهم بغضا للاسلام والمسلمين عبد القادر التلمسانـى

الى أن رمى مجنونهم برجيعة ** على الناس فى تأليفه ذلك السفرا (١)
وما وصلت أرجاسه غير قومه ** به وبهم أرجاسه حصرت حصرا
ومهما أبانوا عذرهم بجنونه ** نصدقهم فيه ولا نقبل العذرا

= ترجمان قنصل الانجليز فى جدة كلهم مقرون مفتخرون بأن مؤلف هذا الكتاب هو شكرى أفندى الألوسى ليطلعوا الناس على أن من أسر أهل السنة والجماعة الشريفة فى بغداد من دخلوا فى مذهبهم والحمد لله على العافية .

(١) مجنونهم شكرى أفندى هذا فان أخاه عارف أفندى وهو من خيار هذه الأسرة الشريفة وما زال من أهل السنة والجماعة كأجداده الأقدمين زارنى فى العام الماضى فى القسطنطينية بعد طبع ذلك الكتاب الخبيث واعتذر لى عن مؤلفه أخيه شكرى أفندى بأنه مجنون فصدقته لان كتابه هذا لا يصدر من عاقل ولو كافرا ولانى كنت أسمع ممن يعرفونه أن فى عقله ودينه اختلالا بسببه تحصل منه هذه الجراءة على الطعن فى الدين وأئمة المسلمين حتى أخبرنى العالم الفاضل الشيخ أمين أفندى سويد الدمشقى بأنه سمعه فى بغداد يطعن فى الامام الشافعى فخاصمه على ذلك وسمعت من أهالى بغداد أنه غير متدين بدين مستقيم أما قومه فقد اجتمعت بجماعة منهم كعمه المرحوم عبد الباقى أفندى وعلى أفندى وابن عمه نعمان أفندى واخوته مصطفى أفندى وعارف أفندى ورشدى أفندى فما سمعت ولا رأيت على أحد منهم شائبة فى دينه وكلهم من خيار المسلمين نفعنا الله بهم أجمعين وأسلافهم الطيبين الطاهرين .
(الرجيع روث الدواب وخرء الانسان) .

فكان عليهم قيده بسلاسل * * وأن يحجروه عن فظائعه حجرا
فمن أطلق الكلب المقود فانه * * هو المخطىء الجاني الذي فعل العقرا (١)
أتى بكتاب الشتم لا العلم داعيا * * الى لعنه بين الورى كل من يقرا (٢)
عدو رسول الله أرضى عداته * * ومنى ومن أحبابه أوغر الصدرا
ومن حمقه وكفره قال انه * * الهي وقد اكثرت في مدحه الشعرا (٣)

---

(١) عقر : جرحه •

(٢) كتاب الشتم هو كتابه الذى سماه " غاية الأمانى فى الرد على النبهانى " وطبعته له جمعية الوهابية على نفقتها فى مصر وهو انما جمع فيه مناقب ابن تيمية وعقيدته وعقيدة الوهابية وتراجم كثيرين والقصائد التى فى مدحهم ومدح أجداده وغير ذلك مما لا دخل له فى موضوع الكتاب وانما أراد تكبير حجمه فوق ذلك طبعه بورق ثخين وحرف كبير حتى ظهر مثل المخدة حتى قرظته جرائد المارقين كالمنار بأنه كتاب كبير فى الرد على أعدائهم علماء المذاهب الأربعة •

(٣) الحمق قلة العقل قال فى كتابه المذكور عنى : انى أعتقد ألوهيته صلى الله عليه وسلم وذلك لقصور فهمه عن ادارك علو منزلة النبى صلى الله عليه وسلم واستعظامه المعانى التى مدحته بها عليه الصلاة والسلام وأنا أعلم يقينا أنه صلى الله عليه وسلم مع كونه أشد الخلق وأعظمهم عبودية لله عز وجل لا يمكن للخلائق أجمعين أن يقفوا على كنه حقيقته المحمدية وعلو منزلته عند الحضرة الالهية صلى الله عليه وسلم ومع ذلك أقرر أن من يعتقد ألوهيته صلى الله عليه وسلم يكفر بذلك فهو اذا كان يعتقد فى كذلك يكون كافرا بتكفير المسلم فلا جزاه الله عن نفسه وعنى خيرا فقد شغلنى بما لا حاجة بى للاشتغال به • ولو اشتغل هذا الخبيث بدفع مضرات الأميركان ونحوهم من الكفرة الهاجمين لتضليل أولاد المسلمين لكان خيرا له من أن يشغل نفسه وشغلنى به بل هو يوالى أولئك الكافرين يؤلف لهم التآليف ويأخذ منهم الجوائز ولا يبعد عن لؤمه واستعماله الدين للدنيا أن يكون أخذ مقدارا وافرا من كتاب غاية الأمانى أجرة على تضليله الناس فقد كانت نفقة طبعه على حساب جمعية الوهابية التى رئيسها عبد القادر التلمسانى فى جده •

ولو حل مدحي للنبي بسفره * * للوثه تبا له وله سفرا [(1)]
ومع شحنه من نظم كل مجازف * * بشعر اذا حققته تلقه بعرا
فمن مدح خير الخلق ما راح منشئا * * ولا منشدا بيتا ولا منشدا شطرا
باقراره كم صفت فيه قصيدة * * ونوعت في أمداحه النظم والنثرا
وألفت في فضل استغاثتنا به * * أجل كتاب لم يدع للسوى عذرا
شواهد حتى أطلعت في سطورها * * بدور علوم كل سطر حوى بدرا
فكانت لارواح المحبين جنة * * وكانت على أعداء خير الورى جمرا
فلو خصني بالشتم مع عظم جرمه * * لما لمته لكنه عمم الشرا
فذم هداة الدين من كل مذهب * * وأعطى لكل من سفاهته قدرا
غدا لفتى تيمية أي ناصر * * فهلا استحق المصطفى عنده النصرا
وهلا عفا عنا لذنب بزعمه * * لخدمتنا روح الوجود أبا الزهرا [(2)]

---

(١) قال في كتابه المذكور عني : اني مدحت النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه لا ينقل منها شيئا في كتابه لئلا يلوثه بها فانظر هذا الضلال المبين وانظر هذا التهتك في الدين وانظر هذه الاستهانة بسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم أيمكن أن يقول هذه العبارة مسلم في قلبه محبة وتعظيم له صلى الله عليه وسلم بل هذه العبارة الخبيثة التي صدرت من هذا الخبيث لا تصدر من النصارى واليهود ولا أدرى اذا عرضت على العلماء الأعلام هل يفتون ببقائه مسلما أو بخروجه بها من دين الاسلام .

(٢) روح الوجود من حيث ان كل شيء منه وفرع منه فالعرش بما حواه وكل ما خلق الله مخلوق من نوره صلى الله عليه وسلم فنوره سار في جميع العوالم فهو بمنزلة الروح لها عليه الصلاة والسلام .

فلو كان من نسل المجوس عذرتــــه * * وقلت امرؤ يبغى لاجداده ثــأرا
ولكن نراه يدعى خير نسبـــة * * وأم الفتى منه بنسبته أدرى
فمن ذا رأى فى الناس شخصا مواليــا * * لقوم يرون الحب فى جده كفــرا (١)
ومن ذا رأى فى الناس شخصا معاديا * * فتى بمعالى جده أنفق العمــرا
اذن نحن فى شك من النسب الذى * * يقول وفيه الشك نحصره حصــرا
وبعد فذياك الكتاب يدلنــا * * على جهله طورا على غفوه طــورا
كتاب عليه اللعن من كل سامــع * * وصاحبه أيضا غدا ما طرا مطــرا
وكثر فيه النقل من دون حاجــة * * ليثبت فى دعواه بالكِبَر الكُبْــرا
وبالحرف والقرطاس عظّم حجمَــه * * ليحمل لعنات أتت فوقه تتــرى
وكل جواب فيه غيــر مطابـــق * * لمعنى كلامى عند من يفهم الأمــرا (٢)

---

(١) من مذهب الوهابية تكفير المستغيثين بالنبى صلى الله عليه وسلم لله تعالــى فى قضاء حاجاتهم ومثله فى ذلك غيره من الأنبياء وهذا المراد بقولــى يرون الحب أى الافراط فيه بزعمهم •

(٢) من راجع كتابى " شواهد الحق " وكتابه " غاية الأمانى " وطابــق بين كلامه وكلامى بالدقة يعلم حينئذ جهله وعجزه عن الجواب الصحيــح فانه تارة لا يجيب أصلا وتارة يجيب بأجوبة لا توافق الحقيقة ولا يفهــم لها معنى ينطبق على المقصود ولكنه يخرج لنقل النقول الكثيرة والكتــب الكاملة بحروفها منها مناقب ابن تيمية للشيخ مرعى الكرمى ومنها عقيدة ابن تيمية ومنها عقيدة محمد بن عبد الوهاب ومنها غير ذلك فلو جمعت هذه الكتــب لكانت نحو ثلثى كتابه والثلث الباقى نصفه أشمار (١) ونصفه شتائم وفشار وعــار وشنار على هذا المجنون الجبار لا زال غضب الله منصبا عليه آناء الليــل وأطراف النهار اللهم الا أن يكون شريفا من السلالة الطاهرة حقيقة وتكــون هذه الأخلاق السيئات جاءتــه من جهة الامهات فحينئذ أسامحه فى حقوقــى فى الدنيا والآخرة وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يعفو عنــه ويوفقه للتوبة النصوح والرجوع عن هذا المذهب الباطل والاعتقاد العاطل وأن يرزقنى واياه حسن الختام بجاه الحبيب الاعظم عليه الصلاة والسلام وأسألـــه =

---

(١) بضم الفاء • كلمة عامية بمعنى الكلام الذى يقال ساعة الهذيان • د /سرحان

ولكنه عشواء تخبط خبطهـــا * * بليل من الأهواء قد فقد البـدرا(1)
وأعقل منه الكلب يستـر رجسه * * وهـذا رأى فى نشر ارجاسه فخـرا
كتابى لخير الخلق قد جاء ناصـرا * * وهذا لاعداء النبى أتـى نصـرا
فذلك من أعلى وأعلـى مناقبـى * * وهذا له أقوى مثاليه الكبـرى
وذلك فخرى فى الحياة وبعدهـا * * وهذا له خزى بدنياه والأخـرى
وقرظ قولى عند ما تم طبعـه * * مشايخ اسلام الشريعة فى مصـرا(2)
وقرظ سفر السوء بالـزور أهلـه * * ومن كان عن سبل الشريعة مـزورا(3)

= حينئذ أن يصفح عنى ويعفو عما صدر منى فانى بشر وقد آذانى أذيـة بالغة عن قصد وتصور وتصميم ، أما أنا فرد ى على جده محمود أفنـدى وعمه نعمان أفندى فى كتابى " شواهد الحق " فوالله الذى لا اله الا هو أنى لم أقصد به غرضا دنيويا وليس بينى وبينهما ولا بين أحد من ذريتهمـا أدنى سبب يحملنى على ذلك كل من عرفتهم منهم من أحبابى ، وكنت أكـرم من يرد منهم الى بيروت جميعا لشرفهم ونسبتهم الطاهرة ، وأدعوهم الـى بيتى ، وأتقرب اليهم بالمودة جهدى ، ومع كل هذا حينما رأيت " جـلاء العينين " كتاب نعمان أفندى مشتملا على نصرة البدعة على السنة وقـد حصل منه ضرر لبعض القاصرين من المسلمين حملنى ذلك على كتابه ماكتبته فى حقه فى كتاب " شواهد الحق " والله المطلع على الضمير وهو نعـم المولى ونعم النصيـر .

(1) العشواء الناقة التى لا تبصر ما أمامها .

(2) قرظ كتابى " شواهد الحق " شيخ الجامع الازهر العلامة الشيخ عبد الرحمن الشربينى وغيره من العلماء والمفتين وأكابر المدرسين وأسماؤهم وعباراتهـم مكتوبة فى آخره رحمهم الله تعالى ورضى عنهم أجمعين .

(3) أما كتابه فقد قرظه هيان بن بيان والحارث بن همام وان كان لابد من وجـود أشخاص لتلك الأسماء المجهولة فهم من أعداء دين الاسـلام .

يذم خيار المسلمين وينتقـــــى * * لاشرارهم أمثاله الحمد والشكـــرا
فمثل الرفاعى القطب يختار ذمـــه * * وشيخ منار السوء يمنحه شكـــرا (١)
خبائث أرواح تحـن لبعضهـــا * * فسحقا لهم سحقا وخسرا لهم خسرا (٢)
هم الكل أعـداء النبـى فبعضهـم * * عداوته كبرى وبعضهم صغـــرى
وخصوا محبيه بنسبـة حبهـــم * * فأعطوا لكل من عداوتـه قـــدرا
وقد جعلوا لى حصة مـن كبارهـــا * * لما علموا من حبـه حصتـى كبـرى
فيارب زدنى فيه حبا وزده بـــى * * وفى طيبة أختم لى على دينه العمرا

---

(١) هو رشيد رضا القلمونى لا رضى الله عنه ولا [redacted] كان على شاكلته من أعداء الدين " الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنـون صنعا " وقد ذكر شكرى أفندى كثيرا من آشرارهم وكلهم أشرار فى كتابـه هذا وأثنى عليهم الثناء الجميل وذكر كثيرا من أئمة المسلمين كالقطب الرفاعى وذريته والسبكى وابنه التاج وابن حجر الهيثمى والجلال السيوطى والامـام اليافعى ونجم الدين البكرى والشيخ الاكبر وذرية الشيخ عبد القادر الجيلانى وغير هؤلاء ممن لا يخطرون ببالى الان من أئمة الهدى وأكابر الأوليـــاء رضى الله عنهم ونفعنا ببركاتهم شتمهم بافظع الشتم ووصفهم بأقبح الاوصـاف مما يستحى النصارى واليهود أن يصفوا أدنياء المسلمين فضلا عن أكابرهـــم بشىء منها ، وذلك فضلا عن ثنائه الثناء الجميل على ابن تيمية وجماعتـــه التابعين بدعته من الوهابية وغيرهم فاذا جمعت جميع ما ذكر ودققت فيـــه النظرتتحقق صحة شهرته بالجنون لان مجموع ذلك لا يصدر من عاقل وان كـان كافرا ، ومع كل ذلك فهو اذا صحت نسبته الطاهرة يسامحونه كلهم فى الاخرة .

(٢) سحقا أى بعدا ومن حنو هذه الارواح الخبيثة لبعضها ثناء شكرى أفنـدى الجميل عليهم وثناء شيخ المنار فى مناره على شكرى أفندى وعلى كتابه المذكـور الذى ذكره مرارا فى مناره ورغب الناس فى اقتنائه لطعنه فى أعدائه الاوليـاء الكرام وأئمة الاسلام وبالغ فى ذمى فسرنى ذلك لانى أحب انتشار عداوتنـــا الدينية ليحذرهم المسلمون وكل مسلم عاقل يرجح ذمه فى مناره على مدحـــه لانه يدل على سلامة دينـــه .

انتصاره للامام تقي الدين السبكي :

يقول الشيخ يوسف النبهاني " ..... وقد رد عليه – أي ابن تيمية – الامام السبكي فيما رد به على كتبه بأبيات مدح فيها كتابه "منهاج السنة" واعترض عليه ببعض بدعه فتصدى للتشنيع على السبكي بذلك والرد عليه شخصان من الحشوية من هم على عقيدة ابن تيمية أحدهما حنبلي والآخر فيما زعم شافعي ، أما الحنبلي فاسمه أبو المظفر يوسف بن محمد بن مسعود العبادي المقيلي السرمري نزيل دمشق الشام وأما الشافعي بزعمه فهو محمد بن يوسف اليمني اليافعي وذكر قصيدته نعمان أفندي الألوسي في " جلاء العينين " فقد نظم كل منهما في ذلك قصيدة طويلة في أكثر من مائة بيت فيها الهجر والبجر والتحامل على الامام السبكي بما لا ينبغي أن يصدر من مسلم فضلا عن عالم وهما مطبوعتان في آخر كتاب (منهاج السنة) وقد رأيت أن أنتصف منهما وأقابلهما بعملهما جاعلا محط نظري اثبات الحق ودحض الباطل وبيان المذهب الصحيح من المذهب العاطل ، فنظمت هذه القصيدة من البحر والقافية وأسأل الله لي ولهم ولجميع المسلمين العفو والعافية . وقد أثبت فيها استحالة الجهة على الله تعالى بدلائل ظاهرة باهرة وتعرضت لجواز الاستغاثة وشد الرحال لزيارته صلى الله على وسلم بما لا يأباه عقل ولا يمنعه نقل رادا على من يخالف ذلك والله أعلم بما هنالك " (١) .

وقد بلغت هذه القصيدة ثلاثة وخمسين بيتا ومائة بيت ضمنها خمسة عشر بيتا من قصيدة الامام السبكي للاستشهاد بها وهو في هذه القصيدة يناقش مسائل خلافية مستعملا الحجة والمنطق فجاءت القصيدة تقريرية بعيدة عن الخيال والتصور الذي هو روح الشعر وحياته . ومما قال في قصيدته هذه :–

الحمد لله حمدا أستمد به	لنصرة الحق كي أحظى بمطلبه
بك استعنت الهي عاجزا فأعن	أبغي رضاك فأسعفني بأطيبه
فان تعن ثعلبا يسطو على أسد	وتخذل الليث لا يقوى لثعلبه (٢)

---

(١) الديوان ص ٤٠٤ – ٤٠٥ .

(٢) كان الواجب : يسط ، لا يقو – بحذف الواو والالف جزما في جواب الشرط ، ولكنها ضرورة الشعر . د / سرحان

وانني عالم ضعفي ولا عمــــل ** هدى يفيد ولا علم أصول بـــه
ورأس مالي جاه المصطفى فيــه ** أدعوك يا رب أيدني له وبـــه
وارحم به علماء الدين قاطبـــة ** من أهل سنته ساه ومنتبـــه
لولاهم ما علمنا ما بعثت بـــه ** خير الورى وعجزنا عن تطلبـــه
منهم أبو الحسن السبكي ناصـــره ** سقاه غيث الرضا الهامي بصيبـه
ورب غر غوى ذمـــه حســـدا ** به غرور وقاح الوجه أصلبـــه
ساءت خلائقه ضلت طرائقـــه ** قد تاه بالتيه في تيهاء سبسبـه
فقال ما قال في السبكي من سفـه ** قبحا له من سفيه القول أكذبـــه
أوفي الجدال بغير الحق مختلقـــا ** ما شاء من كذب وهو الخليق بـــه
وقال مفتخرا بالزور مذهبنـــا ** ترك الجدال وتأنيب لطالبـــه
فانظر أكاذيبه واعجب لحالتـــه ** من التناقض هذا بعض أعجبـــه
يا أيها الجاحد الحق المبين أفـق ** قد طال نومك يا نومان فانتبـــه
أهلكت نفسك فارحمها وذر بدعــا ** بها بليت ودع قولا شقيت بـــه
لم تجعل المصطفى أهلا لزائـــره ** بشده الرحل أو من يستغيث بـــه
وكم رحلت الى أمر بـــه أرب ** من أمر دين ودنيا قد عنيت بـــه
وفي المساجد لاكل الامور أتـــى ** ذاك الحديث الذي قد ما سمعت به
والاستغاثة معناها تشفعنـــا ** به الى الله فيما نرتجيه بـــه
وما بذلك من بأس ومن حـــرج ** الا لدى ميت من لسعة الشبـــه
هو الحبيب فمن يا قوم يمنعـــه ** فضلا حباه اله العالمين بـــه
والله والله لولا الله يضلل مـــن ** يشاء من خلقه فيما يريد بـــه (١)
ما كان يوجد ذو عقل فيمنـــع ذا ** من أهل ملته أو يستريب بـــه (٢)

---

(١) فك الادغام في " يضلل " هنا غير جائز ، ولكن الشيخ يتساهل ، ويلجـــأ للضرورة كثيرا . د . سرحان

(٢) الديوان ٤٠٥ ـ ٤٠٧

ثم يناقش قضية التشبيه فيقـــول :

ها انت تزعم أن الله فى جهـــــة ** ولا تبالى بتشبيه ظلمت بـــه[1]
من أين جئت بذا ؟ هذا امامك لم ** يقله أحمد حاشا أن يقـــول بـــه
وسل أبا الفرج الجوزى تابعـــــه ** ينبيك بالحق فاطلـــم واعلن بــــه
وتزعم الله بالذات استقـــر علـــى ** عرش فتلحق أوصاف الحدوث بـــه
والتوسل لا ترضى وتمنعـــــه ** تقول ذلك فعل المشركيـــن بـــه
نزهت ربك عن شـــرك بزعمكـــه ** ولم تنزهه عن شِبْهٍ وعن شَبَـــه
لقد وقعت مـن الاشراك فى شـــرك ** من حيث شئت خلاصا منه بوئت بـــه
أما الطلاق ثلاثا فالمخالف فـــى ** وقوعه ساقط من نفس مذهبـــه[2]

وهكذا يستمر النبهانى رحمه الله فى ذكر مسائل الخلاف ومناقشتها بالدليل حينا وبالسخرية حينا آخر ، ثم تعرض للشيخ أبى المظفر السرمرى الحنبلى وللشيخ محمد بن يوسف اليمنى الشافعى حيث قيد أقوالهما بخصوص التوسل والزيارة والطلاق ثلاثا وعن الجهة فى حق الله تعالى وفى ختام القصيدة يشرح الشيخ النبهانى خلاصة رأيه وما يؤمن به فى ابن تيمية وجماعته ، وكعادته دائما يحسن الظن فى نية خصمه داعيا له بالتوبة والمغفرة فيقـــول :ـ

هذى عقيدتنا فى الله خالقنـــــا ** لم نخش لم نعتزل فيما ندين بـــه
ولا نكفرهـــم لكـــن نبدعهـــم ** فى الدين اذ أخطأوا فى بعض أضربه
اخواننا أسلموا لله واجتهــــدوا ** الحق شاءوا فضلوا فى تشعبـــه
مع كونهم من فحول العلم قد زلقـــوا ** ببعض ما دق فى الأذهان من شبه[3]

---

(١) ها أنت : خطأ ، والصواب : ها أنت ذا . د / سرحان
(٢) الديوان ص ٤٠٧ ــ ٤٠٨ .
(٣) زلق من بابى فرح ونصـــر . د . سرحان

ورب شخص ضعيف الفهم سيق الى ** صوب الصواب فلم يبرح يقول به
الأمر لله من يهديه نال هدى ** ومن أضل فقد حل الضلال به
ولم نخطئهم فى كل مسألة ** فكم كلام لهم فازوا بأصوبه
وفى الفروع وباقى الدين مذهبهم ** كغيرهم وافقوا الشرع الشريف به
وكتبهم فى سوى معنى عقائدهم ** بحور علم فرد منها لا عذبه
لكن اذا كنت لم تدرك دسائسهم ** دع ما يريبك تفلح فى تجنبه (١)
والله يرحمنا طرا فرحمته ** هى العماد لكل المؤمنين به (٢)

انتصاره للشيخ الأكبر محيى الدين بن العربى

كتب الشيخ النبهانى هذه القصيدة ردا على الامام ابن تيمية الذى عرض بالشيخ الاكبر فى كتابه " الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان " وجعله من أولياء الشيطان وفى هذه القصيدة يندد الشيخ النبهانى بمن يعادون الأولياء والصوفية لعدم فهم كلامهم ويرد ذلك الى عدم توفيق الله لهم وأن مفاتيح التصوف بيد العارفين من أوليائه ، وهم يعطون هذه المفاتيح لمن يختاره(٣) الله وهو ينصح المسلمين الذين لا يفهمون رموز الصوفية وكلام العارفين ألا يسيئوا الظن بهم بل يسلموا أمرهم ــ الصوفية ــ لله لأن هذا أسلم لهم ، والقصيدة بلغت واحدا وثلاثين بيتا قال فيها :

---

(١) كان الواجب : فدع .. بادخال الفاء على جواب الشرط لانه طلبى .. ولكن الضرورة تدفع دائما الى التساهل . د / سرحان .

(٢) الديوان ص ٤١٨ ــ ٤١٩ .

(٣) ولسان حاله يقول كما قال أحد العارفين على لسان الحضرة الالهية :

أيها المدبر عنا — ان ادبارك منا
لو أردناك جعلنا — كل ما فيك يردنا

تكررت ص ٥٦١

يا نسيما سرى الى قاسيونـــا (١) ** حى حبْرا بسفحه مدفونـــا

حى هى بالصالحيـة بحـرا ** ملأ الكون لؤلؤا مكنونـــا

حى هى شمسا هنالك صينت ** طبّق الشام نورها والصينــا

هى تحت الثرى بجلّق غابت (٢) ** وعلا نورها لحاليينـــا

ذلك الحاتمى مولاى محيى الديـن (٣) ** أكرم بـه اماما أمينـــا

فاز من فتح ربـه بعلـوم ** عرّفته الأكوان والتكوينـــا

كم حكى من علوم غيب بكشـف ** عن شهود لم يحكها تخمينـــا

كان فيها اليقيـن ظنا فلمـا ** جاءها صهر الظانون يقينـــا

رب قوم لم يعرفوه فعاشـوا (٤) ** عن سنا فضلـه المنيـر عمينـــا

مثل ناموسة تريـد لنور الشمس سترا ** عن أعين الناظرينـــا

كل فرد من كتبـه خيـر كنـز ** بين أهليه لا يـزال مصونـــا

فى فتوحاته الفتـوح فمنهـا ** كم ولى قد نال فتحا مبينـــا

---

(١) قاسيون اسم جبل فى دمشق الشام فيه قبر الشيخ محيى الدين بن العربى .

(٢) جلـق : دمشق الشام .

(٣) الحاتمى نسبة لجده حاتم الطائى .

(٤) السنا الضوء وهؤلاء القوم هم ابن تيمية ومن كان على شاكلته فقد ألف كتابـا سماه " الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان " ولشدة جهلـه بأولياء الرحمن جعل جماعة من أكابرهم الذين يفتخر بهم المسلمون والاسلام من أولياء الشيطان ومنهم سلطان العارفين الشيخ الاكبر سيدى محيى رضى الله عنه وعنهم أجمعين وقد قيض الشيطان من حزبه فرقة طبعوا هذا الكتاب وأمثاله من كتب ابن تيمية ليضلوا بها الناس ومن أشهرهم الضال المضل رشيد رضا صاحب جريدة المنار وعبد القادر التلمسانى ترجمان قنصل الانجليز فى جدة الذى اتفق مع جماعة من اخوانه رؤساء الوهابية على طبع ما خالـف مذهب أهل السنة والجماعة من كتب ابن تيمية وغيره من علمائهم لاجزاهم الله عن الاسلام والمسلمين خيـرا .

غير أن الأبواب فيها انغلاق ** ومفاتيحها هم العارفونا (١)
ان تكن عارفا فبادر اليها ** تلق فيها ما شئت دنيا ودينا
واذا جئتها بغير دليل ** عدت في شر صفقة مغبونا
ألف فن في كل سطر وزد ما ** شئت عدا فلست تحصى الفنونا
هي ليست تأليف فكر ولكن ** واردات للمتقين حبينا (٢)
أو ما جاء : واتقوا الله نصا ** فاتقوه يا أيها المنكرونا
هكذا كذبوا بما لم يحيطوا ** من قديم بعلمه الجاهلونا
أحمد الله أن حباني حبا ** واعتقادا في سادتي العارفينا (٣)

---

(١) العارفون أي : الأولياء العارفون بالله ، وهم من اهتدى بهديهم وشملته أنظارهم وأنوارهم يفهمون دقائق الفتوحات المكية وسواها من كتب سيدي محيي الدين بن العربي وغيره كسيدي عبد الكريم الجيلي من أئمة الصوفية ولا يقدر على فهم كتب أهل العرفان المشتملة على اسرارهم من لم يمدوه بأنوارهم فنصيحتي لك أيها المسلم ان أردت سلامة العقيدة أن تلازم أحكام الشريعة ان لم تكن من أهل الطريقة والحقيقة ويكفيك حسن الاعتقاد في هؤلاء الأفراد ، وسلم اليهم مالهم فالتسليم أسلم والله سبحانه وتعالى أعلم .

(٢) الواردات أي الالهامات من الله تعالى يلهمها المتقين قال الله تعالى " واتقوا الله ويعلمكم الله " والصوفية هم أتقى الناس وحبينا : أعطينا .

(٣) حباني ـ اعطاني ـ وسيد العارفين هو سيدي محيي الدين فقد اتفق الصوفية من عصره الى الان وغيرهم من أخيار الأمة على اطلاق لفظ الشيخ الاكبر وسلطان العارفين عليه .

رضى اللـه والنبى وأهـل الحـق عنهم ومن بهـم يقتدونـا
فاعتراضى من بعد هذا عليهـم ** ليس يرضى بفعلـه المؤمنونـا
فاقصدوهم ولو بشد رحـال ** وارتحال يا أيهـا الزائرونـا
واستغيثوا بهم الى اللـه وادعـوا ** ودعوا الفاسقيـن والمارقينـا
فهم خيـر معشـر عرفـوا اللـه وكانوا لخلقـه مرشدينـا
وعليكم بقصد تربـة محيـى الديـن تلقوا منى وتكفوا منونـا[1]
كان ختما للاوليـاء تبيـعـا ** بهداه لخاتم المرسلينـا[2]
سيد الخلق صفوة الحـق من كـل البرايا ورحمة العالمينـا
أفضل الأنبياء والرسـل والأمـلاك طرا ممدهـم أجمعينـا
من رضـاه فيـه رضا اللـن والسخـط لسخط الاله دام قرينـا
فعليه يا رب صـل وسلـم ** واغفر ها واغفر لنـا آمينـا[3]

هذه أهم القصائد التى ظهر فيها كفاح الشيخ يوسف النبهانى مـع خصومه مباشرة ولكن من يتصفح ديوان شعر الشيخ النبهانى لا يجد فيه قصيدة واحدة فى غير مدح الرسول والذات الالهية وبيان محاسن الاسلام .

وبالرجوع الى أحوال عصره الثقافية والسياسية من نشاط الحركات الثقافية الأجنبية التى اتخذت من النشاط الدينى مظهرا لها ومن تغلب الدول الأجنبية على دولة الخلافة العثمانية ... الذى أدى الى كثرة الامتيازات التى حصل عليها غير المسلمين من الرعايا العثمانيين تتضح أمامنا الرؤية لتقويم هدف الشيخ

---

(١) المنون الموت والمراد هنا المصائب الشبيهة بالموت .

(٢) الختمية درجة عالية للولاية نالها الشيخ الاكبر وينالها من قدرها الله له من بعده من أكابر الأولياء الى هذا الزمان كما ذكر ذلك سيدى السيد احمد القشاشى المدنى ونقله عنه المحبى فى خلاصة الاثر .

(٣) الديوان ص ٤١٩ ــ ٤٢٢ .

النبهانى من قصر شعره على شخصية الرسول والذات الالهية ومحاسن الاسلام وكأنه يذكر المسلمين بأن هذا هو البديل الصحيح لكل ما يشاهدونه من مظاهر الغلبة الثقافية والسياسية لغير المسلمين .

والشيخ النبهانى – رحمه الله – الذى يقصر ديوانه على أغراض دينية فقط فى عصر بدأ الناس فيه يتشككون فى صلاحية الاديان وجدواها فى الحياة المصرية بمافيها من جديد يلفت الانظار الى أن من يكون هذا شأنه لا شك فى صدق نيته واخلاصه وفى الاعتداد به رائدا للشعر الاسلامى فى العصر الحديث وللمدائح النبوية .

الشيخ النبهانى لم يدع مناسبة الا وأعاد القول فيها حول مدرسة الأفغانى أو الوهابية أو دعاة التجديد .

فهو – بعد أن ذكر رؤيا منامية رأى فيها الامام ابن تيمية وفسرها له صهره السيد محمد صادق الجبالى التونسى وافقت ما كان خطر للشيخ النبهانى فى تفسيرها – قال :

فان ابن تيمية – رحمه الله تعالى – هو من أكابر الصالحين لولا بدعه الشديدة التى أضرت بالاسلام والمسلمين وقد كادت تهلكه وأهلكت بعده كثيرين كفرقة الوهابية ومن تبعهم من الفاسقين والمارقين وهم جماعة محمد عبده المصرى وشيخه جمال الدين ، وكل قوم منهم زادوا فى ضلالهم على أئمتهم السابقين فقد كان ابن تيمية وتلامذته كابن القيم وابن عبد الهادى يضللون المستغيثين بالنبى صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء وتبعته فرقة الوهابية على ذلك وتبعوا أمامهم ابن تيمية فى تحريم السفر لزيارته صلى الله عليه وسلم وزيارة غيره من الأنبياء والأولياء وفى اعتقاد الجهة من جانب الله تعالى وتقدس عن أن تحصره الجهات أو تسعه جميع المخلوقات فى الارضين والسماوات وسائر العوالم الممتدة فى كل جهة من الجهات الست بلا نهايات فالله سبحانه خالقها جميعها وهى حادثة وهو قديم موجود قبلها بلا أوليات ، ومع اعتقاد الوهابية هذه الاعتقادات الفاسدات هم حريصون على ديانتهم بحسب عقائدهم محافظون على

الصلوات وسائر الفرائض والطاعات ولم يدعو الاجتهاد ولكنهم حنابلة مقلدون مذهب الامام أحمد فى عباداتهم ومعاملاتهم ، فجاء محمد عبده المصرى وطائفته الذين سموا أنفسهم المصلحين لدين الاسلام فتبعوا الوهابية بكل ما خالفوا فيه أهل السنة والجماعة من أهل المذاهب الاربعة ولا سيما فى مسألة الزيارة والاستغاثة والاستهانة بقدر الأنبياء والأولياء بعد الموت بحيث جعلوهم بعد الموت مثل عوام المسلمين بلا فرق حيث لا يمكن أن يحصل منهم وسببهم خير أو شر لأحد وزادوا على الوهابية المروق من الدين والجراءة على موالاة الكافرين وكثرة التلاعب بحسب أغراضهم فى الأحكام ، وقد تركوا أركان الاسلام من الحج والصلاة والزكاة والصيام وتهتكوا بشرب الخمور وارتكاب أنواع الفسوق والفجور وسائر الآثام ، وجعلوا أنفسهم مشرعين فى دين الاسلام فأفتوا بحسب أهوائهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام وادعوا الاجتهاد المطلق وحرضوا على دعواه العوام وصار كل واحد منهم فى زعمه من جملة أئمة الاسلام ولموافقتهم الوهابية بضلالاتهم صار الناس يقولون انهم وهابية وهم شر منهم لمروقهم من الدين مروق السهام والوهابية لا زالوا متشرعين بشرائع الاسلام (١) .

وعن السيد رشيد رضا يقول فى المبشرة الستين :

رأيت فى منامى منذ سنتين الشيخ رشيد رضا القلمونى صاحب مجلة المنار التى تطبع فى مصر وهو تلميذ الشيخ محمد عبده المصرى تلميذ جمال الدين الأفغانى — وكلهم ومن سار بسيرهم من شرار أهل البدع فى هذا العصر بل هم شرهم وأضرهم بعقائد المسلمين وأشدهم عداوة لسيد المرسلين ودينه المبين فى هذا العصر وجريدة المنار هذه هى التى تنشر بدعهم وتبث خبائثهم

---

(١) البشائر الايمانية فى المبشرات المنامية ص ٢٧ — ٢٨ .

ويلاحظ هذه الاتهامات العنيفة التى تنزل الى مستوى قد لا يليق فى الجدل بين العلماء . د /سرحان

فى سائر الأقطار وقد حصل على بعض جهلة المسلمين فى عقائدهم منها اضرارا وأى أضرارا — رأيته فى منامى أى الشيخ رشيد رضا هذا فى صورة العبد الأسود ولكنه كان حبشى اللون ، ولم يصل الى سواد الزنوج وعرفت من منامى ان ذلك من غضب الله عليه — لأن لونه الحقيقى أبيض — وأن سبب هذا الغضب هو جريدة المنار هذه .. أدركت ذلك فى منامى وأنا جالس معه فنصحته حينئذ بقولى له : أن ما تكتبه من مجلة المنار تقدر أن تكتبه بجريدة اخبارية وتترك هذه فلم يجبنى بشئ ثم استيقظت وحضر الى بيروت منذ سنتين — بعد الرؤيا بسنوات — فجاء الى محكمتى محكمة الحقوق وذاكرته فى شؤون شيخه الشيخ محمد عبده وأخبرته بهذه الرؤيا لعله يتعظ فلم تؤثر فيه شيئا [1] .

وتحت عنوان " خاتمة فى ذكر هؤلاء الأشرار وملائمة من لم يرد عليهم من علماء الأزهر الأخيار " تحت هذا العنوان العريض يذكر لنا الشيخ النبهانى بعض ما كان يجرى فى مناقشات بينه وبين السيد رشيد رضا والشيخ محمد عبده فيقول :

" لما اجتمعت بالشيخ رشيد رضا ذاكرته فى شأن شيخه الشيخ محمد عبده فقلت له فى شأنه : انكم تتخذونه قدوة فى دينكم وتدعون الناس الى ذلك ، وهذا غير صواب ، فانه لم يكن

---

(١) المصدر السابق ص ٣٤ .

محافظا على الفرائض الدينية فلا يصح أن يكون قدوة فى الدين فمن المعلوم المسلم أنه كان يترك كثيرا من الصلوات بلا عذر وأنا نفسى رافقته من وقت الضحى الى قبيل المغرب عند رجل كان دعانا فى جبل لبنان فلم يصل الظهر ولا العصر ولم يكن له عذر بل كان بكمال الصحة ورآنى صليت الظهر والعصر (١) ولم يصلهما ، فسلم الشيخ رشيد رضا بتركه لبعض الصلوات ، وقال فى الجواب عنه : لعل مذهبه يجوز الجمع فى الحضر فتعجبت من هذا الجواب لأن الجمع انما يجوز فى السفر والمطر والمرض عند بعض الأئمة بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء كما صح عنه صلى الله عليه وسلم ذلك ، ولم يقل أحد : ان الظهر والعصر يجمعان مع المغرب والعشاء حتى نحتمل صحة هذا الجواب ولو جدلا قلت له وأيضا كان تاركا للحج الى بيت الله الحرام مع الاستطاعة وتلك الاستطاعة التى كان مالكاً لها من القوة الجسمية والمالية كان يحج الى باريز ولندرة وغيرهما من بلاد أوروبة وغيرها مرارا كثيرة ولم يخطر له أن يكون سفره مرة واحدة للحج مع قرب الديار فلا شك أنه آثم بذلك أشد الاثم وتارك لركن من أركان الاسلام .. ثم قلت له ومما لا يختلف فيه اثنان انه كان هو وشيخه الشيخ جمال الدين الأفغانى داخلين فى الجمعية الماسونية (٢) وهى لا تجمع مع الدين بوجه من الوجوه بل هى ترفض الأديان كلها وهى ضد السلطات

---

(١) فى "تاريخ الاستاذ الامام" للسيد رشيد رضا – ندد المؤلف بمن يأخذون على الاستاذ الامام جمعه بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء وجوز ذلك فقهيا .. عاما بأن الامام ابن تيمية لا يجيز الصلاة فى غير وقتها ولو قضاء اذا فاتت بلا عذر شرعى ، وهى من المسائل التى اخذت لمخالفته فيها الاجماع .

(٢) يقول الاستاذ سليم بك العنحورى – عن جمال الدين – : وفى خلال عام ١٨٧٨ زاد مركزه خطرا فى البلاد وسما مقامه لأنه تدخل فى السياسات وتولى رياسة جمعية (الماسون) العربية وصار له أصدقاء وأولياء من أصحاب المناصب العالية ... وكثر سواد الذين يخدمون افكاره ويعلون بين الناس مناره من أرباب الأقلام من مثل الشيخ محمد عبده وابراهيم اللقانى وعلى بك مظهر والشاعر الزرقانى وأبى الوفاء القونى فى مصر ، وسليم النقاش

....

وأديب اسحق وعبد الله نديم فى الاسكندرية فتغيرت ثم لهجته فى أحاديثه وأخذ يقرب منه الصواب" (١) .

وفى نقاش جرى بين السيد رشيد رضا والشيخ محمد عبده حول الماسونية يقول السيد رشيد رضا وقد ظهر لى أن طريقتهم البهائية أحكم من الطريقة الماسونية . فان هؤلاء الماسون رأوا أن من الحكمة ألا يفرقوا بين الأديان فى الدخول فى جمعيتهم بدعوى أنها لا تمس الأديان وان كانت غايتها هدم جميع الأديان وأما البهائية فيقولون بصحة كل دين فى نفسه ويستدلون به على دينهم الناسخ لما قبله" (٢) .

وقد دافع الدكتور محمد على الزغبى عن ماسونية الأفغانى ومحمد عبده فقال ـ نقلا عن كتاب" خاطرات جمال الدين الأفغانى " ـ ما نصه: " أول ماشوقنى للانضمام شعار كبير يدعو للحرية والمساواة ويذل الجهد فى سبيل مثل أعلى ولكننى أرى جراثيم الأثرة وحب الرياسة وانسياق الجماعات الى العمل ارضاء للشهوات وجلبا للمنافع متفشية بين أعضائها .

انضم جمال الدين للمحفل الاسكوتلاندى وما كاد يسمع كلمة "لا نتداخل بالسياسة" حتى انفجر قائلا" اذا لم تتداخل الماسونية فى السياسة

---

(١) سحر هاروت ص ١٨٢ .

(٢) تاريخ الاستاذ الامام (١ : ٩٣٦) .

(=) وراجع British Encyclopidia Volume 9, 1965 p. 840-844.

راجع أيضا كتاب "هذه هى الماسونية " تأليف د . فورسنيه ترجمة دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٥٥ م . وعن ماسونية اللورد كرومر صديق الشيخ محمد عبده والذى سعى للعفو عنه من المنفى (راجع "حقيقة الماسونية للدكتور محمد على الزغبى ص ٢٨٣ـ٢٨٥ .

....

فلا حملت يد الأحرار مطرقة ولا قامت لبنايتها زاوية .(١)

---

(١) "الماسونية في العراء" ص ١٦٠ وراجع أيضا الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني ص ٥٢١-٥٢٢ ، وقد سجلت مجلة المقتطف وقائع وأخبارا عن الماسونية في أعداد مختلفة ولزيادة الاطلاع على الماسونية وأهدافها رجع :

١ - القانون الأساسي للمحفل الأكبر المصري لعشيرة البنائين الأحرار القدماء المقبولين مطبعة طه ابراهيم ويوسف برلاوي بمصر سنة ١٩٢١ .

٢ - القانون العمومي للمحفل الأكبر الأسكوتلاندي العامل بطريقة البنائين الأحرار القديمة المقبولة .. عربه عن النسخة الانجليزية المطبوعة سنة ١٩٢٣ جورج أشقر وديع حنا بأمر محفل السلام رقم ٩٠٨ مطبعة مجلة المعارف بيروت ١٩٢٦م .

٣- "تاريخ الماسونية القديمة وآثارها" تأليف شاهين مكاريوس ملتزم النشر بمكتبة الهلال - مصر .

٤- البناؤون للاستاذ حنين قطامي بيروت شارع باستور .

٥- "فضائل الماسونية" شاهين مكاريوس مطبعة المقتطف بمصر سنة ١٨٩٩ .

٦- "البناية الحرة" "خطوات عن الماسونية" للدكتور أحمد زكي أبي شادي ، المطبعة السلفية مصر .

٧- الماسونية دين فينيقي "جان أبو نعوم" .. مكان وتاريخ الطبع غير موجودين .

٨- رسوم البناية الحرة تعريب شكري فاخوري مطبعة البلاغ طرابلس الشام ١٩٢٣ .

٩- تبديد الظلام أو أصل الماسونية ترجمة عوض خوري مطبعة الاجتهاد ١٩٢٩ . بيروت .

....

ولقد كنت أود أن أذكر الكثير من المعلومات عن الماسونية كما وردت في هذه المراجع ولكن خوفا من الاستطراد أحيل القارئ اليها ولكن أود أن أذكر أن المادة الأولى من القانون الأساسي للماسونية الذي وضعه المجمع الماسوني في مدينة يورك بانكلترة عام ٩٢٦ م وحضره جميع رؤساء المحافل المعروفة في ذلك الوقت برياسة البرنس ادفان ادلستور — حفيد الفرد الأكبر أشهر ملوك سكونيا — ونظروا في بقايا الأوراق والشرائع مع الماسونية القديمة التي حفظت عندهم واستخلصوا منها المواد الآتية وجعلوها أساسا لجميع المحافل وهي بنصها منقولة عن أصلها الافرنجي وهي : يجب عليك أيها الماسوني أن تكرم الله وتعبده باخلاص متبعا شرائع نوح لأنها شرائع الهية يجب على كل امرئ الرضوخ لها والاذعان لما تأمرنا به فلهذا يجب عليك ألا تتبع شرائع فاسدة وتعاليم كاذبة فلا تأثم نحو الله (١) .

وقد جاء في بعض كتبها ما نصه " ان بلاد كنعان هي رقعة الأرض الممتدة في سواحل البحر الأبيض المتوسط أو البحر الكبير كما كان يسميه السومريون مرورا ببادية الشام حتى ما بين النهرين فقوس الرمال حتى البحر الأحمر ومن تخوم آشور في الشمال حتى أواخر رملة في سيناء هذه هي بلاد الكنعانيين منذ البدء " (٢) .

وهل تنادى اسرائيل بغير هذا ؟ !!!

---

١٠ — الحقائق الأصلية في تاريخ الماسونية شاهين بك مكاريوس طبع في مطبعة المقتطف بمصر .

١١ — الماسونية في العراء الدكتور محمد على الزغبي دار معتوق للطباعة والنشر سنة ١٩٧٠ م .

١٢ — حقيقة الماسونية للدكتور محمد الزغبي دار معتوق للطباعة والنشر سنة ١٩٧٤ م .

١٣ — مقال كبير للاستاذ وهبي سليمان الألباني مجلة صوت الاسلام لسان حال شباب سيدنا محمد العدد ١٠٠ الخميس ٢٠ محرم ١٣٨٠ هـ .

(١) راجع " الحقائق الأصلية في تاريخ الماسونية " ص ٤١ .

(٢) راجع كتاب " الماسونية دين فينيقي ص ١٦ .

كلها الدينية وغيرها فكيف يمكن أن يكون قدوة فى دين الاسلام مع كونه ماسونيا وكذلك شيخه ؟ !! .

فقال رشيد : نعم .. هما داخلان فى الماسونية ولكن أنا لم أدخل فيها .

قلت : فلو قلتم ان الشيخ محمد عبده هو فيلسوف الاسلام بمنزلة ابن سينا والفارابى لسلمنا لكم ذلك وان كان خلاف الحقيقة لانه لا ضرر فيه علينا ولا على ديننا ، أما أن يكون من أفسق الفساق بتركه أركان الاسلام ومع ذلك تقولون عنه انه فى دين الاسلام ، امام : فهذا شىء منكر لا يقبله أحد من ذوى الأحلام .

فقال : الشيخ رشيد رضا نحن لا نعده مثل ابن سينا ولكن نعده مثل الامام الغزالى .

فانظر رحمك الله لهذا الضلال وهذه المكابرة فانه يسلم أنه كان تاركا للصلاة والحج وأنه كان ماسونيا ويقول انه مثل الغزالى .

والحقيقة أن كل واحد من هذه الفرقة الضالة يعتقد نفسه أجل من الغزالى لأنهم يدعون الاجتهاد المطلق صغيرهم وكبيرهم والامام الغزالى لم يدع الاجتهاد المطلق بل صرح فى الاحياء بعدم وجود المجتهد المطلق فى عصره بقوله : " كما هو حكم جميع أهل العصر " ، وكذلك الفخر الرازى صرح بذلك وغيرهما من الأئمة الاعلام قرروا ذلك .

وهؤلاء الجهال كل واحد منهم يعد نفسه بمنزلة الأئمة الأربعة رضى الله عنهم وقد رسخ هذا الضلال فى نفوسهم الخبيثة فليس للموعظة فيهم أدنى تأثير وهم يجتهدون فى أن يكون كل الناس على شاكلتهم ضالين مضلين ومع هذا الفساد العظيم يزعمون أنهم هم مصلحون لهذا الدين المبين ولا شك أنهم من جملة الذين شملهم قوله تعالى : فى أوائل سورة البقرة : " واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا انما نحن مصلحون ، ألا انهم هم المفسدون لكن لا يشعرون " (١).

---

(١) البشائر الايمانية ص ٣٤ـ٣٦ .

الشيخ النبهاني يستعدى علماء الأزهر على السيد رشيد رضا ومناره :

يقول الشيخ يوسف النبهاني - أيضاً - : وقد اجتمعت بالاستاذ الأكبر الشيخ سليم البشرى شيخ الجامع الأزهر في مجلسه بالرواق العباسي ومجلسه غاص بالعلماء الأعلام حماة الاسلام فأخذ بعضهم في ذم مجلة المنار وصاحبها رشيد رضا ومؤسسها شيخه الشيخ محمد عبده، فاتفقوا على أنها مجلة ضلال وأنهما ضالان ومضلان وسمعت مثل ذلك من مفتي مصر العلامة الشيخ بكري الصدفي وغيره من أهل العلم والدين بل سمعت من الثقات أن كثيرا منهم كانوا يكفرون الشيخ محمد عبده في حياته وبعد مماته ومنهم شيخ الجامع والمفتي المذكوران ومن علماء الأزهر العلامة الفقيه النبيه الشيخ بخيت المطيعي مفتي الاسكندرية وقد سمعته مرارا يضلل الشيخ محمد عبده وتلميذه صاحب المنار . كما سمعت ذلك من كل من اجتمعت عليهم من علماء الأزهر .

نعم عليهم جميعا مني ومن كل المسلمين أشد الملام لوجودهم في مصر التي تصدر فيها مجلة المنار (١) وتنشر أقبح الضلال في سائر الأقطار - وصاحبها يتبجح بأن علماء الازهر يخافون من شره . وهم على ذلك سكوت والسكوت في بعض المواضع اقرار فكيف قبلتم ياجهابذة الأزهر على أنفسكم هذا العار ؟ أما ترون أنفسكم مكلفين بانكار هذا المنكر واشهار هذا الانكار شفقة على عوام المسلمين الذين ضل كثير منهم وجرى مع ذلك التيار . ولتثبتوا للناس في الأقطار البعيدة والقريبة أن علماء مصر مازالوا على عقيدة أهل السنة ومذاهب الأئمة الأخيار فبسكوتكم كل هذه السنين يخشى أن الناس في الديار البعيدة يسيئون الظنون بعقائدكم الصحيحة التي ما عليها غبار .

والحاصل أن سكوتكم على هذه الحالة السيئة هو عار عليكم أكبر العار .. فضلا عن الاثم العظيم الذي كلكم فيه مشتركون وذلك من أعظم المصائب وانا لله وانا اليه راجعون (٢) ثم أخذ الشيخ النبهاني يعدد العلماء الذين لهم مواقفه

---

(١) لعل في قصد الشيخ النبهاني من مجلة المنار ما كتبه السيد رشيد رضا من جواز وقوع الذنب من الرسل راجع المنار ج ٣ م ١٣٤٩٣١ ص ١٦٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٥-٣٦ وقد أشار الشيخ مصطفى صبري الى تهاون علماء مصر ازاء دعوة الأفغاني " ... يدل على رجحان استانبول بعلماء

عدائية مع الشيخ محمد عبده وتلميذه رشيد رضا " فذكر العلامة الفاضل الشيخ يوسف البدرشومى " الذى كشف بعض الستار عن علماء الجامع الأزهر حيث تصدى للرد على الشيخ محمد عبده فى بعض نزغاته الشيطانية التى خالف بها جميع مذاهب الملة الاسلامية وهى فتاويه التى أفتى فيها بتحليل الربا وأكل المنخنقة ولبس البرنيطة المختصة بالكفار وغير ذلك مما أجمع المسلمون على تحريمه وصار ذلك من الأشياء المعلومة من الدين بالضرورة فألف الشيخ يوسف المذكور مؤلفا فى رد ذلك سلك فيه أوضح المسالك وقد اجتمعت به هذه المرة فى مصر وشكرته على ذلك وأخبرنى حفظه الله بأنه ألف كتابا حافلا فى رد ضلالاتهم وأنه سيطبعه جزاه الله خيرا .

وكذلك كنت كثيراً ما أزور العلامة الأوحد سعادة أحمد بك الحسينى لسبق صداقة بينى وبينه بالمكاتبة فرأيت عنده من الاكرام والرعاية والاحترام مالا يقوم عنى بمكافأته عليه الا الله تعالى ، وقد دعانى الى بيته فى حلوان مرارا وأخذنى معه

= دينها الراسخين فى مبادئهم السلموية أمران :

الأول أن الشيخ جمال الدين الأفغانى لم يستطع أن يسحرهم برسالته التى أنجحها فى مصر فخرج من بين علمائها من يشد أزره ويشترك فى أمره ثم يؤدى دورا هاما فى هدم الأزهر بزحزحته عن نهجة القديم .

والأمر الثانى أن وباء الماسونية لم يجد بيئة صالحة للانتشار بين رجال الدين فى الأستانة كما وجدها بين أقطاب الأزهر وهذا على الرغم من أن مصر كانت فى الماضى البعيد مركزا كبيرا للعلوم الاسلامية قبل دخول الاسلام فى استانبول " موقف العقل والعلم والعالم جـ ١ ص ١٤٤ .(١)

---

(١) هذا كلام غير مقبول لأنه غير صحيح ، والمؤكد أن ظروفا خاصة هى التى أملت هذا الكلام ، والا فأين علماء الأستانة يوم أن ضيعت الماسونية اليهودية نظام الخلافة فى تركية بل والاسلام أيضا . د / سرحان

الى عزبته الواقعة قرب المحلة الكبرى وبقينا نحو خمسة عشر يوما على ما يعجز اللسان والقلم عن وصفه من مكارم أخلاقه الدالة على شرفه الحقيقي وأصالة أعراقه ، كان بيته في مصر قرب المحكمة الشرعية القديمة في جوار المشهد الحسيني — مجمع الأفاضل والعلماء من أهل المذاهب الأربعة حيث يجتمعون عنده ، فيكرمهم غاية الاكرام ويخدمهم عند الاقتضاء بنفسه الكريمة مع ما اتصف به من غزارة العلم وعلو المقام .

ومن أجلهم الأستاذ الكبير العلامة الشهير المحقق النحرير ، الشيخ سعيد الموجي الشافعي أحد أكابر المدرسين في الجامع الأزهر وعلمائه الأعلام ... كان هو والعلامة أحمد بك الحسيني وجميع العلماء الذين يحضرون مجلسه من أهل المذاهب الأربعة متفقين على تضليل الشيخ محمد عبده ورشيد رضا والأفغاني وكل من كان على شاكلتهم ممن يدعون الاجتهاد المطلق وهم أضل من الأنعام .

وقد ذكر لي سعادة حسن باشا مدكور — أحد أعيان مصر وأعضاء مجلس الأوقاف الكبير الذين يفتخر بهم العصر والمشهورين بالديانة والأمانة — من عجائب ضلالات الشيخ محمد عبده التي لا يتجاسر عليها أحد سواه جملة غرائب خالف بها دين الاسلام ، ومن أغربها أنه أراد وهو مفتي مصر لمن يخرق خرقا عظيما في الدين يقترب به الى الكافرين فاجتهد وسعى سعيا حثيثا بكل ما قدر عليه لمنع المسلمين عموما في القطر المصري من الحج الى بيت الله الحرام في ذلك العام فأبدى رأيه وبذل أقصى ماوسعه حتى استحصل على موافقة بعض أعضاء المجلس وكاد الأمر يتم على ما أراد ، قال فلما رأيت ذلك وخفت من تمام هذا الأمر الشنيع الذي ليس أشنع منه قاومته بكل ما قدرت عليه ووافقني على ذلك أكثر الأعضاء فدفعنا هذا البلاء عن المسلمين والحمد لله رب العالمين فخرج من المجلس وهو في غاية الغيظ ، حيث لم يدرك في الشر مناه ولا حول ولا قوة الا بالله .

وذكر العلامة الفقيه الشيخ عبد الرحمن عليش قاضي المحكمة الشرعية وآل بيته الكرام فقال : — ومن اجل من رأيت منهم العناية التامة بأمري حتى استحقوا من كل الوجوه دوام حمدي وشكري أسرة الامام الكبير الولي الشهير صاحب المؤلفات السائرة والأنفاس الطاهرة سيدنا الشيخ محمد عليش الكبير — رضي الله عنه وعنهم ونفعنا والمسلمين ببركاتهم في الدنيا والآخرة — فانهم بسبب انتسابي لخدمة جدهم الأعظم صلى الله عليه وسلم أكرموني ودعوني الى منازلهم مرارا وهم الاستاذ الجليل

الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ عليش الكبير والعالم العامل السيد الشريف الشيخ محمد حسن صهر الشيخ الكبير وزوج ابنته وابن اخيه وابنه الأستاذ العلامة الفقيه النبيه صاحب الهمة العلية والأخلاق المرضية التي قلما رأيتها في أحد سواه وهو سبط الشيخ عليش الكبير ابن ابنته أحد قضاة المحكمة الشرعية في مصر المنصف بالعفة التامة والعدل التام ومعرفة القضايا والأحكام ومحاسن الأخلاق مع الخاص والعام ، وهو مع ذلك يقرأ في الأزهر الدروس ويطيب بتحقيقاته النفوس وكنت اجتمعت به في بيروت من نحو عشرين سنة وأكرمته ودعوته الى منزلي ثم في العام الماضي اجتمعت به في حيفة عائدا من زيارة جده الأعظم صلى الله عليه وسلم فلما اجتمعنا في مصر في هذا العام رأيت منه ومن سائر أفراد أسرته الكريمة غاية الاكرام وأخبرني حفظه الله أنه منذ سنوات نذر أن يزور النبي صلى الله عليه وسلم في كل عام — وهو جار على ذلك من عدة أعوام — وأنه رآه صلى الله عليه وسلم وهو عنه راض جملة مرات في المنام ومنها مرة وجه للزيارة في سكة الحديد فلما وصل الى تبوك رآه صلى الله عليه وسلم قد حضر من المدينة المنورة — لاستقباله فأكرمه غاية الاكرام قال لي حفظه الله وكنت في حياة الشيخ محمد عبده قد حصل بيني وبينه شيء من المودة والعلاقة ، ولأسباب دنيوية ، فرأيته صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يقول لي : لا أحب علاقتك مع محمد عبده ، فانتبهت من النوم وقد نزع الله من قلبي تلك العلاقة جملة واحدة والحمد لله رب العالمين " .

واعلم أيها الواقف على كلامي في هؤلاء الخاسرين من أعداء الدين أنه لاعداء بيني وبين أحد من هؤلاء يحملني على الحط منهم والتنديد بهم بل كانت بيني وبين بعضهم صحبة ومودة قبل اشتهارهم بهذا الضلال ، وكذلك شيخهم وأصل ضلالهم جمال الدين الأفغاني فاني كنت عرفته في مصر وكنت أزوره وأرى منه القبول والاقبال — الى أن ظهر لي أمره فهجرته مرة واحدة لفساد عقيدته وسوء سيرته ، ثم اني بعد أن توظفت في رياسة محكمة حقوق ببيروت سنة ١٣٠٥ هـ كان الشيخ محمد عبده مقيما فيها وصار يزورني في أكثر الأيام وأكرمه وأحترمه ويتناول معي الطعام بدعوة وبدون دعوة لما صار بيننا من المودة حتى انه استعار من عندي كتاب "الكامل" للمبرد ولم يرده ، والظاهر أنه استحل ذلك باجتهاده ، فبئس الامام ولما كنت في العام الماضي في مصر اجتمعت بصديقه وجاره في بلدة عين شمس القريبة من مصر واسمه الشيخ محمد أمين وهو رجل عالم ليس في عقيدته

شائبة وانما كان يجتمع عليه كثيرا بمناسبة الجوار قال لي سألته عنك فأثنى عليك الثناء الجميل الا أنه قال شغل نفسه بكتب الصلوات هذا هو الوصف الذى اعتقد أنه من عيوبى ، وهو اشتغالى بتأليف الكتب فى فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وترغيب الناس فيها .

وللشيخ محمد أمين هذا صديقان فاضلان اجتمعت بهما بعد ، فأخبرانى بقضية غريبة سمعاها من الشيخ محمد عبده حينما اجتمعا به فى دار الشيخ أمين هذا فى عين شمس منذ سنوات بعد أن ذكر الشيخ النبهانى زيارته للصعيد حيث زار ضريح الشيخ محمد الفرغلى ثم زار ضريح الشيخ أبى شرقاوى ببلدة دير سمادة ثم زار ضريح الشيخ عبد الرحيم القناوى فى قنا ثم زار ضريح أبى الحجاج الاقصرى فى الاقصر ، وقد أخبرنى الشيخ يوسف والشيخ أبو الوفا ، العالمان المذكوران كل واحد منهما بانفراد ، أنه سمع من الشيخ محمد عبده ، أنه ينكر وجود سيدنا أحمد البدوى رضى الله عنه (1) وأن هذا السيد البدوى الذى يعتقده المسلمون اسم بلا جسم ولا وجود له أصلا — قال لي الشيخ يوسف : وكنت قادما من زيارة السيد البدوى فنزلت ضيفا فى عين شمس عند الشيخ محمد أمين فرأيت عنده جماعة من جملتهم الشيخ محمد عبده ، فلما علم أنى قادم من زيارة السيد البدوى قال لي : مثلك يا شيخ يوسف يعتقد بوجود السيد البدوى — ينفى وجوده رضى الله عنه بالكلية فانظر الى ضلال هذا الملحد وعداوته للدين وأئمة المسلمين وأشهر مشاهير أولياء الله العارفين الى أى درجة بلغت فى المكابرة ونفى اليقين حتى أنكر المحسوسات والمتواترات التى لا يشك فيها احد من الكافرين ، فضلا عن المسلمين والحمد لله الذى عافانا من هذا الضلال المبين وأحمده سبحانه وتعالى على ما أنعم به على من حسن الاعتقاد فى جميع أوليائه الأحياء منهم والأموات ولاسيما المشهورين بالولاية فى جميع الأعصار والجهات كسيدنا ومولانا السيد أحمد البدوى صاحب الأسرار الظاهرة والأنوار الباهرة والمناقب السافرة والكرامات المتواترة رضى الله عنه ونفعنا

---

(1) وهما من أكابر العلماء الذين احتفوا بالشيخ النبهانى أثناء زيارته هذه وأكرموه غاية الاكرام ذكرهما اثناء تفصيل زيارته وما لاقاه من الاكرام والاحترام راجع التفصيل ص ٤٠ من البشائر الايمانية .

ببركاته فى الدنيا والآخرة ، فقد أجمعت الأمة المحمدية على ولايته الكبرى فى جميع الآفاق على الرغم من ذلك الخبيث وأمثاله من أهل الضلال والنفاق والمعروفين بفساد العقائد وسوء الأخلاق . (١)

وللشيخ يوسف النبهانى أيضا كتاب مهم دخل فيه المعركة مع الوهابية وغيرهم ممن يؤيدون مذهبهم من أوسع أبوابها اسمه " شواهد الحق فى الاستغاثة بسيد الخلق صلى الله عليه وسلم " وقد طبع الكتاب ثلاث طبعات كانت أخيرتها عام ١٩٦٥ طبع مصطفى البابى الحلبى والكتاب يعد انتصارا للامام تقى الدين السبكى فى رده على الامام ابن تيمية لتحريمه زيارة قبر الرسول والاستغاثة وفى هذا الكتاب تظهر مقدرة الشيخ النبهانى فى التأليف من ذكر الأدلة ومناقشتها مع حسن ظنه المطلق فى خصومه وأنه اذ يرد عليهم لا ينتقص من مقدرتهم العلمية أو من دينهم وانما يرد عليهم فيما أخطأوا فيه من أمور الدين ، وقد قدم اثنى عشر تنبيها تتضمن خلاصة النتائج التى توصل اليها والتى يدعو اليها .

وأهمها قوله فى التنبيه الثانى " اعلم أنى لا اعتقد ولا أقول بتكفير أحد من أهل القبلة لا الوهابية ولا غيرهم وكلهم مسلمون تجمعهم مع سائر المسلمين كلمة التوحيد والايمان بسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، وما جاء به فى دين الاسلام (٢) وفى هذا التنبيه لا يسوغ تكفير الامام ابن تيمية لمن يزور قبر الرسول صلى الله عليه وسلم فهو من باب دعوة الرياء بالشرك وقد تكلم كثيرا على من يدعون الاجتهاد او الاخذ من القرآن والسنة مباشرة وشنع عليهم كثيرا واتهمهم فى عقولهم .

وفى الحقيقة أن جميع آثار الشيخ النبهانى من نثره ونظمه انما كانت للدفاع عن الاسلام ضد خصومه أو لتوضيح فكرة اختلف بها مع الغير أو فى ترغيب المسلمين

---

(١) كتاب البشائر الايمانية فى المبشرات المنامية ص ٤٠ .

(٢) هذا الكلام معتدل معقول مقبول وان كان ما مضى من كتاباته يناقضه تماما !!! د / سرحان .

فى فضل الطاعات أو توضيح البدع أو التغنى بشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم التى يقتدى بها فى عصر يفتقر فيه المجتمع لرجال يتحلون بالفضائل وقد كانت شخصية الرسول فى مختلف عصور الانحطاط والغزو الأجنبى تحتل الموقف الرئيس فى تنبيه الأمة وجمع كلمتها وعلى هذا أقول :

ان الشيخ النبهانى ما عاش لنفسه لحظة واحدة بل عاش لدينه ولمجتمعه مشاركا بآرائه ولم يعش فى برج عاجى كما يقول الشيخ عبد الله العلايلى بل عاش مع الناس لكنه أوصى بان يتلف كل ما قاله من شعر فى غير مدح الرسول ، وهو لم يأخذ قرشا واحدا من مؤلفاته التى كانت تلاقى رواجا فى عصره ولهذا جعل حق الطبع ملكا لجميع المسلمين بشرط الجودة ورخص الثمن بل كان آخر دعواته عند مماته ألا يغنيه الله ولا يغنى أحدا من ذريته ، وهكذا كان رجلا قلما يبارزه ند فى ميادين البطولة والكفاح .

الكفاح الدينى المضاد للشيخ النبهانى :

رد النصارى على الشيخ يوسف النبهانى :

لا شك أن المكانة الدينية التى كان يشغلها الشيخ النبهانى فى العالم الاسلامى وفى بيروت على الأخص التى هى مركز النشاط المسيحى فى الوطن العربى كانت تشغل أفكار المسيحيين ولا شك أنه كان يجد منهم كل محاربة واضطهاد حتى بدون أذى وقد أخبرنى الأستاذ امين النبهانى أنه عندما توفى الشيخ يوسف النبهانى لاقى ولده محمد شمس الدين وكان قاضيا فى طرابلس الشام كل اضطهاد ومحاربة حتى فى رزقه حيث أخرج من وظيفته وساءت أحواله وتوفى بعد أربع سنين من وفاة والده ، وقد صرح الشيخ النبهانى فى مواطن كثيرة من كتبه بأنه يلاقى العنت والمحاربة والبغضاء من أهل عصره حتى انهم سعوا لعزله من وظيفته مرارا ولكن الله نجاه من مكرهم (١) .

---

(١) راجع أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣٩ .

وقد كان لتأليف الشيخ النبهاني التي حارب فيها التبشير المسيحي أو الدين المسيحي نفسه أبلغ الأثر في تعميق العداوة مع المسيحيين . ويظهر هذا مما كتبته مجلة "المشرق" تعليقا على كتابي النبهاني وهما " نجوم المهتدين ورجوع المعتدين" و "ارشاد الحيارى في تحذير المسلمين من مدارس النصارى " ... أن وقع الكتابين كان عميقا في قلوب النصارى فكتبت مجلة المشرق تحت عنوان " الشيخ يوسف النبهاني " يقول : أطلعنا أحد الأدباء على عدة تآليف حديثة نشرها في مصر الشيخ يوسف النبهاني رئيس محكمة الحقوق في بيروت فقرأنا بعض نصوصها فاذا هي كلها قذف وطعن في النصرانية وتعظيم للاسلام فأما تعظيم الشيخ لدينه فهو وشأنه وليس لنا أن نعارضه فيه وأما تشنيعه على النصرانية ومعتقدات النصارى فدليل واضح على أنه لا يعرف من عقائد ديننا ألفها وياءها ولا أريد برهانا على قولي الا هذه الأسطر القليلة التي تشهد على جهل الشيخ بما يعرفه صغارنا " ثم استشهد بما كتبه الشيخ النبهاني في كتابه " نجوم المهتدين ص ٣١ " ثم قال : " فهذا هو مبلغ علم الشيخ في معرفة الدين المسيحي وفي هذه الأسطر وحدها نيف وعشرة أغلاط فظيعة تنطق بطول باعه في الجدال وقد كان حضرته سبق وبرهن على مقدرته على البحث والمناظرة في كتابه " ارشاد الحيارى في تحذير المسلمين من مدارس النصارى " الذي زين بعض ترهاته بعض أفاضل الكتبة ونحن أيضا لا نأبى مناظرة الشيخ والدفاع عن ديننا واقناع كل عاقل بصحته ان شاء النزول معنا في هذا الميدان على شرط أن نعرض له حجتنا بالحرية التامة وأن تعقد لجنة يرضى بها الفريقان تحكم حكما عدلا في أقوال المناظرين (١) .

رد مدرسة الأفغاني على الشيخ النبهاني :

في كتاب "الأعمال الكاملة " لجمال الدين الأفغاني لا يوجد أي ذكر للشيخ يوسف النبهاني ولعل الفارق في السن والمركز الاجتماعي في الوقت الذي عاشا معا فيه كان السبب . ولذلك لم أجد في أقوال الشيخ محمد عبده ذكر للشيخ يوسف النبهاني . أما رشيد رضا فقد كان لسانهما المعبر عن أفكارهما بمجلته المنار بما

---

(١) مجلة المشرق الاب لويس شيخو السنة الثانية عشرة ١٩٠٩ ـ ص ٧١٨ ـ ٧١٩ .

كتبه في كتابه (تاريخ الأستاذ الامام) • ولقد كان لرائية النبهاني الصغرى — التي هجا فيها السيد الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا وغيرهم — دوي هائل في مختلف الأوساط سواء من تعنيهم الرائية مباشرة أو غيرهم ممن لهم عناية بالأدب والشؤون الاسلامية •

أما السيد رشيد رضا فيقول " بل أقول ان من فضل أدباء مصر وشعرائها وكتابها مع علمائها أنه لم يوجد أحد منهم سفه نفسه لأجل الخديوي بالطعن في الأستاذ الامام كما فعل رجل بيروتي المتاجر بدينه الشيخ يوسف النبهاني الخرافي الشاعر فانه تقرب الى سموه — أي الخديوي عباس — بهجو الأستاذ الامام الذي كان يجله ولدى كتاب بخطه يثبت ذلك — وأستاذه السيد جمال الدين وتلميذه محمد رشيد رضا في قصيدة طويلة غلا في البهتان والافتراء عليهم فيها والاحتجاج على ذلك بأحلامه المنامية فمنحه سموه راتبا شهريا في الأوقاف ولم يكن لهجوه وافترائه أدنى رواج في مصر لأن أقل المتعلمين فيها فهما وعلما أرقى من الدجال النبهاني عقلا وأدبا ويعدون الشيخ محمد عبده أعظم رجل أنجبته بلادهم في هذا العصر لأن لم يكن في كل عصر وقد ثبت ذلك باجلالهم له في حياته ومماته بما لم يتفق لغيره وقد تولى بعض تلاميذه مشيخة الأزهر وافتاء الديار المصرية ومما ذمه هذا الدجال ونهى المسلمين عنه تفسير المنار الذي كنا نقتبس منه أنوار حكمته وما امتاز بفهمه وبيانه يعلم مكانة هذا التفسير عند أرقى علماء الأزهر وسورية وغيرهم — كفضيلة مفتي بلدة بيروت — وما قرظوه به مفضلين له على تفاسير الأولين والآخرين) (١) •

وفي مكان آخر كتب السيد رشيد رضا يقول — بعد أن ذكر بعض من كانوا يتهمون الشيخ محمد عبده بعدم الصلاة — " وكان مثله كثير من الناس يسمعون من بعض الحاسدين أو الدجالين المتجرين بالدين أقوال الطعن بمنطلي دجلهم في الحكماء الراسخين والأئمة المصلحين كالشربتلي بمصر والنبهاني في سورية فيأخذونها قضية مسلمة ويذيعونها بغيرتهم الجاهلية الخاطئة فمن كان منهم حسن النية ، سخر الله له من يظهر له الحقيقة فيتوب الى الله تعالى ويكون حسن الخاتمة " (٢) •

---

(١) تاريخ الأستاذ الامام (جـ ١ ص ٤٨٩ — ٥٩٠) •
(٢) تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ ص ١٠٤٣ •

وقد ذكر النبهاني رحمه الله بعض ورود الفصل الحنيفة للرائية الصغرى فقال في المبشرة " الثالثة والستين " " رأيت ليلة الاثنين الثاني من ربيع الأول سنة ١٣٣٠ هـ في منامي أني أتلو آيات قرآنية بكثرة وكأن ممليا يمليها على ونسيتها الآن بخصوصها وهي في وصف بعض الأنبياء ونصر الله تعالى لهم على أعدائهم وأمره تعالى لهم بالصبر ولاسيما سيدنا محمد وسيدنا موسى عليهما الصلاة والسلام وطال هذا الأمر وهو قراءتي تلك الآيات وتكرارها مرة بعد أخرى واستيقظت على ذلك ففهمت أن المقصود من هذه الرؤيا الاشارة الى هؤلاء المبتدعين جماعة (محمد عبده) المصري الذين ذممت بدعتهم وشيخهم المذكور وشيخه جمال الدين الأفغاني ورشيد رضا تلميذ محمد عبده صاحب جريدة المنار وشر هؤلاء الأشرار بقصيدتي الرائية الصغرى وهي خمسماية وخمسون بيتا وانما سميتها صغرى بالنسبة لرائيتي الكبرى في وصف الملة الاسلامية والملل الأخرى وهي سبعمائة وخمسون بيتا وصفت بها محاسن الملة الاسلامية ومساوىء الملل الأخرى فأجمع الفريقان على عداوتي وأذيتي وكفاني الله شرهم والحمد لله . وانما فهمت من هذه الرؤيا أن المقصود أولئك الأشرار لأن أحدهم جاءني الى بيتي قبل ثلاثة أيام من هذه الرؤيا ونصحني ألا أتعرض لمحمد عبده والأفغاني لأن جماعتهما قد غضبوا من قصيدتي وفي نيتهم مقابلتي بالأذى . (١)

كما ذكر لنا قصة حبسه في المدينة المنورة وأسبابه فقال :

" يقول الفقير يوسف النبهاني ـ عفا الله عنه ـ قد حضرت من المدينة المنورة الى دمشق الشام في رجب سنة ١٣٣٠ هـ ـ ١٩١١ م بعد أن حبست في المدينة المنورة أسبوعا ولكن بالاكرام والاحترام وذلك بناء على تعصب الكافرين والمنافقين اللئام الذين أوقعوا الفساد بيني وبين الحكومة بايهامهم اياها أني أفرق بين رعاياها بكتبي وقصائدي والتي دافعت بها عن دين الاسلام ونافحت بها عن سيد الأنام عليه الصلاة والسلام . ولا سيما " الرائية الكبرى " في وصف الملة الاسلامية والملل الأخرى التي أشبعت فيها الكلام في الرد على النصارى في مقابلة تعرضهم لدين الاسلام و" الرائية الصغرى " في ذم البدعة ومدح السنة

---

(١) دلائل الخيرات ص ١٣٨ ـ ١٣٩ .

الغراء التى أشبعت فيها الرد على أهل البدع والضلال اللئام الذين يدعـــون الاجتهاد ، ويسعون فى الأرض الفساد ، ثم تحققت الحكومة مما أنا عليه من الصدق فى خدمة دين الاسلام والمنافحة عنه وعن النبى صلى الله عليه وسلم فأمرت بتخليـة سبيلى وأظهر لى كبار رجالها الندم على ما كان فحضرت الى الشام فاستقبلنى علماؤها وأعيانها وغيرهم بغاية الاكرام والاحترام " (١) .

ويذكر الشيخ النبهانى ــ رحمه الله ــ رؤيته للامام أحمد بن حنبل فيقول :

" رأيت وأنا فى المدينة المنورة ليلة الاثنين الرابع عشر من محرم الحرام سنة ١٣٣١هـ فى منامى " كأن قائلا قال لى ان الامام أحمد بن حنبل جالس فى مكان ذكره لى فتوجهت للسلام عليه فوجدته فى مجلس حافل ورأيته بصورة كهل فى لحيته شيب قليل ، وهى ذات طول متوسط قليل العرض وشعرها أسود مائل للصهوبة (٢) ولون وجهه حنطى الى البياض ومجلسه حافل بالناس وهو سيدهم وكبيرهم وله مجلس فى داخل ذلك المجلس هو أيضا حافل بالناس فبعد أن قبلت يده أجلسنى بالقرب منه" واستيقظت على هذه الحالة فغسرت هذا المنام بأن هؤلاء جميعهم هم الممتحنون بسبب تمسكهم بدين الاسلام ومدافعة أعدائه اللئام وأنى قد حصل لى ما حصل لهم فحبست فى المدينة المنورة أسبوعا قبل هذه الرؤيا بستة أشهر وحججت بعد اطلاقى الى بيت الله الحرام ثم رجعت الى المدينة المنورة فرأيت هذا المنام والحمد لله رب العالمين " (٣) .

ولهذه الرؤيا دلالة واضحة على ما كان يعانيه الشيخ النبهانى من اضطهاد ومحاربة من العناصر المضادة له والتى يبدو أنها لم تدخر وسيلة لايقاع الشيخ النبهانى بها ... خصوصا بعد خلع السلطان عبد الحميد .

---

(١) دلائل الخيرات ص ١٣٩ ــ ١٤٠ .

(٢) الصهوبة كالصُّهبة ــ بضم الصاد فيهما ــ والصهب ــ بالتحريك ــ حمرة أو شقرة فى الشعر . د . سرحان

(٣) دلائل الخيرات ص ١٤٠ .

ورجال الدين كانوا أعظم عون للشيخ النبهاني مما شجع مؤلفاته على الانتشار ولم يكن أحد يستطيع أن يكتب ضده الا باسم مستعار خصوصا في البلاد العثمانية وقد صور الشيخ النبهاني ما كان يلحقه من أذى في أرجوزته التي مدح بها الرسول صلى الله عليه وسلم ورد على من منعوا زيارة قبره ، وقد جاء فيها :

وارم أعادي الدين بالدمار ** صرنا من المحنة في غمار
من كثرة المصائب الطواري ** في زمن دبّر بالادبار
أحاط بالاسلام كالسّوار ** والليث فيه انقاد للحمار
رمت لظى الالحاد بالشرار ** والدين ان يسلم من الكفار
يؤذه منا عصبة الأغمار ** فاحرسه يا رب من الأشرار
بحق طه المصطفى المختار ** يا ربنا واغفر به أوزاري
أرح به من تعب أفكاري ** أنعم به عليّ باليسار
سهّل به يسر به إعساري ** خذ لي ممن كادني بثاري
واشفِ سقامي وأزل عواري ** أصلح به الأهل مع الذراري (١)

هذا وقد ذكر الشيخ النبهاني رؤى منامية رآها غيره له تدل على ما كان يواجهه الرجل من خصومات .

والرؤية الأولى : ذكرها النبهاني بقوله " اخبرتني بنتي عائشة بعد أن زوجتها للسيد الشريف العالم الفاضل السيد محمد الصادق الجبالي التونسي يوم السبت الخامس عشر من رمضان ١٣٢٦هـ ، بأنها في ليلة ذلك اليوم رأت في منامها رجلا درويشا فقال لها قولي لأبيك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه كثيرا ويزوره في كل يوم ويحميه من كل من عاداه " (٢)

والرؤيا الثانية هي " جاءني رجل قادم من مدينة الخليل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ١٣١٩هـ وقال لي ان مفتيها يسلم عليك ويقول لك انه رأى في المنام نبي الله اسحق عليه السلام فأخبره أنه يحميك ويدفع عنك شر أعدائك كرامة لرسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فسررت بذلك سرورا كثيرا " (٣) .

---

(١) شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ص ٧٤ ــ ٧٥ .
(٢) البشائر الايمانية في التبشيرات المنامية ص ١٩ .
(٣) المصدر السابق ص ٢١ .

والنبهاني حدثنا أنه تردد في طبع كتابه " نجوم المهتدين ورجوم المعتدين " لأنه تحسب من اعتداء النصارى عليه لأنه يهجمهم ويهجم التبشير المسيحي " (١).

حتى ص ٤١٨ ما علاقة هذه الرد بلباب البحث ؟

الردود على رائية النبهاني الصغرى :

(١) رد الشيخ علي بن سليمان :

لقد أحدثت رائية النبهاني الصغرى صدى عظيما لدى أنصار من هجاهم فيها فكتبت قصائد مختلفة على الوزن والقافية نفسيهما فقد عثرت على أوراق محفوظة في مكتبة الشيخ زهير الشاويش في بيروت تشتمل على رائية مناقضة لقصيدة النبهاني كتبها الشيخ علي بن سليمان اليوسف التميمي وافتتحها بقوله.

" الحمد لله الذي اصطفى من عباده أنصارا ، وجعلهم ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم سرا وجهارا والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي تشرع به النوع الانساني وكان منه مختارا ، فأصبح من لم يسر على ضوء مشكاة هداه في نهجه مختارا وعلى آله وأصحابه الذين جردوا لاعلاء كلمة الحق سيوف عزم لم تبق على الأرض من الكافرين ديارا .

أما بعد فقد وقفت على القسم الخامس من الرائية الصغرى التي تشدق بها يوسف النبهاني وملأ ما ضغيه بها فخرا وظن أنه قد أوتي قرطي مارية وفاز بمنقبة يا ساريه (٢) واستسمن ذا ورم ونفخ في غير هرم وراح في أئمة الهدى

---

(١) المصدر السابق ص ١٣-١٤.

(٢) مارية بنت أرقم أو بنت ظالم من شهيدات النساء في الجاهلية ، وكان في قرطيها مائتا دينار ، أو جواهر قيمتها اربعون ألف دينار ، أو درتان نادرتان كلتاهما في حجم بيضة الحمامة فأهدتهما الى الكعبة ، وكانا شيئا ثمينا ، ويرغب في الشيء فيقال : خذه ولو بقرطي مارية.

طاعنا ولمن تبعهم لاغنا قد ضمخها بقذرة الفش والزور ، ولطخها بحمأة الكذب والفجور ، وكان القول الأحق أن تمسك القلم عن هذا الأحمق .

لو كل كلب عوى القمته حجرا ** لأصبح الصخر ممدودا من الذهب (١)

اذ لا جواب له غير السكوت لأنه بنى بيتا أو هن من بيت العنكبوت وحيث ان عدم الرد عليه ربما يعد ، عجزا فلذلك أجريت اليراع في رد هذا الجاهل وان كنت في شغل شاغل فقلت والله المستعان ، وعليه التكلان :

وطئت بنعلي فوق رائية صفرى ** فاصفرتها مذ ضمت الزور والوزرا
ومزقتها كي لا يلوث رجسها ** أكف الورى من مزجها الروث والبعرا
فتبا لمنشيها الذى ضل رهده ** وسحقا لها سحقا وهجرا له هجرا
غدا الغمر من تيه يزنح كشحه ** ويحسب أن قد شاد فوق العلا قصرا
فقال وشر القول ما كان خاليا ** من الحق والانصاف متبعا نكرا
" وأعجب شيء مسلم في حسابه ** غدا قلبه من حب خير الورى صفرا "
"أولئك وهابية ضل سعيهم ** فظنوا الردى خيرا وظنوا الهدى شرا
"ضعاف النهى اعراب نجد جدودهم ** وقد أورثوهم عنهم الزور والوزرا (٢) "
له الويل مما قد جنى في مقاله ** من الكذب والبهتان والفرية الكبرى
يعرّض في اقيال نجد وصيدها ** ويوسعهم ذما ويعزو لهم وزرا (٣)
فظن حليف اللوم أن قلوبهم ** من الحب للمختار قد أصبحت صفرا
فيا جرو نبهان اتئد لا تفه بما ** يسوء فرب البيت في بيته أدرى

= أما سارية فهو ابن زنيم وكان محاصرا مع جيش المسلمين في نهاوند ، وضاق ذرعا بالحصار فناداه عمر — وهو في المدينة — صارخا " يا سارية الجبل أي : الجأ الى الجبل يسمع النداء ونجا من الحصار بجيش الاسلام ، وكانت كرامة لابن الخطاب رضى الله عنه . د . سرحان

(١) ويرى الشطر الثاني .... لأصبح الصخر مثقالا بدينار ، د . سرحان

(٢) الابيات الثلاثة السابقة للنبهاني .

واياك والشـــم الـرانين فى المـلا ** فقد هنكوا عن خزيك السَّجْفَ والستر ا
ولا تَمْلَ جهلا ماضغيك بهجوهــم ** فانك يا نسل الخنا بالهجا أحـرى
فأعراب نجد جاهدوا كل مشــرك ** فما تركوا شاما ولا تركوا مصـرا
بأسيافهم قد أصبح الحق ظاهــرا ** ومن سمرهم قد أحرزوا الفتح والنصـرا
وقد شيدوا أحكام شـرع محمـــد ** وذبوا عن الاسلام والسنة الغـرا
ولم يعرفوا عزفا ورقصا بمسجـــد ** ولم يضربوا نغما ولا حركوا نحـرا
ولا عقدوا الرايات فوق سطوحهـــم ** يرجون فى الأموات أن يدفعوا الشر ا
ولا عرفوا قطبا ولا وتــــدا ولا ** مغيثا سوى الله الذى يكشف الضـرا
فان كان هذا الحال ليس مـــبررا ** لديك فقد عُوِّضْتَ عن ذا الهدى خُسْرَا (١)

وهكذا أخذ الشيخ على بن سليمان يورد بعض أبيات للشيخ النبهانى ويرد عليها ، ومن الأبيات التى أوردها للنبهانى ورد عليها قوله :

الى الله بالمختــار لم يتوسلــوا ** لأن لكل عند خالقــه قــدرا

وقوله :

أشار رسول الله للشـــرق ذمـــه ** وهم أهله لا غرو أن أطلع الشــرا (٢)
فكم طعنوا فى الأشعرى امامنــــا ** وفى الماتريدى الحبر أكرم به حـبرا

وقوله :

ويعتقدون الأنبياء كغيرهـــــم ** سواءً عقيب الموت لا خير لا شــــر ا

وقوله :

وما جوزا للمسلمين رحيلهـــــم ** لزورة خير الخلق فى طيبة الغــر ا

---

(١) مبرر : خطأ شائع وقع فيه الناس جميعا والصواب : مسوغ ٠٠ د /سرحان .
(٢) يقصد الرجال .

وقوله :

رموا بضلال الشرك كل موحد ** اذا لم يكن منهم عقيدته تبرا
وهم باعتقاد الشرك أولى لقصرهم ** على جهة للعلو خالقنا قصرا

وقوله :

ولم ينفرد شذاذ مذهب أحمد ** فقد ضل قوم من مذاهبنا الأخرى
كمن رد قولى تابعا اثر جده ** وأعمامه لكنهم آثروا السترا
الى أن رمى مجنونهم برجيمه (١) ** على الناس فى تأليفه ذلك السفرا

وقوله :

غدا لفتى تيميه أى ناصر ** فهلا استحق المصطفى عنده النصرا

وقد بلغت قصيدة الشيخ على بن سليمان التميمى خمسة وخمسين ومائتى بيت وقد استعمل أقذع الألفاظ وأمر الكلمات مثل قوله :

فان لم تكن تأتى بنص مؤيد ** فحسبك قد أصبحت بين الورى ثورا

وقوله :

بفيك الثرى كم من دعاوى عريضة ** وحسبك لا عرفا عرفت ولا نكرا
ودع عنك يا محتال سفسطة بها ** تبهرج زيفا ثم تحسبه تبرا
وتخدع جهال الورى وتصدهم ** عن المنهل الصافى وتمكره مكرا
فقلها ولا تبدى سفاسف أحمق ** مقالة حق نورها يصدع الفجرا

وقوله :

وأصبحت عن هدى الأئمة نازحا ** ومن رأيهم ياذا الهوى أبدا تبرى
وعرضت بالشيخ ابن سحمان عاديا ** على شارف هو جاء أخطأت السرى
فمهلا فان الحى فيه حماته ** وقد جردوا للمعتدى البيض والسمرا

---

(١) يقصد شكرى الالوسى ، وقد تقدم الشطر الاول برواية "كشكرى الالوسى تابعا اثر جده ، " ...

وقد جعلوا نص الكتاب مجنّهــــم ** وقد ألفوا في نصره الكر والفـــرا
وخضت بسب المنتمين الى الهـــدى ** وكنت بهذا السب بين الملا أحـــرى
ولم تتورع من هجا كل فاضـــــل ** لأنك ممن في الدّنا ألف الشــــرا

وقوله :

وطعنك في محمود شكرى وجـــده ** وأعمامه من أحرز والسبق والفخـــرا
وكان بهم ركن الشريعة ثابتـــــا ** وكانوا لآفاق الهدى الأنجم الزهـــرا
فما أنت والشّم الذّريا ابن استهـــا ** فهيهات أن تلقى لما قلته غفـــرا
تصول كما السنور حرك ذيلــــه ** ولم تدر أن الليث قد أنشب الظفـــرا
ونشتم أهل الفضل والعلم والحجـــى ** فما أنت الا الكلب قد نبح البـــدرا
فلو كنت من نسل اليهود لقلــت ذا ** عدوّ مبين يبغض الساده الغـــرّا
ولو كنت من نسل النصارى لخلتهــا ** جرائر موتور غدا يطلب الوتـــرا
ولكنك المداح في الدهر تدّعـــى ** مديح رسول الله في نظمك الشعـــرا
وتهجو بنيه حيث في هديه اهتـــدوا ** ولم يعرفوا زيدا ولم يعرفوا عمـــرا
فان النصارى لم يفدهم مديحهـــم ** لعيسى رسول الله أو أمّه العـــذرا
وقد لقد ألفت شر مؤلـــف(١) ** تحيط به اللّعنات من كل من يقـــرا
نصرت به كل ابتداع وفريــــة ** وللمذهب المهجور تنصره نصــــرا
فوافتك من محمود شكرى صواعـــق ** تمزق منك العرض بل تهتك الســــترا
فأضحى الذى لفقته وجمعتـــــه ** هباء وريح الحق تنشره نشــــرا
ومذ بلغ السيل الزبى وتقطعـــت ** بأقوالك الأسباب وانحصرت حصـــرا
أخذت تبل الريق بالنظم دائبـــا ** وسميتها للجهل رائية صغـــرى
وكنت كذات النكث من بعد غزلهـــا ** وذا المِفْزَل المشئوم نكسره كســـرا
أو الثور يؤذى العالمين خـــواره ** فقبحاً له صوتا وتَعْساً له ثـــورا

---

(١) يقصد كتاب النبهانى " شواهد الحق فى الاستغاثة بسيد الخلق .

(٢) يقصد كتاب " غاية الأمانى فى الرد على النبهانى " ومؤلفه محمود شكـــرى الألوسى .

وقوله أيضا :

فمن أنت يا مخذول حتى ترد ما ** يقول أو لو التحقيق بالكذب والا زرا
وتكبر منك النفس وهى حقيرة ** وتحسب أن الدهر حلّى بك الدهرا
فجد الفتى محمود شكرى أخى النهى ** لعلامة الأمصار حقا فسل مصرا
وقد طبق الدنيا بآثار علمه ** وأضحك بالافتاء من ديننا الثغرا
شقائقه هبت بغالية الثنا ** وآثار تحقيقاته أعيت الحصرا
لك الويل قد أصبحت للعلم تدعى ** وتسحب بين الناس من عُجْبك الأُزْرا
وتمسى لأهل الحق خصما مشاغبا ** وتحسب أن قد زدت بين الورى قدرا
وما ذاك الا النفس بالجهل سولت ** لحاقا بهم فاخسأ ونل فى الدنا زجرا
فأنت لدين الجاهلية منتم ** تدين بما دانوا وتقفو لهم اثرا
لذاك نراك اليوم بالجهل شاتما ** (منار الهدى) والله يرفعه قسرا (1)
وتبغضه اذ لم يكن لك مثله ** وهل يخطب الحسناء من فقد المهرا
فآثاره بانت لباد وحاضر ** وأنواره قد عمت البر والبحرا
تقوم به للحق همة سيد ** رشيد لنهج الحق ترفعه ذكرا
فياشرف الاسلام اذ جاء للهدى ** (منار) به يختال رافعه فخرا
به يجمع الاسلام بعد شتاته ** ونسمو به الأيام بسامة ثغرا
فمت أيها المغبون غيظا وحرقة ** ونل من مساعيك الندامة والوزرا
أخا حسرات فى فؤادك أججت ** رفيرا وفى أحشائك النار والجمرا
واختم قولى بالصلاة مسلما ** على المصطفى المختار خير الورى طرا (2)

وقد بلغت القصيدة ستين ومائتى بيت .

---

(1) يقصد مجلة المنار لصاحبها السيد رشيد رضا .

(2) مخطوط مؤلفة على بن سليمان اليوسف التميمى موجود فى مكتبة المتحف العراقى ببغداد برقم ٨٨٦٣ وهى أيضا موجوده فى مكتبة الشيخ زهير الشاويش فى بيروت وقد اعتمدت على نسخة مكتبة المتحف العراقى لوضوحها .

(٢) رد الشيخ عبد العزيز بن ابراهيم :

" ..... أما بعد : فيقول الفقير الى الله تعالى عبد العزيز بن ابراهيم حشره الله تعالى مع المنعم عليهم فى جنات النعيم : ان أهل البدع والأهواء الشنيعة لم يزالوا معادين للأحكام السنية ونصوص الشريعة موقد بن نيران الفتن أمام المتبعين للسنن وان أهل الحق يعانون منهم أمرا خطيرا على ما اقتضاه قوله عز اسمه " ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا لاسيما فى هذا العصر الذى تجاهر فيه كل ذى معصية بمعصيته وتجاسر كل ذى غواية على اظهار غوايته ، ألا وان منهم حليف الشيطان وعدو أهل الايمان وطاغية بنى نبهان يوسف بن اسماعيل النبهانى عامله الله تعالى بعدله الربانى فقد تجاوز فى طغيانه كل حد وصال وجال فى ميدان الزيغ وألف كتبا حشاها من الهذيان وملأها من وساوس الشيطان فرد عليه عند ذلك أهل الايمان وحملة القرآن وظهر ضلاله للعيان بأوضح حجة وأظهر برهان فلما عجز عن مقاومة النص الصريح ومعارضة الدليل الصحيح أخذ يبدىء ويعيد ويشتم أهل التوحيد فنظم قصيدة وسمها بالرائية الصغرى خاض بها طينة الخبال وبادرى فعند ذلك مزقته سهام أقلام الهداة وقابلوه بما يستحقه من الكلمات وخلدوا عليه اللعنات فأحببت أن أتطفل على موائد أولئك الأئمة فنظمت فى رد كلامه هذه القصيدة على روى منظومته وبحرها مجازاة على ذنوبه الجمة فقلت :

على وجهها الموسوم بالشؤم اذ تقرا	**	قصيدة أتاك أضل بنى الغبرا
وذا يوسف النبهانى أهْوِن بشخصه	**	فتباله قدما وبؤسا له عُمْرا
ولم أدر من أى الطوائف نسبة	**	ولكن بيت السوء ذاك به أحرى
لقد قال غير الحق افكا وباطلا	**	وقد ظنه المأفون من جهله درا
كما سب محمودَ الألوسيَّ واجترا	**	على شتمه ظلما وقد حمل الوزرا
وسب كتابا قد حوى جل آيه	**	من الوحى ما ألقى الخبيث لها(١) فكرا

---

(١) يقصد كتاب " غاية الامانى فى الرد على النبهانى " للألوسى .

فكم من حديث قد حواه وسنة ** ولكن فى أذنيه عن سمعها وقرا
ولم يدر ما قد قال من سوء فهمه ** فيا محنة الاسلام من سوأة كبرى
فيا أيها القدم الذى جاء منشدا ** يسب دعاة الدين اذ ظنه فخرا
يسب دعاة الحق من كل جهبذ ** هداة لمن أخطا الصراط أو ازورا
كما سب فى مصر أخا العلم والتقى ** فقام منار السوء يمنحه شكرا (١)
وقد غاظه نصر الهدى واتباعه ** فأضرم فى قلب الخبيث به جمرا
وشبهته بالهر اذ كُنْتَ فأرة ** وكم أَهْلَكَ الضرغام من كفه فأرا
ولستَ بِكُفْوٍ أَنْ تُصَانَ وَتُتقَى ** ولا عِرْضَكَ المهتوك يستوجبُ السَّتْرا
ومن حمقه أن قال لم يتوسلوا ** ولم يقصدوا المختار فى طَيبة الغَرّا
أقال رسول الله بى فتوسلوا ** وبى فاهتفوا فى الحادثات لدى الضرا (٢)

الى أن يقول :

أتقصد بالإضلال أَجْرًا وترتجى ** بِسَبِّ دُعاةِ الدين نُجْحَكَ فى الأخرى
كمطعمة الأيتام من كد فرجها ** وتطلب جهلا عند خالقها الأجرا
وما ذنبنا عند النبى وحزبه ** ومن كان عن نهج الهداية مزورا
سوى محض اخلاص العبادة كلِّها ** الى الله لا ندعو نبيا ولا قبرا
ونبغض أهل الشرك بالله والذى ** الى بدعة يدعوو من فعله نبرا
فلا مذهب التعطيل نرضاه مذهبا ** ولا نتقى فى الدين زيدا ولا عمرا
وصلى اله العرش ربى بفضله ** على المصطفى خير الوجود أبى الزهرا

هذا آخر ما وفق الله تعالى الى نظمه على منظومة حليف الغواية عديم الدراية ضليل بنى نبهان وناصر حزب الشيطان يوسف بن اسماعيل البيروتى أخزاه الله وعامله بعدله فى أخراه ، ولولا اشتغال البال وتشتت الأحوال لاطلنا فى ابطال

---

(١) يقصد السيد رشيد رضا .

(٢) الضُرا : مضاف اليه وكان واجب الكسر ولكن الفقهاء يكسرون القواعد فى أشعارهم كثيرا . د / سرحان .

أقواله وبيان سوء أحواله وأذقناه سما ناقعا وعذابا واصبا لا يجد له في دفعه شافعا ، على أن الاخوان لم يألوا جهدهم في ابطال ماكان له من الهذيان وهكذا حزب الشيطان لم يزالوا في خيبة وخسران والحمد لله رب العالمين وخذل اعداء الدين كان ذلك في ١٣٣١هـ(١) .

والقصيدة بلغت ستين بيتا ولم يتورع الشيخ عبد العزيز بن ابراهيم عن استعمال أقذع الألفاظ في وصف خصومه ورميهم بالضلال والبهتان .

(٣) رد الشيخ سليمان بن سحمان :

" ... أما بعد فقد وقفت على منظومة لرجل من أهل الشام من أهل بيروت يقال له يوسف بن اسماعيل النبهاني تجاوز فيها الحد واقذع فيها الحد وأسهب في مسبة أهل الاسلام وهداة الأئمة الأعلام وجاء بضروب من المنكرات والضلالات ، وأنواع من الكفر والجهالات فاستعنت بالله على رد ماموه به من سفسطة جهالاته وترهات مقالاته وخرافاته والله المسئول المرجو الاجابة أن يمنحنا بفضله الاصابة وأن يجعله لوجهه خالصا والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وحسبنا الله ونعم الوكيل وهذا نص الجواب .

وقفت على نظم حوى الكفر والشرا ** وصاحبُه خِبٌّ لئيمٌ وقد أجرا
ينابيع كُفْرٍ في تقاسيم غيبة ** فحَضَّر في تقسيمه الإفك والشَّعرا
ولم يأتنا منها سوى الخامس الذي ** تهور فيه الفدم بالكفر واستجرا(٢)
ولا لسجاح ويل أمِّكَ فاتئد ** فما القشر الا ما هذرت به قشرا(٣)
وقد أسلمت والشام كان مقرها ** فلو كان من لؤم لكنت به أحرى
واذ كنت من أنباط اجزم لم تكن ** من العرب العربا ولامن سموا فخرا
اتحسب أناويلٌ أمِّك غُفَّلٌ ** كأنباط من في الشام ماحققوا الأمرا

---

(١) مخطوط رقم ٨٧٢١ مكتبة المتحف العراقي ببغداد .

(٢) الى الجزء الخامس من الرائية الصغرى الفدم : العي عن الكلام في ثقل ورخاوة وقلة فهم والغليظ الأحمق الجافي (القاموس المحيط) .

(٣) القشر كلمة عادية ، ومستوى هذا الشعر في منتهى الانحطاط وهو في الواقع نظم ، وليس شعرا . د / سرحان .

ثم رد على قول النبهانى :

الى الله بالمعصوم لم يتوسلـــوا ** نعم هذه حق يعدونها كــبرى

وقوله أيضا :

أشار رسول الله للشرق ذمـــه ** وهم أهله لا غرو أن أطلع الشــرا

ثم رد عليه بخصوص اثبات الجهة الى الله تعالى :

وفى قول النبهانى :

تأمل تجد هذى العوالم كُلَّهـــا ** بنسبة وسْعِ الله كالذرة الصغــرى

يقول الشيخ سليمان أيضا :

فتباً له من مارقٍ مارق غــدا ** بمنظومه كلبا يَهِرُّ به هـــرا
ويزعم أن الزيغ فيمــا يقولــه ** ذو والحق والمأفون خاض له بحـرا
وقد عام فى تياره وضلالــه ** الى لجة من زيفه وارتضى الكفـرا
الى آخر الهذر الأخس الذى بــه ** غدا الأحمق الأشقى يعد به فشـرا
وما ذاك الا أنه ذو وقاحــة ** ومنطوقه ركس وقد ألف الشــرا
قضى وطراً من شتم أصحاب أحمــد ** وعاد الى قوم بهم أوقع الهُجْــرا
فعاش ذميما بين أمة أحمــد ** بأوضاعه النُّكرا التى أوجبت خُسْـرا
فأصبح ممقوتا بها حيث انهـــا ** حوت بِدَعا من غيه بل قد حَوَت كفـرا
ولام على تضليلها كُلَّ مسلــم ** وحرَّر غيظا فاض من جهله شعــرا
وماذا يضر السُّحب فى الجو نابــح ** يهرُّ بأوجاس له نحوها هــرا

ويقول ايضا :

شواهد كفر أطلعت فى سطورهـــا ** شرور علوم كل سطر حوى كفـــرا (1)
وما كل قول بالقبول مُقابَــل ** فكيف وقد أبدى ضلالاته جهـرا ؟

---

(1) يقصد كتاب " شواهد الحق " للنبهانى .

الى أن يقول :

فان كنت فى شك من النسب الـــذى ** نقول وفيه الشك نحصره حصـــرا (١)
فما أنت الا ضِفدع وابن ضِفــدع ** فلا حق تدريه ولا منكراً تـــدرا
وشكك لا يُجدى لدى كلّ مسلــمٍ ** فدع هذرك الأخزى وفحشاء ك النكرا
فانك كالحرباء ترنو بطرفهـــاً ** الى الشمس من حُمق وقد أوغر الصدرا
وهل أنت الا من قرية اجـــزم ** قرية حيفا من فلسطين لا تـــدرى
وقد صحّ عندى من أحاديث من لــه ** بحالك تحقيق يقررها جهــرا
فإنك من غوغاء أنباط إجــزم ** أصابك منها الفال والحالة الصُغرى (٢)
ودعوى بنى نبهان تحتاج أن يــرىً ** بذلك ثبت ثابت عن بنى الزهـــرا
يقرره محمود شكرى لأنــــه ** هو الحلم الفرد الذى استوجب الشكرا

ويقول أيضـــا :

وما النفىّ الا ما نحاه وما محـــا ** به الملة السمحا من الكفر والا طـــرا
وما الجهل جهرا غير ما القرد خطــه ** ويحسب جهلا أنه الاوحـــد الأدرى

ويقول أيضـــا :

ولكنما ابليس فى نيك خارئـــا ** بارجاسه الكبرى وأركاسه الصغــرى
فاصبحت لا تدرى سواها وانمـــا ** لك القحة الشنعاشمارا بها تخـــرى (٣)
فاصبحت ملعونا بكل محلـــة ** وأصبح محمـود بها نائلا فخـــرا
وقرظ قولا منك فى مصر عصبــة ** هم الفاغة النوكاء اذ قرظوا الكفـــرا (٤)

---

(١) يشك النبهانى ان يكون محمود شكرى الالوسى من نسل الرسول صلى اللـــه عليه وسلم .
(٢) الفال : الشؤم أو الضعف . أو عرق فى داخل الفخذ .
(٣) القحة ـ بالتحريك ـ الوقاحة .
(٤) الذين قرضوا كتاب الشيخ النبهانى : الشيخ على محمد الببلاوى شيخ الجامـع الأزهر سابقا والشيخ عبد القادر الرافعى مفتى الديار المصرية سابقا وشيخ مشايخ الحنفية والشيخ عبد الرحمن الشربينى شيخ الأزهر سابقا والشيخ بكرى الصدفـى مفتى الديار المصرية سابقا والشيخ محمد عبد الحى الكتانى أحد كبار علماء ====

ولو أنهم من أهل شرعة أحمـــــد ** لما قرظوا كفرا وأعلوا له قـــدرا
ولكنهم صم وبكم عن الهـــــدى ** وأعينهم عمى فلم تبصر الشـــرا
نفوس كلاب فى جســـوم أوادم ** تهر على أهل الهدى دائما هـــرا (١)
وقرظ سفر اللالوسى عصبــــة ** عن الحق ما ازوروا ولا حرروا هجـــرا (٢)

الى أن يقول :

وقد كان معلوما لدينا بـأن مـــن ** زعمت هداهم من ذويك وفى مصـــرا (٣)
غواة طغاة لا تقاة أئمـــــة ** فلم يستحقوا المدح مناولا النصـــرا
"هم الكل اعداء النبى فبعضهـــم ** عداوته كبرى وبعضهم صغـــرى"
ولو كان أهل الزيغ والشرك عندنـــا ** أئمة اسلام لسنتنا الغـــرا
لذلك أعطينا ــ ولم نحترم لهـــم ** مقاما ــ لكل من عداوتنا قـــدرا
وللأحمق الأشقى أمضّ عـــداوة ** نخصصه من تلك بالحصة الكـــبرى
سنسقيه كأسا مفعما ونذيقـــه ** بذاك زعافا عن مقالاته النكـــرا
واشراكه بالله جل جلالـــه ** وجحد علو الله من فوقنا جهـــرا

= المغربوالسيد أحمد بك الحسينى الشافعى المحامى والشيخ سليمان العبد الشبراوى والشيخ أحمد الحسينى البولاقى والشيخ أحمد البسيونى شيخ الحنابلة والشيخ سعيد الموجى والشيخ محمد الحلبى • والغاغة: الغوغاء والنوك بضم فسكون ــ الحمق •

(١) هذا البيت والثلاثة التى قبله فى هجاء علماء وشيوخ الأزهر •

(٢) لم أجد فى كتاب غاية الامانى فى الرد على النبهانى " أى تقريظ لاحد سوى أحد قضاة محكمة الرياض الشيخ غيهب محمد غيهب الذى كتب مقدمة الطبعة الثانية مترجمة للشيخ الالوسى المؤلف •

(٣) هذا البيت والاثنا عشر التى بعده فى هجاء علماء وشيوخ الأزهر الذين قرظوا كتاب النبهانى " شواهد الحق " •

فقد جاء هذا القدم إمْراً ومُؤيَّـــدا ** وأظهر في منظومه ذلك الإمْـــرا (١)

الى أن يقول :

فتبا لها تيك العقول ومــــارأت ** من الرأى فى طمس لا علامه جهـــرا
وصل على خير الأنام محمــــد ** أعز الورى قدرا وأعلا هو فخـــرا (٢)

وقد بلغت أبيات القصيدة أربعة وأربعمائه بيت .

(٤) رد الأستاذ محمد بهجت البيطـــار :

افتتح رده بقوله : " الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علـــى سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى اله وصحبه أجمعين وبعد فقد وقفت على رسالـــة للشيخ يوسف النبهانى سماها الرائية الصغرى فى ذم البدعة ومدح السنة الغـــرا " وهو من باب تسمية الشىء باسم ضده ، فرأيت المؤلف قد تعدى بها حده ، وتجاوزه الـــى ما بعده ، وكذبها كبار الرجال وفطاحل الأبطال من الأئمة المصلحين أهل التقـــوى والدين ، أمثال المرحوم السيد جمال الدين الأفغانى والمرحوم الأستاذ الامـــام الشيخ محمد عبده ، والامام الكبير والعلم الشهير السيد محمد رشيد رضا صاحـــب مجلة المنار ، وعلامة البلاد العراقية السيد محمود شكرى الألوسى . وقد رأيتـــه تمادى بها فى طغيانه ، واسترسل فى زوره وبهتانه ، وطفق يكتب عن هـــؤلاء الأبرار والأئمة الأخيار ما أوحى اليه الشيطان من ضروب الكذب والهذيان ، حـــتى جاءت رسالته مفعمة بالشرور مملوءة بقول الزور ، شاهدة عليه يوم الحساب بمـــا

---

(١) المؤيد ـ بوزن مكرم ـ الشديد ، كالمؤيد بتشديد الياء المفتوحة ، والامـــر المنكر العجيب .

(٤) مخطوط فى مكتبة المتحف العراقى ببغداد رقم ٨٧٨٩ ويبدو ان هـــذا المخطوط مكتوب بخط المؤلف لان فى اخره ختمه ومكتوب جنبه (انشأ هـــا الفقير الى الله عز شأنه سليمان بن سحمان) .

حاد به عن الصواب •

وقد رددت عليه بهذه المنظومة التي سميتها " الطامة الكبرى على صاحب الرائية الصغرى " ولم أقصد بها مجاراته في طول قصيدته وعرضها لأن وقتي أقل من أن يتسع لمثل ذلك ولكني كتبت ببناني ، ما أجراه الحق على لساني ، طاويا كشحي ما استطعت عن السب والشتم وألفاظ البذاءة واللوم راجيا أن يكون هذا الرد منبها له في آخرة أمره وخاتمة عمره حتى يستغفر من ذنبه وينيب الى ربه وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب " •

وقد جعل الشيخ البيطار قصيدته من مقدمة وأربعة فصول يذكر في المقدمة عقيدته الصحيحة وبراءته من الحشوية •

والفصل الأول في غرور النبهاني ودعاوية وقد تكلم فيه عن الاجتهاد المطلق ومقاصد مدعيه الشريفة •

والفصل الثاني في الانتصار للسيد جمال الدين الأفغاني حيث أشار الى كونه امام الشرق ومصباح نوره ومجدد دينه •

والفصل الثالث في الانتصار للشيخ محمد عبده وقد تكلم فيه عن علمه الواسع وأنه خليفة السيد الأفغاني وتكلم عن تفسيره للقرآن وعن رؤية الشيخ النبهاني للشيخ محمد عبده في المنام وعينه عوراء •

والفصل الرابع في الانتصار للعلامة الشهير السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار وقد تكلم فيه عن تفسير المنار وبراعة السيد رشيد رضا في العلوم وعن الاستقبال الحافل الذي قابلت به بيروت السيد رشيد رضا أثناء زيارته لها وعن مقصده في السماح لأولاد المسلمين بالالتحاق بالمدارس النصرانية •

وفي الفصل الخامس في الانتصار للسيد محمود شكري الألوسي • وقد تكلم فيه عن فضله في العلوم وعن شهادة العلماء له بذلك •

ويبدو أنه احتذى في تقسيم القصيدة الى خمسة فصول بهذه الصورة معارضة للنبهاني في رائيته حيث قسمها الى خمسة فصول أيضا •

ومما جاء في المقدمة قوله :

ومن يفقد العقل الثمين فانـــــه ** الى الناس والأوطان يستحسن الضـرا
فمن كل حشوي ومن كـل جامـد ** ومن كل شرير يَرى فُجْرَه بـِـرّا
فينهض ذاك المصلح الفرد وحـده ** ويسأل مولاه المجيب له النصـرا
ويستل سيفا من صوارم نصحـه ** عليهم به تلقى مكائدهم بـترا
يسوق لهم جيشا من الحق صارمـا ** فيقذفهم قذفا ويدحرهم دحـرا

وفي الفصل الأول قال :

ألست ترى من آل نبهان يوسفـا ** يصرح في تضليل أهل الهدى جهـرا
تآليفه ملأى بكل مذمـة ** فيبدي بها لعنا ويبدي بها كفـرا
حشاها بما أوحى اليه غُـرُورُه ** من الإفك والبهتان مخرقةً كـبرى
وراح بها يرمي بكل ضلالـة ** أئمةَ هذا العصر اذ نوروا العصـرا
اذا ذكر الاعلام في الدين والتقـى ** يفسقهم طورا وَيكْفُرهُمُ طـورا (١)
يرى أن دعوى الاجتهاد ضلالـة ** وأن دعاة الاجتهاد أتوا نكْـرَا
يراهم ابا حيين حيث تمسكـوا ** بهدي كتاب الله والسنة الغـرا
وقد خص دعوى الاجتهاد بأربـع ** وحرم أن الناس يَعدُو نَهمُ فشـرا (٢)
وقال الذي يبغي الهدى من سواهـم ** فقد حاد عن سبل الشريعة وازورا
فما قول ذا المعتوه فيمن تقدمـوا ** من التابعين السابقين لهم عصـرا

الى أن يقول :

نعم لا نرى فرقا وأي موحـد ** سوى الأرعن النبهان قال بما مـرا

وفي الفصل الثاني قال :

فأول من في عصره قام داعيـا ** هو السيدُ الأفغانُ من قد سما ذكـرا
فقد جاء مصرا قاصدا لصلاحهـا ** فأعمل في أرجائها همة كـبرى

---

(١) يكفرهم من أكفر .. أي : رمى بالكفر ، وليست في اللغة .. د . سرحان

(٢) بأربع يقصد أئمة المذاهب الأربعة ، وكلمة " أربع " خطأ ــ لأن المعدود مذكر . د . عبد السلام سرحان .

سقاها علوما من ينابيع فكـــــره ** فأخصب روض العلم والفضل فى مصـــرا
أتهجو امام الشرق مصباح نـــــوره ** جمال الهدى والدين من قد علا قدرا
رويدك لا تنطح بقرنك صخـــــرة ** فتدمى ولا تنبح بصوتك ذا الهـــدرا
لقد عاش ذا الأستاذ طول حياتـــه ** يؤلف للاسلام جامعة كـــبرى
وعندى أن الله جل جلاله اصــــطفاه لتجديد لملته الغـــرا
فقد بصر الأقوام أسرار دينهــــم ** ودك خرافات به الصقت نكـــرا

وفى الفصل الثالث يقول :

ومن بعده قد قام لله داعيـــــا ** امام يقول الحق بين الملا جهـــرا
هو السيد الأسنى محمد عبـــــده ** ختام أولى التحقيق من قد سما قدرا
توخى طريق الجد فى طلب العـــلا ** الى أن غدا فى مصر آيته الكـــبرى
وأصبحت الفتيا كسالف عصرهـــــا ** بحكم كتاب الله والسنة الغـــرا

الى أن يقول :

وهذا ابن نبهان أتى فى زماننـــــا ** مخازى أضحى فى الورى أمرها امرا
يحاول تعليم التعصب والهـــوى ** ليرجع فينا الطعن واللعن والكفـــرا
وكم ذا أساء الشيخ نحو امامنـــــا ** برائية صغرى وكم ذابـــه أزرى
وكم ذا افترى افكا عليه محرمـــــا ** تمور الجبال الراسيات له مـــورا
فمما افتراه ما ادعاه بأنـــــه ** بلا مانع قد أهمل الظهر والعصـــرا
ومما افتراه ما ادعاه بأنـــــه ** يحلل شرب الخمر أو يشرب الخمـــرا
وما قال من ترك الامام لحجـــــه ** فان صح ذا فالحق أن له عـــذرا

وفى الفصل الرابع قال :

وان تلاميذ الامام تواطـــــأوا ** على نهج ذاك الليث واستسهلوا الوعرا
وان لمن خير التلاميذ نسبـــــة ** وأغزرهم علما وأرفعهم قـــدرا
منار الهدى بحر الندى قاهر العدا ** رشيد رضا من أحرز الفخر والنصـــرا
امام اذا ما المشكلات تعقـــدت ** وأعجزت الأبطال أن يدركوا السـرا

يراعته ان هزها بيمينـــه ** على طِرسهم يستحضر البيض والسمرا
وهذا منار الدين مذ صاح فى الـورى ** ففى سائر الأفكار قد زلزل الكفرا

ثم تكلم عن مقصد رشيد رضا من انكاره لسجود القمر والشمس لله تعالى كما ورد فى الحديث الشريف • والقرآن الكريم وتكلم عنها النبهانى فى مقدمة ديوانه ص ٥ــ٦ فقد نقل مقصد رشيد رضا بأنه شبيه بقصة تأبير النخل • ثم تكلم عن زيارة رشيد رضا لبيروت وسماحه لأولاد المسلمين بالدراسة فى المدارس النصرانية وقيام أهل بيروت اليه بالضرب والشتم كما ذكره النبهانى فى رائيته الصغرى وذكر طرد أهل الشام للسيد رشيد رضا وضربهم له وأخذ على النبهانى اثناءه عليهم وتشجيعه لهم •

وفى الفصل الخامس قال :

وأما الألوسى حبر بغداد فهو من ** أئمة هذا العصر أعظم به حبرا
فاهديه من شكرى ثناء معطرا ** ولست أؤدى ما حييت له شكرا
أمانى فى سفر له فيه ما ترى ** سهاما على النبهان قاصمةً ظهرا (١)
فقد كشف الاستار عن جهله بما ** عليه من سقف المباحث قد خرا
وألقمه صخر الحجاج مبرهنا ** فمن هوله قد كاد يسكنه القبرا
ولست أرى أن الذى قد حدا به ** على نظمه ذا الوقت رائية صغرى
سوى ذلك السفر العجيب الذى به الـ ** امام الألوسى أحرزوا الفضل والنصرا
وماذا عسى أنى أقول ومدحه ** من العلماء طبق البر والبحرا (٢)

وقد بلغت هذه القصيدة سبعين ومائة بيت •

يقول ناظمها محمد بهجت البيطار : انتهيت من نظمها فى ١٠ جمادى الأولى ١٣٣٠هـ •

---

(١) يقصد كتاب " غاية الأمانى فى الرد على النبهانى " •

(٢) مخطوط رقم ٨٧٢١ موجود فى مكتبه المتحف العراقى فى بغداد •

(٥) رد محمود شكري الألوسي المسمى : " الآية الكبرى على ضلال النبهاني في رائيته الصغرى " : (١)

بعد افتتاح الرد بمقدمة من الحمد والتسبيح والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم قال :

" أما بعد فان الشيخ يوسف النبهاني لم يزل مولعا بالخرافات مضادا للهدى الرباني ، وكم ألف من الرسائل المشحونة بالسخف والضلال والباطل والعاطل تنبو عن قبولها الطباع وتتجافى عن استماعها الأسماع بالفاظ رثة ومعان غثة وقد نشرها بين الناس وبثها بين سائر الأجناس فاستحى العالم الاسلامي منها لاسيما العلماء الأعلام خوف أن يظن المخالف أنها من دين الاسلام .

ومن تلك الكتب كتابه الموسوم بشواهد الحق المشحون بالباطل والخطأ المطلق بل الذى لا يفوه بمثله الا الضليل أو الجاهل الأحمق ، وقد شتم فيه أئمة الدين وأخيار المسلمين وحرف النصوص وأخل ببنيان الايمان المرصوص ، فرد عليه بعض أهل العلم بما أظهر عواره ، وأبرز عاره وشناره ، وعرفه بقدره وشهره بجهله في جميع الاقطار فضلا عن قطره ، وسماه " بغاية الأماني في الرد على الزائغ النبهاني " فحينئذ قامت قيامته وشالت نعامته وحاص حيصة الحمر الأهلية اذ رأت الاسد ، ولم يزل في شهيق ونهيق ولم يلتفت اليه أحد حيث رمي بسهم لا يندمل جرحه ، وجرح يصارم لا يلتام قرحه ، وسقط في يديه ، وبهت مما رآه بعينيه .

ولما كانت النفس الخبيثة مطبوعة على الوقاحة ، ومخلوقة من محض الغي والقباحة لم يرعو عن غيه ، وان ألجم بلجام الالزام لكبحه عن الرعي في مرعى بغيه ، فنظم قصيدة رمى بها أجلة العصر الذين افتخر بفضلهم الزمان ، وطاول بهم من تقدم من أعلام علماء الأمصار والبلدان ، حيث كان كل واحد منهم في محراب الفضل أجل امام ، وفي ميدان العرفان سباق غايات لا يرام ، فتكلم عليهم بما يغضب الديان ، ويستوجب خلود النيران ، وسمى قصيدته " بالرائية الصغرى في ذم البدعة ومدح السنة الغرا " ، وذلك من باب تسمية الشيء باسم ضده ، ترويجا على من لم يفرق

---

(١) اشارة اليها الاستاذ محمد بهجت الاثري في اعلام العراق ص ١٤١ .

بين يومه وغده ، ولا بين المحدود وحده ، وتلبيسا على أشباهه من الجهلة الذين لا يعرفون جزر البحر من مده ، ورتبها على خمسة فصول — ثم ذكر الفصول الخمسة — .

ولما كان شتمه للكل بسبب الذب عن السلف والنجديين اقتصرنا على بيان ما في القسم الخامس من الزور والبهتان ، وموافقة الشيطان ، ومخالفة الحق ومراغمة الديان ، وذلك على سبيل الاختصار لأن هذه المطالب مبسوطة في عدة أسفار ، ورسمنا ما كتبناه " بالآية الكبرى على ضلال النبهاني في (رائيته الصغرى) (1) . والله الهادي الى سواء السبيل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وطريقته في رده هذا هي أن يذكر الأبيات ويرد عليها مفندا ما يراه من الأخطاء وقد كان رده نثرا .. ومن نماذج ردوده :

" قال النبهاني القسم الخامس في وصف الوهابية أتباع محمد بن عبد الوهاب النجدي التابع في بدعته لابن تيمية . "

أقول في هذا العنوان عدة غلطات تدل على مبلغه من العلم وحاله من الدين والفهم .

ومنها قوله في الوهابية : انهم أتباع محمد بن عبد الوهاب وذلك أن السلفيين من أهل نجد وغيرهم لم ينتسبوا محمد بن عبد الوهاب ولم يقلدوه ولم يدع هو الامامة لأحد ، وانما كان يذكر الناس بالكتاب والسنة ، فوافق اعتقادهم اعتقاده ، اذ الحق لا يتعدد هكذا يقال من محمد عبد الوهاب والشيخ تقي الدين بن تيمية ، والسلفيون كلهم يأخذون بالكتاب والسنة واجماع الأمة ، وهكذا جميع أئمة الأمة ، فهم متفقون على ذلك الاعتقاد اذ مأخذ الجميع واحد .

---

(1) لم يذكر المؤلف اسمه في مخطوطه وقد ذكر رده هذا الشيخ غيهب بن محمد غيهب الذي قدم الطبع الثانية لكتاب لاغاية الاماني في الرد على النبهاني " وفي ترجمة للسيد الالوسي ذكر من مؤلفاته ومنها "الآية الكبرى على ضلال النبهاني في رائيته الصغرى" وربما يكون سبب عدم ذكره لاسمه هو خوفه من السلطه التي كانت تحارب كل من يرد على النبهاني راجع تفصيل ذلك في كتاب" غاية الأماني في الرد على النبهاني ص ٨-٩ " .

ومنها خطؤه فى النسبة فان من وافقوا محمد بن عبد الوهاب ان كانوا اتباعه فينبغى أن ينسبهم الى اسمه فيقال : محمدية كما أن اتباع مالك يقال لهم المالكية وهكذا فالنسبة انها تكون لاسم المتبوع لا لأبيه كما لا يخفى فالنبهانى جاهل بالعربية كما أنه لا خبرة له فى الأمور الدينية ، فقلد غيره فى هذه التسمية والنسبة تقليد أعمى لأعمى أو يقال ، انه اذا راعى القواعد فسماهم محمدية غص هو وأعداء الحق بريقهم اذ هم فى واقع الأمر كذلك لأنهم متبعون للكتاب والسنة فهم أتباع محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم — لا أتباع ابن عبد الوهاب ، فحسدهم أعداء الحق على هذه النسبة ونبزوهم بهذا اللقب وقد قال الله تعالى : "ولا تنابزوا بالألقاب".

ومنها زعم أن ما عليه القبوريون الغلاة هو السنة وما ذهب اليه مخالفوهم — مما دل عليه الكتاب والحديث الصحيح — هو البدعة ، وهذا كلام من لم يعلم الفرق بين السنة والبدعة ، ولم يعرف حدود ما أنزل الله على من أرسله الله بالهدى ودين الحق ، بل انه يشبه كلام من كان يقول : "ولا تأمنوا الا لمن تبع دينكم" فرد الله عليهم بقوله" قل ان الهدى هدى الله ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير" ، والكلام على البدعة مفصل فى (١ : ٧٦ ، ٢٣١) ، من كتاب" غاية الأمانى فى الرد على النبهانى " فليراجع" ،

ثم ذكر قول النبهانى فى رائيته الصغرى :

ضعاف النهى اعراب نجد جدودهم ** وقد أورثوهم عنهم الزور والوزرا
مسيلمةُ الجدُّ الكبيرُ وعرسُهُ ** سجاحُ لكلٍ منهم الجدَّةُ الكبرى

وبعد أن رد عليه وفند اقواله أورد بيتين اخرين .. هما :

أشار رسول الله للشرق ذمه ** وهم أهله لا غرو أن أطلع الشرا
به يطلع الشيطان ينطح قرنُهُ ** رؤوس الهدى والله يكسره كسرا

---

(١) هذه نسبة خاطئة لأن النسبة الى الجمع ممنوعة الا اذا كان علما ، ولكنه الجهل باللغة شاع وذاع حتى بين من زعموا أنهم علماء بالعربية وينقدون الناس على خطئهم فيها ، د / سرحان .

وهكذا يستمر الشيخ الألوسي في ذكر بعض أبيات للنبهاني ثم يرد عليها . ثم يختم رده على الشيخ النبهاني بقوله" ...

والحاصل أنه رجل سوء بذيء اللسان كذاب دجال ونسكت عن أشياء أخرى فما كل معلوم يقال ..

هذا ونسأل الله العظيم أن يبصره في خِلالَته (١) ويوقظه من غفلته وجهالته ويعرفه بنفسه حتى لا يستحقر أبناء جنسه ، وأن يوفقه للعود الى دينه ويهيء له من ينقذه من نيران جحيمه ، والا فلا يفيده الحب الكاذب والانتساب الى أي مذهب كان في المذاهب ، انما النجاة في الموت على الايمان في أي مكان كان ، نسأله تعالى أن يختم بالسعادة آجالنا ويحقق في الخير آمالنا ، وصلى الله على سيد الأولين والآخرين ورسول رب العالمين وعلى آله وصحبه والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين .

وقد وقع الفراغ مما كتبته صباح يوم الاثنين ثالث عشر صفر سنة ثلاثين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبويه الموافق ٣٠ من كانون الثاني ١٩١٢م وكانت مدة اشتغالي بتسويده مدة يسيرة جدا مع ما أنا عليه من المصائب وتوالي النوائب وتشتت الأفكار بما صنعت يد الأقدار ، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين" . (٢)

وقد بلغ مجموع الأبيات في القصائد الأربع التي ردت على الشيخ يوسف النبهاني تسعمائة بيت وهي بمجموعها أربت على ما ذكره النبهاني في رائيته الصغرى من القذف والشتم والاتهامات المختلفة .. حتى ان بعضهم مثل الشيخ علي بن يوسف التميمي استعمل ألفاظا مقذعة ومسفة .

والذي أراه أن أقوى هذه القصائد هي قصيدة الشيخ سليمان بن سحمان فهي قوية في استدلالها وقوة صياغتها .

أما رد السيد محمود شكري الألوسي فقد كان ردا علميا منظما وهو أقوى الردود التي اطلعت عليها في استدلاله ونقاشه ،فهو — وان كان يستعمل بعض

---

(١) الخِلالة — كالخُلولة — : اسم من الخُلّة .. أي الصداقة الخاصة أو الخليلة .. تكون في دعارة وفي عفاف ، والمقصود هنا الأولى . د /سرحان .

(٢) مخطوط رقم ٨٧٢١ موجود في مكتبة المتحف العراقية — بغداد .

العبارات المقذعة فى وصف الشيخ يوسف النبهانى لم ينس فى آخر رده ، أن يدعو له بالهداية والعودة الى الصواب تماما كما فعل الشيخ النبهانى فى آخر الفصل الرابع من رائيته الصغرى حيث قال :

فيارب أصلحهم وان لم ترد لهم ** صلاحا فلا تنجح الهى لهم أمرا

كتاب غاية الأمانى فى الرد على النبهانى للسيد محمود شكرى الألوسى :

أما ظروف تأليف الكتاب فهى كما كتبها الشيخ غيهب بن محمد الغيهب فى ترجمته للسيد الألوسى .. قال " عندما عزمت على كتابة هذه الترجمة اتصلت بالعالم السلفى الشيخ محمد نصيف بجدة والذى كان له اسهام فعال فى تأليف الكتاب وطبعته الأولى فأفاد بما ملخصه : انه عندما ظهر كتاب النبهانى المسمى (شواهد الحق) وقرأه الشيخ محمد نصيف ورأى ما فيه من التلفيق والتحريف والاستدلال السخيف وذكر الأحاديث الباطلة الموضوعة والضعيفة الواهية ، وتهجمه على المحققين من علماء السلف وتجويزه دعاء الأموات والاستغاثة بهم وغير ذلك مما يخالف صريح الكتاب وصحيح السنة . عندما قرأه كتب للعالم العلامة الشيخ محمود شكرى الألوسى يطلب منه أن يقوم بالرد على النبهانى ويدحض اباطيله ، وينتصر للحق وأهله فلم تمض سنة الا وقد جاء الرد المسمى (غاية الأمانى فى الرد على النبهانى) للشيخ محمود الألوسى واتفق الشيخ محمود نصيف والشيخ عبد القادر التلمسانى - من تجار جدة المحسنين ، والعلماء السلفيين - على أن يقوما بطبعه وتكاليف الطبع بينهما مناصفة . وكان الشيخ التلمسانى آنذاك فى مصر فاتفقا أن يقوم بطبعه فرج زكى الكردى فى مطبعته بمصر فقام بطبعته الأولى وقد وضع المؤلف على طرة الكتاب : "تأليف أبى المعالى الحسينى" ، اشارة الى كنيته ونسبة الحسينى وزاد عليهما "السلامى الشافعى" لئلا يتضح اسمه خوفا على نفسه ، وذلك أن العلماء السلفيين فى ذلك العصر كانوا يخافون على أنفسهم من معارضة أهل البدع والخرافيين - كالنبهانى وغيره .

والسبب فى ذلك أن السلطان عبد الحميد سلطان الدولة العثمانية قد قرب المشائخ من أهل الطرق من الصوفية أنصار البدع ، لذلك خاف السيد محمود

شكري الألوسي من اظهار اسمه على طرة الكتاب ، وكذلك صاحب المطبعة فرج الله زكي خاف على نفسه ولم يذكر اسمه الا رمزا (ف • ج • ز) ولا اسم مطبعته ولا البلد التي فيها المطبعة وكذلك الشيخ عبد القادر التلمساني والشيخ نصيف خافا على أنفسهما من العلة نفسها ، لأن السلطان عبد الحميد في ذلك الوقت كان له النفوذ في بغداد ومصر والحجاز وهي البلدان التي فيها المؤلف والطابع والمطبعة ولهذه المضايقات والخوف عندما تم طبع الكتاب لم يتمكنوا من توزيعه الا عندما أخذت حكومة اسطنبول بالقوانين الوضعية الأوروبية وأعلنت الدستور وكان الدستور يقضي بحرية العقائد والأديان ، فعند ذلك أرسلت حصة الشيخ محمد نصيف من الكتاب الى الحجاز ووزعها ، ووضع على كل نسخة وزعها اسم المؤلف بخط يده ، وكذلك الشيخ عبد القادر وزع نسخه في مصر وغيرها ثم ان الشيخ محمد نصيف عندما لم يخف من جراء اظهار الكتاب أعلن في جرائد بيروت في ذلك الحين أن لديه كتابا في الرد على النبهاني للشيخ الألوسي اسمه " غاية الأماني في الرد على النبهاني " ثم انبرى بعض تلامذة النبهاني وأعلن عن الرد ، وحاول أن يحط من قدر الكتاب ، ولكن كما قيل :

وقل للعيون الرمد للشمس أعين ... سواك تراها في مغيب ومطلع (١)

وقد دارت مسائل كتاب الألوسي هذا حول الجهة لذات الله تعالى وحول زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم والاستغاثة والاجتهاد المطلق كما أنه دافع عن الامام ابن تيمية وتلامذته وابن قيم الجوزية وابن عبد الهادي وابن حزم •

وفي نهاية الجزء الثاني ذكر المؤلف تقاريظ تسعة من العلماء لكتابه لم تزد على كونها عبارات اطراء وثناء للكتاب ومؤلفه ••• ومنهم " خادم السنة أبو العباس البنجاني " و " عبد الودود بن محسن " و " خادم الحديث النبوي عبد الله السلامي " و " أبو الخير محمد الحجازي " و " معين الدين بن بركات وغيرهم ولم يذكر المؤلف الوظيفة العلمية التي يشغلها صاحب التقريظ لامكان الرجوع اليه

---

(١) غاية الأماني في الرد على النبهاني ص٨ـ٩ وفي هذا الاخفاء ثم الاظهار دلالة على مكانة تآليف النبهاني في قلوب المسلمين وعلى اتجاه العصر الثقافي والفكري وعلى تبدل الأحوال بعد اعلان الدستور •

بل ذكر الأسماء مجردة مما يشكك فى صحة هذه الأسماء [1] .

أما الشيخ النبهانى فقد ذكر التقاريظ على كتابه "شواهد الحق" وكتب اسم صاحب التقريظ – ووظيفته وكلهم علماء معروفون ومشهورون فى مصر .

أما اذا كان سبب ذكر أسماء اصحاب التقاريظ مجردة خوفا عليهم من بطش السلطات كما فعل المؤلف فان الطبعة الثانية للكتاب التى ذكر المؤلف اسمه فيها صريحا بعد اعلان الدستور كان المفروض ايضا أن يقدم معها مزيدا من التعريف بأسماء هؤلاء المقرظين . نفيا للشك فيهم .

السيد رشيد رضا يعلن عن كتاب " غاية الأمانى " فى مجلة المنار :

" غاية الأمانى فى الرد على النبهانى كتاب مؤلف من سفرين كبيرين لأحد علماء العراق الأعلام المكنى بأبى المعالى الحسينى السلامى الشافعى ، رد فيها على ما جاء به النبهانى فى كتابه " شواهد الحق " من الجهالات والنقول الكاذبة والآراء السخيفة والدلائل المقلوبة فى جواز الاستغاثة بغير الله تعالى وما تعدى به طوره فى سب أئمة العلم وأنصار السنة كشيخ الاسلام ابن تيمية الى أن قال :

وفى هذا الكتاب ما لا أحصيه من الفوائد العلمية فى التوحيد والحديث والتفسير والفقه والتاريخ والأدب ، وما انفرد به بعض المشاهير فأنكره العلماء عليه كالانكار على الغزالى وابن عربى الحاتمى وغيرهما ... فعلى هذا الكتاب نحيل الذين يكتبون الينا فى الشرق والغرب يسألوننا أن نرد على النبهانى ، وكذا من اغتروا بقوله ونقوله وظنوا أن قولنا فى الاعتذار من عدم قراءة كتبه والرد عليها : انه لا يوثق بعقله ولا نقله ، وهو من قبيل السب وحاشا لله ما هو الا ما نعتقده فيه وفى كتبه بعد النظر فى بعضها ورؤية ما فيها من الأحاديث الموضوعة والنقول المكذوبة والاستنباطات الباطلة ممن جعل نفسه بالاستنباط مجتهدا وهو ينكر الاجتهاد ويعترف أنه ليس أهلا له [2] .

---

(١) وقد شكك النبهانى نفسه فى صحة هذه الأسماء فقال أما كتابه – الألوسى – فقد قرظه هيان بن بيان والحارث ابن همام وان كان لابد من وجود اشخاص بتلك الأسماء المجهولة فهم من أعداء دين الاسلام "الديوان ص ٢٩٤ .

(٢) المنار ج ١٢ ص ٧٨٥ .

الشيخ محمد بن عوض بافضل الحضرمي يرى الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام فينهاه عن اقتناء كتاب غاية الأماني في الرد على النبهاني :

يقول الشيخ يوسف النبهاني " جاءني وأنا في مصر في شهر شعبان سنة ١٣٣٨هـ العامل الفاضل الكامل سيدى الشيخ محمد بن عوض بافضل الحضرمي أخص تلاميذ سيدنا العارف بالله السيد أحمد بن حسن العطاس باعلوي المتوفى منذ ثلاث سنوات الذي ذكرته مع مناقبه وكراماته في كتاب جامع كرامات الأولياء ، وقد ذكر لي في مكتوبه المذكور جملة مراء نبوية من جملتها مبشرة جليلة تدل على شدة بغض سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لكتاب .. " نيل الأماني [1] في الرد على النبهاني " تأليف الوهابي الشهير المجنون الشرير شكرى افندى الألوسي رد فيه على كتاب " شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق " صلى الله عليه وسلم وطعن فيه على كثير من أئمة أهل السنة والجماعة من الأولياء والعلماء المجمع على جلالة قدرهم الى أن يقول : والمبشرة التي ذكرها في مكتوبه سيدى الشيخ محمد بن عوض العالم الفاضل السيد الشريف سيدى السيد علوى بن طاهر الحداد المقيم الآن في بلدة قيدون من حضرموت أحد الأفاضل من تلاميذ سيدنا المرحوم السيد أحمد بن حسن العطاس قال حفظه الله : اني في سفرى الأخير الى عدن عام ١٣٣٨ هـ ـ وقفت على كتاب يسمى " نيل الأماني [2] في الرد على النبهاني " " فأخذته مزدريا به ومتعجبا من صنع مؤلفه وأعجبني ورقه الصقيل وحروفه الجميلة وبقيت منشوقا الى ما احتوى عليه فطالعت قطعة منه ونهاني أحد السادة الفضلاء فقلت له : ليس غرضى من مطالعته الا الاحاطة بما فيه مع اطّراح تمويهاته جانبا فرأيت في المنام سيد الأنام صلى الله عليه وسلم على صورة من أجمل الصور وأكملها وتأملت وجهة الشريف فاذا هو كالمغضب فجئت اليه لاصافحه فقبض يده فقلت له : يا رسول الله أنا ولدك فما ذنبي فقال لم تطالع في نيل الأماني [3] ؟ فقلت له : انما طالعت فيه متفرجا ـ أو ما هذا معناه ـ وأتوب الى الله ، فصافحته وقمت فزعا وأخذت الكتاب وأحرقته فرأيته صلى الله عليه وسلم في منامي ثانيا وهو منبسط اليّ والبشر يلوح على وجهه .. انتهت عبارته بحروفها " [4].

---

(١) هكذا ورد وهي مكان "غاية " في الموضعين .

(٢) المرجع نفسه .

(٣) الصواب : " غاية الأماني " .

(٤) دلائل الخيرات ص ١٥١ ـ ١٥٢ .



الأمير شكيب أرسلان يلوم النبهاني على قصيدته :

يقول الأمير شكيب أرسلان : " وقد بدا له – النبهاني – أن السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده والسيد رشيد رضا ممن يتشككون في هذه الأمور من الكرامات وخوارق العادات – فكان يحمل لهم تحت كشحه ضغنا شديدا ، ويعتقد ضررهم بالملة الاسلامية ، ومرة اجتمع الشيخ محمد عبده والشيخ يوسف النبهاني عندي في الجبل وكنت مصطافا في قرية عين عنوب في بلادنا ، وذلك منذ ٤٨ سنة فكان الجدال يدول بينهما وكان الشيخ محمد عبده اذا نحا باللائمة على علماء المسلمين فيما قصروا فيه من ايقاظ هذه الأمة الموكول اليهم ارشادها والنصح لها ، يأخذ الشيخ يوسف بالانكار عليه ويقول له لماذا سوء الظن بالعلماء ؟ الى غير ذلك مما يعارضه به وكنت أعلم شيئا من سوء ظن النبهاني بالأفغاني وبأستاذنا الشيخ محمد عبده وتلميذه السيد رشيد رضا ، ويؤسفني هذا الأمر الا أني لم اكن أظن أن سوء الظن يبلغ بالنبهاني ذلك الحد البعيد في حقهم حتى خرج به عن الاعتدال خروجا لا يليق بمثله ، فقد قرأت له قصيدة رائية مطبوعة ويا للأسف رماهم فيها بهاجرات وقذف بهم قذفا فظيعا حمله عليه مجرد سوء الظن ، وتجسم الظن في نفسه مما يؤاخذه الله عليه عفا الله عنه ، وقد كان هو يلوم الشيخ محمد عبده على سوء الظن في العلماء مما لا يعد كحبة الخردلة في جانب ما ظهر من سوء ظنه هو فكيف وقع فيما كان ينهى عنه ، وقذف هؤلاء العلماء بدون بينة ولا دليل ؟ وغفل مع تقواه عن قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين " اننا سألنا الله له المغفرة لما قرأناه له من تلك القصيدة الشاذة بل الشنيعة ولكن .. من ذا الذي ما ساء قط ؟؟ " (١) .

---

(١) " السيد رشيد رضا " أو " اخاء أربعين عاما " ص ٧٦ – لم يطلع الأمير شكيب أرسلان على القصائد التي ردت على رائية النبهاني الصغرى ولو اطلع على ما فيها من عبارات أكثر اقذاعا مما قاله النبهاني لوجد للنبهاني عذرا كما أنه لم يطلع أيضا على كتاب " غاية الأماني في الرد على النبهاني " وما استعمل فيه المؤلف من عبارات الهجاء للنبهاني .

هذا وينبغي ملاحظة أن ما كتب من ردود على الشيخ النبهاني نظمـــا ونثرا كانت دفاعا عن محمود شكري الألوسي والوهابية وليس فيها رد واحد للدفـــاع عن الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا بشكل رئيس .

أثر ردود كل طرف على الطرف الآخر :

اثر الردود على الشيخ النبهاني :

لقد أثر كتاب " غاية الأماني " على الشيخ النبهاني تأثيرا بالغا كما يظهـــر في القسم الخامس من قصيدة عند ذكر السيد الألوسي والوهابية حيث يقول :

الى أن رمى مجنونهم برجيمـــه ** على الناس في تأليفه ذلك السفـــرا
وما وصلت أرجاسه غير قومــــه ** به وبهم أرجاسه حصرت حصـــرا
ومهما أبانوا عذرهم بجنونـــه ** نصدقهم فيه ولا نقبل العـــذرا
فكان عليهم قيده بسلاســـل ** وأن يحجروه عن فظائعه حجـــرا
فمن أطلق الكلب العقور فانـــه ** هو المخطىء الجاني الذي فعل المقرا
أتى بكتاب الشتم لا العلم داعيـــا ** الى لعنه بين الورى كل من يقـــرا
عدو رسول الله أرضى عداتـــه ** ومني ومن أحبابه أوغر الصـــدرا
وهلا عفا عنا لذنب بزعمـــه ** لخدمتنا روح الوجود أبا الزهـــرا
فلو كان من نسل المجوس عذرتـــه ** وقلت امرؤ يبغي لاجداده ثـــأرا
ولكن نراه يدعي خير نسبـــة ** وأم الفتى منه بنسبتـــه أدرى
فمن ذا رأى في الناس شخصا مواليـــا ** لقوم يرون الحب في جده كفـــرا
ومن ذا رأى في الناس شخصا معاديـــا ** فتى بمعالي جده أنفق العمـــرا
اذن نحن في شك من النسب الـذي ** تقول وفيه الشك نحصره حصـــرا
كتاب عليه اللعن من كل سامـــع ** وصاحبه أيضا غدا ما طرا مطـــرا (1)

أما القصائد التي ردت على الرائية الصغرى فيبدو أنه لم يطلع عليها مطلقـــا لأني لم أجد لها ذكرا أو اشارة في كتبه ، والذي أرجحه أنها بقيت مخطوطة واذا طبعت فعلى نطاق ضيق لغلبة أفكار النبهاني على ثقافة الناس خصوصا في بلاد الشام ومصـــر .

---

(1) الديوان ص ٣٨٨ ـ ٣٩٢ .

أثر الرائية الصغرى على مدرسة الأفغاني :

لقد كان لرائية النبهاني الصغرى صدى واسع اذ سرعان ما طبعت في المدينة المنورة وتونس ومصر وفي عصر المؤلف طبعت أربع طبعات ، وهذا يدل على اقبال الناس على كتب الشيخ النبهاني لموافقة أحوال عصره الثقافية لأفكاره [1] خصوصا أن السلطان عبد الحميد كان يشجع هذا الاتجاه اذ أنه صوفي شاذلي - كما أن الخديويين توفيقا وعباسا اللذين عاش في حياتيهما الشيخ النبهاني كانا ضد مدرسة الأفغاني خصوصا الخديوي عباس حلمي الثاني الذي كافأ النبهاني بعد عزله من وظيفته بأن رتب له معاشا شهريا قدره ألف قرش وقد كانت أفكار الشيخ النبهاني منتشرة خارج البلاد العربية خصوصا في الهند [2] وجنوب شرق آسية كما يظهر من المكاتبات التي ترده تطلب منه الاجازة ببعض العلوم أو ارسال كتبه بالثمن ، فمن يطلع على هذه الرسائل ويقرأ الأسلوب الذي كان يخاطب به النبهاني يجد المنزلة الرفيعة التي كان يحظى بها في قلوب المسلمين خصوصا المغرب العربي والمشرق الاسلامي [3] ، ومثال ذلك ما رواه الأستاذ محمود شكري الألوسي في مقدمة كتابه عن الشيخ بدر الدين الحلبي عن كتابه (الارشاد والتعليم) عند ذكره مقالات الأمم

---

(١) فقد كانت بعض كتبه تطبع على نفقة بعض المحسنين وتوزع مجانا كما في كتاب "صلوات الثناء على سيد الأنبياء" يقول الشيخ النبهاني " وقد طبع من هذا الكتاب عشرة آلاف نسخة على نفقة العالم الفاضل صاحب المكرمة حضرة الشيخ محمد سعيد بك اياس البيروني الأكرم ليوزع مجانا بحيث لا يعطى الواحد أكثر من نسخة له فيها تصرف الملاك كيفما شاء جزاه الله خير الجزاء " ، صلوات الثناء على سيد الأنبياء للشيخ النبهاني ص٢ راجع أيضا الدلالات الواضحات ص ٢ للنبهاني ، ويقول صاحب معجم الشيوخ (جـ٢ ص ٦٤) "المترجم ممن رزق الاعانة على التأليف كما رزق التيسير في طبعها وقبولها فلا ينشر منها كتاب الا ويتهافت الناس على شرائه في مشارق الأرض ومغاربها " ،

(٢) راجع مراسلات النبهاني في كتابه أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٤٣ ،

(٣) راجع مجلة المنار جـ ٣٠ ص ١٤١ - ١٤٤ بعنوان "شكوى المنار من أحد علماء المليبار " يذكر في شكواه تأثير كتب النبهاني في قومه حتى انهم أخذوا يستخفون به لاقتنائه مجلة المنار فما كان من صاحب المنار الا أن أخذ يرسل له أعدادها مجانا ،

" ... ومن شنيع مقالاتهم في الاسلام : أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يخلو منه زمان ولا مكان يريدون بذلك أنه ما من زمان الا وهو فيه موجود ولا من مكان الا وهو فيه موجود - قال حفظه الله - وهذه المقالة الشنيعة لم نرها لأحد المتكلمين المتقدمين منهم والمتأخرين ولا رأيناها في كتب العقائد ولا كنا نظن أحدا يقول هذه المقالة الشنيعة ، وانما ذكرها الشيخ يوسف بن اسماعيل النبهاني البيروتي صاحب الكتب الكثيرة في الأدعية والصلوات في منظومة له سماها " طيبة الغراء " ناقلا لها عن البرهان الحلبي قال :

ذكر يوسف النبهاني أنه اطلع على رسالة ألفها البرهان الحلبي في هذا الموضوع فطالعها وانتفع بها " ثم ذكر مناقشة شيخ هندي له وبعد أن أفحمه ولم يستطع الشيخ الهندي أن يستمر في المناظرة قال : " ان هذا الشيخ الهندي ما زال بعد أن فارقني يذكر من فساد عقيدتي بين العامة وتطاولي على الدين واحتقاري للشرع ما وسوس له به شيطانه وسولت له نفسه الخبيثة حتى ألهب قلوبهم حقدا على وغيظا مني ، وتحركت نفوسهم الشريرة لايذائي على حق أذعته فيهم ونشرته بينهم وبدع أنكرتها عليهم وبينت لهم فسادها وأنها ليست من الدين " ثم ذكر قصة جرت له بسبب ذلك في أحد مساجد الجامعة [1] في الهند ، ثم قال :

هكذا يبذر علماء السوء بذور الخرافات والبدع والعقائد الفاسدة في قلوب العامة فتمكنت في قلوبهم حتى تعذر على احذق الناس بأمراض القلوب علاجها واختيار دواء نافع لها "[2] .

لقد كان للمحاربة والاضطهاد اللذين يلاقيهما مؤيدو مدرسة الأفغاني من المسلمين في أي مكان يتجهون اليه أثر بالغ عمق في قلوبهم روح الحقد والانتقام من الشيخ النبهاني مما جعلهم لا يتورعون عن هجائه بأقذع العبارات وأنكرها في تسعمئة بيت ، ان لم تكن هناك قصائد أخرى مخطوطة في احدى المكتبات النائية .

---

(١) جامعة عليكرة .

(٢) غاية الاماني في الرد على النبهاني ج ١ ص ٤٧-٥٠ .

أقول: ان النبهانى لم يبدأ المعركة بشكلها السافر بل كان فى أول حاله يكتب ما يؤيد أفكاره ويدافع عن زيارة القبور والاستغاثة والاجتهاد المطلق وغيرها من المسائل التى كانت من مواطن الخلاف بين العلماء منذ القديم وقد كتبت فيها المجلدات فكان الشيخ النبهانى بصفته صوفيا مقلدا لعلماء السلف مع الثقة المطلقة فى علمهم كان يؤيد رأيه بالنقول التى تؤيد رأيهم ثم يناقش القضية من الناحية العقلية مبينا أن الأمر يسير جدا لولا أن الله يوفق من يشاء الى الصواب وأن الذين لا يؤمنون بهذه المسائل الواضحة الصحة ـ حسب رأيه ـ لم يوفقهم الله لصوابها وكثيرا ما كان يرثى لحالهم داعيا لهم بالهداية .

وأفكار النبهانى هذه نجدها متفرقة فى جميع كتبه فقد كان رحمه الله لا يهتم بالترتيب الموضوعى ، فكثيرا ما كان يقطع الكلام ليذكر فكرة أو رؤيا منامية الا أنه لما كتب كتابه " شواهد الحق فى الاستغاثة بسيد الخلق " ضمن فيه جميع آرائه فى المسائل ناقلا من كتب العلماء الذين يؤيدونه وليس له الا الترتيب والتبويب كما يقول . ومن حسن نيته أنه كتب عدة تنبيهات فى مقدمة الكتاب ضمنها خلاصة آرائه فيمن يعتقدون الرأى المخالف لرأيه ، وكثيرا جدا ما يمدح ويعظم الامام ابن تيمية والامام ابن حزم والامام ابن قيم الجوزية وابن عبد الهادى ، والامام ابن تيمية هو السند الذى يتخذه علماء الوهابية أو مدرسة الأفغانى لاثبات صحة آرائهم فى هذه المسائل ، وقد وجدته فى مواضع لا تحد يمدح الامام ابن تيمية مختلقا له الأعذار بأنه بشر يجوز منه أن يقع فى الخطأ مادحا أتباعه واصفا لهم بالعلم والتقوى ، منبها الى فضلهم فى خدمة الاسلام مشيرا الى مؤلفاتهم التى خدموا بها الاسلام مشيرا الى أنه كثيرا ما ينقل منها فى مؤلفاته .. الى أن ظهر كتاب " غاية الأمانى فى الرد على النبهانى " تأليف أبى المعالى السلامى " وعلم الشيخ النبهانى أن مؤلفه هو محمود شكرى الألوسى الذى سفه أفكار النبهانى بعبارات مقذعة بالاضافة الى السيد رشيد رضا الذى كان لا يأبه أن ينعت الشيخ النبهانى بأحط النعوت (1) حتى انه فى فهرس الأعلام لكتاب تاريخ الأستاذ الامام الجزء الأول كتب يوسف النبهانى الدجال " وهذا فى الفهرس !! ! فما بالك فى داخل الكتاب ؟ ! !! .

---

(1) راجع المنار ج ١١ ص ٤٧ وراجع ايضا ج ٣٠ ص ١٤٠ ـ ١٤١ .

عند ها ظهرت قصيدة النبهاني ــ الرائية الصغرى ــ في هجاء جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا والوهابية والألوسي . ثم قامت الردود على قصيدة النبهاني .. التي بقيت مخطوطة للآن .

هذه لمحة عابرة عن صدام النبهاني بمدرسة الأفغاني .

ويبدو لي أن النبهاني لم يظهر هوادة في محاربته للأفغاني ومدرسته ومحمود شكري الألوسي بعد أن ظهر كتابه " غاية الأماني في الرد على النبهاني .

أما موقفه من الوهابية فقد كان أقل حدة ، وهو يعترف لهم بتشرعهم بالاسلام واقامتهم لشعائره من صلاة وصوم وحج وغيرها وانما يأخذ عليهم قولهم في زيارة القبور والاستغاثة وهي مسائل خلافية قديمة كما قلنا .

أقول واذا كان الشيخ النبهاني قد جوز لنفسه أن يمدح عصره الأول مع اعتقاده فساده اذا ما وازنه بعصره اللاحق لما حدث فيه كما في قوله :

مضى عصرنا شر العصور وانه	**	بنسبة هذا العصر أكرم به عصرا
أرى ذمه فرضا اذا ما ذكرته	**	فان قسته باليوم أوليته شكرا
تبدلت الأحوال من كل وجهة	**	وأصبح عرف الدين بين الورى نكرا (1)

ألا يجوز لنا اليوم وقد تغيرت الأحوال عما كانت عليه ــ كما تغيرت في عصر الشيخ النبهاني ــ أن نغير نظرتنا في الوهابية ــ كما غير النبهاني نظرته عن عصره الأول ــ وهم المتشرعون الوحيدون بالاسلام رسميا من بين سائر بلاد المسلمين .

ولو أن النبهاني عاش ليومنا هذا لاستشهد بهذه الأبيات أو زاد عليها ، ولاعترف لمن هجاهم من قبل بأنهم بالنسبة لأبناء عصرنا كانوا من المصطفين الأخيار .

---

(1) الديوان ص ٣٩٧ .

الباب الثالث أدبه

الفصل الأول : نشوءه وفنونه :

الشيخ يوسف النبهاني الأديب :

لقد كان للمنابع الثقافية التي أستقى منها الشيخ النبهاني أكبر الأثر في تكوينه اللغوي والأدبي ، فقد تلقى بواكير ثقافته على يد والده الذي ما ان بلغ السابعة عشرة من عمره حتى حفظ القرآن الكريم وبعض المتون فتكونت لديه حصيلة أدبية ولغوية متأثرة بقوة القرآن اللغوية وجماله في التعبير والمتون التي تصاغ بعبارات جزلة مختصرة تحمل المعاني الكثير بألفاظ قليلة •

ولعل من باب التأكيد أن أكرر القول بأن شخصية والده الأزهرية تكاد تكون المؤثر الوحيد الفعال في شخصية الشيخ النبهاني وعلمه وأدبه ، فكون والده هو أستاذه جمله في درس مستمر طيلة نهاره وليله فهو يؤاكله ويجالسه ويلقنه مبادئ العلوم ويحفظه القرآن فيتمثل الشيخ بكل حواسه وعواطفه حتى تنطبع في ذهنه فيكون هو اياها •

ولا شك أن بوادر النبوغ الأدبي قد ظهرت في مراحل طفولته وصباه فاكتشفها الأستاذ الوالد فوجهها للاستقاء من المصادر العربية الأصيلة •لذلك نلاحظ أن الشيخ النبهاني كان دائما يدعو لوالديه في ختام كل كتاب وبمناسبة وبلامناسبة وفي ترجمته لنفسه في كتابه هادي المريد الى طرق الأسانيد ذكر أن الفضل الأول في تعليمه يعود لوالده الذي حفظه القرآن وبعض المتون قبل ذهابه الى الأزهر وأن والده كان مدوامسا على العبادة فقد كان يختم كل ثلاثة أيام ختمة من القرآن ثم أصبح يختم كل أسبوع ثلاث ختمات • لذلك نجد الشيخ النبهاني لم يترك لنا أي أثر في أي موضوع أدبي • بل كل ما بحثه كان في موضوعات دينية أستجابة لمتطلبات العصر الذي كان الناس فيه بحاجة الى من يعيدهم الى دينهم ويذكرهم به بعد ما أخذ المبشرون ودعاة الحضارة الغربية ينتقصون من الاسلام بطريقة أو بأخرى فوقف الشيخ النبهاني مسخرا علمه وقدرته على التعبير في تحبير الرسائل والمجلدات نظما وشعرا للتذكير بمجد الاسلام ورد خصومه •

يقول الشيخ النبهاني رحمه الله " ••••••••

فالتأليف في هذه الأبواب ـ تنبيه المسلمين والدفاع عن الاسلام ـ لا يخطو

فى بالى حين الاقدام عليه ـ أى : التأليف ـ طلب الثواب بل أجد من نفسى داعيا لا أقدر على مخالفته للمحاماة عن هذا الدين المبين والانتصار لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم والنصيحة للمسلمين وأولاد المسلمين ، ولو رأيت غيرى من العلماء ألف فى ذلك كتبا تغنى عن كتبى لما أقدمت على تأليفها وكنت اقول قد حصل المقصود على يد من شاء الله من خلقه (١) لا سيما والتأليف فى ذلك يتسبب فى كثرة الأعداء من الكفار والفجار كما وقع لى وقد قصدوا أذيتى فوقانى الله شرهم ببركة حبيبه الأعظم صلى الله عليه وسلم ، ولم يخطر لى التأليف فى علم الأدب مع امكان ذلك نظما ونثرا لكون النفع الأخروى فيه قليل الآن ، وان كان من وسائل معرفة العلوم الدينية لأن المؤلفات الموجودة منه ليست بقدر الكفاية فقط بل هى أكثر من الكفاية بأضعاف مضاعفة ضيعوا أعمارهم فى تأليف الكتب المنطقية والنحوية وما أشبهها مما لا حاجة له اليوم لكثرة كتبها التى فى عشر معشارها كفاية ومع ذلك فهم مأجورين على حسن نياتهم ، ولذلك لا ينبغى لعلماء المسلمين الآن تضييع الاوقات فى التأليف فى ذلك وما أشبهه من العلوم الآلية ، والفنون العقلية وترك المقصود بالذات وهو الأمور الدينية ، ولا سيما التى تناسب هذا الزمن ، وما طرأ فيه على الاسلام وأهله من هجوم الكفر والأضاليل والبدع والاباطيل ، فيجب على علماء المسلمين السالمة عقائدهم من الزيغ المبادرة الى تأليف مؤلفات تحفظ عقائد العوام وتدفع عنهم الضلالات والأوهام ولا سيما مشايخنا واخواننا علماء الأزهر والمحفل الأنور فان هذه البلايا التى طرأت على الدين هى فى بلدهم مصر أكثر منها فى سائر بلاد المسلمين فبعد أن كانت معدن الرشاد ومنها يتفرع الى العباد كثر فيها فى هذه الأيام فى الدين الفساد ، وصار ينتشر منها الى سائر البلاد فبادروا أيها العلماء الأعلام حماة الاسلام وجاهدوا بسيوف الأقلام أهل الضلال والظلام فقد صار الدين كما ترونه ملعبة بأيدى الجهال يتصرفون بعقولهم السخيفة فى تحليل الحرام وتحريم الحلال ، فكثرة المفاسد فى الدين وتشوشت عقائد بعض جهال المسلمين ، فاتركوا رحمكم الله الاشتغال بما لا ضرورة له من تأليف الحواشى والتقارير وانتبهوا من غفلتكم لهذا الأمر الخطير والحكم لله العلى القدير (٢) .

كان هذا من ثمرات عبادة الاستاذ الوالد ومن ثمرات عبادته أيضا أن الشيخ النبهانى حصر كل انتاجه الفكرى حول شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم والدفاع عن

---

(١) هذا الموقف يشبه موقف الشيخ بدر الدين الحسينى الدمشقى المشهور بعلمه وفضله .

(٢) أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣٦ .

الاسلام فقط اضافة الى أن قريته التى عاش فيها صباه حتى ذهب الى الأزهر كانت أشبه بخلوة له مما أعطاه وحدة فى التفكير وتماثلا فى التصور والنظر الى الأشياء بنظرة واحدة لا تتغير مهما تغيرت الظروف والأحوال • واذا كانت أساليب تربية الناشئين فى عصور الاسلام الزاهرة تختلف فى أساليبها فأهل المشرق أول ما يعلمونه ناشئتهم القرآن وعلومه حتى اذا بلغوا الرشد علموهم العربية وعلومها أما أهل الاندلس فانهم كانوا يعلمون (١) ، العربية وعلومها أولا حتى اذا بلغ المتعلم الرشد علموه القرآن وعلومه • ولكل فلسفته فى منهجه • ويبدو أن الشيخ النبهانى قد تلقى علمه على طريقة أهل المشرق لانه قال : ان والده قد حفظه القرآن وبعض المتون قبل أن يذهب الى الازهر " وهذا يلقى لنا الأضواء على أدبه الذى يتمثل القرآن أسلوبا ومعنى •

مقدرة النبهانى الأدبية :

ان كل من قرأ للشيخ النبهانى يشهد له بالبراعة وقوة الأسلوب ويدرك أنه قد طوع اللغة لمختلف الاغراض التى طرقها • يقول البدوى الملثم " •••••••••• كان النبهانى الكبير علما مشاركا فى كثير من الفنون وشاعرا مجيدا وزاده ملكة واقتدارا على الكتابة والانشاء بعبارة فصيحة عالية خالية من الركاكة اشتغاله مدة فى تحرير جريدة الجوائب ••••• ولو زاول الأدب مع تبحره فيه وتمكنه منه نظما ونثرا لكانت لأدبنا المعاصر ثروة ضخمة •••••" (٢) •

والشيخ عبد الله العلايلى عاش زمن الشيخ النبهانى وحادثه وجرت له عدة محاورات علمية معه فى مختلف القضايا الحادثة كالتأمين وغيرها — : وقد سألته عن القدرة الأدبية للشيخ النبهانى قال : " عظمته من الناحية الأدبية تجلت فى كونه قمة من قمم الادب الرفيع الذى عرفه القرن التاسع عشر لأن الصياغة الأسلوبية لم يأخذها من عصر التخلف وانما من المنابع الأصلية " (٣) •

---

(١) راجع مقدمة ابن خلدون ص ٥٣٧ — ٥٤٠ فصل فى تعليم الولدان واختلاف مذاهب الامصار الاسلامية فى طرقه تكلم عن مناهج التعليم فى مختلف البلاد الاسلامية •

(٢) مجلة الاديب — بيروت — عدد يناير ١٩٦٥ ص ١٢ الجزء الاول سنة ٢٤ •

(٣) قابلته فى بيته فى ١٩٧٥/١/٦ بحضور الشيخ محمد نمر الخطيب •

ويقول الأمير شكيب ارسلان عن الشيخ يوسف النبهاني " كان من رؤوس الأدباء ومن الشعراء المفلقين " (١) ويقول صاحب معجم الشيوخ " .... ولم يشتغل بالتأليف في العلوم الأدبية مع تبحره فيها وتمكنه منها نظما ونثرا بل اقتصر على المدائح النبوية والموضوعات الدينية التي أختصرها وهذب كثيرا من مؤلفات من قبله وجمع فيها ما كان متفرقا (٢) " .

وقد بين لنا الشيخ النبهاني شيئا من جوانب ملكته الأدبية فقال :ـ
" .... ثم توجهت الى القسطنطينية مرتين واشتغلت فيها عدة سنوات بتحرير جريدة الجوائب التي ألغيت بعد ذلك وتصحيح ما يطبع في مطبعتها من الكتب العربية وبسبب ذلك مع قابليتي القوية وممارستي بشئ من الفنون العربية والأدبية تدربت على الكتابة حتى صار ابراز المقصود بعبارة فصيحة خالية من الركاكة والغرابة يتيسر لي بفضل الله تعالى " (٣) .

وفي مكان آخر ذكر النبهاني أن الاستاذ احمد فارس الشدياق كان يعد عمل الشيخ النبهاني في جريدة الجوائب الى جانبه من أكبر النعم عليه وقد عرض عليه أن يزيده في معاشه أو يشاركه في الجريدة مقابل بقائه في عمله وعدم الذهاب الى وظيفته في القضاء .

وفي هذا الموقف من جانب الأستاذ الشدياق دلالة على تقديره له ، وهو اللغوي الكبير الذى قيل عنه انه قاموس متحرك وأن من يطالع ردوده على الأستاذ رزق الله حسون التي نشر بعضها على صفحات جريدة " ثمرات الفنون " التي كانت تصدر في بيروت يعلم مقدار منزلته اللغوية والعلمية ، وفي عرضه على الشيخ النبهاني مشاركته في الجوائب أفضل شهادة علمية لمنزلة النبهاني الأدبية .

ويقول الشيخ النبهاني " .... وقد رزقني الله ـ وله الحمد والمنة ـ ملكة قوية في العربية بعد قراءتي في الجامع الأزهر على مشايخي الذين ذكرتهم في ثبتي " هادى المريد الى طرق الأسانيد " جميع الكتب التي أعتادوا قراءتها في علم النحو في نحو سبع سنوات من الاجرومية الى الاشموني بالشروح والحواشي مع حفظ الاجرومية والألفية ومطالعتي العوامل والاظهار وكافية ابن الحاجب بنفسي

---

(١) " السيد رشيد رضا أو اخاء أربعين عاما " للأمير شكيب ارسلان ص ٧٥ .

(٢) معجم الشيوخ للفاسي ج٢ ص ١٦١ .

(٣) أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣٢ .

ولبعض الطلبة ومع ذلك نسيت الآن أكثر قواعد النحو لكن ملكتي التي تعصم قلمي من اللحن غالبا قوية والحمد لله وقد طالعت من كتب الأدب والتاريخ شيئا كثيرا ولا أخلو دائما من المراجعة في كتب اللغة وغريب الحديث " (١) .

ويقول أيضا " وقد رزقني الله وله الحمد والمنة الفهم الصحيح والذوق السليم في كل ما ألفت فيه وهذا الوصف ليس مختصا بأكابر العلماء بل قد يكون في أذكياء العوام فضلا عن طلبة العلم وكثير ممن يقضون أعمارهم في الاشتغال بالعلم لم يرزقهم الله الفهم الصحيح والذوق السليم . وقد رزقني الله وله الحمد والمنة حسن التعبير عما أريد أن أعبر عنه بعبارتي وحسن الترتيب لما أريد أن أنقله من كتب العلماء مع معرفتي المعتمدين منهم وغير المعتمدين المقبولين عند الأمة وغير المقبولين لكثرة ما طالعته في كتبهم ." (٢) .

النثر الفني في عصره :

بدأ الشيخ النبهاني حياته الأدبية بعد أن أمضى سبع سنوات في الأزهر دارسا على أئمة شيوخه ، وقد كان الشعور الاسلامي ظاهرا على أئمة العلم والأدب خصوصا في مصر وبلاد الشام حيث كانوا يدينون للسلطان عبد الحميد الذي دعا للجامعة الاسلامية ـ بالولاء وكان الأدباء في هذا العصر ينظرون الى التراث نظرة اكبار واعزاز محاولين تقليده والسير على خطاه شعرا ونثرا .

ولو نظرنا الى نماذج من كتابات هذا العصر لوجدناها لا تختلف في أسلوبها وبنائها عن أسلوب أئمة الأدباء في عصور الأدب الزاهرة .

يقول الشيخ محمود شكري الألوسي : " ...... ونرفع اليه جل شأنه أكف التضرع والابتهال ونبسط له ـ تعالى سلطانه ـ أيدي التذلل والسؤال أن يديم ديم صلاته وسلامه هاطلة على أجل من نشر رايات التوحيد وعقد خنصر قلبه على تقديس ربه المجيد وتمسك بكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد سيدنا ومولانا محمد أمينك على وحيك ونجيك من خلقك وصفيك من عبادك امام الرحمة وقائد الخير ومفتاح البركة الذي نصب لأمرك نفسه وعرض فيك للبلاء بدنه ، وكاشف اليك في الدعاء خاصته ، وحارب في رضاك أسرته وقطع في

---

(١) المصدر السابق ص٤٣٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٣٥ .

احياء دينك رحمه ٠٠٠٠٠ الخ " (١) ٠

نلاحظ السجع والمزاوجة بين الجمل واضحا ٠

وكتب شوقي الى صديقه شكيب أرسلان سنة ١٩٠٧ يقول " أموي الحبيب الكريم " سلام الله العلي العظيم ، على ذلك الجانب الكريم وبعد فان " بيومي بك" الذي يتقدم اليك برسالتي هذه هو رجل كله أدب وان لم يكن من رجال الأدب ٠ وقد عزم على أن يقيم ببيروت أياما معدودة وأبى الا أن أدله على علمها ومنارها والأثر الضخم الجليل من آثارها وهو أنت ، وها قد دللته ، واليك أرسلته ، وأنا أغبطه بهذه الوفادة وأحسده على تلك السعادة " (٢) ٠

وكتب محمود سامي البارودي الى صديقه شكيب سنة ١٩٢٥ قال :

" سيدي الأمير لولا حنين النفس وهو علاقة الحب لصبرت على المكاتبة هنيهة مخافة الاملال ، ولكن راجعت النفس فأبت على زاعمة أن الاغباب يكون في الزيارة لا في الكتابة ، وبعد فقد تلقيت اليوم ما تفضلتم به على بيد ترعد فرحا وفؤاد يهتز مرحا ٠ وما عساي أن أقول في نظم لو وصفته لقلت سحر أو نثر لو وردت شرعته لكان بحرا ٠ انها وأيم الله منة لا يقوم بها الشكر ، ولا يتدرج الى معروفها النكر كيف لا وقد أضاءت على غيابة الوحشة وسرت على ضبابة الحرة ٠ فالحمد لله الذي صدق ظني وحقق أملي ٠ فاني منذ طالعت آثار قلمكم في جريدة الأهرام شعرت بميل من النفس اليكم ونزاع منها الى التعارف بكم ٠ ثم لم ألبث أن رأيت بها تعريضا خفيا سمعت منه هاتفا روحيا يدعوني اليكم فحدثت نفسي بمد أسلاك المراسلة لتبادل كهرباء المودة معكم ولكني راعيت الحال فأمسكت على مضض حتى سمعت هاتفا آخر يدعوني باسمي صراحة فلم أتمالك أن لبيت دعوته فتم الأمل بتعارف الأرواح قبل تعارف الأشباح ٠

هذا ما كنت أجده في نفسي أذكره لكم على سبيل الغرابة وسأكتب بعد هذا ان شاء الله فاقبلوا تحية فؤادي وخالص ودادي ودمتم " (٣) ٠

---

(١) غاية الاماني في الرد على النبهاني ج ١ ص ١٣ ٠
(٢) شوقي أو صداقة أربعين سنة ص ٣٤ ٠
(٣) شوقي أو صداقة أربعين سنة ص ١٠٦ ٠

وكتب احمد فارس الشدياق فى صدر كتابه عن مالطة قال : " أما بعد فان الأسفار طالما ذكرها الذاكرون وبالغ فى وصفها الواصفون فمدحها من علت مروءته وسمت همته وذمها من قصر عنها ولم يجن منها فمنهم من شبه صاحبها بدرا ان لم ينقل لم يكن فى التبجان منضودا ، وبهلال ان لم يسر لم يصر بدرا مشهودا ، ومنهم من زعم أنها الحاملة على الذل المضيعة لحسب المرء والموقعة له فى الضلّ والخمول وعدم الشكل وان الشئ انما يزَيّنُ اذا كان فى مستقره حتى عرفوا الظلم بأنه وضع الشئ فى غير مقره ومعروف أن محل العرب مباين لمحل العجم فكأن احد الفريقين اذا جاوز محله فقد ظلم " (١) .

وكتب الشيخ محمد عبده يصف نهج البلاغة " أوفى لى حكم القدر بالاطلاع على كتاب نهج البلاغة صدفة (٢) بلا تعمل . اصبته على تغير حال وتبلبل بال وتزاحم أشغال وعطلة أعمال ، فحسبته تسلية وحيلة للتخلية فتصفحت بعض صفحاته وتأملت جملا من عباراته من مواضع مختلفات ومواضيع متفرقات وكان يخيل لى فى كل مقام أن حروباً شبت وغارات شنت وأن للبلاغة دولة وللفصاحة صولة " .

وكتب محمود سامى البارودى يصف طريقة الى البحر وما علناه من البحر وآلام الفرقة والغربة " انى لما أفضت بى غوائل الزمن الى مفارقة الأهل والوطن وحقت كلمة الوداع وأنصت كل مجيب وداع سارت بأشباحنا الفُلْكُ بتقدير من له الملك فلما توسطنا لجة اليم وغشيتنا ضبابةُ الهم أخذ البحر يهدر ويموج والريح تعصف وتروج والدجن يبرق ويرعد ، والموت يقرب ويبعد ، والفلك بين صعود وهبوط ، والناس بين رجاء وقنوط . فشخصت الأبصار ، وغابت الأنصار ، وأقبل الفزع ، واستولى الجزع وشَغَلتْ الدموع المحاجر ، وبلغت القلوب الحناجر ، هنالك دعا ربهم الغافلون وكَفّتْ أذيالهم الرافلون " (٣) .

هؤلاء من مشاهير أدباء العصر وقد كان همهم أن يلحقوا بأساطين الكتابة وبلغاء المترسلين وأن يتشبهوا بهم فى المزاوجة بين الجمل ، وفى السجع وفى اختيار الألفاظ والتراكيب المعريقة ، وقبلتهم ابن المقفع وعبد الحميد الكاتب وابن العميد

---

(١) الواسطة فى معرفة أحوال مالطة ص ٢ ، طبعة الاستانة .

(٢) المعروف فى اللغة مصادفة . د . عبد السلام سرحان .

(٣) محاضرات عن أمير البيان شكيب أرسلان ص ٨٩-٩٠ .

وسهيل بن هارون والصابي ومن اهتدى بنجمهم وأخذ بأدبهم .

وكانت الفحولة فى أن تكون الجملة قصيرة جامعة شاملة من جوامع الكلم كما كانت من قبل فى القرون السالفة وان الاخذ بأسلوب السجع فى الكتابة ليتحقق عند الشعراء أكثر من غيرهم من الأدباء لأن السجعات تأتيهم عفو الخاطر لأن فيها صورة القافية ، والقوافى ملك يدى الشاعر وطوع بنانه يستطيع أن يمد يده اليها فيصطادها فى يسر وسهولة .

يقول الدكتور الدهان : أما الأول — أحمد فارس الشدياق — فقد ملك ناصية اللغة العربية مفرداتها وتراكيبها وعجم عود القدماء وسلك سبل البلغاء وسافر وارتحل فتنقل الشدياق فى أرجاء الغرب وسكن باريس برهة غير قليلة وتبصر فى آداب الأوربيين وسافر الى مالطة والاستانه وتونس ومكث معززا مكرما بين الملوك والأمراء يجتمع بالفحول والأعلام ، وعاد مع ذلك بهذا النثر الذى قرأنا والأسلوب الذى رأينا (١) .

وعن مقدرة الشيخ محمد عبده الأدبية يقول الاستاذ احمد حسن الزيات : ((وللأستاذ فى الترسل أسلوب خاص كأنه قطع الرياض تقرؤه فى الردود والمقالات وقد ينحو فى رسائله نحو ابن العميد فيتكلف السجع بالصنعة ويقصد قصد الجاحظ فى تأليفه ، فتتساوق أغراضه وتتراصف فقره)) (٢) .

أما محمود سامى البارودى فهو معروف بمنزلته الأدبية السامية فى عصر النهضة الحديثة فقد عرف المناصب العالية واتصل بأعلام السياسة والوطنية والأدب ورزئ بالنفى والابعاد وظل وفيا للغته صادقا فى حب القدماء .

وهذا عبدالله باشا فكرى يكتب الى الأستاذ أحمد فارس الشدياق فيقول : ((سلام أبهى من عذار الظل على وجنة النهر وأشهى من لآلئ الطل فى مباسم الزهر وأزهى من شموس الطلا (٣) اذا موهت أشعتها فضة الكأس بالطلا (٤) وثناء أظرف من وجنات الورد قبلتها ثغور الشقائق ، وألطف من عيون النرجس اذا حدقت لحسن الحدائق .

---

(١) محاضرات عن الأمير شكيب أرسلان ص ٩٠

(٢) تاريخ الادب العربى ص ٣٨٢ .

(٣) الطلا بالضم بياض الصبح .

(٤) الطلا بالكسر الندى

وبعد فبينما أنا مشغول الفؤاد بانتظام مراسلات الوداد ٠٠ ورد علينا عزيز المكاتبة المشتملة على لذيذ المعاتبة فلما فككت ختامها ورمقت بعين الأشواق أرقامها فاذا هي قد جلت من صفاء المودة مدامها وان راشت بالملامة سهامها ، وجعلت عدم عرفي الأشعار المكتسبة من حلل البلاغة بأبهى شعار ناشئا من مقالة حاسد ساعده الزمان المعاند ، مع أنا لو سلمنا وجود الوشاة فصاحبك لا تؤثر في مودته أقوال العداة فكيف ولا واش وشى ، ولا حاسد بيننا مشى)) (١) .

وعبد الله باشا فكري لم ينس الاسلوب العربي القديم من السجع ومزاوجة الجمل على الرغم من ترقيه في أعلى الرتب في البلاط الخديوي وحضوره المؤتمرات العلمية في أوروبا .

يقول الاستاذ احمد فارس الشدياق في كتابه " سر الليالي " : ((وممن برع في هذا العصر وحق لنا به الفخر في الانشاءات الديوانية وهي عندي أوعر مسلكا من المقامات الحريرية : الأديب الفاضل العبقري عبد الله بك فكري المصري ، فلو أدركه صاحب المثل السائر لقال كم ترك الأول للاخر ، فسبحان المنعم بما شاء على من شاء ومن أجل تلك النعم الانشاء)) .

ويقول صاحب الوسيلة الأدبية الشيخ حسين المرصفي :

((اذا قرأت متأملا حق التأمل ما نقلناه لك من انشاء ذوي العصور المتتالية عرفت كيف أختلاف مذاهب الناس في الانشاء ، وكيف يسلك بك التوفيق الى اختيار طريقة تناسب أحوال بني وقتك وتوافق افهامهم اذا دعتك داعية للانشاء المصنوع .

هذا وأنفع ما أراه ينبغي لك أن تتخذه دليلا يرشدك الى كل وجه جميل من وجوه الفنون التي تحاول فيها أن تكتب الكتابة الصناعية المناسبة لوقتك الذي تأمل أن تعيش في رضا أهله عنك وأعترافهم بظهور ما يعود منك عليهم نفعه ، انشاءات الامير الجليل صاحب الوقت الذي لو تقدم به الزمان لكان له بديعان ولم ينفرد بهذا اللقب الا علامة همذان عبد الله فكري بيك أطال الله ايامه وأعلى ـ كما نرجو منه تعالى حيث كان مقامه ـ و ٠٠٠٠ الى آخر ما قاله)) (٢) .

---

(١) الاثار الفكرية لعبد الله باشا فكري ص ٢١٩ .

(٢) الوسيلة الادبية جـ ٢ ص ٦٧٢ .

وفى هذا دلالة واضحة على أن أسلوب الأدب الموثق فى ذلك العصر كان هو الأسلوب القديم الذى يشتمل على أنواع النكات البلاغية علما بأن أسلوب عبد الله فكرى باشا يشبه ما أستشهدنا له به من استعمال جميع أنواع المحسنات البلاغية التى تطابق بديع الهمذانى والحريرى (١) .

أقول : اذا كان هذا هو حال الأدباء الذين يخالفون الشيخ النبهانى فى أتجاهه الفكرى الذى يرى كل الخير فى القديم ولا خير فى الجديد فكيف الحال ممن شاكلوه فى فكره لا شك أن الاسلوب القديم فى الصياغة الادبية كان أعمق لديهم وأبعد أثرا وأكثر وضوحا فى أساليبهم .

جاء فى أجازة الشيخ ابراهيم السقا الشافعى (٢) ما يلى :

بعد ذكر المقدمة وما فيها من حمد وتسبيح وثناء .

أما بعد : فلما كان الاسناد مزية عالية وخصوصية لهذه الأمة غالبة دون الامم الخالية أعتنى بطلبه الأئمة النبلاء أصحاب النظر اذ الدعى غير المنسوب والقصى غير المحسوب وسليم البصيرة غير أغشى الفكر .

ولما كان منهم الامام الفاضل والهمام الكامل والجهبذ الابر واللوذعى الأريب والألمعى الأديب ولدنا الشيخ يوسف بن الشيخ اسماعيل النبهانى الشافعى أيده الله بالمعارف ونصره : طلب منى اجازة ليتصل بسند سادتى سنده ، ولا ينفصل عن مددهم مدده ، وينتظم فى سلك قد فاق فيه غيره وبهر ، فأجبته وان لم أكن لذلك أهلا ، رجاء أن يغشو العلم وأنال من الله فضلا ، وأنجو فى يوم القيامه مما للكاتمين من الضير فقلت : أجزت ولدى المذكور بما تجوز لى روايته أو تصح عنى درايته من كل حديث أو أثر من فروع وأصول ومنقول ومعقول وفنون اللطائف والعبر كما أخذته من الأفاضل السادة والأكابر القادة .... وقد سمع منى المجاز كتبا عديدة مهمة مفيدة كالتحرير والمنهج وفقه الله لمحاسن ما به أمر آمين بجاه طه الامين فى ١٨ رجب ١٢٨٩ هـ .

الفقير اليه سبحانه
ابراهيم السقا الشافعى بالأزهر
عفى عنه

---

(١) راجع كتاب الاثار الفكرية .

(٢) شواهد الحق فى الاستغاثة بسيد الخلق ص ٥ـ٦ .

وقرظ الشيخ عبد الرحمن الشربينى ـ شيخ الازهر وأستاذ النبهانى كتاب " شواهد الحق " للنبهانى .

قال :

" بسم الله الرحمن الرحيم "

((الحمد لله الذى هدانا بكتابه العزيز الحكيم الى القسطاس القويم والصراط المستقيم ، وأنقذنا بنبيه الكريم الأمين من عماية العمين وغواية الغاوين وضلالة الضالين واضلال المضلين ، والصلاه والسلام على النور المبين والصراط المستقيم المستبين بابه الذى منه عليه يدخل والوسيلة اليه الذى بغيره اليه لا يتوسل وعلى آله وصحبه قدوة المقتدين وصفوة المهتدين ما سلك سالك مسلك الصواب ونطق ناطق بالحكمة وفصل الخطاب .

أما بعد : فقد وقفت على كتاب ((شواهد الحق فى الاستغاثة بسيد الخلق)) لمؤلفه العالم العامل الفيصل الكامل الشيخ يوسف بن اسماعيل النبهانى رئيس محكمة الحقوق ببيروت بلغه الله الأمانى فاذا هو شاهد عدل آت بالقول الحق والكلام الفصل جدير بأن يوسم كما وسمه مؤلفه بشواهد الحق حجة قائمة على طائفة الضالين المضلين صارم فى نحر المبتدعة الملحدين تحيا به السنة وتموت به البدعة جزى الله مؤلفه جزيل الجزاء وجميل الثناء وأحسن اليه والينا يوم يقوم الناس لرب العالمين لفصل القضاء آمين آمين (١) .

الامضاء

عبد الرحمن الشربينى

وقرظه الشيخ عبد القادر الرافعى شيخ مشايخ الحنفية ومفتى الديار المصرية سابقا .. فقال :

" بسم الله الرحمن الرحيم "

((حمدا لملهم الصواب ، والصلاة والسلام على من أوتى الحكمة وفصل الخطاب وعلى آله والأصحاب والتابعين لهم الى يوم المآب ..

أما بعد : فقد أطلعت على الكتاب المسمى " بشواهد الحق فى الاستغاثة بسيد الخلق " صلى الله عليه وسلم لمؤلفه العلامة الهمام الشيخ يوسف

---

(١) شواهد الحق ص١٢ ـ ١٣

النبهاني فاذا هو عين الصواب مؤيدا بالسنة والكتاب دلائله معضدة وبراهينه مشيدة فيجب الاستظلال بظله الظليل ويكون حقا عليه التعويل لأنه الحق الذي يرجع اليه فجزى الله مؤلفه أحسن الجزاء ووفقه لما يحب ويرضاه بجاه من هو للأنبياء ختام عليه الصلاة والسلام •

الامضاء
الفقير الى الله تعالى
عبدالقادر الرافعي بالأزهر

في يوم ١٠ شعبان ١٣٢٣ هـ

وهناك أربعة عشر تقريظا للكتاب من كبار علماء العصر اتخذت هذا الاسلوب ولا شك أن السجع فيها واضح وبين ولو تركنا هذه التقاريظ الى الرسائل المتداولة بين الأصدقاء في ذلك العصر لظهرت لنا الأساليب العربية القديمة واضحة وكأنها قطع من مقامات الحريري أو الهمذاني اذ السجع فيها واضح كل الوضوح والمزاوجة بين الجمل والتراكيب ظاهرة بينة فقد جرت مراسلة بين الشيخ عبدالهادي بن السيد رضوان نجا الأبياري (١) وبين الشيخ ابراهيم الأحدب (٢) جمعت رسائلهما في كتاب " الوسائل الأدبية في الرسائل الأحدبية " وقد جاء في مقدمة الكتاب :

" الحمد لله الذى أنزل علينا كتابا نقرؤه وبشرنا بأنه تعالى على مر الأيام يكلؤه والصلاة والسلام على من حثّت رسالته على اتباع ملة ابراهيم وأوتى من البلاغة والفصاحة مالم يبلغ أحد من العالمين مبلغه العظيم وعلى آله الأجِلّة وصحبه الذين حازوا من الفضل جُلّه وبعد •

فيقول البائس الفقير الى هبوب نسيم لطف الله السارى عبدالهادى بن السيد رضوان نجا الأبيارى : لما كان من أجل ما حنّت اليه نفائس النفوس وأجمل ما حلت به عقود السطور أجياد عرائس الطروس وأزهى ما اقتطفته من رياض الادب الاديب وأبهى ما ورّد به خد الكتابة والخطابة الاريب : ما دار بينه وبين نادرة العصر الذى تفعل آدابه البديعة بالعقول مالا تفعله بلاغة القصر حضرة المولى الأجل أديب الشام السيد ابراهيم الأحدب بلّغه الله من الحظوظ كل مطلب ومنحه كل مأرب من المراسلات التي تهز أعطاف الأدباء طرباً وتؤازر كل من مد عنقه لمعارضتها طلبا —

---

(١) ذكره الشيخ النبهاني من جملة أساتذته راجع شواهد الحق ص ٦

(٢) وهو أحد علماء وشعراء الشام وقد قرأت له قصائد كثيرة في جريدة الجوائب =

أردت أن أدوّن ، ما بقى عندى بعدما افترسته منها ضباع الضياع متبعا كل رسالة لـه بما أرسلته لحضرته فى رد هما وان كان مما تمجه الاسماع ليرى المطلعون على الرسائل كيف يكون النظم والنثر وأن مثلى من متأدبى الوقت لم يؤت فى جنب بلاغة منشئها الا النزر ولينظروا كيف تتبرّج (١) المعانى البديعة فى حلل من الالفاظ أرق من النسيم وتتأرج المعانى الفصيحة فى أندية الأدب الزاهرة تـأرج المسك الشميم وأنه هكذا تكون الخطب والرسائل ، ألا وان مَنْ لم ينسج على هذا المنوال لم يراع للأدب ذمة ولم يرقب الا فاليكها عرائس مجلوة ، مَنْ كشف لثامها وشف من رضابها استكمل الظروف والفتوة موسومة بالوسائل الادبية فى الرسائل الاحدبية واستطردت فى خلالها ببعض ما كتب لى من أبناء العصر أوكتبته لبعض مما رأيت أن تركه قيده عبث محض وربما فسوت فى خلال بعض الرسائل ما أودعته فيها من الاشارات لبعض المسائل الحكمية وأوضحت ما أومأت اليه من الفوائد التاريخية والفرائد الأدبية اذ قلما أخليت رسالة من عرائس يرى مغرب الأدب وعلها من أغرض الغرض ونفائس يرمى بها خاطب الخطابة معارضة بشرور من القصص حتى يكون فى شغل الوقت بها أىّ فائدة وتعود علىّ من بركة دعوة مطالعها أى عائدة والى الله أعتصم مما يصم ويصم .... الخ)) (٢) .

كانت هذه هى المقدمة التى قدم بها الشيخ نجا الابيارى كتابه .

والان أذكر شواهد من رسائل كل منهما للاخر ليتبين للقارئ مدى تمكن السجع والمزاوجه بين الجمل من أدبهما مع أظهار كل منهما مقدرته اللغويـــة والبيانية لدرجة الاستعـراض .

١) ((رسالة الشيخ عبد الهادى نجا الأبيارى)) بعد أن قدمها بقصيدة بلغت خمسة وثلاثين بيتا مليئة بالنكات البلاغية والجزالة اللفظية قال :

((بعد اهداء ثناء تطير به أجنحة المحبة حتى تتجز على المجرة أراد نسه ، وابدأ ولا أسس على الصداقة بنيانه وقامت على قواعد الوفاء أركانه فانى أهزأ بنسيم

= التى تصدر فى الاستانه وفى جريدة ثمرات الفنون التى كان يصدرها الشيخ عبد القادر المغربى قصائد فى مناسبات مختلفة من تهنئة السلطان عبد الحميد بالعيد الاضحى أو الفطر الى عيد الجلوس ورأس السنة أو النصر وغيرها وقد سألت الاستاذ خير الدين الزركلى عن شعره فقال أنه شاعر مجيد ولكن الشيخ يوسف النبهانى كان أقوى منه " .

(١) تتبرج : تظهر وتبدو .

(٢) الوسائل الادبية فى الرسائل الاحدبية ص ٢ - ٣ وقد ذكر الشيخ نجا الابيارى مناسبة لقائهما عام ١٢٨٠ وكيف نشأت بينهما الصداقة .

السَحَر أن يكون رسولي اليك وأعبث بعبير الزَهَر ان رأى أن يشتمل بثنائي بين يديك ، كيف لا وفي النسيم اعتلال وغرامي صحيح ، وبالعبير عجمة وثنائي على شمائلك مطبوع فصيح ... وأبى الله الا أن يجعله في الصناعة الادبية رئيسا وما سواه مرؤوسا فأصبح ونهايات المساعي لحضرته الشريفة بداية ، وأمسى وآمال الرغائب لها الى ساحته الوريفة نهاية حتى صار له في جيد المكارم تقصار وفي كل جند من الأجناد البشرية تذكار ....الخ .

٢) فأرسل اليه الشيخ ابراهيم الأحدب بالجواب الاتي بعد أن قدم له بقصيدة بلغت واحدا وثلاثين بيتا مليئة بالنكات البلاغية والالفاظ الجزلة . وقد جاء في الرسالة :

((بم يجرى جواد يرعى في أول شوط من مضماره ، وبأى شيء يعرب ما بنته الافكار من مضمرات استاره ، أينشر لواء الثناء لأمير الأدب الذى طوينا به ذكر الوزير الصاحب عَرابَة فضل العرب عالم مصر الذى وضحت به للعالم معالم واستنارات به شهب آفاقها وتنعمت بأشراق محياه النعائم ، وعُرِفَتْ له في أنديتها عوارف معارف ، ورفعت به لطائف بيت المآثر قواعد ، لطائف ، واهتدى بارشاده السارى اذ كان عبد الهادى وبدا بحضرته كل شرف عم الحاضر والبادى ....الخ)) (١) .

هذا هو الأسلوب الأدبى الشائع في عصره ويتعمق هذا الاسلوب أكثر عند العلماء والفقهاء ممن يعودون بثقافتهم الى الأصول الثقافية العربية الأصيلة .

أما العلماء الذين جرت له معهم رسائل متبادلة فهم أقرب له وأكثر تأثيرا فيه . وهذه رسالة وردته من السيد الشريف أحمد بن حسن بن عبد الله بن علي العطاس العلوى الحسنى في اليمن .

٣) ((بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى فتح لأرباب المودات أبواب المواصلات فأرواحهم في وريف ظله قائلات وان كانت أشباحهم متنائيات والصلاة والسلام على نقطة بيكار الموجودات الشمل من شراب المشاهدات . هادى النفوس المائلات ومغنى الايدى السائلات بالعطايا السنيات ، وعلى اله وأصحابه وتابعيه في جميع الحالات الى حضرة الشيخ الفاضل المتحلى بالفواضل محب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته يوسف بن اسماعيل النبهانى أجزل الله عطاءه وكشف عن قلبه غطاءه ،

---

(١) الوسائل الأدبية في الرسائل الأحدبية ص ١٥ .

ويلحه ما يتمناه في دنياه وأخراه .

السلام عليكم ورحمة الله ومن والاكم في الله .... الخ)) (١) .

والحقيقة أن النبهاني رحمه الله كان أبلغ تأثرا من أرباب مدرسة الصوفية واسلوبهم ، في الكتابة والقارئ الكريم يلاحظ في هذا النص كيف أن عبارته جاءت سهلة ميسرة بعيدة عن التعقيد والتصنع الذي قرأته لعبدالله باشا فكري مثلا بل يأتي سجعهم عفو الخاطر ميسرا لأنه لا يهمهم الاتيان بالسجع القوي المحكم بمقدار ما يهمهم اخراج المعنى الواضح ، والسجع في كلامهم يأتي لتزيين الكلام فقط لذلك تراه سجعا عفويا لا متكلفا .

ولم يسلم هذا الأسلوب من النقد فقد وجه الأستاذ اسعاف النشاشيبي سهام نقده الى الامير شكيب أرسلان الذي يستعمل هذا الاسلوب في كتاباته ورد عليه الامير شكيب أرسلان مدافعا عن هذا الاسلوب وانتصر لكل منهما مؤيدوه وقد ظهرت ثمار مناظرتهما على صفحات جريدة السياسة المصرية وقد جمعها الاستاذ النشاشيبي في كتاب أسماه " مطالعات في اللغة والادب " نشر في القدس سنة ١٩٢٥ .

يقول الأستاذ النشاشيبي : مما أولع به أصحاب المذهب القديم الى يومنا هذا تكرار الكلام في غير مواطن التكرار والاسراف في استعمال المترادفات على غير حاجة اليها ولا فائدة منها فهم لا يأتون بكلمة الا أتبعوها بمرادفاتها فاذا قالوا تمادى الرجل في ضلاله قالوا : ولج في غوايته وعمه في طغيانه ومضى على غلوائه واذا قالوا أحزنني هذا الامر قالوا : وشجاني وأمضني وأرمضني وأقلقني وأقض مضجعي

وسبب ذلك اما قلة البضاعة ونزارة المادة الفكرية ، وأصحاب هذا المذهب يحسبون أن اللغة هي كل شيء فاذا حمل أحدهم على ظهر قلبه مقامات الحريري وديوان الحماسة والمعلقات والمفضليات فقد صار كاتبا نحريرا ، ..أو أن يكون ذلك متابعة لما ورد في محفوظ أقوال العرب من الترادف لضرورة كقول الشاعر " فالفى قولها كذبا ومينا " أو تقليدا لأحمد فارس الشدياق في كتابه " الساق على الساق " .

---

(١) أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٤٥ .

ومهما يكن السبب فان هذا النوع من الكتابة غير طبيعى [1] أو غير عربى أو على الاقل لا يستمرئه ذوق هذا العصر [2] .

وقد رد عليه الأمير شكيب أرسلان فى جريدة السياسة أيضا وجاء فى رده .

((ولكننى قبل الشروع فى موضوعى أحب أن أسأله عن قوله : " وأما الأساليب فهناك مذهبان مذهب قديم ومذهب جديد " فاننى لا أعلم مذاهب جديدة الا فى العلم والفن وأما فى الأدب واللغة فلا أعرف الا مذهبا واحدا هو مذهب العرب وهو الذى يريد أن يسميه بالمذهب القديم وهو الذى يجتهد كل كاتب فى العربية أن يحتذى مثاله ويقرب منه ما استطاع لانه هو المثل الأعلى والغاية القصوى . واذا اراد الكاتب المصرى أن يجول فى المواضيع الحديثة والمعانى المستجدة استنفد جميع فنه فى الباس هذه المعانى الجديدة حلل الأساليب العربية القديمة التى هى أصل اللغة والطراز المنسوج على منواله . وقصارى الادب العربى اليوم أن يتمكن افراغ الموضوع المصرى فى قالب عربى بحت لا يخرج باللغة عن أسلوبها ولا يهجن لهجتها ولا يجعلها لغة ثانية . اذ كان التباعد عن الفصاحة والبلاغة والحرمان من حظها هما على مقدار التجانف عن أسلوب العرب عندما كانوا عربا لم تخامر لغتهم العجمة . ولم تفسد منهم السليقة . وأن القمة العليا من ذلك هى لغة الجاهلية وصدر الاسلام ثم ما يليه نوعا ما عندما كانت العربية فى عنجهيتها والفصاحة فى ابان سورتها فأما المذهب الجديد الذى أشار اليه فى الأدب والانشاء العربى فلا نعلمه فى المذاهب ولا وصل الينا خبره)) [3] .

ثم رد النشاشيبى على الامير شكيب ذاكرا أن مما يعيبه على هذا الاسلوب هو ذكر المترادفات لحاجة ولغير حاجة فأعاد أمير البيان الرد عليه وأعاد الأستاذ الرد أيضا . ورأى أن أصحاب المذهب القديم لا يستوحون عقلهم أو قلبهم ولكنهم يستوحون القدماء ويستعيرون ألفاظهم ومعانيهم ولا يضمنون أقوالهم شيئا من الماضى

---

(١) الصواب: غير طبيعى كما توجب كتب النحو . وواضح أن ذوق هذا العصر فشا ونبا فى ظل الجهالة باللغة .. بل فى ظل عداوتها وكراهيتها للجهل بها . ولحملات اعداء الاسلام عليها . فلا يمكن أن يكون ذوق الجاهلين حجة فى هذا الشأن . وقديما قيل : الناس اعداء ما جهلوا ..د / عبد السلام سرحان .

(٢) مطالعات فى اللغة والادب ص ٩٧ .

(٣) المصدر السابق ص ١٠٤ .

ويقـول : ((ومن أحب أن يرى كيف تكون الكتابة حديثا على سوقة الطبيعي (١) فليقرأ ما كتبه الدكتور منصور فهمي والدكتور طه حسين والأستاذ مصطفى عبدالرازق والأستاذ سلامة موسى فاذا قرأهم فكأنه سمعهم يتحدثون)) (٢) .

ويقول الدكتور سامي الدهان ... فالنثر الذي ظهر في أوائل هـذا القرن رجع الى الأساليب المتأخرة على أيدي الكثيرين من أرباب المدرسة التقليدية الذين نظروا اليها نظرتهم الى الحفاظ على النثر القديم ، كأنه يوشك أن يـنزل لهجوم المثقفين على اللغات العربية فخافوا وأرتعدوا وبالغوا وأسرفوا ، وعقدوا العزم على أن يستعيدوه كما كان لعصوره الأولى من غير أن يمسوه بتغيير أو تبديـل فكتبوا أحيانا بصور القدماء ومعانيهم وتراكيبهم وعباراتهم وكتبوا أحيانا أخرى فـي معان مستحدثة وأغراض جديدة بعبارات الأقدمين وألفاظهم ووقف لهم أرباب المدرسة الجديدة يريدون أن يجاروا روح العصر في الكتابة العربية بأساليب عربية بعيدة عن التكلف والسجع لعليهـا تتسع للاغراض الفكرية الجديدة وتسير مع المعاني الواسعـة من غير قيد أو حد ، ولكن خرج بعضهم على قواعد الجمال في الكتابة ونحـر اللفظ على مذبح المعنى فخانته اللغة ووقفت دون عونه وانحط الأسلوب حتى بلـغ الركاكة واضطرب النحو حتى أرتفع ما كان حقه الخفض وأصبح كل دعي أديبا وكـل محرر كاتبا وسادت الفوضى وهنا توسع الشق بين الفريقين ورمى كل منهما صاحبـه بنعوت خرجت عن النقد الرصين الهادئ في غالب الأحيان ، وظلم الأدبـاء الناشئون فما رأوا أي السبيلـين يتبعون)) (٣) .

وقد أثار الدكتور طه حسـين المعركة نفسها مع مدرسة مصطفى صادق الرافعي فقال " أن هذا الأسلوب الذي ربما راق أهل القرن الخامس أو السادس للهجـرة لا يستطيع أن يروقنا في هذا العصر الحديث الذي تغير فيه الذوق الأدبي ولا سيمـا في مصر تغيرا شديدا)) (٤) .

فأجابه الرافعي ((لقـد علم الكاتب أننا لا نزعم أن هذا الأسلوب هو الوجـه

---

(١) أشرنا قريبا الى أن الصواب : طبيعي ، وأن طبيعي خطأ .

(٢) مطالعاتي في الادب واللغة ص ١٢٧ .

(٣) محاضرات عن الامير شكيب أرسلان ص ١٠٦ ، وهذا كلام ليس فيه حجة الاعجز كتاب العرب عن الكتابة بأسلوب العرب

(٤) حديث الاربعاء ، ج ٣ ، ص ٨ ــ ١٠ .

فى كل فنون الانشاء ومناحى التعبير . بل قلنا : انه شئ من الزخرف وفن من التنسيق . ونقول الان ان اكثر كتاب العصر ومنهم الاستاذ طه لا يجيدونه ولا يستطيعونه مهما تكلفوا له وبالغوا فى هذا التكلف وتحروا فى هذه المبالغة وهذا عندنا وجه من وجوه التأويل فى معنى تغيير الذوق الأدبى . وهب أن الذوق تغير وأتى على كل شئ فى اللغة وأساليبها فأين معنى الطرفة والنادرة والملحة فى مثل هذه الآثار الدقيقة وقد قامت الدنيا وركعت وسجدت ..... لدقائق توت عنخ آمون ، مع أن الذوق الفنى مات وبعث ثم مات وبعث ثم مات وبعث فى أكثر من ثلاثة آلاف سنة ، وننبه الاستاذ الى أننا نشترط فى هذا الاسلوب أن يصيب موضعه وألا يجاوز مقداره وأن ينزل كمنزلة الزخرف لا منزلة البناء (١) .

ويرى شكيب أرسلان أن السجع والجناس فى الفاتحة والمقدمة كقاعدة الاستقبال وأن السجع رسمى فى المقدمات (٢) . حيث أنها تحتاج الى التخير فى اللفظ والتأنق فى العبارة فالخيال عامل كبير فى هذا الأسلوب شأنه فى ذلك شأن الشعر حين خص بموضوعات الأدب والخيال ، فلن يصلح للتعليم والتربية والقواعد المنطقية ، والأسلوب الذى لحمته الخيال وسداه العاطفة يتجاوب مع الروح والنفس والقلب ويصلح للترنم والغناء ، وهذان يتطلبان ألفاظا مختارة موسيقية لا بد فيها من حلو الكلام وجميل العبارة وغناء القافية فهو شعر نثرى ان صح التعبير بل هو أقرب الى الشعر منه الى النثر ، والأدباء الشعراء يحسنونه أكثر من غيرهم لأنهم يعيشون مع القوافى يمدون اليها أيديهم فى النظم على يسر وسهولة ويمدونها لذلك مع النثر على يسر وسهولة فاذا وقع هذا فليس ذلك من التصنيع وليس من الأدب القديم فحسب لان هذا الشعر النثرى يصلح لكل زمان اذا توفرت (٣) فيه أسباب القول ولم

---

(١) محاضرات عن الأمير شكيب أرسلان ص ١٠٧ ــ ١٠٨ .

(٢) راجع ما دار من حديث بين الأستاذ محمد كرد على وأمير البيان على صفحات المقتبس سنة ١٣٢٤ هـ ص ١٦٨ .

(٣) هذا تعبير خطأ شائع .. لأن توفر : بمعنى أقبل وجد .. يقال : توفر على الدرس اذا أقبل عليه وجد فيه ، والأحسن هنا أن يقال : اذا اجتمعت له أسباب القول أو نحو ذلك ، د / عبد السلام سرحان .

يخرج عن الأغراض التي يقال فيها ، والجمال فى الفن لا عصر ولا زمان يقف عنده فهو يصلح للقرن الرابع والخامس والسادس والقرن الرابع عشر ويبقى جمالا موفور التقدير (١) .

وقد كانت المعركة بين القديم والجديد فى حقيقتها معركة بين التمسك بالدين وعدم التمسك به وقد اتخذت من الأدب والفكر ميادين لبحوثها لا أكثر ، والمقصود بالذات هو الدين الاسلامى الذى يرتبط به الأدب العربى ارتباطا مصيريا .

يقول سلامة موسى فى مقدمة كتاب (اليوم والغد) ، كلما ازددت خبرة وتجربة وثقافة توضحت أمامى أغراض فى الأدب كما أزاوله . فهى تتلخص فى أنه يجب علينا أن نخرج من آسية وأن نلتحق بأوروبة (٢) . فانى كلما زادت معرفتى بالشرق زادت كراهيتى له وشعورى بأنه غريب عنى . وكلما زادت معرفتى بأوروبة زاد حبى لها وتعلقى بها ، وزاد شعورى بأنها منى وأنا منها .

هذا هو مذهبى الذى أعمل له طول حياتى سرا وجهرة فأنا كافر بالشرق ، مؤمن بالغرب " (٣) .

ويقول أيضا : ((ونحن فى حاجة الى ثقافة حرة أبعد ما تكون عن الأديان ولا بأس من أن تعتمد على الترجمة الى حد بعيد حتى تتمصر ألفاظه ، وعندئذ نسير فيه بالتأليف (٤) .

وعن الشيوخ وتعليم العربية يقول : " ولكن تعليم العربية فى مصر لا يزال فى أيدى الشيوخ الذين ينقعون أدمغتهم نقعا فى الثقافة العربية : أى : ثقافة القرون المظلمة ، فلا رجاء لنا فى اصلاح التعليم حتى نمنع هؤلاء الشيوخ منه ونسلمه للأفندية الذين ساروا شوطا بعيدا فى الثقافة (٥) .

---

(١) محاضرات عن الامير شكيب أرسلان ص ١٠٩ .

(٢) يعلق الدكتور محمد محمد حسين يقول : " مصر ليست جزءا من آسية والمؤلف يقصد بالخروج من آسية الخروج من التفكير الأسيوى أو بعبارة أخرى من الدين الذى جاءنا من آسية وهو الاسلام . (الاتجاهات الوطنية فى الادب المعاصر ج٢ ص ٢٢٢) . وفى الاصل : آسيا وأوروبا ، وهما خطآن .

(٣) المرجع السابق ج ٢ ص ٢٢١ـ ٢٢٢ .

(٤) المرجع السابق ج ٢ ص ٢٢٤ .

(٥) المرجع السابق ج ٢ ص ٢٢٧ .

ويقول أيضاً "اذا كانت الرابطة الشرقية سخافة لانها تقوم على أصل كاذب فان الرابطة الدينية وقاحة .. فاننا أبناء القرن العشرين أكثر من أن نعتمد على الدين جامعة تربطنا (١)".

ومن دعاة التجديد الذين نادوا بالأخذ عن الحضارة الغربية بدون تمييز الدكتور طه حسين وسوف أكتفي بنقل فقرة واحدة من كتابه فهو يرى أن سبل النهضة "واضحة بينه مستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء، وهي أن نسير سيرة الاوربيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها حلوها ومرها وما يحب منها وما يكره وما يحمد منها وما يعاب" (٢).

أما الاستاذ مصطفى صادق الرافعي ففي نظره أن المعركة بين القديم والجديد في حقيقتها معركة بين الذين يحافظون على دينهم ولغتهم وتقاليدهم، وبين الذين عادوا من أوربة وقد فتنهم بريقها فاستخفوا بكل تراثها وراحوا ينفرون الناس منه فهو يقول: "فئة من شبابنا قد أخذوا بغير أخلاق هذا الدين، ونشئوا في غير قومه، وعلى غير مبادئه فرأوا فيه بظنونهم، وقالوا برأيهم، ورضوا له ما لا يرضاه أحد له، فهؤلاء مهما كثروا لا يستطيعون أن يحدثوا حدثا بل يفنون والجماعة باقية وينقصون والأمة نامية. ويذهبون إلى رحمة الله ومن رحمة الله أنهم لا يعودون ثانية" (٣).

ويقول أيضا "ولن تجد دخلة خبيثة لهذا الدين الا وجدت مثلها في اللغة" (٤) ولقد كان دعاة الجديد يكاثرون المحافظين بما عرفوا من آداب الغرب

---

(١) اليوم والغد سلامة موسى ص ٩١.
(٢) مستقبل الثقافة في مصر ص ٤١ وهو شبيه بقول (آغا أوغلي احمد) احد غلاة الكماليين من الترك في احد كتبه "انا عزمنا على أن نأخذ كل ما عند الغربيين حتى الالتهابات التي في رآتهم والنجاسات التي في أمعائهم" موقف العقل والعلم والعالم مصطفى صبري حـ ١ ص ٣٦٩.
(٣) المعركة بين القديم والجديد ص ٦٢.
(٤) المصدر السابق ص ٦٣.

ومن فنونه الأدبية المستحدثة ويسخرون من جهلهم بها ويرمونهم بالجمود والكمل — وكان المحافظون فى الوقت نفسه يتهمونهم بأنهم يغضون من قدر التراث الذى خلفه أجدادهم لأنهم يجهلونه ويشيدون بمذاهب الأدب الغربى وفنونه لأنهم لا يعرفون سواه ، وهم بين خبيث مأجور على قومه يريد أن يهدم كيانهم ويمحو طابعهم ومغفل يحكى ما أملى عليه من غير وعى ، وكلا هما معين للغربى على قومه .

يقول الرافعى : والخطر الخفى الذى يكمن وراء هذه الدعوة هو فى تنشئة جيل جديد من أبناء العرب لا يستطيع أن يتذوق أساليب البيان العرفى الأصيلة ولا يحلو فى أذنه وفى ذوقه الا أساليب البيان الغربى وموضوعاته ، واذا نفر الشباب من شعر المتنبى وأبى تمام بل من أسلوب القرآن وأنصرف عنه ثم عجز عن تذوقه وفهمه فقد حكمنا على تراث الأدب العربى بالكساد ثم بالموت وقد أنقطعت صلة الأجيال المقبلة من أبناء العرب بقديمهم . واذا انقطعت صلتنا بقديمنا أمكن أن نقاد الى حيث يراد بنا والى حيث لا تجمعنا بعد ذلك جامعة تجعل منا قوة تخيف الكائدين وتأبى على الطامعين (١) .

كما سخر الدكتور طه حسين فى مقاله عن (ديكارت) — نشره فى السياسة الاسبوعية — من شيوخ المحافظين (٢) .

ويعد جبران خليل جبران خير من يمثل (المذاهب الجديدة) بمقاله (لكم لغتكم ولى لغتى) (٣) .

يقول الدكتور محمد محمد حسين " وهذا المقال يعتبر مثلا عمليا تطبيقيا لمذهب كاتبه بما فيه من خروج على أساليب اللغة وقواعدها الصرفية خاصة . وكلاهما لا يحمل الا على العجز الذى يريد أن يغض من شأن القدرة والجهل الذى يريد أن يهون من أمر العلم (٤) .

وقد هاجم (٥) الاديب السورى سامى الكيالى هذا الأدب ووصف أدباء المهجر

---

(١) الاتجاهات الوطنية فى الادب المعاصر ج ٢ ص ٢٧٣ .

(٢) السياسة الاسبوعية عدد ٢٥ شوال ٤٤ ١٣ — ٨ مايو ١٩٢٦ .

(٣) بلاغة العرب فى القرن العشرين ص ٥١ — ٥٦ .

(٤) الاتجاهات الوطنية فى الادب العربى المعاصر ج ٢ ص ٢٧٥ ، وكلمة " يعتبر " خطأ شائع فى موقعها هنا ، والصواب " يعد " .

(٥) هاجم خطأ شائع ، والصواب : هجمه أو هجم عليه — متعد ولازم ، د /عبد السلام محمد .

بأنهم يعملون على ((صفع اللغة العربية التى يريدونها بلا قواعد ثابتة ، وأن يكونوا أحرارا فى أن ينحتوا لها من ملكاتهم قواعد متحركة)) (١) .

ويصف الاستاذ مصطفى لطفى المنفلوطى هذا النفر من المجددين فيقول :

" أعجمى يظن أن اللغة العربية حروف وكلمات وهو لا يعرف منها غيرها ، فينطق بشىء هو أشبه الأشياء بما يترجمه المترجمون من اللغات الأعجمية ترجمة حرفية فان نعيت عليه غرابة أسلوبه واستعجامه والتواءه على الفهم كان مبلغ ما ينضح به عن نفسه أن المعانى العصرية والخيالات الحديثة لا يستطاع الباسها الأكسية اليدوية والأردية العربية ، كأنما هو يظن أن المعانى والخواطر خطط وأقسام وأنصبة وسهام ، هذا للشرق وهذا للغرب وهذا للعرب وهذا للعجم ، أما الحقيقة التى لا ريب فيها فهى أن الرجل لا ينتزع تلك المعانى من قرارة نفسه ، ولا يصور فيها صورة عقله ، وانما هو مترجم قد عرف المعانى الموجودة فى اللغة الأعجمية التى يعرفها ، لاصقة بأثوابها الأصلية فلما أراد أن يفضى بها الى العرب وكان غير مضطلع بلغتهم ولا متمكن من أساليبهم عجز عن أن ينزع عنها أثوابها اللاصقة بها فنقلها اليهم كما هى الا ما كان من تبديل حرف بحرف أو لفظ بآخر من حيث يظن أنه يهتف بشىء قام فى نفسه أو يقضى بخاطر من خواطر قلبه " (٢) .

هذه هى حالة الأدب فى عصره حيث يوجد تيار يطالب بالتجديد نتيجة لثقافته الغربية وتيار يطالب بالمحافظة على التراث وعدم الجرى وراء كل جديد مما لا يتناسب مع تراثنا وقد يحدث فيه تغيير وتصدع .

وقد أتسم التيار الاول بالتحرر من القواعد الدينية واتسم التيار الثانى بالمحافظة على قواعد الدين . ولا شك أن الشيخ النبهانى فى أدبه يمثل التيار المحافظ ، ويبدو ان المحافظة عند رجالها كانت تتفاوت بينهم بمقدار التزامهم بقواعد الدين فأكثرهم التزاما بالدين أكثرهم حرصا على التراث .

السجع عند النبهانى :

لقد أندفع الشيخ النبهانى الى السجع بعدة دوافع منها :

---

(١) السياسة الاسبوعية عدد ٦ صفر ١٢٤٥ ـ ١٤ أغسطس ١٩٢٦ .

(٢) النظرات جـ ١ ص ١٢ .

١) أن عصره كان يشيع فيه السجع وكان أعلام الأدب والعلم يسجعون •

٢) ومنها أنه شاعر فاذا انتقل من الشعر الى النثر لم ينس موسيقى الشعر واتحاد القافية فى الأبيات •

٣) ومنها كثرة مطالعته فى كتب التراث التى يتبع فيها السجع فى أمهات كتب الأدب •

ولكن الشيخ النبهانى لم يذكر لنا أنه تأثر بأديب ما فقلده أو تمثل أدبه أو حفظه ثم خرج بطريقة نبهانية جديدة لأنه لم يرسم لنفسه أن يكون أديبا أو شاعرا محترفا • ولعلها نفسه الطموح للمعالى ثم صوفيته المفرقة فى العبادة والعمل لما فوه الأجر والثواب فقط • هى التى أوحت له بهذا •

كل هذا جعله لا يحتذى أو يقلد أى أديب أو شاعر ما ــ بل جاء أدبه " نسيج وحده " أى : نابعا من ملكته الأدبية ومطالعاته العامة فى كتب التراث التى كانت تصاغ بأقوى العبارات وأجزلها •

ولم يكن غرض الشيخ النبهانى اظهار مقدرته الأدبية أو العلمية لأجل المقدرة نفسها بمقدار ما كان لخدمة الفكرة واظهارها بأوضح صورها لتؤدى معناها وتزين العبارة بلا لبس أو غموض •

والسجع فى أسلوب النبهانى شائع فى كتابته خصوصا فى مقدمات كتبه وخواتيمها اذ نراه يركز على جزالة العبارة وقوة السجعة حتى تأتى محكمة وكأنها شعر منثور مقفى • أما فى أثناء كلامه فيأتى السجع عفوا بدون جهد خصوصا عندما يتكلم عن شعور وجدانى عاطفى • وأما عندما يناقش فكرة ليثبتها أو لينفيها فاننا نجد أن السجع يختفى من أسلوبه تماما كأن جهده ينصب على قوة الدليل والحجة بدلا من زخرف الكلام •

وأقدم عمل أدبى للشيخ النبهانى كان مقدمة كتابه " الشرف المؤبد لآل محمد" صلى الله عليه وسلم ـه الذى انتهى من مسودته عام ١٢٨٨ هـ حيث يقول فيه " •••

اما بعد فيقول الفقير يوسف بن اسماعيل النبهانى ــ عفا الله عنه ــ : ان من أهم الأمور الدينية وآكد العقائد الاسلامية اعتقادنا أن سيدنا محمدا صلى الله

علية وسلم أفضل من كل ملك ورسول ، وأصوله وفروعه أشرف فروع وأصول ، كيف لا وقد اتصلت بنسبه أنسابهم وارتبطت بحسبه أحسابهم ، فهم منه واليه وأقرب الناس لديه ، ولا ريب فى أن محبته صلى الله عليه وسلم فرض على كل موحد مجتهد ومقلد ، وبحسب زيادتها ونقصانها تكون زيادة الايمان ونقصانه ، ومن ادّعى الايمان بدونها فقد عظم نفاقه وبهتانه • ومن محبته عليه الصلاة والسلام محبة من اتصلوا به ورجعت أنسابهم كآبائه وأبنائه الى نسبه • أما آباؤه فقد انقضت أعصارهم وبقيت أخبارهم فمن ادعى محبتهم لأجله فلا تثريب عليه وتسلم دعواه اليه اذ لا دليل على بطلان دعواه ويوكل أمر باطنه الى الله وأما أبناؤه فهم بركة هذه الأمة ، الكاشفون عنها من غياهب الكون كل غمة ، فلا بد أن يوجد فى كل عصر طائفة منهم يدفع الله بها عن الناس البلاء فانهم أمان لأهل الارض كما أن النجوم أمان لأهل السماء .... فمن عاصرهم (١) وادعى محبتهم بزخارف أقواله ولم يقم على دعواه البراهين من محاسن أفعاله فدعواه فاسدة باطلة ، ومن حلى الصحة عاطلة ، هذا اذا لم يؤذهم بقلم ولا لسان ، ولم يشر الى تنقيصهم بعين ولا بنان ، أما من فعل ذلك وادعى محبتهم فلا أحسبه الا مجنونا وبدينه مفتونا " (٢) •

ويبدو فى هذا النص أن الشيخ النبهانى يلتزم بالسجع ولكن دون جهد أو تصنع بل تأتى السجعة سهلة عفو الخاطر كما أن اليسارة والوضوح ظاهران •

والنصف الثانى الذى يليه هو ما كتبه مقدمة لديوان الشيخ أبى الهدى الصيادى وكان من المقربين للسلطان عبد الحميد ، وصاحب علم وأدب وتقوى وشيخ الطريقة الرفاعية فى الاستانة •

والشيخ النبهانى هو الذى جمع هذه القصائد ورتبها ثم كتب مقدمتها وقدم لكل قصيدة فى الديوان بعبارة أدبية تناسب موضوع القصيدة •

وقد كان الشيخ النبهانى وقتها مصحح فى جريدة الجوائب ومطبعتها حيث طبع الديوان فيها سنة ١٢٩٨ باسم " الفيض المحمدى والمدد الأحمدى " جاء فى مقدمة الديوان " •

يا من خص ديوان أوليائه بالتصرف فى جميع الأنام وأوضح لهم طريقة هداه فكانت

---

(١) ليس فى اللغة عاصر ، ولم يستعملها الا العماد الاصفهانى فى مقدمة الخريدة ، وابن شرف القيروانى فى مقدمة " الاعلام " ، د / عبد السلام سرحان •

(٢) الشرف المؤبد لآل محمد صلى الله عليه وسلم ص ٥ •

مجازهم الى حقيقة الكلام أحمد كحمدا ينظمني في سلك أحبابك وأحبابهم ، ويجعلني شاعرا بحقوقك وحقوقهم آمنا من حربك وحرابهم ، ويامن جعل سيدنا محمدا صفوة الخلق وخلاصة العالم ، وأصطفاه من العرب الذين أختارهم من بني آدم ، وجعله أفضلهم حسبا ونسبا ، وأكرمهم أما وأبا ، وأعظمهم خلقا وأحسنهم خلقا وأرقهم طبعا وأفضل الناس جمعا ، اللهم كما أنزلت عليه القرآن ، وعلمته البيان ، وآتيته جوامع الكلم ، ونوابع الحكم ، وأقررت عينة بجعلك أمته خير الامم ، وأدبته فأحسنت تأديبه ، وقربته فأزلفت تقريبه ، أفض عليه من بحر رحمتك البسيط الزاخر والمديد الوافر سجال صلاة وسلام طويل . مددهما كامل عددهما ، وعلى آلة بحور السماحة وأصحابه بدور الفصاحة (١) .

أما بعد فيقول الراجي من مولاه بلوغ الأماني الفقير اليه سبحانه يوسف بن اسماعيل النبهاني ، ان الشعر قطب الأدب الذي تدور عليه رحاه وكنزه الذي لا يعثر عليه الا من وفقه الله لاستخراج خباياه ، وسره الذي لا يدركه الا صاحب الذوق السليم ، ولا يطلع عليه الا من ظفر بأكرم آلاته وهو الطبع الكريم وبدره الذي تشرق به سماؤه ويظهر به سناه وسناؤه ، وعماده الذي عليه قيامه بل روحه التي بها قوامه ، وهو روض السمع ورياضة الطبع وعنوان الفضل وبرهان العقل ، وترجمان الجنان ، وصيقل الأذهان ، وخليل الأدب ، ودليل الغريب ، ومنهاج الأفاضل وسراج المحافل ، وهو لغم الحاجات لسان ، ولعين الامهات انسان ، وللغني جمال وللفقير كمال .

وجملة القول فيه أنه ديوان العرب وجماع الفضل والادب ، لم تزل الجهابذة في اتقانه ، يتنافسون بالانشاء والانشاد ويتسابقون في ميدانه ، وأفكارهم هي الصافنات الجياد ، غير أن لكل فريق من محاسنه وجها كشف لثامه وغرضا من مقاصده سدد نحوه سهامة ، وطريقا من قوافيه سلكه ، ورقيقا من معانيه ملكه ، فمنهم قوم شببوا بسعدى وسعاد ، وهاموا من وصف الحسان في كل واد ، وتحمسوا بطعانهم وجلادهم ، وافتخروا بشرف نفوسهم وأجدادهم ، وحنوا الى المعاهد والاوطان وتمدحوا بحفظ الجوار وقرى الضيفان ووصفوا الابل وسراها ، والصحارى ومهاها .

---

(١) الفيض الاحمدي والمدد المحمدي ـ المقدمة ـ

وذكروا الكواكب وأنواءها والبروق ولألاءها ونعتوا الرسوم والطلول ، والحزون والسهول ، والسحاب والسراب ، والنديم والشراب ، والزهور والرياض ، والنهور والحياض ، وكانوا يقدحون ويمدحون ، فيفسدون ويصلحون .

ومنهم قوم عارفون أنفوا من أن يسكنوا بمحض هذه المعانى فى بيوتهم العامرة ويشتغلوا بتجارة هى غير رابحة ان لم تكن خاسرة ، فصرفوا أنق اشعارهم فى توسلات الهية ، ومدائح نبوية ، وذكروا وقائع آنهم [1] ، ومشارع قدسهم ، ونعتوا الأحوال والمقامات ، وضمنوا العبارات اشارات ، ورمزوا فى قصيدهم رموزا أبوابها الا عنهم مسدودة ، وكنزوا فيها كنوزا هى عن غيرهم - بطلاسم الاسرار - مرصودة ، فكم سلكوا سبيلا وما هو لهم بسبيل ، وذكروا بثينة ولم يقصد واغير جميل ، ووصفوا هندا ولا هند ، ونادوا سعدا وما فارقهم سعد ، ومدحوا الخمرة والخان ، والكئوس والدنان ولا وأبيك .. لم يذوقوا لابنة العنب طعما ، ولا عرفوا من رسومها رسما ، وانما هى أسرار اطلعوا عليها ، وكمية أنوار حجوا اليها ، وعلى هذا لم تخل أشعارهم من حكم تنتفع بها الامم ، ونسيب يستحسنه الأديب ، ولطائف نوادر توافق أهل الظاهر ، وهؤلاء هم الذين أحرزوا القدح المعلى ، وفازوا بالمقام الاعلى [2] .

ويقول أيضا فى المقدمة نفسها : ... وقد أنعم الله وله الحمد على هذا العصر بحبر من أحبارهم [3] وذمر [4] من ذمارهم ، وصل من طريقهم الى المقاصد التى وصلوا اليها واطلع على حقيقة السر التى أطلعوا عليها ، فجدد دوارس رسومهم وأحيا رفات علومهم ، وارتقى الى مقاماتهم ، بعد معرفة احوالهم ، فنسج ديباجة شعره على منوالهم ، وهو شيخنا العالم العامل المرشد الكامل فتح الشريعة ونصرها وشمس الحقيقة وبدرها وشرف الطريقة وفخرها وديمة العلوم وبحرها صاحب السيادة والسماحة الحائز رتبة قضاء العسكر بالاستحقاق والرجاحة ، حضرة مولانا السيد الشريف الشيخ محمد أبو الهدى أفندى الصيادى الرفاعى ، أمد الله فى حياته ونفعنا ببركاته وقد اطلعت له على غرائد قصائد ، هن للبة الدهر قلائد ، وبدائع أشعار هن لزند الأدب سوار ، اشتملت على معان جزلة ضربت فيها البلاغة

---

(١) آنهم : زمانهم .

(٢) ديوان أبى الهدى الصيادى ص المقدمة .

(٣) يقصد شعراء المدائح الالهية .

(٤) الذمر : الشجاع .

خيامها والفاظ سهلة ركزت فيها الفصاحة أعلامها ولطائف انسية تكاد تحيي بنسيم وقتها الرمم ، ومعارف قدسية تفجرت منها ينابيع الاسرار والحكم ، بها عرفنا أن المرء قد يتقدم بالفضل وان تأخر به العصر " (١) .

وقد جاء السجع في النص الأول الذي قدم به أول مؤلفاته " الشرف المؤبد لآل محمد " صلى الله عليه وسلم " يسيرا (٢) غير متكلف ولا تظهر فيه روح المعاناة في تخير اللفظ وانتقاء المعنى .

وفي هذا النص تظهر عقيدته في آل البيت .

أما النص الذي يقدم به ديوان أبي الهدى الصيادي فالجزالة في ألفاظه ظاهرة وتداخل المعاني التي تظهر الكاتب بأنه غني في فكره وثقافته ثم كثرة استعمال النكات البلاغية والمزاوجة بين الجمل واستعمال رموز القوم واصطلاحاتهم لان ديوان أبي الهدى الصيادي كله في التصوف .

وفي هذا النص تظهر قدرة النبهاني الأدبية فتراه يتصرف في الألفاظ مجازا وحقيقة بكل قوة وتمكن ، فلم يكن عبدا للسجع على حساب المعنى بل كلاهما عنده قوي ، ولا شك أن المنزلة العالية التي كان يتمتع بها ابو الهدى الصيادي في الدولة العثمانية وعمل الشيخ النبهاني في الجوائب ــ وهو لم يزل في أول الطريق يعمل مصححا في الجوائب ــ كل هذا وغيره كان دافعا للشيخ النبهاني كي يشحذ قريحته ويظهر مقدرته فجاء تقديمه مناسبا لموضوع الديوان معنى ومبنى .

والنبهاني يكثر من الاقتباس والتضمين من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وهذه ظاهرة شائعة في كل ما يكتبه ، وهذا يدل على أنه دائم الاستحضار لمعاني القرآن وألفاظه ــ خصوصا وهو يتخذ القرآن والحديث قدوته ومناره في معناه ومبناه

ومن الأمثلة التي يظهر السجع فيها عفوا دون قصد قوله في مؤلفاته :

وهذه هي الكتب النافعة التي تفضل الله بها علي وله الحمد والمنة وأسأل الله تعالى أن يعفو عما خالطني فيها أو في شيء منها من الأوصاف التي لا يرضيها

---

(١) الفيض المحمدي والمدد الاحمدي ــ المقدمة .

(٢) في الاصل " بسيطا غير متكلف " ، وهو أسلوب شائع غير صحيح ، والصواب يسيرا أو سهل . د . سرحان .

كالعجب والرياء ، فان العمل بلا اخلاص كالأشباح بلا أرواح ، ومن أين لى ذلك ونفس بلا شك تحب الثناء الجميل وبقاء الذكر الحسن والسمعة بين الناس ، والله انى اذا لم يسامحنى الله تعالى ويغفر بفضله ذنوبى ويستر عيوبى ويتجاوز عما يخالط اعمالي من النيات المدخولة والمقاصد المعلولة — استحق بأعمالى الصالحة هذه فضلا عن غيرها العقاب لا الثواب لأنها اذا دُقِّقَتْ خفاياها وَفُتِّشَتْ زواياها يُعْلَمُ يقينا أنها للسيئات اقرب منها للحسنات ، لكن أملى فى كرمه تعالى أن يعاملنى بمحض فضله معاملة أصحاب الأعمال الصالحات ويتجاوز عما أنا متصف به من العلل ، وفساد النيات وأعوذ بكلمات الله التامات كلها وبجميع أسمائه الحسنى وصفاته العليا متوسلا بحبيبه الأعظم ونبيه الأكرم صلى الله عليه وسلم من ألا يقبل بفضله هذه المؤلفات فلا أجد لها يوم القيامة نفعا أو أن أكون "من الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا " كما أعوذ بجميع ما عذت به من أسمائه الالهية وأوصافه الربانية وعفوه وغفرانه وكرمه واحسانه من أن تحسن الناس ظنونهم بى وينتفعوا فى حياتى وبعد مماتى بكتبى ..... اللهم كما تكرمت على من فضلك الصرف الخالص — الذى لا تشوبه العلل ولا يقتضيه منى حسن نية ولا عمل — بأظهار هذه الكتب النافعة لمن عمل وقابلها بالقبول فأتم نعمتك على وعليهم بقبولنا على علا تنا والتجاوز عن سيئاتنا ..... الخ "(١) .

ترسل النبهانى :

غلب السجع فى أدب النبهانى وهو كثير يأتى عفو البديهة وبلا معاناة فتأتى السجعة فصيحة خالية من الإغراب ، وكأن شاعريته المتدفقة تصبغ كلامه المنثور بصبغة شعرية دون أن يكون له فى ذلك هدف فيأتى هذا السجع جميلا سهلا لتزيين الكلام ، فالنبهانى يترك السجع عندما يكون مقصده توضيح فكرة معينة أو مناقشة فكرة ما ويتعمق هذا الأسلوب فى أدبه عندما تكون الفكرة عميقة تحتاج الى جهد أكثر وعندها لا يتطرق السجع لأسلوبه .

يقول الشيخ النبهانى : " قال بعض العلماء ان سبب عدم مدح البعض من مشاهير الشعراء كالمتنبى وأبى تمام والبحترى للنبى صلى الله عليه وسلم انما هو علمهم أنهم عاجزون عما يليق به صلى الله عليه وسلم من المدح فتركوا مدحه أدبا معه عليه الصلاة والسلام آهـ .

---

(١) اسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٨٥ — ٣٨٦ .

أقول لا شك في عجزهم عما يليق بمصطفى الله عليه وسلم من المدح وعجز الناس كافة عن ذلك بل عجز الخلق أجمعين عن معرفة حقيقة فضائل سيد المرسلين ، وأنه كمالات حبيب رب العالمين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين ، ولا يعلم ذلك حقيقة الا الله تعالى فلا يقدر على وصف هذا العبد الكريم الا سيده العظيم عز وجل ، ولكن ذلك لا يمنع الشعراء من مدحه للتقرب الى رضاه ورضا مولاه سبحانه وتعالى .. بقدر استطاعتهم فان الله تعالى شرع لنا على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم أن نحمده تعالى ونشكره ونثني عليه مع عجزنا كمال العجز عما يجب له ويليق به سبحانه وتعالى .. كما قال صلى الله عليه وسلم — وهو سيد الحامدين والشاكرين والمثنين على الله تعالى — " لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك " ، وكم مدح النبي — صلى الله عليه وسلم نظما ونثرا من أئمة أمته من الصحابة فمن بعدهم — سادات أجلاء .. الواحد منهم أكثر أدبا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة " بما يليق به من ملء الارض من المتنبي وأمثاله .

ولكن السبب الصحيح الذي آراه لعدم مدحهم له عليه الصلاة والسلام أن مدحه من جملة الطاعات والعبادات فيحتاج للتوفيق من الله تعالى للعبد حتى يتيسر له فعله وهؤلاء وأشباههم لم يوفقوا لهذه الطاعة العظيمة لعدم تأهلهم لها بسبب ما اتصفوا به من أخلاق الشعراء من نحو توغلهم في الكذب بأبلغ العبارات في المدح ان رضوا والذم ان غضبوا .. فضلا عن تعديهم على أعراض الناس وقذفهم المحصنات والتشبيب بمعين من النساء والغلمان ونحو ذلك من السفاهات وكفى بذلك مانعا لهم من مدح النبي صلى الله عليه وسلم مالم يتوبوا اذ الظلام والنور ضدان ففي آن واحد لا يجتمعان ، وكونهم من أكابر الشعراء لا يقتضي تأهلهم لعبادة الله بمدح عبده ونبيه وحبيبه الأكرم صلى الله عليه وسلم ، فانا نرى كثيرا من الفقراء ، كما نرى كثيرا من الأقوياء لا يصلون ولا يصومون ولا يقومون الليل ونرى بعكسهم كثيرا من الضعفاء ، وما ذلك الا بسبب توفيق الله تعالى لكثير من الفقراء والضعفاء ، وعدم توفيقه لكثير من الأغنياء والأقوياء ، فكذلك يقال هنا : يحرم المتنبي وأمثاله من الشعراء من هذا الخير العظيم في مدح النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ويرزقه كثيرا من العلماء والصلحاء من بضاعتهم في الشعر قليلة بتوفيق الله تعالى لهم " (١) .

---

(١) المجموعة النبهانية في المدائح النبوية ج ١ ص ١٧ — ١٩ .

ففي هذا النص جاء السجع محدودا وعفو الخاطر وهو ما يزين الكلام ويكسبه عذوبة موسيقيـــــة .

ومن أمثلة ترسله أيضا قوله " لو أنصف صاحب (جلاء العينين في محاكمـــة الأحمدين) (1) لما تحامل على ابن حجر ومن يوافقه كالسبكي وابنه الامامين مع أنهـــم مع جمهور الأمة في جانب تعظيم سيد الأنام عليه الصلاة والسلام ، وتهور مع ابن تيمية وتلميذيه ابن القيم وابن عبد الهادي مع مخالفتهم جمهور المسلمين وأئمة الاسلام وكـــان يحمل كلام كل منهم على محامل حسنة لأنهم جميعهم من أئمة الدين وخلاصة العلماء العاملين ونيات من أخطأ منهـــم فيما أخطأ به صالحات " انما الأعمال بالنيات " .

أما ابن تيمية ومن كان على شاكلته فلا شك أنهـــم لم يقصدوا - بهذه المقالة التي شذوا بها .. من منع الاستغاثة والسفر للزيارة كما ذكروا في كتبهم - الا الغيرة على جانب الله تعالى ، من أن يشاركه في التعظيم احد من خلقه ، وفيها تعظـــيم عظيم للمزور والمستغاث به وشفقة على المسلمين من أن يضلوا بذلك كما ضلت الأمم السابقة بعبادة الاصنام ، فان أصل عبادتهم أنهم صوروا بعض من مات من أكابرهـــم لأجل التذكار ، ثم على تطاول الأيام عندهم نشأت عبادة الأصنام على ما قيل .

وأما طعنهم في الصوفية فهم لم يطعنوا في جميع الصوفية ، وانما طعنوا فيمن

---

(1) مؤلف هذا الكتاب هو نعمان أفندي الألوسي والأحمدان هما الامام احمد بن تيمية والامام احمد بن حجر العسقلاني ، وقد اختلفا في زيارة قبر الرســـول صلى الله عليه وسلم والاستغاثة به والقول في الجهة لذات الله ، وقد انتصـــر الامام تقي الدين السبكي للامام ابن حجر وألف كتاب (شفاء السقام في زيارة خير الانام) ، فكتب الحافظ شمس الدين بن عبد الهادي " الصارم المنكـــي في الرد على الامام تقي الدين السبكي " انتصر فيه للامام ابن تيمية كما كتـــب الامام ابن القيم (اغاثة اللهفان في مصايد الشيطان) انتصارا لمذهب ابن تيميه أيضا فكان كتاب (جلاء العينين) للألوسي اشعالا للمعركة من جديد فرد عليه الشيخ النبهاني في كتابه (شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق صلـــى الله عليه وسلم) فرد شكري الألوسي على النبهاني في كتابه (غاية الأماني فـــي الرد على النبهاني) .

ظهر منهم كلمات لا تنطبق على أحكام الشرع الشريف فحكموا عليهم بحسب ما ظهر منهم ، فكفروا من كفروا بمقتضى ما صدر منه مما يقتضى ظاهرة الكفر . ولم يجنحوا الى تأويل كلامهم رضى الله عنهم كما جنح غيرهم من العلماء ، وهذا أيضا وقع منهم غيرة على الدين ومحافظة على عقائد المسلمين .

وأما مسألة القول بالجهة فى جانب الله تعالى فهى ليست مذهب ابن تيمية وحده بل هى مذهب كثير من الحنابلة ، وانما قالوا بذلك لظواهر كثير من الايات والأحاديث التى وقع فيها التعبير بالفوقية والتى تفيد بظاهرها جهة العلو فهم لشدة تمسكهم بظاهر الكتاب والسنة لم يذهبوا الى تأويل تلك الظواهر .

هذا ما يحمل عليه كلام ابن تيمية وجماعته وهى محامل حسنة صحيحة موافقة لقصدهم ونياتهم فلم يخالفوا بذلك جمهور الأمة وأكثر علمائها وهم السواد الاعظم لمجرد الهوى وحب الظهور والشهرة أو غير ذلك من الأغراض المذمومة فان كثرة علمهم وصلاحهم وما كانوا عليه من حسن الحال والتقوى والتمسك بالدين ونصرة الشريعة بحسب ما يظهر لهم من الحق .. جميع ذلك يأبى أن تكون مخالفتهم لكبار الائمة وجمهور الأمة فى تلك المسائل المتعلقة بسيد الوجود صلى الله عليه وسلم فضلا عن مسألة القول بالجهة لمجرد الهوى وحب الاشتهار حاشاهم من ذلك" (١) .

وفى هذا لم يستعمل السجع الا مرتين فى قوله : " أئمة الدين العلماء العاملين " وقوله : كبار الأئمة ـ جمهور الأمة " وفى هذا النص تظهر أخلاق النبهانى ونزاهته العلمية .

الجملة القرآنية :

لاحظت فى كتابات الشيخ يوسف النبهانى أنه يكثر الاقتباس من القرآن الكريم . والاقتباس هو أن يضمن الكاتب كلامه شيئا من القرآن لا على أن ذلك الشئ جزء من القرآن والا لكان استشهادا .

ومن أمثلة ذلك قوله فى مقدمة كتابه " نجوم المهتدين ورجوم المعتدين "

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد " وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ـ العظيم .. بقدرته أنشأ

---

(١) شواهد الحق فى الاستغاثة بسيد الخلق ص ٢٩٦ ـ ٢٩٧ .

المخلوقات ، وبحكمته ابدع الأرضين والسموات ، وخلق الجبال والبحار ، والليل والنهار ، والظلمات والأنوار ، والكواكب والافلاك ، والارواح والأملاك ، وما يرى وما لايرى ، من سائر الجهات والاقطار ، بكل تقدير وكل أعتبار ، وهو الصانع سبحانه لكل ما سفل [1] وعلا ، من تحت أطباق الثرى ..... على عليم لا يعزب عن علمه كل جليل وحقير ، وكبير وصغير ، وكل ما هجس به الخاطر أو أجنه الضمير ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ؟ " .... هذا هو الرب الملك الكبير ، المنفرد في ملكه بالخلق والتدبير ، من دون شريك ولا وزير ، ولا معين ولا مشير ، ولا شبيه ولا نظير ، ليس كمثله شئ وهو السميع البصير " ، هذا هو الرب الواحد القهار ، الذى لو أراد أن يتصرف في شئ من جميع هذه الأكوان بجميع وجوه التصرفات لا يجد الا سامعا مطيعا ، قل : فمن يملك من الله شيئا ان اراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن فى الارض جميعا ؟ " .... الخ [2] " .

والشواهد فى كتب الشيخ النبهانى كثيرة خصوصا فى المقدمات ، فهو يكثر من الاقتباس والتضمين من القرآن الكريم والحديث الشريف ، وقد دفعه الى ذلك عدة دوافع ، منها : حفظه القرآن الكريم وهو صبى ، ومنها : اتجاهه الاسلامى ونزعته الدينية حيث يعتز بالقرآن وبيانه وبجملته الالهية ، لذلك نرى الشيخ النبهانى يستشهد بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية فى مختلف المناسبات مدللا على صحة كلامه بما يوافق الكتاب والسنة ، والشيخ النبهانى يختم كلامه بالصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم والدعاء له ولوالديه ولجميع المسلمين وقلما يختمه بآيات من القرآن مثل قوله فى نهاية كتابه " الأساليب البديعة " [3] ...... وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون ، عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين" [4] . ومن أمثلة ما يختم به النبهانى كلامه قوله " .... فنسأل الله تعالى كمال اليقين والثبات فى الدين لنا ولكافة المسلمين .. انه أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين [5] " .

---

(١) سفل من باب كرم ، ونصر وعلم سفالا وسفولا . د . سرحان .

(٢) نجوم المهتدين ورجوم المعتدين ص ١ ــ ٤ .

(٣) الاساليب البديعة فى فضل الصحابة واقناع الشيعة ص ٥٦٦ .

(٤) سورة الصافات آيات ١٨٠ ــ ١٨٢ .

(٥) الدلالات الواضحات حاشية على دلائل الخيرات ص ١٦٦ .

وقد كان الشيخ النبهاني رحمه الله يحفظ القرآن جيدا فلم أجد له أي خطأ في آية ويبدو أنه قد أتقن القرآن حفظا وفهما كما حدثنا عن حرص والده على تحفيظه القرآن وهو ابن عشر سنوات . أما فهمه للقرآن فيظهر من رغبة الشيخ مصطفى البابي الحلبي القاضي الى الشيخ النبهاني أن يفسر القرآن كما جاء في أسلوب تفسيره للقرآن بعد أن كان يعارض فيه لأنه قد فُرِغَ من تفسيره منذ أزمان .

يقول الشيخ النبهاني " .... أما بعد فيقول الفقير يوسف بن اسماعيل النبهاني: ــ غفر الله له ولوالديه ولمن دعا لهم بالمغفرة ــ قد حملني الفاضل الكبير الشيخ مصطفى أفندى البابي الحلبي الكتبي الشهير على جمع مختصر في تفسير غريب القرآن ليطبعه على هامش المصحف كي يأخذ القارئ حاجته منه في وقت قصير ويستغني به لفهم ذلك اللفظ عن مراجعة التفاسير فاستحسنت ذلك غاية الاستحسان وأن لم أكن من فرسان ذلك الميدان . وأجبته الى ما سأل من تفسير الالفاظ الغريبات . ولم اقتصر عليها بل زدت تفسير المبهمات . وتوضيح ما اشكل من الآيات الكريمات . فجاء والحمد لله مع اختصاره يغني اللبيب عن مراجعة المطولات .... الخ " (١) .

وفي كلام الشيخ النبهاني يظهر لنا أنه قد فهم القرآن جيدا لذلك ليس عجبا لو وجدنا كتابته ذات صبغة قرآنية واضحة . ويبدو لي أنه حرص على الجملة القرآنية في كتاباته اندفاعا من عاطفته الدينية من جهة ومن جهة أخرى رأى كثيرا من أبناء العربية قد اتصلوا بالثقافات الاجنبية وصاروا لا يعطون العربية الفصحى حقها من العناية والرعاية . فهم لا يأبون استعمال الكلمات غير العربية في كلامهم العربي فحرص الشيخ على استعمال الأساليب العربية القديمة في كتاباته للمحافظة على أصالة العربية ونقائها . وليس أدعى لهذا من أستعمال الجملة القرآنية .

وممن كانوا يوافقون النبهاني في اتجاهه الأمير شكيب أرسلان ومصطفى صادق الرافعي .

ومن أقوال الاستاذ الرافعي : " لا فصاحة ولا لغة الا بالحرص على القرآن والحديث وكتب السلف وآدابهم " (٢) .

---

(١) قرة العين من البيضاوي والجلالين للشيخ النبهاني ص٢ .

(٢) تحت راية القرآن الرافعي ص١٨ .

ويقول الامير شكيب أرسلان : " .... وهذه الدسيسة التى ظهر لكم مكنونها من جملة واحدة بقصد نبذ الجملة القرآنيسة ـ ان هى الا حلقة لغوية من سلسلة دسائس مقصود منها الاسلام لا القرآن من حيث كونه قرآنا ولا الفصاحة من حيث كونها فصاحة " (١) .

ويبدو أن الهجوم على القرآن اتخذ اتجاهين .. اتجاها أدبيا واتجاها دينيا فالاتجاه الادبى هو الذى بدأ بدعوة مجلة المقتطف المسيحية " الى كتابة العلوم باللغة التى يتكلمها الناس فى حياتهم العامة " ثم وضع القاضى ولمور ـ أحد قضاه محكمة الاستئناف بمصر من الانجليز ـ كتابا سماه لغة القاهرة . فى ذلك الوقت وبسبب ذلك كتب حافظ ابراهيم قصيدته المشهورة التى يقول فيها :

رجعت لنفسى فاتهمت حصاتى ** وناديت قومى فاحتسبت حياتى
رمونى بعقم فى الشباب وليتنى ** عقمت (٢) فلم أجزع لقول عداتى
وسعت كتاب الله لفظا وغاية ** وماضقت عن آى بـه وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلـه ** وتنسيق أسماء لمخترعات
وأسمع للكتاب فى مصر ضجة ** فأعلم أن الصائحين نعاتى (٣)

وكان من أشهر دعاة العامية السير وليم ولكوكس الذى دعا الى هجر اللغة العربية الى اللغة المصرية وأيده سلامة موسى وقد أستهوت هذه الدعوة نفرا من دعاة التجديد فأتخذوا من القومية والشعبية ستارا لهم ، فظهرت الدعوة " الفرعونية " وظهرت فرقة " رمسيس " وظهرت رواية " زينب " لهيكل التى كان حوارها باللهجة السوقية وكان من دعاة العامية الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف أحد أعضاء مجمع اللغة العربية وكان من دعاة نبذ اللغة الفصحى ايضا قاسم أمين .

يقول سلامة موسى " والتأفف من اللغة الفصحى التى نكتب بها ليس حديثا اذ يرجع الى ما قبل ثلاثين سنة حين نعى قاسم أمين على اللغة الفصحى صعوبتها وقال كلمته المشهورة " ان الأوروبى يقرأ لكى يفهم أما نحن فنفهم لكى نقرأ " (٤) .

---

(١) المرجع السابق ص ٣٤ .

(٢) عقم .. كفرح ونصر وكرم وعنى عقما وعقما وعقما ، د / سرحان .

(٣) ديوان حافظ ابراهيم حـ ١ ص ٢٥٣ .

(٤) الهلال عدد يوليو ١٩٢٦ حـ ٣٤ ص ١٠٧٣ ـ ١٠٧٧ .

وجاء منشىء الوطنية الحديثة أحمد لطفى السيد فأشار باستعمال العامية أيضا .

ولم تعدم العربية الفصحى ـ لغة القرآن أنصارا ومؤيدين كان منهم خليل اليازجى الذى رد على اقتراح " المقتطف المسيحية عام ١٨٨١ بالدعوة الى العامية(١) بالاضافة الى الأمير شكيب أرسلان والاستاذ مصطفى صادق الرافعى .

وأما الاتجاه الدينى . فقد كان يتخذ عدة أساليب منها رفض الايمان بالغيب عن طريق وضع الانبياء فى مرتبة المصلحين والدعوة الى الحرية المطلقة فى التفكير باسم البحث العلمى (٢) ووضع الكتب السماوية موضع النقد والمناقشة كما فعل الدكتور طه حسين فى كتابه على هامش السيرة " حين قرر أنه لا يرى ما يرويه الا على أنه أساطير جميلة فيها غذاء للعواطف ومتعة للخيال .. اذ يقول على سبيل التهكم :

" وأنا أعلم أن قوما سيضيقون بهذا الكتاب لأنهم محدثون يكبرون العقل ولا يثقون الا به ولا يطمئنون الا اليه وهم لذلك يضيقون بكثير من الأخبار والأحاديث التى لا يسيغها العقل ولا يرضاها ، وهم يشكون ويلحون فى الشكوى حين يرون كلف الشعب بهذه الأخبار وجده فى طلبها وحرصه على قراءتها والاستماع لها . وهم يجاهدون فى صرف الشعب عن هذه الأخبار والأحاديث واستنقاذه من سلطانها الخطر المفسد للعقول . هؤلاء سيضيقون بهذا الكتاب بعض الشيء لأنهم سيقرأون فيه طائفة من هذه الأخبار والأحاديث التى نصبوا أنفسهم لحربها ومحوها من نفوس الناس " (٣) .

وفى كتابه " فى الشعر الجاهلى " الذى ظهر سنة ١٩٢٦ اذ يقول فيه " للتوراة أن تحدثنا عن ابراهيم واسماعيل وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضا ولكن ورود هذين الاسمين فى التوراة والقرآن لا يكفى لاثبات وجودهما التاريخى فضلا عن اثبات هذه القصة التى تحدثنا بهجرة اسماعيل بن ابراهيم الى مكة ونشأة العرب المستعربة

---

(١) المقتطف حـ ٦ ص ٤٠٤ ـ ٤٠٥ .

(٢) راجع ما كتبه الدكتور طه حسين فى مقال بعنوان (العلم والدين) فى السياسة الاسبوعية عدد ١٧ يوليو ١٩٢٦ ومقال سلامة موسى عن " الدين والتطور وحرية الفكر فيها " الهلال عدد اكتوبر ١٩٢٥ وكتاب وثبة الشرق لاسماعيل مظهر ص ٤ ، ٦ ، ٧ ، ٢٠ .

(٣) كتاب على هامش السيرة جـ ١ ص ى .

فيها ، ونحن مضطرون الى أن نرى فى هذه القصة نوعا من الحيلة فى اثبات الصلة بين العرب واليهود من جهة وبين الاسلام واليهودية والقرآن والتوراة من جهة أخرى ....الخ "(١) .

وقد توالت الردود المفحمة على الدكتور طه حسين وكان منها : " تحت راية القرآن " أو " المعركة بين القديم والجديد " لمصطفى صادق الرافعى " و " نقد كتاب الشعر الجاهلى " لمحمد فريد وجدى و " نقض كتاب فى الشعر الجاهلى " للشيخ محمد الخضر حسين " و " النقد التحليلى لكتاب فى الشعر الجاهلى " لمحمد أحمد الغمراوى " و " الشهاب الراصد " لمحمد لطفى جمعه " و " محاضرات فى بيان الأخطاء العلمية والتاريخية التى اشتمل عليها كتاب فى الشعر الجاهلى " للشيخ محمد الخضرى .

وممن تولى الدفاع عن القرآن فى هذا الاتجاه الشيخ مصطفى صبرى رحمه الله فى كتابه " موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين " .

أما فى بلاد الشام فقد كان يظهر هذا الاتجاه بمظهره السافر فى الهجوم على الاسلام والرسول صلى الله عليه وسلم والتشكيك فى رسالته اذ أن بلاد الشام كانت مطمع المبشرين من كل الطوائف يفدون اليها من مختلف أنحاء العالم يسندهم الاستعمار الذى اتخذ منهم دعاة وعملاء له ، ومن هنا كانت مسؤلية الشيخ النبهانى صعبة وشاقة ولكنه وقف لهم بالمرصاد ، واتخذ من شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم السلاح القوى لمواجهتهم عن طريق تذكير المسلمين برسولهم الكامل صلى الله عليه وسلم وقرآنهم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه مذكرا بإعجازه بالاضافة الى مناقشة اليهود والنصارى فى دينهم وبيان فساد معتقدهم .

وقد ترك لنا الشيخ النبهانى كتابا ضخما فى هذا سماه " نجوم المهتدين ورجوم المعتدين فى دلائل نبوة سيدنا محمد سيد المرسلين والرد على أعدائه اخوان الشياطين " وقد كتبه فى الرد على كتاب " الهداية " الذى ظهر فى الاسواق بلا مؤلف وفيه تهجم سافر على الاسلام والقرآن والرسول وموازنة له بالمسيحية وتفضيلها عليه .

---

(١) فى الشعر الجاهلى ص ٢٦ .

أغراض نشره :

وقف الشيخ يوسف النبهاني قلمه على نصرة الاسلام والدفاع عنه ، وقد نبه الى الا يؤثر عنه شيء غير ذلك ، ولهذا جاءت أغراض أدبه محدودة جلها يدور حول موضوع واحد هو نصرة الاسلام وتمجيد شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومن هنا يمكن تقسيم أغراضه الى دينية وغير دينية .

الأغراض الدينية :

ويدخل فيها جميع مؤلفاته ومن هذه الأغراض :

(١) توضيح معنى آية أو حديث شريف ففى مؤلفه الأول " الشرف المؤبد لآل محمد " صلى الله عليه وسلم ، يقول الشيخ النبهاني فى أسباب تأليف هذا الكتاب : .... " ما وقع فى عصرنا فى القسطنطينية سنة سبع وتسعين ومائتين وألف هجرية من قوم جهال غرقوا من أحوال البغضاء لآل محمد فى أوحال ، فأخذوا يتأولون بجهلهم ما ورد من الآيات والأخبار فى فضل أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومهبط الوحى ومنبع الحكمة ويخرجونها عن ظواهرها بأفهامهم السقيمة وآرائهم الذميمة ، ومع ذلك زعموا أنهم لأهل البيت من أهل المحبة والوداد ، ولم يعلموا أنهم هائمون من الخذلان فى كل واد ، ولما أراد الله سبحانه تمام غوايتهم قدر لهم الاطلاع على كتاب " نوادر الأصول " للحكيم الترمذى ، وقد أتى فيه رضى الله عنه بتفسير قوله تعالى " انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا " وقوله عليه الصلاة والسلام : " انى تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وأهل بيتى عترتى " ، وقوله صلى الله عليه وسلم "النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتى أمان لأهل الأرض بأقاويل ظاهرها مخالف لما عليه جمهور العلماء أن الآية الكريمة خاصة بالزوجات الطاهرات أمهات المؤمنين وشنع على من ذهب الى غير ذلك من المفسرين . وأغرب من هذا دعواه فى الحديث الأول حديث الثقلين أن المراد من أهل البيت فيه الأئمة وفقهاء الأمة . ومثله غرابة أو أغرب زعمه فى الحديث الثانى أن أهل بيته صلى الله عليه وسلم فيه هم الأبدال الا الذرية ومنع ان تكون فى العنصر الطاهر هذه المزية .

وانى لعلى يقين من أنه رحمه الله على تقدير ثبوت ذلك عنه وتحقق صدوره منه ــ مع استبعاد صحة نسبته اليه وقرب احتمال دسه عليه ــ لم يقصد به الا احقاق الحق على وجه السداد بحسب ما أداه اليه الاجتهاد ، وأرجو الا يلحقه بذلك عتاب وألا يفوته على نيته الثواب فانه نفعنا الله به من مشاهير الأئمة ، ومصابيح هذه الأمة ولعله كان فيما أتى به معذورا ، وقد كان ذلك فى الكتاب مسطورا ..... فأخذ أولئك المخذولون عباراته وصاروا يروجون بها بضاعتهم الكاسدة ، ويصلحون بها عقائدهم الفاسدة ، ويتمشدقون بها فى مجالس اخوانهم العوام ويفهمونهم ألا فرق بين العترة الطاهرة وأى واحد من أهل الاسلام ، فلما شاع أمرهم المذموم ، وفشا سر ضلالتهم المكتوم حملنى على تزييف مدعاهم الباطل الفاسد ، وهدم ما استندوا اليه من واهيات القواعد : أمر شريف صدر من أحد أجلاء العصابة المصطفوية وافق منى بواعث قلبية " (١).

من هذا نلاحظ أن الغرض من تأليف الكتاب هو توضيح آية أو حديث أو سيىء فهمهما .

(٢) الرد على الكتب التى تهجم الاسلام ببيان زيفها وما حوته من أباطيل وافتراءات ، وقد كان هذا هو سبب تأليف كتاب " نجوم المهتدين ورجوم المعتدين فى دلائل نبوة سيدنا محمد سيد المرسلين والرد على أعدائه اخوان الشياطين " .

يقول الشيخ يوسف بعد مقدمة طويلة من الحمد والثناء على الله تعالى والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم :

أما بعد :كنت سمعت بكتاب ضلال وبهتان وسفر كفر وعدوان ، سماه صاحبه "الهداية" أى هداية الشيطان الى سبيل النيران ، لأنه هو الذى هداه اليه وأملاه عليه ، فهو كتاب ابليس أوحاه الى هذا الخاسر الخسيس ..... فلم تطلب نفسى النظر اليه ، ولو للرد عليه ، لشدة كراهتى للكفر وأسبابه ، وبغضى للسفيه وسبابه ، وقلت : كثير من علماء المسلمين وجهابذة الايمان من هو أوسع منى علما وأصح منى فهما وأكثر منى فضلا ، وأقل منى شغلا ، وأمهر منى باقامة الحجج وترتيب

---

(١) الشرف المؤبد لآل محمد ص ٦ ــ ٨.

الدلائل وان كانت صحة دين الاسلام وبطلان غيره من الأديان اثبت من أن يفتقر كل منهما الى الاثبات بقلم أو لسان ، وأظهر من أن يحتاج الى المهارة في اقامة الدليل والبرهان ، ثم بعد أن منى على ذلك نحو سنتين قدر الله اطلاعي عليه فوجدته صحيفة بهتان وافك ، وحقيبة عدوان وشرك ، وقد كتم مؤلفه اسمه وشهر كفره وظلمه ..... ولو اشتغل برد ما قالوه في تزيين معتقده فقط من دون أن يتعدى الى الاعتراض على الدين المبين دين الاسلام ويرميه من كنانة افكه وكفره بسهام الأوهام ، لكان ذلك أخف الشرين ، ولكنه ضم الى المكابرة في تزيين القبيح وتقبيح الزين ، وقد تجاوز بالسفاهة حده ، وجهل كل عاقل حتى من قومه ضده ... فحملني ذلك على تأليف هذا الكتاب لدحض الباطل بالحق ومقابلة الكذب بالصدق وسميته " نجوم المهتدين ورجوم المعتدين في دلائل نبوة سيدنا محمد سيد المرسلين والرد على أعدائه اخوان الشياطين " (١)

(٣) تنبيه المسلمين الى أنهم متهاونون في أمور الدين مثل الصلاة مما دعاه لتأليف كتاب الرحمة المهداة في فضل الصلاة .

يقول الشيخ يوسف النبهاني في أول الكتاب " ...... اني رأيت كثيرا من الناس في هذا الزمان يتهاونون بترك الصلوات وبعضهم يصلي ولكنه يتهاون بترك الجمعة والجماعات فحملني ذلك على جمع هذه الرسالة المختصرة المهذبة المحررة وسميتها : " الرحمة المهداة في فضل الصلاة " (٢).

(٤) تنبيههم الى الأضرار الناجمة عن تعليم أولاد المسلمين في مدارس النصارى فألف كتابا سماه " ارشاد الحيارى في تحذير المسلمين من مدارس النصارى " ولم يدع مناسبة لتنبيه المسلمين الى أضرار المدارس التبشيرية الا ونبه عليه كما فعل في آخر كتابه " أفضل الصلوات على سيد السادات " (٣) .

---

(١) نجوم المهتدين ورجوم المعتدين ص ٤ـ٨.

(٢) الرحمة المهداة في فضل الصلاة ص ٢٦.

(٣) أفضل الصلوات على سيد السادات ص ٢٦٥.

(٥) بيان حكم المسائل الفقهية كحكم صلاة الظهر اذا تعددت الجمعة فقد كتب رسالة سماها " حسن الشرعة فى حكم صلاة الظهر اذا تعددت الجمعة "

يقول الشيخ يوسف النبهانى بعد أن بين حكم صلاة الظهر جماعة اذا تعددت الجمعة على المذاهب الأربعة وأنها ليست بدعة .

يقول الشيخ النبهانى : " ومن أراد بسط هذه المسألة فليراجع كتب الفقه وشروح الحديث والمقصود أن المرء اذا صلى الفرض مرتين لسبب مشروع لا يقال ان ذلك بدعة وانه صلى ست فرائض كما يزعمه بعض الطلبة الجهال الذين استهوتهم الشياطين مثل هؤلاء المجتهدين الفاسقين الذين جعلوا دأبهم وديدنهم الاعتراض على علماء الدين وأئمة المسلمين ، مع أن هذه المسألة مسألة تعدد الجمعة وصلاة الظهر بعدها مسألة اجتهادية ، وقد علمت ما ورد فيها عن أئمة المذاهب الأربعة الهداة المهديين لا يضلل بعضهم بعضا ، ولا تخرج مذاهبهم عن كون صلاة الظهر بعد الجمعة اذا تعددت ولم يعلم السابق يقينا سنة أو فرضا فهذا هو سبيل المؤمنين ومن سلكه فقد اطاع الله واقتدى فى ذلك بائمة دينه المهديين رضى الله عنه أجمعين " (١).

(٦) تحذير المسلمين مما يحدث فى عصره من الدعاوى الباطلة شرعا كدعوى الاجتهاد المطلق فقد كتب الشيخ النبهانى رسالة يرد بها على من يدعون الاجتهاد فى عصره جاء فى مقدمتها " ....

قد حدث فى هذا الزمان الذى قل فيه العلم وذل وكثر فيه الجهل وجل ، جماعة حمقى من طلبة العلم لعب بهم الشيطان فحملهم على دعوى الاجتهاد المطلق ، حتى زعموا أنهم كالشافعى ومالك وأحمد والنعمان عليهم الرحمة والرضوان ، مع أن أكثرهم من ضعاف الطلبة الملحقين بالعوام ، ولا يجوز أن يقال انهم من علماء الاسلام ، وقد نشأ من دعواهم هذه السقيمة وأوصافهم الأخرى الذميمة مضار عليهم وعلى بعض جهلة المسلمين عظيمة فكتبت هذه الرسالة القويمة القويمة لأنبه الناس على دعاويهم الباطلة ومساويهم العاطلة نصيحة لهم وللمسلمين

---

(١) حسن الشرعه فى مشروعية صلاة الظهر اذا تعددت الجمعة ص ٨٦.

وخدمة لهذا الدين المبين وسميتها " السهام الصائبة لاصحاب الدعاوى الكاذبة " (١).

وجاء في المقدمة أيضا " ..... وقد رأيت بعضهم يدعو عوام الناس الى استنباط الأحكام الشرعية من القرآن وصحيح البخارى فانظر هذا الجهل العظيم والضلال المبين ، فاياك يا أخي ثم اياك من الاجتماع على أمثال هؤلاء الحمقى والزم مذهبك وقلد أي امام شئت من الأئمة الأربعة بدون تتبع للأئمة والتلفيق في الأحكام بحيث يحصل من ذلك هيئة لا يقول بها امام منهم فان ذلك ممنوع (٢).

(٧) ومنها تحذيره المسلمين من دعاة التجديد موضحا موقف الاسلام من دعواهم حيث يقول : " ...... ومن هؤلاء المجانين قسم يمتاز عن غيره بالرقاعة والسماجة وفساد الذوق وقلة العقل والدين ، وهم الذين يلهجون دائما بألسنتهم وأقلامهم — بحسن أحوال هذا العصر وأنه عصر العلم والمعرفة والفضل والأدب والتهذيب وكل خير ، فتراهم يقولون قد مضى عصر الجهل والتوحش والان نحن في عصر العلم والتمدن وينسبون كل شئ يستحسنونه ويريدون مدحه الى هذا العصر السعيد بزعمهم فيقولون : العلوم العصرية والأفكار العصرية والأخلاق العصرية والتمدنات العصرية وتارة يقولون : ان الناس قد تمدنوا وتنوروا وتفتحت عيونهم وزالت تلك الهمجية والتوحش وما أشبه ذلك من العبارات الباردة الكاذبة التي هي من أعظم الأدلة على أن الناطق بها ، — ولاسيما اذا كان من المسلمين — من أثقل الثقلاء وأجهل الجهلاء وليس له ذوق سليم ولا فكر مستقيم ولا يفهم الفرق بين الباطل والحق.

ووجه ذلك أن الحسن عندنا معاشر المسلمين ما وافق الشرع ، والقبيح ما خالف الشرع والعصر الذي يستحسنه الشرع هو ما تجرى فيه أحكامه ويغلب على الناس فيه الدين واطاعة أوامر الله تعالى واجتناب مناهيه " (٣).

وكذلك في رده على مذهب الامام ابن تيمية والوهابية في منع زيارة قبر الرسول والاستغاثة به صلى الله عليه وسلم في كتابه " شواهد الحق في الاستغاثه

---

(١) السهام الصائبة لاصحاب الدعاوى الكاذبة ص ٢٩.

(٢) المصدر السابق ص ٣٢-٣٣.

(٣) المصدر السابق ص ٣٨.

بسيد الخلق " وكذلك في رد ، على من يشتمون الصحابة كمعاوية وعمرو بن العاص ، ولذلك ألف كتابه " الأساليب البديعة في فضل الصحابة واقناع الشيعة " ، وقد جاء في مقدمة الكتاب : " والحامل لي على تأليفه أن الشيطان قد قاد في هذا الزمان بعض الجهال من أهل السنة بوسيلة حب آل البيت الكرام والتعصب لهم بمجرد الهوى والأوهام - الى بغض بعض الصحابة الكرام لاسيما معاوية وعمرو بن العاص لخروجهما عن طاعة الامام وصار هؤلاء الجهلة يتبجحون بذمهما معتقدين بجهلهم أن ذلك من القُرَب التي ترضي الرب ومن الحسنات التي تنفعهم في الحياة وبعد الممات ، وسول لهم أبو مرة أن أئمة الأمة من أهل السنة ما أنصفوا في الجواب عنهما وعن كل من كان على شاكلتهما من الصحابة المحاربين لعلي رضي الله عنه وربما تجاوز بهم الحال الى الاعتراض على الخلفاء الراشدين . ولاسيما عثمان . وقد يفضلون عليه بل عليهم عليا بمجرد الهوى والعصبية والحمية الجاهلية ، ويرون أن ذلك من الانصاف الذي يزعمونه في أنفسهم مدعين أنه لا تأخذهم في الله لومة لائم مع أنهم في أمر الدين مثل البهائم ، ويظنون من شدة جهلهم وعمى قلوبهم أن جميع الأمة - من عهد الصحابة رضي الله عنهم الى الآن - هي غير مصيبة في ذلك وأنهم هم ومن كان على شاكلتهم - من جاهل فدم [1] تابع لهواه من غير علم ولا فهم - على هدى وصواب في بغض بعض الأصحاب .

فسوء حال هؤلاء الجهلة من أهل السنة هو الذي حملني على تأليف هذا الكتاب ليعرف من قرأ فيه أنه على خطأ عظيم وخطل ذميم وأنه في ذلك ليس على هدى من الله بل هو على شفا جرف من الهلاك ان لم يتداركه باللطف مولاه " [2]

---

(١) الفدم : العيي عن الكلام في ثقل ورخاوة وقلة فهم والغليظ الأحمق الجافي - القاموس المحيط .

(٢) الأساليب البديعة في فضل الصحابة واقناع الشيعة ص ٤٥٦ - ٤٥٧ - ملحق بكتاب شواهد الحق .

(٦) تمجيد شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم :

(١) وقد ألف كتابه " حجة الله على العالمين فى معجزات سيد المرسلين " ليتكلم فيه عن معجزات الرسول صلى الله عليه وقد جاء فى مقدمته : " أما بعد فانه لا يخفى على من له أدنى اطلاع على أخبار الرسل عليهم الصلاة والسلام أن سيدهم وسيد جميع خلق الله محمدا صلى الله عليه وسلم : هو أكثرهم معجزات ودلائل ، وأظهرهم فضائل ، وأبهرهم محاسن وشمائل ، وأشهرهم فى الكتب السماوية علامات وبشائر ، وأصدقهم شواهد وردت عن الأوائل والأواخر ، وأقواهم براهين وأوضحهم آيات بينات وأرفعهم مقامات وأشرفهم حالات.(١)

(٢) وفى تمجيد شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ألف كتابه: "الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية " وقد جاء فى مقدمة الكتاب : " ٠٠٠٠ لا يخفى أن سيدنا ومولانا ونبينا أبا القاسم محمدا صلى الله عليه وسلم هو فى كل وصف جميل أفضل الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين وجميع عباد الله الصالحين وكافة الخلق أجمعين ، ٠٠٠٠ واذا علمت ذلك تعلم أنه لا سبيل الى معرفة فضائله صلى الله عليه وسلم ومزاياه معرفة تحيط بها من كل الوجوه ولو اجتمع لذلك كل من عداه ، اذ لا يعرف حقيقته ولا يحيط بفضائله عليه الصلاة والسلام الا الله ، ومازال مهرة العلماء يخوضون فى لجج بحورها الزواخر ، فيستخرجون منها روائع اللآلئ وبدائع الجواهر ، فمنهم من نظمها عقودا زين بها جيد الزمان ، ومنهم من نثرها على بساط البسيطة فاستغنى بها أهل المعرفة والايمان وألفوا فيها الكتب ودونوا الدواوين ، ورووا أخبارها عن كل صادق أمين ، فمنهم من اختصر فى تأليفه فأجاد ومنهم من أطال فأطاب وأفاد ٠٠٠٠٠ ومن المتوسطين الامام العلامة الشيخ أحمد شهاب الدين القسطلانى فى كتابه "المواهب اللدنية بالمنح المحمدية" ٠٠٠٠ الخ " (٢) .

---

(١) حجة الله على العالمين ص ٦ .

(٢) الانوار المحمدية من المواهب اللدنية ص ٢ـ٤ .

٣- وفى مقدمة كتابه " وسائل الوصول الى شمائل الرسول " صلى الله عليه وسلم يقول الشيخ يوسف النبهانى " أما بعد : فقد خطر لى أن أجمع كتابا أجعله وسيلة لبلوغى من رضا الله ورسوله المرام ، وذريعة للانتظام فى سلك خدامه عليه الصلاة والسلام ، ثم نظرت الى قلة علمى وضعف فهمى وكثرة ذنوبى ووفرة عيوبى ، فأحجمت احجام من عرف حده ، فوقف عنده ، ثم تخطرت سعة الكرم وكونى من أمة هذا النبى الكريم ، فأقدمت اقدام الطفل على الأب الشفيق الحليم ، بعد أن سمعت قول الله تعالى " لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم " فكم من عربى قدم لا أدب له ولا فهم ، ولا عقل ولا علم ، ولا كرم ولا حلم ، قابل جنابه الشريف بما غضب له المكان والزمان ، وخاطبه بما عبس له وجه السيف واحتد له لسان السنان ، فكان جوابه الاغضاء والعفو عن اساءة ، بل أدناه وقربه ، وما لامه وما أنبه ، بل أفرغته أخلاقه المحمدية فى قالب كيمياء السعادة بأيادى الاحسان حتى اضمحلت حدة ذلك الوحش وانقلبت حديدته جوهرة انسان فتبدل بغضه بالحب ، وبعده بالقرب ، وحربة بالسلم ، وجهله بالعلم ، واستحال انسانا بعد ان كان ثعبانا وصار حبيبا بعد أن كان ذيبا ، فهذا وأمثاله من شواهد مكارم أخلاقه صلى الله عليه وسلم أطمعنى فى امكان قبولى فى جملة خدمه ودخولى فى عداد حشمه ، ولا يبعد عن سعة كرم الله تعالى أن يهب لى - اكراما لرسوله - فوق ما أملته من الرضا والقبول ، وها أنا ذا قد توكلت عليه سبحانه وقبضت قبضة من أثر الرسول ، فجمعت هذا الكتاب من آثاره فى شمائله الشريفة صلى الله عليه وسلم ... الخ " (١).

(٤) كما كتب الشيخ النبهانى شرحا على " دلائل الخيرات " للامام الجزولى سماه : " الدلالات الواضحات " وقد جاء شرحه تفسيرا وتوضيحا لبعض المفردات أو العبارات وكتاب " دلائل الخيرات " كله دعاء واستغفار وصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم واستغاثة به وتوسل .

---

(١) وسائل الوصول الى شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم ص ٢-٣ .

(٥) وله كتاب آخر هو " مفرج الكروب ومفرح القلوب " جمع فيه الكثير من الأدعية والصلوات على الرسول صلى الله عليه وسلم المنصوص عليها فى كتب الحديث لتفريج الكروب .

يقول الشيخ النبهانى رحمه الله فى مقدمة كتابه " ...... وهو ما بين آيات قرآنية وأذكار وأدعية نبوية وغير نبوية مما فيها الاسم الأعظم ، أو المعروفة باستجابة الدعاء بها أو المجربة لقضاء الحاجات ودفع البلاء ، جمعتها من كتب العلماء والمحدثين والأولياء العارفين كقوت القلوب " لأبى طالب المكى " واحياء العلوم " للامام الغزالى و " الترغيب والترهيب " للحافظ المنذرى والأذكار " للامام النووى ومشكاة المصابيح " لولى الدين التبريزى " والأرج فى الفرج " للحافظ السيوطى " والجامع الكبير " له - أيضا - وغيرها من الكتب التى يأتى التصريح بأسماء مؤلفيها عند النقل (١) .

(٦) وقد ألف كتابا سماه " حزب الاستغاثات بسيد السادات " يقول فى مقدمته : فهذا حزب جمعت فيه استغاثات أربعين وليا لله تعالى بنبيه الاكرم وحبيبه الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقدمت عليه الاستغاثة بأسماء الله الحسنى واتبعتها بما ورد فى الاحاديث النبوية من الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم " (٢) .

(٧) وألف الشيخ النبهانى كتابا سماه " الأسمى فيما لسيدنا محمد من الأسماء " ويقول فى مقدمته : هذا مختصر صغير علمه كثير جمعت فيه الأسماء المحمدية مع شرح مالابد من شرحه منها ورتبتها فيه على حروف المعجم بحسب أوائلها كما فعل الحافظ السخاوى فى " القول البديع " والامام القسطلانى فى " المواهب " (٣) .

---

(١) مفرج الكروب ومفرح القلوب ص ٢ .

(٢) حزب الاستغاثات بسيد السادات ص ٢ .

(٣) الاسمى فيما لسيدنا محمد من الاسما ص ٢ .

(٨) وحول شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ألف الشيخ النبهاني رحمه الله كتاب " سعاد الدارين فى الصلاة على سيد الكونين " وهو أجمع وأشمل كتاب فى الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم كتبه الشيخ النبهاني أو من هو فى عصره وقد جمع فيه كل ما يتعلق بها من شرح وجمع لصيغ الصلاة على الرسول عليه السلام وهو سفينة جامعة ، وقد جاء فى مقدمة الكتاب " أما بعد فقد أجمعت الامة استنادا لكتاب الله وأحاديث رسول الله وأقوال العلماء وأخبار الصلحاء على أن الصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من أفضل الطاعات وأنفع العبادات ، ولذلك اعتنى العلماء بشأنها فألفوا فيها الكتب والرسائل وبينوا مالها من الفوائد والفضائل "[1]. ثم شرع فى ذكر الكتب التى ألفت فى موضوع الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٩) وفى تمجيد شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ألف الشيخ النبهاني كتابه "أفضل الصلوات على سيد السادات" وجاء فى مقدمته: " أما بعد فيقول الفقير المذنب يوسف بن اسماعيل النبهاني : انى تفكرت فى كثرة ذنوبى وقلة أعمالى الصالحة فعظم بذلك بلائى ، وغلب خوفى على رجائى ، ثم ألهمنى الله سبحانه ، أن لا دواء لهذا الداء أنفع من صدق الالتجاء الى جنابه الكريم صلى الله عليه وسلم وخدمته بهذا المجموع الذى جمعته فى فضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وسميته " أفضل الصلوات على سيد السادات "[2].

(١٠) وفى تمجيد شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ألف الشيخ النبهاني كتابه " جواهر البحار فى فضائل النبى المختار" وجاء فى مقدمته " أما بعد فهذا مجموع بديع فى فضائل النبى الشفيع وعلو قدره الرفيع صلى الله عليه وسلم جمعت فيه كثيرا مما ورد فى الكتاب والسنة وكلام أئمة الأمة من أهل الشريعة والحقيقة فى أوصاف سيد الخليقة صلى الله عليه وسلم ولم أكثر فيضان معجزاته مع كثرتها الى غاية لاترام لأنى بسطت عليها فى غير هذا الكتاب الكلام وانما لم اخله منها لما فيه من النفع العام بنشر دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام وقد نقلت ما فيه من الفرائد المهمة والفوائد الجمة عن اكابر العارفين وأئمة الدين وسميته "جواهر البحار فى فضائل النبى المختار"[3].

---

(١) سعادة الدارين فى الصلاة على سيد الكونيين ص ٣ .

(٢) افضل الصلوات على سيد السادات ص ٢ ، ٣ .

(٣) جواهر البحار فى فضائل النبى المختار " جـ١ ص ٢ .

والحقيقة أن الشيخ النبهاني لم يدع فرصة تفوته دون أن يكيل للرسول صلى الله عليه وسلم الثناء والصلاة مظهرا أنه صلى الله عليه وسلم الانسان الكامل الذى لا يعلوه سوى الذى خلقه وقد ذكر لنفسه صيغا للصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم كسائر العارفين الذين ذكر صيغ صلاتهم فى كتابه "سعادة الدارين" .

تحت عنوان " الصلاة التاسعة والعشرون بعد المائة " للمؤلف ذكر سبع صيغ للصلاة أولها " اللهم صل على سيدنا محمد صلاة كاملة دائمة يشارك فيها الأزل الأبد ولا يشاركه فيها من خالق الله أحدٌ صلاةً لا تُخْبَرُ فتُحَدُّ ، ولا تُحْصَرُ فتُعَد صلاة نهاية أعلى درجات المقربين لا تصل الى بدايتها فى الأزل ولا بداية ، ولم تزل دائمة الترقى فى كل لمحة ولن تزال كذلك فليس لها نهاية على آله الأقربين وأمهات المؤمنين وصحبه نجوم المهتدين ورجوم المعتدين والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين " وقال فى نهايتها " وكلها كما تراها من أكمل الصلوات المشتملة على أبلغ العبارات " .

وتحت عنوان الصلاة الثلاثون بعد المائة يقول " عليك يا رسول الله من صلوات الله وتسليماته وتحياته وبركاته فى كل لحظة ما يماثل فضلك العظيم ويعادل قدرك الفخيم ويجمع لك فضائل جميع أنواع الصلاة والتسليم " ثم قال : وقد قرأتها وحدها فى بعض الأحيان فوجدت لها تأثيرا حسنا وهى من أجمع صيغ الصلوات عليه صلى الله عليه وسلم " ولا شك أن هذه الصيغ وغيرها تدل على مدى تثبت النبهاني من محبة الرسول صلى الله عليه وسلم واستغراق قلبه وعقله فيه حتى استطاع أن يكوّن له صيغة خاصة للصلاة عليه " (1) وهذا يدل بلا شك على اقتداره الأدبى وتمكنه من البيان العربى - الى مدى بعيد .

<u>أغراض شخصية :</u>

لابد أن يكون للشيخ النبهاني مراسلات شخصية مع الآخرين خصوصا أنه كان يحتل مكانة اجتماعية مرموقة على الصعيدين الرسمى والشعبى ، والذى يدرس شخصية النبهاني يجد أنه شخصية اجتماعية لا تعرف الحياد ، ومن هنا كان لابد أن يكون

---

(1) سعادة الدارين ص ٣٦٠ - ٣٦٣ .

له مشاركة وجدانية وعاطفية واجتماعية تنعكس على أدبه وهو صاحب القلم السيال ومع هذا لم أعثر له على أى قطعة نثرية فى هذا الغرض فى كتبه وهى المصدر الوحيد لأخباره وكأنه حرص أيضا على الا يؤثر عنه أى أثر فى غير موضوعاته الاسلامية التى طرقها وهذه ظاهرة بارزة فى شخصيته لا أعلم لها وجودا فى مثله . غير أنى وجدت فى جريدة الجوائب العثمانية أثناء بحثى عن أخبار الشيخ يوسف فيها ما يلى : "الرسالة الآتية رأيتها فى " ثمرات الفنون كتبها الأديب الفاضل العالم الكامل الشيخ يوسف أفندى النبهانى كان سابقا من مصححى مطبعة الجوائب فاستنسبنا نشرها هنا لما نعلمه من أخلاقه الحميدة وأوصافه الجميله وهى :

(ومن المعلوم أن العدلية لفظ منسوب الى العدل وهو ضد الجور وقد سميت به دوائر الحكومة التى نبحث فيها عن الدعاوى حقوقية كانت أو جنائية من قبيل الفأل الحسن عسى الله أن يرشد مأموريها الى جادة العدل والانصاف ويجنبهم طريق الظلم والاعتساف .... وليس قصدنا الآن أن نشرح هذا المعنى لأن شرحه يطول انما القصد أن نشرح قضية جزئية تتعلق بحال الأسد المذكور وحال الآهالى معه ليقاس عليها غيرها وتكون نموذجا لسائر الأحوال وهى أن خمسة أشخاص من قرية أجزم [1] فى قضاء حيفا ثبتت عليهم جنايات فى محكمة عكة من مدة طويله وصار الحكم عليهم مددا مختلفة على حسب جناياتهم فلم تمض الا أيام قلائل حتى خرجوا من الحبس وأشيع أنهم هربوا .. ، نعم هربوا ، نعم هربوا ثم بعد أيام خرجت الأوامر السنية العدلية بطلب اختيارية قريتهم المذكورة ووجوهها المبرئين من الجنايات فحضروا الى محل الحكومة طوعا أو كرها للسؤال عن خمسة الأشخاص وبعد اقامتهم مدة وتعطيلهم عن أشغالهم ــ ولا أقول غير ذلك ساروا بعد اعطاء الرخصة لهم ثم صار طلبهم مرة أخرى للتحقيق وأعطيت لهم الرخصة كذلك على الوجه المشروح ثم انه فى هذه الظروف شرف الأسد المومأ اليه الى حيفا لبعض الأشغال فأرسل من طرفه ملازما من "الجندرمة " اسمه محمد أغا ــ لا أدرى أهو أرنؤوطى أم كردى وانما أدرى أنه جبار من الجبابرة ــ مصحوبا بعشرة من الخيالة بوسيلة طلب الخمسة المحكوم عليهم ومعه أمر شديد مصرح فيه بأسماء وجوه القرية أو اختياريتها ويذكر أنهم مكلفون باحضار الخمسة الأشخاص [2] مع أنهم غير موجودين فى القرية فان أكثرهم رحلوا

---

(١) مسقط رأس الشيخ يوسف النبهانى .

(٢) فى الأصل : الخمسة أشخاص ، وهو خطأ شائع وقع فيه الكبار والصغار من الكتاب والأدباء ، والصواب : الخمسة الاشخاص ــ كما فعلنا ــ أو خمسة الأشخاص . د . سرحان .

الى بلاد أخرى بعد اخراجهم أو فرارهم من الحبس ففرق الملازم خيالته على بيوت الوجوه المذكورين الذين لا جناية لهم ولا ذنب يقتضى أن يعاملوا بهذا الظلم وأشغل (١) عليهم العصا والسياط وكلفهم مالا يطاق من مأكل ومشرف وغيرها ، وقد اعتمدوا أن يذهبوا الى الأسد المشار اليه ليجيرهم من هذه المظالم غير أنهم لكثرة أشغالهم وهيبتهم اياه وخوفهم من الحبس أو ما يقوم مقامه تحملوا أضرار الملازم والخيالة ولم يذهبوا الى معاون المدعى العمومى فلما بلغ هذا الخبر حضرة العلامة الفريد حضره فضيلتلو الشيخ عبدالغنى أفندى الرفاعى رئيس دائرة الجزاء فى عكة أرسل تحريرا الى الأسد المومأ اليه ترجاه فيه أن يرسل أمرا الى ملازمه ليرتفع عن الجماعة المذكورين فانهم لا جناية لهم ولا مدعى عليهم حتى يعاملوا بهذه المعاملة السيئة فلا والله لم يكن لتحرير الأفندى جواب سوى الاهمال وعدم الالتفات وبقى الحال على ماكان الى الآن ولا أدرى ماذا سيكون فى المستقبل ؟ نسأل الله الحماية •

أرجوكم أن تدرجوا مقالتى هذه فى جريدتكم الغراء بحروفها عسى أن يكون بها غيرة لمن يقرأ أو يسمع أو ربما مرت على مسمع رجل أو نظرة من أرباب الغيرة والحمية والاقتدار فيأخذ من الأسباب لمنع هذه الأمور قبل هلاك العباد وخراب الديار والله الموفق فى ١٤ رجب سنة ١٢٩٧ ــ توقيع يوسف النبهانى " (٢).

---

(١) قال فى القاموس ــ أشغله لغة جيدة أو قليلة أو رديئة ، وعلق شارحه فى تاج العروس قائلا : قوله : "جيدة" : لا يعرف نقله عن أحد من أئمة اللغة " ومعنى هذا أن " أشغل" لغة قليلة أو رديئة •

(٢) الجوائب ص ٥ ، ٢٨ شعبان ١٢٩٧•

الفصل الثاني

شعره وفنونه

النبهاني الشاعر : لم أعثر على أول قصيدة قالها الشيخ يوسف النبهاني لأنه حرص على اتلاف كل ماقاله في غير مدح الرسول صلى الله عليه وسلم كما أنه لم يسترع انتباه الباحثين في الأدب منذ وقت مبكر لبعده عن مجرى الحياة السياسي الذي به ، يشتهر الرجال ومما زاد في خفاء النبهاني المبكر أن الاتجاه الديني الذي سار عليه في أدبه وشعره لم تكن له الغلبة فيما بعد لذلك ضاع شعره ونسي ولم يبق لنا منه الا مدائحه النبوية التي جمعها في ديوان سماه (العقود اللؤلؤية في المدائح النبوية) وفي غير هذا الغرض عثرت على قصائد قليلة لم تكن بواكير شعره اذ قالها بعد أن أشتهر وذاع صيته

ولو حاولنا تعليل موهبته الشعرية والوقوف على ينابيعها لوجدنا أمامنا عدة روافد منها :—

اولا — اسرته : فالشيخ النبهاني من بني نبهان احدى قبائل طي التي منها ظهر الشاعران العظيمان أبو تمام والبحتري ولم استطع البت فيما اذا كانت أسرة النبهاني تقول الشعر أم لا ... خصوصا وهي أسرة علم فوالده الشيخ النبهاني أزهري والكثير من أقاربه واصل تعليمه في الازهر وفي ذلك الوقت لم يكن أحد يستطيع ان يواصل تعليمه في الأزهر الا اذا كان على درجة كافية من الذكاء والنباهة لقوة الدراسة وصعوبتها ومن هذا أرجح أن يكون والده أو أفراد اسرته المتعلمون قد قالوا الشعر ولو في المناسبات — ولكنه ضاع كما ضاع الكثير من شعر الشيخ النبهاني نفسه .

ثانيا — بلده : فالشيخ النبهاني ولد في قرية (اجزم) احدى قرى قضاء حيفة وهي تقع على ربوة مرتفعة تحيط بها يتلوها سلاسل من الجبال التي تكسوها الاشجار الحرجية[1] وفيها نبع من الماء يسمى (ماقورة) يستعمل لزراعة الخضروات والأشجار المثمرة التي كانت تصدّر الى حيفا والقرى المجاورة ، خصوصا (الملوخية) التي كان يضرب بها المثل وكان يقال (ملوخية ماقورة) أي القمة في الجودة . وفي الوقت الذي قضى النبهاني طفولته في اجزم كان

---

(١) الحرجية نسبة الى الحرج وهو مجتمع الشجر د . سرحان

فيها غابات (١) تعيش فيها بعض الحيوانات المفترسة كالنمر ·

فالشيخ النبهاني الذي تفتحت عقليته في هذه القرية الجميلة ولم يخرج منها الا الى الازهر بعد عامل حاسما على أن طبيعة اجزم الجغرافية قد ساهمت في انماء موهبته الشعرية وقد استطاعت اجزم أن تتغلغل في قلب النبهاني فتجذبه لاستضافتها في كل صيف ·

ثالثا :- القران والمتون والأزهر وهي التي كونت له ملكه عربية فصيحة فيها جزالة القرآن وفصاحته وسمو بيانه وفيها قوة المتون (٢) وتركيزها ولذلك جاء شعره قويا جزلا متمكنا من ناحية اللغة ولعلنا نذكر قصة الفرزدق مع الامام على كرم الله وجهه عندما سمع شيئا من شعره وهو في صباه فأوصى والده أن يُحفِّظَهُ القرآن فقيد الفرزدق نفسه وأبى ان يفكه احد عنه حتى يحفظ القرآن · كما ان دراسته الازهرية عمقت فهمه وحفظه للقرآن وبالتالي تمثل أسلوبه فظهر في شعره ·

يقول النبهاني "وقد رزقني الله وله الحمد والمنه ملكة قوية في العربية بعد قراءتي في الجامع الأزهر على مشايخي الذين ذكرتهم في ثبتي " هادى المريد الى طرق الاسانيد " جميع الكتب التي اعتادوا قراءتها في علم النحو في نحو سبع سنوات من الاجرومية الى الاشموني بالشروح والحواشي مع حفظ الاجرومية وما التي العوامل والاظهار وكافية ابن الحاجب بنفسي ولبعض الطلبه ومع ذلك فقد نسيت الآن اكثر قواعد النحو ولكن ملكتي التي تعصم قلمي من اللحن غالبا قوية والحمد لله وقد طالعت من كتب الأدب والتاريخ شيئا كثيرا ولا أخلو دائما من المراجعة في كتب اللغة وغريب الحديث (٣) · ولا يظهر لي أن يكون النبهاني قد تأثر بالنهضة الشعرية التي عاش عصرها فان مولده في اجزم وعزلته فيها واحتواء والده له بما يحفظه من القرآن والمتون ثم يتلقفه الأزهر ليعمق هذه العلوم في عقله حفظا وفهما كل هذا جعله يعيش في عالم منفصل فلا يعرف

---

(١) وقد قطع معظمها لصنع الفحم وقد شجع الانجليز ذلك للقضاء على هذه الثروة الحرجية وبعد نكبة ١٩٤٨ هدم اليهود بيوت اجزم القديمة وبنو مستعمرة اسمها كارم مهرال وزرعوا السهول بالورد وهي الآن تصدر الورد الى معظم مدن الساحل الفلسطيني ·

(٢) قالوا من حفظ المتون حاز الفنون ·

(٣) اسباب التأليف العاجز الضعيف للنبهاني ص ٣٣٤-٣٣٥

من الأدب شعره ونثره الا مايدرس لفحول الشعراء والأدباء فى العربيـــة

لذلك رأينا الشيخ النبهانى استقى ثقافته من أمهات المصادر العربيـــة وأنى لأجزم بأن النبهانى لم يقرأ فى حياته كتابا مترجما ، ولذلك كلــــه لا أجد لفحــول شعراء عصره ذكرا فى كتبه كالبارودى وشوقى معوفرة شعرهمـــا الاسلامى ومع ان لهما مدائح نبوية مشهورة ولا أحسب ذلك لقصور فى فنيـــه شعرهما الاسلامى أو مدائحهما النبوية بل لأنهما لم يكونا من عداد الصوفيـــة والزاهدين . وكان النبهانى يقوّم المدائح النبوية والشعر الاسلامى بمقــدار تقوى وزهد الشاعر لأنها ستكون أقرب الى الصدق الفنى وقوة العاطفة بــدل جزالة الألفاظ وقوة التراكيب وجمال الصور فالعمل الأدبى الناجح عند النبهانـى هو الذى يكون صاحبه ـ فيه أو به ـ اكثر قربـــا الى الله .

كل هذا كان بتأثير قريته ووالده والأزهر .

أطـواره فـى شعـره : ليست لدينا تفصيلات وافية عن أطوار الشعر عنــد النبهانى ولكن يظهر لنا مما وصلنا من معلومات أن الشيخ النبهانى بدأ حياتــه الشعرية فى مدح وجهاء الناس للحصول على بعض المناصب ذلك أن أسرة .... النبهانى ـ وان كانت معروفة بالعلم والتقوى ـ كانت مغمورة بالنسبة لغيرهـــا ونفسية الشيخ يوسف الطموح لم ترض بما رضى به أقاربه ممن تعلموا فى الأزهـــر اذ كان يرنو الى المناصب العالية لذلك لم يرض أن يبقى خطيبا وواعظـــا فى مسجد اجزم وعكــة اذ سرعان ماغادرهما الى الاستانة حيث الآمــــال والطموح الى مالايستطيع مثله أن يصل اليه دون أن يجد الوساطة التى توصلـــه لذلـــك .

قال يمدح بعض ذوى المناصب ، ولندع الشيخ النبهانى يحدثنـــا عن حالة هذه حيث يقول ((اعلم أنه قد سبق منى قصائد مدحت بهـــا بعض الأكابر من أهل العصر ولم أدونها لأنى ان لم أكن أثما بها فلا أحسبها من أعمال البر وكان الحامل عليها الدنيا لا الدين فى استعطاف بعض أكابـــر المسلمين لقضاء حاجاتى ومساعدتهم فى مهماتى ، ولم آخذ من أحد منهـــم جائزه على شىء من ذلك ولست بحمد الله ممن يتخذ الشعر صنعة ويأخـــذ عليها الجوائز ، وقد أغنانى الله بفضله عن استجداء الناس بالشعر وغيره فقـــد

سهل لى تعالى الرزق منذ نشأتى ولم يحوجنى الى شئ من ذلك ، اذ قام والدى حفظه الله وجزاه عنى خير الجزاء بكفايتى فى صغرى ومدة مجاورتى فى الجامع الأزهر ثم توجهت الى القسطنطينية مرتين أقمت فيها كل مرة أكثر من سنتين فيسر الله لى مطبعة جريدة "الجوانب" فكنت آخذ منها فى كل شهر عشر ليرات أجرة التحرير والتصحيح ولا أشتغل فى ذلك الا نحو ساعتين أو ثلاث غالبا وكان ذلك بطلب صاحبها أحمد أفندى فارس والحاجة بحيث كان يعدنى من أكبر النعم عليه وأظهر الاسف الشديد لخروجى حينما توظفت فى الحكومة . وقد عرض على أن أشاركه فيها أو يزيد فى أجرتى فلم أقبل مع انى كنت مدة اقامتى فى القسطنطينية فى احتياج الى النفقة فيسرها الله لى بغاية الاعتزاز والاكرام الى أن سافرت منها فى المرة الأولى الى العراق للعمل بقضاء كحوى سنجق فى ولاية الموصل ثم رجعت وسافرت منها فى المرة الثانية سنة ١٣٠٠ للعمل برياسة محكمة الجزاء فى اللاذقية من سواحل الشام ثم بعد الاقامة فيها خمس سنوات نقلتنى الدولة نصرها الله بواسطة(١) من قدر الله لى الخير على أيديهم بدون طلب ولا علم منى الى رياسة محكمة الحقوق فى بيروت وذلك فى سنة ١٣٠٥ مع زيادة المعاش نحو ضعفيه اذ كان فى اللاذقية والقدس ١٤٠٠ قرش فصار فى بيروت ٣٥٠٠ قرش ولكنهم بعد نحو عشر سنوات من اقامتى فيها نقصوا معاشات الحكام عموما فجعلوا معاشى ٢٥٠٠ قرش والحمد لله على كل حال ولقلة اشغال هذه الوظيفة الهمنى الله الاشتغال بالتأليف الى الآن وقد صار لى فيها تسعة عشر عاما فى هذه السنة ١٣٢٤ وفى أثناء هذه المدة عادانى وآذانى بعض أكابر الأشرار فسعوا فى عزلى والمبالغة فى ضررى وتكرر منهم ذلك حتى فى هذه السنة فحمانى الله من شرهم بفضله وكرمه لحبيبه الاعظم صلى الله عليه وسلم والحمد لله رب العالمين .

فان قال قائل قصائدك التى ذكرت أنك مدحت بها بعض الأكابر لم تلتزم فيها الصدق والحق فهى سيئات لاحسنات فى صحيفة أعمالك مرقومة ومثالب لامناقب فى جملة آثارك موسومة .

قلت نعم . لو كان القصد منها وصف الممدوحين بحقيقة تلك الأوصاف

(١) هذه الكلمة خطأ شائع وقع فيه كبار الادباء والكتاب والصواب بوساطة أما الواسطة فهى حبة العقد المتوسطة بين حباته تماما . د . سرحان .

لكان الامر كما ذكرت ولكن الشعر صنعه من أدق الصنائع والماهر فيه يجتهد فيه بقدر حذقه في بهرجه الفاظه والمبالغة في معانيه وبقدر استطاعته يجتهد في تحسين صنعته ليظاهر المهارة والحذق لا ليخبر بالحق والصدق ، ومثل هذا يعفى عنه ان شاء الله تعالى ومع ذلك فأنا أقر وأعترف بأني كنت لا ورع عندي يحجزني من المحارم والشبهات ولو كان لما نظمت تلك القصائد فاني لو تحريت فيها الصدق فيما أصف به الممدوحين لكانت من أبرد الشعر وأركه اذ الشعر صنعة لايحسّنها الا الكذب والمبالغات فقد قيل أكذبه أعذبه اللهم الا أن يكون في مدح الانبياء والأولياء والصالحين ولا سيما اذا كان في مدح سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فانه مهما بالغ الشعراء لايصلون الى مايجب له عليه الصلاة والسلام فضلا عن أن يكذبوا أما المدائح في غيرهم فلا يحسنها الا المبالغة في الكذب ولخوفي من تبعة تلك القصائد لم أجمعها في ديوان كعادة الشعراء ولم أذكر شيئا منها في كتاب من هذه المؤلفات ... الدينية التي أعدها أن تقبلها الله بفضله من الأعمال الصالحات غير أني أرجو أن تكون من المباحات لامن الحسنات ولا من السيئات وهي لاتتجاوز خمس عشرة قصيدة سوى المقاطيع وكلها أو جلها طبعت كل واحدة منها وحدها ولم يكن شيء منها في مدح أحد من الكفرة ولم أهج أحدا معينا من المسلمين ولا غير المسلمين الا أن يكون ذلك في القصائد النبوية في ذم أعدائه صلى الله عليه وسلم وما كان فيها من وصف الخمر فهو جار على عادة الشعراء والا فوالله الذي لا اله الا هو لم يدخل في فمي ولا جوفي شيء منها ولا من غيرها من جميع أنواع المسكرات وقد كنت في صغري أنظر الى من يقال عنه أنه يشرب الخمر كنظري الى الكفار أو قريبا منهم والحماية حماية الله والحمد لله رب العالمين حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده وقد ذكرت هذا البحث هنا لئلا يسوء الظن بي من اطلع على شيء من تلك القصائد المطبوعة ومبالغاتي فيها فيحسبها من الاباطيل التي لاتقال والعثرات التي لاتقال فيقل اقباله على كتبي النافعة فيحرم خيرا كثيرا وأحرم أنا الاجر الذي يترتب لي على انتفاعه بها[1] .

من هذا يتبين لنا الاهداف التي قصدها النبهاني في مدحه لبعض الشخصيات حيث انه قاد حملة — في عصره — لمحاربة التبشير

---

(١) أسباب التأليف من العاجز الضعيف للنبهاني ص ٣٩٠ـ٣٩٢

المسيحى فى بيروت عاصمة التبشير المسيحى ثم لم يتوان عن هجوم من يعتقد أنهم يضرون بالاسلام بأفكارهم أمثال محمد عبده والافغانى ورشيد ، وقد كان هؤلاء لهم أنصارهم ومؤيدوهم فى الدولة وهم قادرون على ايقاع الأذى به بل حاولوا ذلك كما يذكر النبهانى .

لذلك كان لابد له أن يمدح بعض الشخصيات حتى يكونوا له حماية ووقاية من أعدائه فمما وصل الينا مدحه لهم : السلطان عبد الحميد والشيخ أبو الهدى الصيادى وأحمد عزت باشا العابد وأحمد فارس الشدياق فالأول كان شيخ السلطان عبد الحميد وصفيه والثانى كان الكتاب الثانى لدى السلطان عبد الحميد وهو الذى قام بمد الخط الحديدى الحجازى وخط يربط برلين بالخليج العربى ، والأخير كان نصرانيا ثم أسلم وهو من كبار علماء وشعراء عصره .

من هذا نعلم أن ممدوحيه كانوا من علية الناس أما غير هؤلاء فلم أعثر لهم على القصائد التى أشار اليها النبهانى سابقا وسوف استشهد بما عثر عليه منها عند الكلام على أغراض شعره .

كما أن للنبهانى أشعارا أخرى فى أغراض شتى ولكنه لم يذكر فى كتبه شيئا منها وقد أخبرنى الشيخ محمد نمر الخطيب الذى اجتمعت به فى بيروت فى ١٩٧٥/١/٥ ان للشيخ النبهانى قصائد فى وصف الطبيعة ووصف القطار ، ولكنه لايحفظ شيئا منها .

أما الطور الآخر فى شعره فهو مدائحه للرسول صلى الله عليه وسلم وهو فى هذا قال الكثير بل قصر أدبه المنثور والمنظوم على تمجيد شخصيته صلى الله عليه وسلم . وهو فى هذا يكون أمير شعراء المدائح النبوية ورائدهم وقد خلف لنا ديوانا سماه " العقود اللؤلؤية فى المدائح النبوية ".

كما أنه جمع موسوعة فى شعر المدائح النبوية من زمن أبى طالب الى عصره سماها " المجموعة النبهانية فى المدائح النبوية " وعن مدائحه النبوية أفردنا بابا كاملا فى بحثنا هذا وهو الباب الرابع .

شاعريتـــــــه :

للشيخ النبهانى شاعرية متدفقة غنيـــة بألفاظها وتعابيرها وصورهـــا وأهم ماتمتازبه طول النفس وتلمس الشخصية •

أما غنى الألفاظ : فهو يظهر واضحا فى القصيدة التى سماها سعادة المعاد فى موازنة بانت سعادة يقول الشيخ النبهانى " وفى اعتقادى أنها تفوق جميع ماأشتملت عليه المجموعة النبهانية من موازنات " بانت سعاد " التــى نظمها مشاهير البلغاء سوى قصيدة اما منا الأبوصيرى رضى الله عنه (١) •

يقول الشيخ النبهانى فى قصيدته " سعادة المعاد " •

هواى طيبة لابيضاء عطبـــــــول ** ومنيتى عينها الزرقاء لا النيـــل (١)
عذراء جلت عن التشبيب اذ جليت ** هامت بها الخلق جيلا بعد جيل (٢)
كل المحاسن جزء من محاسنهـــا ** اجمالها بجمال الكون تفصيـــل
فما سعاد اذا قيست ببهجتهـــا ** وكل أمثالها الاتماثيـــــــــل
(٤)
ماكنت اسأل لولاها الركائب عن سلع ولا كان لى بالجـــزع مسئول

وفيها يقول أيضـــا :

يابرق واسر الى سَلْـعٍ بجاريـــة ** منها على الرأس حلو القطرمحمول (٥)
وأسق الحمى نهلاً من بعده علل ** قد كنت اسقيه لولا الدمع معلــول (٦)

الحمد لله عينى فى غنى ولهــا ** كنزان من دمعها الياقوت واللــول

---

(١) ذكر النبهانى اثنتين وعشرين قصيدة فى موازنة بانت سعاد •

(٢) هواى أى محبوبى والمطبول : المرأة الفتية الجميلة الممتلئة الطويلـــة العنق وفى كل من عينهـــا الزرقاء والنيل : توريه •

(٣) عذراء من أسماء المدينة المنورة والعذراء البكر ففيها تورية والتشبيـب الغزل بالمرأة •

(٤) سلع جبل بالمدينة والجزع موضع بها ، وأصله منعطف الوادى ومسئول : سؤال

(٥) جارية فيه تورية أما بمعنى السحابه أو المملوكة وفى القطر أيضا توريه•

(٦) النهل الشرب الأول والعلل الشرب بالثانى •

يابرق أشبهت ثغر الحب مبتسما ** هل منك يابرق للأحباب تقبيل ؟
يابرق وأشرح لساداتى وان علموا ** معنى المعنّى وما بالشرح تطويل
قل نازح فى بلاد الشام حاجته ** منكم قَبُولٌ فقولوا أنت مقبول
صبٌّ سرى الحب فى أجزاء طينته ** مذ كان وهو عليه الحبُّ مجبول
فى قلبه جمرة لولا العيون بها ** جفت لكان جرى فى شأنها النيل (١)
ترضيه رَضْوى ويحلو بالعُذَيب له ** نحو المدينة ارقالٌ وترسيل (٢)
ان يجعلوا شخصها بالبعد محتجبا ** عنه فتمثالها فى القلب مجعول (٣)

بلغت أبيات هذه القصيدة أربعة وأربعين ومائة بيت وفى الأبيات التى استشهدنا بها نلاحظ أن الالفاظ غنية بمعناها فهى تؤدى المعنى الذى وضعت له بتمامه كما أن بعضها فيه توريه مما يدل على أنها لها معان أخر غير ما وضعت له كما نلاحظ ان الالفاظ موسيقية متناسقة بدون أى تنافر بين أصوات الاحرف أو المفردات .

ومما نلاحظه فى شعر النبهانى أن قصائده غنية بمعانيها ولنأخذ مثلا قصيدته المساه "طيبة الغراء فى مدح سيد الانبياء" والتى بلغت الف بيت . يقول فى مطلعها .

نورك الكل والورى أجزاء ** يانبيا من جنده الأنبياء (٤)
علة الكون أنت ولولا ** ك لدامت فى غيبها الاشياء (٥)
منتهى الفضل فى العوالم جمعا ** فوقه من كمالك الابتداء
لم تزل فوق كل فوق مجدا ** بالترقى ماللترقى انتهاء (٦)

---

(١) الشأن واحد شئون العين التى تجرى منها الدمع والشأن الحال ففيه تورية .
(٢) جبل فى طريق المدينة والعُذيب مكان هناك والارقال السير السريع والترسيل كالترسيل عدم العجلة فى المشى والكلام .
(٣) العقود اللؤلؤية فى المدائح النبوية . ص ٩٠ ـ ٩١
(٤) فى جنده أى من انصاره
(٥) قوله علت الكون أى سبب تكوين الخلائق فقد خلقت جميعها لاجله صلى الله عليه وسلم كما ورد فى عدة احاديث
(٦) مجدا مجتهدا .

جُزْتَ قدرا فما أمامك خَلْقٌ ** فوقك الله والبريـــــا وراء (١)
خيرُ أرض ثويت فيها سمـــاءٌ ** بك طالت ماطاولتها سماء (٢)
يارعى الله طيبة من ريـــاض ** طاب فيها الهوى وطاب الهواء
شاقنى فى ربوعها خير حــى ** حل لا زينب ولا اسمـــاء (٣)
وعدتنى نفسى الدنو ولكـن ** اين منى وأين منها الوفاء
غادرتها الذنوب عرجاء والقفـ ** ـر بعيدٌ ماتصنع العرجــاء
وحار مابيننا وقفـــــارٌ ** ثم صحراء بعدها صحــراء
فمتى أقطع البحار بفلـــك ** ذى بخار كأنه هوجــاء
ومتى أقطع القفار ببحـــر ** من سراب تخوض بى وجناء (٤)
فى رفاق من المحبين كـلٌ ** فوقه من غرامه سيمـــاء
جسدٌ ناحلٌ وطرفٌ قريـــحٌ ** ظل يهمى وهامة شعثــاء (٥)
أضرم الوجدُ نارهَ بحشاهـم ** ولثقل الغرام ناحوا وناؤا (٦)
شربوا د معهم فزاد أواما ** مابد مع العاشق ارواء ... (٧)
لا تسل وصف حبهم فهو سرٌ ** بسوى الذوق ماله افشـــاء (٨)
ساقهم للحجاز أى حنيـــن ** ضمه من ضلوعهم أحنـــاء (٩)
احدٌ شاقهم وأكناف سلـــع ** لا روابى نجد ولا الدهناء (١٠)

(١) اى جاوز قدرك الخلائق
(٢) ثويت أقمت
(٣) شاقنى هاجنى
(٤) السراب ماتراه نصف النهار فى البرارى وقت الحر كأنه الماء
(٥) الطرف العين القريح الجريح من كثرة البكاء يهمى يسيل الهامة الشعثاء المتغيرة المتلبدة لقلة تعاهدها بالدهن .
(٦) ناؤا يقال ناء بالجمل اذ قام مثقلا بجهد ومشقه
(٧) او أما عطشا
(٨) السر يكتم ضد الاعلان والسر فى عرف الصوفية صار حقيقة عرفية على الولاية التى لا تعرف الا بالذوق ففيه تورية .
(٩) الحنين الشوق والاحناء جمع حنو وهو كل مافيه اعوجاج من البدن كالضلع .
(١٠) الاكناف الجوانب والروابى جمع رابية وهى ماارتفع من الارض والدهناء موضع لتميم بنجد .

نسمات القبول هبت عليهم ** رنحتهم كأنها صهباء (١)
هى كانت أرواحهم وهاكا ** ن لهم بعد موتهم أحياء (٢)
قبض القبض منهم بسط البسط ** لهم حين بادت البيداء (٣)

فى هذه القصيدة نلاحظ فى كل بيت معنى جديدا وهو كثيرا مايستعمل المعانى الصوفية العميقة بأسلوب ميسر سهل كقوله " قبض القبض وبسط البسط .

وقوله لاتسل وصف حبهم فهو .... الخ " ومع هذا لم تفقد القصيدة طابعها الغنائى وتمتاز شاعرية النبهانى بأنها ذات خيال مجنح . وصور متعددة تكاد الصورة فيها تكون ملموسة لشدة اتقانها ونضجها وهذا أكثر مانجده فى غير شعره الدينى حيث أن جمال التصوير والتشبيه أرحب واكثر حرية منه فى الموضوعات ذوات الطابع الدينى فقصيدته "عنوان التهانى ببلوغ الامانى " التى مدح بها أحمد عزت باشا العابد الكاتب الثانى للسلطان عبد الحميد . حيث يقول النبهانى فيها .

١ــ بشرى فقد سرت الدنيا ومن فيها ** وعم داعى التهانى كل أهليها
٢ــ وأنجزت وعدها الايام محسنة ** لنا عفاالله عن ماضى مساويها
٣ــ فقم نبادر الى بكر معتقة ** من كف نشوان ساهى العين ساجيها (٤)
٤ــ قد أشبهت خده القانى بحمرتها ** وطرفه فيه معنى من معانيها (٥)
٥ــ فى روضة ضحكت أزهارها وجرت ** انهارها وغدت تبكى غواديها (٦)
٦ــ تلاعب الريح فيها الغصن معتدلاً ** لعب الاحبة تثنيه وينثيها
٧ــ والطير تشدو على الاعواد مطربة ** والدوح يهتز من توقيع شاديها

---

(١) القبول ريح الصبا والقبول ايضا الرضا ففيه تورية ونحتهم امالتهم والصهباء الخمرة .

(٢) ارواح جمع روح وجمع ريح ففيه توريه

(٣) قبض امسك والقبض ضد البسط وبسط البسط انتشر السرور وبادت هلكت اى انقطعت بالسير والبيداء المفازة وموضع مخصوص قدام ذى الحليفه قرب المدينة المنورة ففيه تورية . الديوان ص ١٢ ــ ١٣ .

(٤) ساجيها ساكنها ونشوان سكران .

(٥) القانى شديد الاحمرار . وسكون باء الكلمة للضرورة لان اعرابها النصب

(٦) غدن الغدوة البكرة أو مابين صلاة الفجر وطلوع الشمس والغواد جمع غادية وهى السحابة الممطرة . والاغيد النبات الناعم المتثنى .

٨ـ ياصاح دعني ودع صحوا بليت به ** فليس يحمد في اللذات صاحبها
٩ـ وعاطني قهوة من فوقها حبب ** كالغادة الخود زانتها لآليها (١)
١٠ـ كالنار تجرى على احشاء شاربها ** فتحرق الهم منه في مجاريها
١١ـ نفاحةً يحسب الحاظى بنهلتها (٢) ** ان قد سقاه مذاب المسك ساقيها
١٢ـ قديمة العهد تروى كل حادثةٍ ** قبل الزمان وعضها الدهر يرويها
١٣ـ بكر مضى الدهر لم تُفْضَضْ بكارتُها ** ولا لها في البرايا من يكافيها
١٤ـ قد أسكر الخلق طرا قرب حانتها ** ولم تزل في حجاب من قنانيها
١٥ـ لو أسفرت في الدياجي عن محاسنها ** لزال في الحال بالانوار داجيها
١٦ـ فلا تدع ذكرها ان كنت ذا ولع ** فيها ففي حال ذكراها توافيها
١٧ـ ولا تخل انني بالوصف أحصرُها ** جلّت عن الوصف تمثيلا وتشبيها
١٨ـ لكن جعلتُ لها هذا النسيب حلىً ** ومدح احمدَ عقداً في تراقيها (٣)

بلغت أبيات هذه القصيدة خمسة أبيات ومائة بيت وفيها يصور لنا النبهانى الروضة التي جلس فيها هو وصاحبه لتعاطى الشراب . حيث تبدأ الصورة بالحركة في البيت الثالث وهو ـ أي النبهانى ـ يُنْهِضُ زميله لشرب الخمر من ساق شرب حتى سكر ويصف هذا الساقى بأنه احمر الخد قانيه وفى طرفه جاذبية وجمال كما في الخمرة . وهنا ترك الشاعر المعنى بغير تحديد ليفسره القارئ كما يشاء ثم يصف الروضة ـ هى مكان الشرب ـ بأن الأزهار متفتحة مما يدل على أن الفصل كان ربيعا جميلا والانهار جارية والنبات الطرى اليانع المبلل بالندى كالدمع في الوجنه ثم يصور لنا الريح وهى تتمايل بالأغصان المعتدلة يمينا وشمالا كتمايل العاشقين أثناء الرقص . اذ يثنى الحبيب جبينه الى اليمين فتنثنى معه ثم تبادل الجبيه جبينها وتثنيه الى اليمين وهكذا ثم يصور لنا الطير تشدو على الاغصان مطربة كل من يسمعها فقد كان هذا الشدو مطربا ونفاذا حتى كان الدوح أى الشجر الكبير يتمايل ويهتز من غرية هذا الغناء وفى البيت الثامن يصور لنا صاحبه يكتفى من الجلوس والشرب ويطلب من الشاعر الانصراف ولكن الشاعر يجيبه "ياصاح دعنى ودع صحوا بليت به . أى ان صاحبه الذى شرب وأفاق وهم بالشاعر لينصرفا مبتلى بهذا الصحو

---

(١) الغادة المرأة الناعمة اللينه البينه والخود : الحسنة الخلق الشابه اوالناعمة
(٢) النهل أول الشرب
(٣) قصيدة عنوان التهانى ببلوغ الامانى المطبعة الادبية في بيروت ١٣٢ .

أى مصاب بمصيبه وأن الافضل ان يبقى الشارب ثملاً لان أصحاب اللـذات — فى عرفهم — لايحمدون من يصحو •

وفى هذا البيت يظهر لنا النبهانى • وكأنه مدمن على الخمر لايكاد يصحو حتى يعود الى سكره • ثم يطلب الشاعر من صاحبه الذى يهيم به لينصرفا أن يستزيدا من الشرب ويخاطبه اسقنى خمرة وزدنى سكرا و••••• بفقاعاتها التى تشبه فى كأسها الفتاة اللينة الناعمة المعرقة المعتدلة القوام وهى مزدانه بحليها وجواهرها — أى ان الخمرة كانت فى كأسها صافية وذات منظر جميل كهذه الفتاة •

ولعل النبهانى حرص على ذكر الفقاعات فوق الخمر ليدلل على أنـه يشربها فور انسكابها فى الكأس لانه لايصبر عليها شيئا من الوقت اذ سرعان مايشربها بفقاعاتها لشدة شوقه اليها وولوعه بها • والخمر التى يكون لها فقاعات كثيرة تكون جيدة ومعتقه •

ثم يسترسل النبهانى فى وصف حالته وخمرته وهو لايدعها بنزولها الـى جوفه بل يتتبعها ولكنه لايراها فيصف لنا مفعولها وأثرها فهى تلذع شاربها وتكويه كالنار — لأنها معتقه ومركّزه — ولكن سرعان ماتحرق هموم شاربها بمجرد سريانها فى مجاريها وهنا يبلغ النبهانى القمة فى التعبير والقدرة على التصوير اذ انه يصور الهموم وقد تراكمت وتجمعت فى البلعوم والمعدة — مجرى الخمرة — أو أن الشارب أرسلها هناك لتحترق ويتخلص منها بالنار التى شربها لذلك سرعان ماتذهب همومه بمجرد شربه للخمرة لأنه قد أحرقها •

ثم يصف الخمرة بأنها نفاحـة أى ذات رائحة زكية حادة وهى قديمة معتقة زامنت الحوادث والعصور الماضية وعنها يروى ماجرى فى الماضـى وأن الخمر التى شربوا منها كانت مغلقة فى دنانها وقنانيها ولم تفتح الا لهم وهى مضيئة تبدد الظلام بحسنها وسنائها •

فى هذه الأبيات استطاع الشيخ النبهانى أن يصف الروضة التى يجلس فيها للشرب ويصف الخمرة نفسها حتى أنه وصف الشارب وهو فى حالة السكـر وصفا لايقدر عليه الا من يشربها وله القدرة على وصف أحاسيسه ومواجيده فـى

حال سكره ولو اقتطعت هذه الابيات وكتب فى عنوانها قال أبو نواس يصف أحد مجالس شربه لكانت قصيدة نواسيه بلا مفارقة .

هذا الخيال المجنح الذى استطاع أن يرسم ويصف لنا روضة يُتعاطى فيها الشراب بما فيها من أنهار جارية وطيور شادية وساقٍ جميل خدُهُ وشبهه بلون الخمر ثم استطاع بخياله ان يتغلغل الى نفسية شاربيها فيعبر عما يجول فى خاطرهم من أفكار وتصورات وهم فى سكرهم ثم هذه الاوصاف الجميلة الجذابة التى وصف بها الخمر بأنها كالغادة الخود وهى قديمة العهد تروى كل حادثه وهى بكر لم تفض بكارتها . وهى منيرة وضاءة تبدد الظلام بنورها كل هذه الاوصاف الجذابه التى حببت الخمر الى نفوسنا فجعلتها اكسير الحياة استطاع النبهانى بها ان يعبر ويصور ويرسم مع انه هو الذى يقول معتذرا عما فى قصائده من وصف للخمر " وما كان فيها من وصف الخمر فهو جار على عادة الشعراء الى آخر ماسبق ذكره (٢) .

وللشيخ النبهانى قصيدة يمدح بها الشيخ أبا الهدى الصيادى شيخ السلطان عبد الحميد وتظهر فى مقدمتها قوة الخيال والتصوير عند الشيخ الشاعر وهذا يدل على أفق واسع وعقلية ناضجة تستطيع أن تطوف بهذا الافق لتصوغ للنبهانى حصيلة احاسيسه ومشاعره فى قوالب رائعة .

يقول فى هذه القصيدة :

١ـ تذكر دهرا بالعقيق تصرمــا	**	فواصل سفح الدمع فى خده دما
٢ـ وهبت عليه من ربا الشام نسمة	**	فكاد يفيض النفس لما تنسمــا
٣ـ وبان له من جانب الحى بـارق	**	تألق فى جو السما فتألمــا
٤ـ وأبكاه قوس السحب لما بدا له	**	فأذكر من ليلى سوارا ومعصمـا
٥ـ كأن الهوى منه عليه بصــارم	**	سطا ورمى عن ذلك القوس أسهما
٦ـ كأن احمرارا فيه محنى أضلــع	**	طوت من غرامى مارجا متضرمـا
٧ـ يقولون طبع النار تقويم ماانحنى	**	ولم أر ضلعا من ضلوعى تقومـا (٢)

---

(٢) مخطوط بخط يد الشيخ عبد الهادى عبد الهادى راوية شعر الشيخ يوسف النبهانى حصلت عليه من الاستاذ اكرم زعيتر سفير الاردن فى بيروت ١٢/١١/١٩٧٤ .

فهو فى هذه الابيات يحلق بخياله عاليا وفى البيتين الرابع والخامس يزداد علوا عندما رأى قوس السحب فى السماء فأذكره جبينته لانه يشبه سوارها الذى فى معصمها • وفى البيت الخامس يحلق عاليا حتى لاتكاد ترى الصورة التى يعنيها الا بعد جهد ومعناه فهو يصور الهوى مستوليا على المحبوب ومسلطا فوقه كالسيف ويقرر ان قوس السحب هذا كان أثره فى قلبه قاتلا كما لوانه تحول الى أسهم قاتله نشبت فيه •

ولا شك ان هذه صورة بعيدة الغور وتدل على قوة خيال صاحبها وسعة أفقه •

النفس الطويل : يمتاز النبهانى الشاعر بنفسه الطويل فى قصائد •

١ـ وله قصيدة بلغت الف بيت سماها " الهمزية الالفية المسماه طيبة الغراء فى مدح سيد الانبياء "

يقول فى مطلعها :

نورك الكل والورى أجـزاء ** يانبيا من جنده الانبيـاء

وهى فى معارضة قصيدة البوصيرى رحمه الله التى مطلعها •

كيف ترقى رقيك الأنبيـاء ** ياسماء ماطاولتها سمـاء

والى هذا يشير النبهانى حيث يقول :ـ

سرت فيها خلف شهم امـام ** قد أقرت بسبقه الشعـراء

وحسبى انى المصلى وان المتنشد بها كأنهم قـراء

والقصيدة تعد ملحمة شعرية لحياة الرسول حتى مماته • ولما اطلعت عليها الاستاذ خيرى الدين الزركلى (١) أشاد بها وأطرى هذه المقدرة الشعرية وقال " هذه القصيدة سدت نقصا فى شعر الملاحم فى الأدب العربى وهى تعتبر (٢) ملحمة اسلامية " وقد طبعت فى المطبعة الادبية فى بيروت سنة ١٣١٤ هـ فى كتاب وحدها (٣) وهى ايضا موجودة فى ديوانه العقود اللوءلوءية فى المدائح النبوية " وقد جعل لها مقدمه طويلة بلغت مئة

---

(١) قابلته فى بيروت ١٩٧٤/١٢/١٤ وهو من رواد النهضة الشعرية

(٢) كلمة "تعتبر " فى مثل هذه المواطن خطأ شائع وقع فيه الجميع والصواب تعد او تحسب دعوهما اما الاعتبار فمعناه الاتعاظ " فاعتبروا ياأولى الابصار صدق الله العظيم • د / عبد السلام سرحان •

(٣) فى الاصل : لوحدها وهو تعبير عامى •

وسبعة عشر بيتا ضمنها وجده وأحاسيسه وتشوقه لزيارة الرسول ناسيا البعد بينهما لتقصيره في ذنوبه لانه غير أهل لمقابلة الرسول صلى الله عليه وسلم حيث قال :

لو أرادوا لواصلوني ولكن ** أحسنوا في قطيعتي ما أساءوا
لست أهلا لوصلهم فظلامي ** حائل ان يحل منهم ضياء
هجروني ولست أنكر أني ** لم أزل مذنبا وكلي خطاء

الى ان يقول :

أن أكن مذنبا فهم أهل عفو ** وعلى الكون أن رضوني العفاء
أو اكن أكدر المحبين قلبا ** فلمثلي منهم يكون الصفاء

وهكذا يستمر في هذه التساؤلات وابتداع مايسوغها من كرم الحبيب وصفاته ثم يتكلم عن مولاه صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته وعن رضاعه وموت أبويه ثم احيائهما وايمانهما بولدهما صلى الله عليه وسلم . وهكذا يتكلم عن هجرته وغزواته ويجعل لها خاتمة في اثنين وستين بيتا يقول في مطلعها :

سيد العالمين يابحر جود ** قطرة من سخائه الاسخياء
هذه طيبة بمدحك قد طا ** بت وطاب الانشاد والانشاء
كلها وهي الفبيت قصور ** عنك ضاقت وانها فيحاء
سكنتها أبكار غر المعاني ** منك فهي المدينة العذراء
كل معنى بلقيس والبيت صرح ** ومن الدر لا الزجاج البناء

ويختمها معتذرا لتقصيره في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث يقول :

غير أني ادريك سمحا سخيا ** عربيا يرضيك فيك الثناء
ودواعي حب دعتني دعاوى ** هي مني ومالها شهداء
واحتياجي اليك في ما تحققت ** في اولتنيه فيك الآلاء (١)

---

(١) الآلاء النعم

وقلبى وقالبى كـــــل داء ** شف روحى وأنت انت الشفـــاء
لم أكن استطيع لو لم يمنـــى ** منك سروسيرة حسنـــاء
فتقبل وأعطف وكن لـــى شفيـــا ** يوم تحتاج فضلك الشفعـــاء
وأجرنى وعترتى من زمانـــى ** فدواهيه كلها دهيـــاء
عاد فيه الدين المبين كما قلـــ ** ـت غريبا وأهله غربـــاء
فتداركه قبل أن تخطر الأخـــ ** ـطار فاليوم مسه الاعيـــاء (١)
صار للشرك فى أذاه اشـــتراك ** حينما للنفاق عنه انتفـــاء
كم أبو جهل استطال على الديـ ** ـن وكم ذا أزرت به الجهـــلاء
ولكم فى ثيابه ابن سلـــول ** شاكـــه من نفاقـــه ســلاء (٢)
مااغترارى بمن تلون منهـــم ** والأفاعى أشرها الرقطـــاء
ملء قلبى محبـــة لمحبيـــ ** ـك وان قل فى فؤادى الصفاء
وارتياحى فى بغض قوم لديهم ** للآل ياسيـــد الورى بغضـــاء
لا أواليهم الزمان ولاهـــم ** لى ماذر شارق أوليـــاء (٣)
لا يرانى الرحمن الا عـــدوا ** لاعاديك أحسنوا أم اســـاءوا
رضى الله من رضيت ومن لـــم ** ترض عنه فالله منـــه بـــراء
فأرض عنى بالله وأسمع وقل لـــى ** قد قبلناك أيها الخطـــاء
ومن الفوز أن أكون لديكـــم ** ثاويـــا لايمل منى الثـــواء (٤)
أنت شمس وفى سناك ظهـــورى ** غير مستغرب لأنى هبـــاء
قد أجزت المداح قبلى فكانـــت ** سنة وأقتدى بك الكرمـــاء
فأجزنى بما تطيب به نفـــ ** ـسك [illegible] المعطاء
لست أبغى قدرى ولاقدر شعرى ** قد جود المعطى يكون العطاء
فعليك الصلاة تبقى من اللـــ ** ـه كما شاء كثرة وتشـــاء

---

(١) يقال خ را الرمح اذا اهتز للطعن
(٢) عبد الله بن سلول رأس المنافقين والسلاء بوزن رمان شوك النخل والواحدة سلاءة .
(٣) ذر طلع الشارق الشمس
(٤) الهمزية الالفية للنبهانى (ص ١٠٠ ـ ١٠٤) المطبعة الادبية

وعلى الاولياء آلك والصحـــب ** ومن للجميع فيــه ولاء
ماقضى الله فى الورى لك مدحــا ** وله الحمد كلــه والثنــاء (١)

فنحن نلاحظ أن النبهانى بقى قويا فى نظمه منذ بدئه الى ختامه وان كان يضعف شعره قليلا فى سرد الحوادث التاريخية والغزوات .

٢ــ وله قصيدة سماها (الرائية الكبرى فى الكمالات الالهية والسيرة النبوية ووصف الملة الاسلامية والملل الأخرى بلغت ابياتها ٧٢٥ بيت يقول الشيخ النبهانى فى مقدمتها " هذه القصيدة فريدة فى بابها قد اشتملت على ماتلزم معرفته من محاسن الديانة الاسلامية ومساوئ غيرها مع كمال الفصاحة والبلاغة وقلما يخلو بيت منها من النكت الأدبية والمحسنات البديعية وقد شرحت بعض مايلزمه الشرح من الفاظها ولم أنبه على مافيها من المحاسن البديعية مع كثرتها سوى التورية لعزتها فى الكلام وقد يسرها الله فيها فى أكثر من ثلاثين موضعا وعدة أبياتها خمسة وعشرون وسبعمائة بيت منها نحو أربعمائة بيت لم تتكرر فيها القوافى وماوقع فيه التكرار . أما أن تكون احدى القافيتين معرفة والأخرى نكرة واما أن يكون بينهما سبعة أبيات فأكثر وذلك جائز فى فن العروض ونصيحتى للمسلمين ان يعلموها اولادهم ويحفظوهم أياها فقد اشتملت على مالابد منه من أحكام القصيدة الاسلامية وختمتها بالتغزل بمحاسن ديانتنا الاسلامية (٢) .

ومطلع الرائية الكبرى هو :

بربــــك ذكرهم عسى تنفع الذكــرى ** فكم نعم اجدى وكم منن أجــرى
وأعظمها دين النبى محمــــــد ** هو النعمــة العظمى هو المنة الكبرى

وقد تكلم عن الفضائل المحمدية والسيرة النبوية وفى فصل آخر تكلم عن الخلفاء الراشدين والصحابة وتكلم عن غزواته صلى الله عليه وسلم وفيها فصل بعنوان الكلام مع أهل الكتاب فى اثبات نبوته صلى الله عليه وسلم بالبشائر والدلائل وبيان مافى ديانتهم من الغواية والغوائل وفصل آخر فى الكلام مع اليهود فى شأنه صلى الله عليه وسلم ووصف دينهم الذميم ومافيه من اعتقاد التجسيم ثم فى الكلام مع النصارى

(١) الهمزية الالفية للنبهانى (ص ١٠٠ــ١٠٤) المطبعة الادبية
(٢) الديوان ص ٢٩١ الهامش

فى اثبات نبوته صلى الله عليه وسلم بالدلائل الباهرات ووصف دينهم وما فيه من الغوائل والآفات ثم ناقش النصارى فى عقيدة التثليث وصلب المسيح عليه السلام ، وفصل فى رد زعمهم أن حكمه الصلب تخليص بنى آدم من خطيئته عليه السلام وفصل فى وصف الصليب وعبادتهم له وفصل فى وصف الرهبان وفصل فى عجائب دينهم كالقربان وهو بزعمهم استحالة الخبز والخمر الى لحم عيسى ودمه عليه السلام وفصل فى ذكر المشح وهو خنق القسيس المريض عند اليأس من شفائه وفصل فى الكلام على الاعتراف وفصل فى وصف فرقة البروتستانت التى ضللت كل فرق النصارى وضللوها وفصل فى الكلام على قولهم الدين فوق العقل والفرق بين دينهم ودين الاسلام المؤيد بالعقل والنقل ، وهكذا يستمر النبهانى فى مناقشة النصارى فى شؤون دينهم مفصلا عليه مايقابله فى الاسلام .

والقصيدة كما ترى عبارة عن كتاب فى العقائد وقد جعل لها خاتمة من واحد وثمانين بيتا بعنوان "الخاتمة فى التغزل بمحاسن حبيبتنا ملة الاسلام وهو لهذه القصيدة مسك الختام ولا أعلم أحدا سبقنى الى هذا الاسلوب البديع من شعراء الاسلام وقد جاء فى خاتمتها :

فكم مع قصورى صغت فيه قصيدة ** بها كل بيت فاق من جوهر قصرا
وكم من كتاب لو أتى بنظيره ** امام كبير كان منقبه كبرى
بنثر يفوق العقد حل نظامه ** فيزرى به نظما ويزرى به نثرا
جواهرها بعض كبار وبعضها ** صغار وأكرم بالكبيرة والصغرى
فلا تتعجب من كمال جمالها ** ونقصى فكم قد أخرج الصدف الدرا
وسارت بها الركبان فى كل بلدة ** فما تركت برا وماتركت بحرا
يكاد أخو الذوق السليم لسكره ** بها طربا ياصاح يحسبها خمرا
ويلقى بها الذوق السقيم مرارة ** كما ذاق حلو الشهد ذو المرة الصفرا (١)

---

(١) المرة الصفراء خلط من أخلاط البدن اذا ذاق صاحبها الشهد وهو العسل يجده مرا .

فكم من امام فى الزمان وعـــــارف ** كبير أرى لى خدمتى نعلة ذخرا
رآها كعقد زين العصر حسنـــــة ** فيا حسنها عقدا ويا بهجة عصرا
تمتع بها ان كنت تهوى محمــــدا ** والا لاهليها فدعها فهم أدرى
بنعمة ربى اننى متحـــــدث ** ولاقصدت نفسى بها الفخر والكبرا
نعم انا فخرى بالنبى محمـــــد ** وأنى من أبناء ملته الغـــرا

الى أن يقول :

عليه من الرحمن أسنى صلاتـــــه ** وأكثرها عدا وأعظمها قـــدرا
بأعداد ذرات الوجود وعظمـــــه ** تدوم دوام الله لايقبل الحصرا
ولله كل الحمد فى كل لحظـــــه ** يضاعف لايفنى بدنيا ولا أخـــرى (١)

هذه القصيدة ــ الرائية الكبرى ــ تعد فى جملتها دفاعا عن الاســـلام وبيانا لاضاليل النصرانية واليهودية وموازنتها بما فى الاسلام من حق وللشيخ النبهانى كتاب "نجوم المهتديـــن ورجوم المعتديـــن فى دلائل نبـــوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والرد على اعدائه اخوان الشياطين وقـــد تطرق فيه الى هذه الموضوعات نفسها التى أثارها فى هذه القصيدة . وفـــى هذه القصيدة يظهر النبهانى مقدرة فائقة على الحجاج العقلى ومناقشة الخصـــوم شعرا دون أن يفقد رونقه وبهاءه وكأنه قد ملك ناصية الشعر فهو يخضعـــه للمعانى التى يريدها .

الرائية الصغرى :

٣ــ وللنبهانى قصيدة مطولة اسماها الرائية الصغرى فى ذم البدعة ومدح السنة الغراء "وعدد أبياتها ٥٢٥ بيت وسميت الصغرى نسبة الى الرائية الكبـــرى التى بلغت ٧٢٥ بيت وقد جعل لها مقدمه افتتحها بقوله :

هو الله لانحصى لا لائه شكـــــرا ** له الحمد فى الاولى له الحمد فى الاخرى
وكيف نؤديه بشكر حقوقهـــــا ** ونعمته بالشكر تستوجب الشكـــرا
وأشهد ان الله لارب غيــــره ** وأن له فى خلقه النفع والضـــرا
له كل ماقد كان أو هو كائـــن ** وما لسواه فى الورى ذرة صغـــرى

(١) الديوان ص ٣٤٧ ــ ٣٤٨ .

ثم جعل القصيدة خمسة أقسام :

القسم الأول في مدح الكتاب والسنة والائمة الاربعة . ومذهبهم " .

" والقسم الثاني في وصف الشيخ جمال الدين الافغاني وأهل بدعته الجهلة اللئام .... الخ) .

" والقسم الثالث " وفي وصف شيخهم الثاني الشيخ محمد عبده تلميذ الافغاني وقد سبق شيخه في طاعة الشيطان .... الخ " .

والقسم الرابع " في وصف رشيد رضا صاحب جريدة المنار التي تطبع في مصر وتنشر بدعهم في سائر الاقطار " .

" القسم الخامس في وصف الوهابية اتباع محمد بن عبد الوهاب النجدي وجعل لرائيته الصغرى خاتمة من اربعة وستين بيتا مطلعها .

خليلي لا والله ما أنا واجد ** لمن خذل الاسلام من أهله عذرا
وكيف وهم في كل أرض فخارها ** وأفضل أهليها وأشرفهم نجرا (1)
وأبطالهم لو حاربوا أسد السما ** لفروخ الاها ومن برجه خرا
ففي كل قطر كل أروع وارث ** لاباء صدق قبله فتحوا القطرا

الى ان يقول :

ونحن بنوهم كيف كنا فمالنا ** نحيد ولا نقفوا لابائنا اثرا
وما الفرق الا الدين قد كان عندهم ** قويا فنالوا منه من قوة شطرا
فلما بدا من بعدهم ضعف ديننا ** ضعفنا فلم يشدد بنا ديننا أزرا
فياعيني انهلي وياقلبي اتقد ** ويانفسي أزفر من سعير الحشا زفرا
فقد أصبح الاسلام مابين أهله ** غريبا وفي اوطانه لم يجد نصرا
وصال عليه الشرك صولة كاسر ** اذا هي لم تقتل فقد أوجبت كسرا
الى الله كم أمسى وأصبح داعيا ** فآونة نظما وآونة نثرا
أنادي بأعلى الصوت في الناس صارخا ** لشدة وجد أججت في الحشا الجمرا
أحذر قومي من عداة تألبوا ** علينا وساموا ديننا الخسف والخسرا

---

(1) نجرا اصلا .

ويختمها بقولـــه :

فتوحيدك اللهم خير ذخائـــرى ** وحسبى بجاه المصطفى بعد ذخرا
عليه صلاة مثل مسك ختامهـــــ ** يضمخ كل المؤمنين بعطـــرا (١)

٤ـ وله قصيدة سماها "البائية فى نصرة الامام السبكى وعقيدته السنية والـرد على ابن تيمية ومن انتصر له من طائفته الحشوية أئمة الوهابية . بلغت هـذه القصيدة ثلاثة وخمسين ومائة بيت وضمنتها تسعة عشر بيتا من قصيدة محمـد بن يوسف اليمنى اليافعى التى يرد فيها على قصيدة الامام تقى الدين السبكى وقصيدته التى مدح بها كتاب منهاج السنة لابن تيمية واعترض عليه فى مسائـل حسبها بدعا والقصيدة مطلعها :ـ

الحمد لله حمدا أستعد بــــه ** لنصرة الحق كى أحظى بمطلبـه
بك استعنت الهى عاجزا فأعـن ** أبغى رضاك فاسعفنى بأطيبـه (٢)

وسوف ترد شواهد من القصيدة عند الكلام على أغراض الشعر عنـد الشيخ النبهانى .

٥ـ وللنبهانى قصيدة اسمها "القول الحق فى مدح سيد الخلق صلى الله عليه وسلم "بلغت ابياتها ثلاثة عشر بيتا ومائة بيتا ومطلعها .

لمن ربع بأكناف المصلـــــى ** على السبع العلا شرفا وفضـلا
رعاه الله منية كل نفـــس ** وحيا الله تربتـــه وأعلـــى
وبلغ من غوادى السحب عنـــى ** قباب قبا بسيل القطر سـولا (٣)

٦ـ وللنبهانى قصيدة اسمها "السابقات الجياد فى مدح سيد العبـاد صلى الله عليه وسلم وقد جعل قوافيها حسب حروف المعجم لكل حرف عشرة أبيات فبلغت ابياتها تسعين ومائتى بيت .

وله قصيدة فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم عارض بها الموشحات الاندلسية يقول فى مطلعها :

---

(١) الديوان ص ٣٩٥ـ٤٠٠
(٢) الديوان ص ٤٠٥
(٣) قبا اسم مكان فى المدينة المنورة . الديوان ص ٩٩

حى ياسعد قبابا بالحمـــــى ** تحتها ربع المنى لم يـــدرس
جاده الغيث اذا الغيث همـــى ** لازمان الوصل بالاندلـــس (١)
ان يكن مابل شوقى قربـــه ** فلسانى دائمـــا يذكـــره
وقلبـــى مُسْتَقِـــرٌّ حبُّـــهُ ** بهواه لما ازل أعمـــره

٨ـ ومن مطولات الشيخ النبهانى قصيدة "أحسن الوسائل فى نظام أسمـــاء النبى الكامل" نظامها على شكل مخمسات يقول فى المخمس الاول •

الحمد لله الغنـــى الأحـــد ** الواحد الفرد العلى الصمـــد
السيد المطلق خير سيـــد ** مولى أسامى عده محمـــد
خير الورى ذاتا ووصفا وسما (٢)

وقد بلغت هذه القصيدة اثنى عشر ومائة مخمس أى ستين وخمسمائة بيـــت مشطور •

ومن مطولات الشيخ النبهانى ايضا "النظام البديع فى مولد الشفيـــع" صلى الله عليه وسلم وقد نظمه على شكل مخمسات ايضا ــ وأولها :

الحمد لله على آلائـــــه ** حمد امرئ أخلص فى أدائـــه
احمده والحمد من نعمائـــه ** ان خصنا بخيـــر انبيائـــه (٣)
محمد سيد كل عبـــد

وقد بلغت مخمساتها اثنين وعشرين ومائة ومخمس • أى عشرة وستمائـــة بيت مشطور •

وله أيضا سبعة تخاميس مدح بها الرسول صلى الله عليه وسلم وقد كـــرر الشطر الخامس فى كل تخميس وهو غيره فى التخميس الاخر •

افتتح الـــتخميس الأول بقوله :

عج بالمدينة تلق ثم كريمـــا ** خير الورى نسبا وأكرم خيمـــا
هو من غدا بالمؤمنين رحيمـــا ** هو خيرة الله القديم قديمـــا

---

(١) جاد أتى بالجود وهو المطر الغزير وهذا البيت من موشح لسان الدين الخطيب مع تغيير قليل فيه الديوان ص ٢٧٣ •
(٢) سمتالغة فى اسم •
(٣) الالاء النعم واحدها الى بالفتح وقد يكسر ويكتب بالياء كمعى وامعـــاء كما فى المختار الديوان ص ١٦٧ •

صلوا عليه وسلموا تسليمـــا(١)

١١ـ وأفتتح التخميس الثاني وهو مختصر السيرة النبوية مرتباً بقوله :ـ

سيد الرسل قدره معلــــوم ** أين منه المسيح اين الكليـــم
أين نوح اين ابراهيــــم ** كلهم عن مقامه مفطـــوم

فعليه الصلاة والتسليـــم(٢)

١٢ـ التخميس الثالث وما اشتمل عليه فضائل الحرمين الشريفين افتتحه بقوله :

أمو المدينـــه حيث جل المغنم ** حيث الهدي حيث النبي الاكــــرم
ومتى قصــد تم عينها فتيممـــوا ** بمديحه وتنعموا وترنمــــوا

بحياته صلوا عليه وسلموا(٣)

١٣ـ والتخميس الرابع وهو في الترغيب في دينه الحق ومدح أمته وأوله :ـ

مقام أجل الرسل أعلى وأعظـــم ** فماذا يقول المادحون ومن هـم ؟؟
نعم جئت أحكي بعض مانحن نفهم ** لكيما يصلي سامع ويسلـــم

عليه عباد الله صلوا وسلموا(٤)

١٤ـ والتخميس الخامس ،وفيه كثير من فضائله ومعجزاته صلى الله عليه وسلـــم وأولـــه .

رأى مدح خير الخلق صعبا فأحجما ** وقادته انوار المعاني فاقدمـــا
بدا بدره والكون يعبس مظلمـــا ** فبث به نور الهدى فتبسمـــا

على ذاته الرحمن صلى وسلما(٥)

١٥ـ والتخميس السادس وما اشتمل عليه ذكر غزوة بدر وفتح مكه واوله :

أتهل على مدح النبي مفخمـــا ** ومنصصا ومخصصا ومعممـــا
ومبجلا ومفضلا ومعظمـــا ** ومتحيا ومصليـــا ومسلمـــا

---

(١) الديوان ص ١٩٢
(٢) الديوان ص ٢٠٠
(٣) الديوان ص ٢١٠ـ ٢١١
(٤) والديوان ص ٢٢٠
(٥) الديوان ص ٢٣٠

الله قد صلى عليه وسلما (١)

١٦ـ والتخميس السابع ومما اشتمل عليه المعراج وبعض شمائله ومدح أصحابه صلى الله عليه وسلم يفتتحه بقوله :

الآم وحتام هذا المقـــام ** فقم أرخ لليعملات الزمـــام (٢)
وسر نحو طيبة دار الكــرام ** ففيها المشفع خيــر الانــام
عليه الصلاة عليه السلام (٣)

١٧ـ وللنبهاني موشحة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم يقول في تقديمها "وقلت أمدحه صلى الله عليه وسلم معارضا الموشحات السبع لعلماء دمشق وقد شببوا بمنتزهات الشام (*) وشببت بمعالم الحرمين الشريفين على مشرفهما الصلاة والسلام " وقد بلغت هذه الموشحة بيتين ومائة بيت يقول في مطلعها :ـ

لست أنسى زمنا قد سلفـــا ** فيك يامكة بالعيش الهنـــى
اذ من المروة أسعى للصفـــا ** وبذات الخال وجدى عنـــى (٤)
حين أغدو طائفا من حولهـــا ** أتهادى مثل صب ثمـــل (٥)
ابتغى عارفه من نولهـــا ** وهى ترعانى تحت الحلـــل (٦)

هذا فيما يخص اشعاره ذوات الطابع الديني وهي ذوات اتجـــاه واحد ومعظمه في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم والدفاع عن الاســلام والوقوف امام حركات التبشير وشرح العقائد الصوفية والانتصار لعلمائهم بشرح مذاهبهم ومقاصدهم والرد على خصومهم وفي خلال شعره الديني كـان النبهاني يضمّنه ملاحظات اجتماعية عن طريق نقد المجتمع وبيان مفاسده وتغير الاحوال راجعا كل ذلك لسبب واحد هو البعد عن الاسلام الذى هو المصدر الوحيد لقوتنا .

(١) الديوان ص ٢٣٩
(٢) الى م الى متى وحتى م حتى متى اليعملات جمع يعمله وهي الناقة النجيبة المعتمدة المطبوعة والجمل يعمل والزمام المقود وهو الخطام
(٣) الديوان ص ٢٤٨
(٤) ذات الخال الكعبة وخالها الحجر الاسود والوجد شدة الحب
(٥) تهادى مشى متمايلا مشيا غير قوى والصب العاشق . والثمل السكران
(٦) العارفه العطيه . النوال العطاء الحلل جمع حِلّه واصلها ثوبان ازار ورداء .
(*) استعمال المنتزه بمعنى الروضة استعمال عامي وهو خطأ شائع وقع فيه الكبار الصغار مع ان صاحب القاموس نبه الى خطئه .

أما اشعاره ذوات الطابع غير الديني فما وصلنا منها قليل جدا لانهـــا قصائد كانت تطبع منفردة ولم يعد طبعها ولذلك ضاع معظمها غير انى عثـرت له على احدى هذه القصائد لدى الشيخ زهير الشاويش فى مكتبته العامرة فـى الحازمية ببيروت وقد سماها "عنوان التهانى ببلوغ الأمانى".

وقد سبق حديث عنها وذكر لبعض ابياتها كذلك وجدت له قصيدة فـى كتاب "كنز الرغائب فى منتخبات الجوانب" يمدح فيها الاستاذ احمد فارس... الشدياق بعنوان "من نظم من تتحلى الطروس بنظمه وتتجلى الدروس بعلمه الشيخ يوسف النبهانى الجزماوى فى لواء عكـه" بلغت اثنين وأربعين بيتا لـم يبدأها بالنسيب كعادته بل دخل الى الموضوع مباشرة حيث يقول .

الفضل ماتفقت عليـــه الحســـد ** ودنا لرفعته السها والفرقـد

وتكفلت بعلاة نفس حـــــــرة ** طارالفخار بها وطاب السـؤدد (١)

وعثرت أيضـــا على قصيدة أخرى للغرض نفسه بعنوان "من نظم من حل مـن ذروة البلاغة اعلاها وأبرز من القوافى أحلاها وأغلاها ذى القريحة السنيـدة والبديهة السديدة المتدفق كلامه بالبيان والمعانى الشيخ يوسـف افنـــدى النبهانى بدأها بالغزل والنسيب كعادته فقال :ـ

أيخفى على العذال معنى غراميـــا ** وعينى بلفظ الدمع تشرح حاليـــا

وهيهات ان تخفى عليهم صبابتـــى ** وقد ظهرت آياتها من مآقيـــا

بدر الثنايا البيض أو ومض بـــارق ** فصار عقيق الدمع أحمر قانيـــا

وكانت عيونى لاتجود بقطـــــرة ** فأصبحن فى سبى الغرام جواريا

وحر دموعى رق من حر زفرتـــى ** وفى الخد أضحى بالكتابة ساعيا (٢)

وقد بلغت هذه القصيدة سبعة وسبعين بيتا .

والشاعر ذو النفس الطويل يمتاز بنظرته الشاملة الخلاقة لموضوع شعره ففى قوى التصوير والخيال قادر على خلق الصور العديدة التى يجعل منها مـادة شعره اذ كلما رسم صورة استطاع ان يرسم غيرها حتى يوفى القصيدة حقها دون ان تشعر فيها بركاكه لضعف قدرة الشاعر فى تثبيت معالم صورته أو تعبه لطول معاناته فى استجلاب الصور التى لاتواتيه الا بعد كد للذهن واتعاب للفكـــر

(١) كنزالرغائب فى منتخبات الجوائب جمعها سليم فارس الشدياق ج٤ ص١٣١ـ ١٣٢ .

(٢) كنز الرغائب فى منتخبات الجوائب سليم فارس الشدياق ج٤ ص١٢٧ـ ١٤٠

مما ينعكس على شعره فالنفس الطويل للشاعر لايتأتى الا للشاعر المطبوع الـذى خلق شاعرا فهو اذا قال الشعر انما يقوله بفطرته دون معاناه . له .. وهذا لايمنع ان يشحذ الشاعر ذهنه أو يجتهد للاتيان بصور جميلة وتشبيهات رائعة ومعان عميقة ولكنك مع هذا تشعر بأصالة موهبته الشعرية .

والنبهانى من هذا القبيل فهو قادر على الاتيان بالصور الخيالية والمعانى العميقة دون أن يشعرك بتعبه واجهاده كقوله فى مدح ابى الهدى الصيادى

تذكر دهرا بالعقيق تصرمـــا ** فواصل سفح الدمع فى خده دمـا

فى الأبيات التى استشهدت بها على خياله المجنح فهو قادر علـى الاتيان بالصور الخيالية البعيدة دون أن تشعر بتاتا بالصورة أو تشعر بها فـى زخرفتها .

كذلك قصيدته فى مدح أحمد عزت باشا العابد التى مطلعها :

بشرى فقد سرت الدنيا ومن فيهـــا ** وعم داعى التهانى كل أهليهـــا

فهو يصور لنا الجنة انهارا تجرى وطيورا تغرد وأشجارا ملتفه تتراقـــص طربا ثم يصور مجلس الشراب وحمد المسرف فيه وهو فى كل هذا لايشعرك بضعف الصياغة أو بكدره الروئية بل تراها قريبة منك .

وفى قصيدته "طيبة الغراء فى مدح سيد الانبياء" التى بلغت الف بيت نراه بعد أن يكمل أبوابها ومعانيها التى استعرض بها حياة الرسول مـن مولده لوفاته يجعل لها خاتمة بلغت ثلاثوستين بيتا وفى الابيات الاخيره منها يقـول :ــ

١ــ ليت شعرى هل يقبل الله شعرى؟ ** وجميعى عجب وكلى ريـــاء ،
٢ــ بك أرجو قبوله وقبولـــى ** محض فضل ولن يخيب الرجـــاء
٣ــ انت شمس وفى سناك ظهورى ** غير مستغرب لانى هبـــاء
٤ــ كم فقير بلحظة منك أضحـى ** عن جميع الورى له استغنـــاء
٥ــ قد أجزت المداح قبلى فكانـت ** سنة واقتدى بك الكرمـــاء
٦ــ فأجزنى بما تطيب به نفـــ ** ـــسك فضلا ياسمح يامعطـــاء

٧ـ لست ابغى قدرى ولا قدر شعرى ** قدد جود المعطى يكون العطاء
٨ـ وبحسبى صلاح دينى ودنيـــا ** ى وحسن الختام فيه اكتفـــاء
٩ـ فعليك الصلاة تبقى من اللـــــــه كما شاء كثــرة وتشـــاء
١٠ـ وعليك السلام منه على قـــد ** رك قدر لا يعتريـــه فنـــاء
١١ـ وعلى الاولياء آلك والصحـــ ** ـب ومن للجميع فيــه ولاء
١٢ـ ماقضى الله فى الورى لك مدحا ** وله الحمد كله والثنـــاء (١)

وهذه قصيدته "سعادة المعاد فى موازنة بانت سعاد" التــى بلغت اربعة واربعين ومائة بيت تدل ـ بجزالة الفاظها وقوة تراكيبها واحكام ـ أوزانها وقوافيها وطابعها الجاهلى الاسلامى ـ على أن النبهانى استطاع ان يعود الى ذلك العصر بحكم ثقافته القرآنية على الرغم من أنه عاش فى مطلع النهضة الحديثه •

وانه يقول فى خاتمتها :

أتاك كعب وقد جلت جنايتـــه ** وكاد يغتاله من ذنبه غـــول
وقام ينشد لم تملل مدائحـــه ** غير الكريم لديه المدح مملـــول
فآب بالبردة الحسناء مشتمـــلا ** وعاد وهو ببرد العفو مشمـــول
ولست مثلا له لكن حالتـــه ** لها بحالة هذا العبد تمثيـل
ان كان متبول قلب يوم انشدكـــم ** بانت سعاد فقلبى اليوم متبـول
ورب سباق فضل عارضوه بهـــا ** انا الاخير بهم غـــر ذهاليل
خاضوا بمدحك هذا البحر مابلغوا ** كعبا فعادوا لهم بالعجز تخجيل
ان وازنتها وماوازت قصائدهـــم ** فربما وازن الدر المثاقيـــل
وللقريض تفاعيل توازنـــــه ** هى القريض وماتيك التفاعيـل
استغفر الله كل قد اجاد وهـــم ** كل رؤوس لهم بالفوز تكليـــل
لكن كعبك ياخير الانام علـــى ** رؤسنا ثابت فضل وتفضيــــل (٢)
عليك ازكى صلاة الله وهى لنـــا ** مسك الختام بها للخير تكميـل

---

(١) الديوان ص ٨٩
(٢) الديوان ص ٩٨ •

فأنت تلاحظ أن في كل بيت من ابياته معنى جديدا وانه يستحلب المعاني بعضها من بعض متطاوعه الصياغة الشعرية لانه مالك لناصيتها مما يدل على قريحة فنية لاتنضب .

تلمس الشخصية :-

من يطّلع على حياة الشيخ يوسف النبهاني وخروج هذا الفتى من قرية "اجزم" وقد بلغ سبع عشرة سنة ثم دراسته في الازهر سبع سنوات ثم عودته للعمل واعظا في مسجدي اجزم وعكة ثم سفره الى الاستانه عاصمة الخلافة ومحط الآمال والطموح وليس له فيها معين سوى عزيمته حيث تراه يتلمس فيها المساعدة من وجهاء الناس فيها واشتغاله في جريدة الجوائب محررا ومصححا الى أن وجد ضالته حيث وضع رجله على اولى درجات المستقبل ولذلك لم يوافق على بقائه في الجوانب على الرغم من اغراء الاستاذ احمد فارس الشدياق له بزيادة راتبه أو مشاركته في الجريدة ولكنه رفض وذهب قاضيا الى كوى سنجق "في شمال العراق وبقي يتدرج في سلم القضاء الى أن أصبح رئيسا لمحكمة الحقوق في بيروت وهي أعلى سلطة قضائية في ولاية بيروت ، وفي منصبه هذا غاية مايتمناه قاض قانع بمنصبه ولكن الشيخ النبهاني لم يكن من هذا الصنف من القضاة لانه لم يكن من طلاب الوظائف ، فوظيفته هذه كانت وسيلة يستعين بها على كسب اللقمة التي تقيته ، فلما عزل من وظيفته لم يكن راتب التقاعد يكفيه مما يدل على أنه لم يكن يدخر من يومه لغده ، فهو معتمد على الله الذي لايخيب من رجاه الى هذا أشار النبهاني حيث قال :

وشرحت له(1) بأمره قصتي وأسباب غصتي وأني بسبب عدم حكمي بالربا عزلت من وظيفتي ولولا قلة المعاش الذي رتبوه لي الآن لعددت ذلك من النعم الحسان فقد كفاني حكم نحو ثلاثين سنة في مثل هذا الزمان وان كانت وظيفتي في الظاهر كانت رياسة محكمة الحقوق في بيروت وفي الباطن نشر فضائله صلى الله عليه وسلم بين الانام والرد على اعدائه من الكفره والمبتدعه اللئام(2) .

من هذا تعلم ان الشيخ النبهاني بمدحه وجهاء الدولة وتقربه منهم لم يكن من طلاب الوظائف الذين يتقربون ليحصلوا على الوظيفة التي ترد لهم كرامتهم

---

(1) الخديوي عباس حلمي باشا

(2) الديوان ص ٥

ولو عند أنفسهم فقد مات رحمه الله ولم يترك لاولاده شيئا تركهم عالة ليس لهم الا هذه المؤلفات الكثيرة التي كان حق طبعها لجميع المسلمين .

وقد كان اقارب الشيخ يوسف من آل النبهاني ينفقون على أولاده وقد حاول الشيخ مصطفى نجا مفتي بيروت وقتئذ ان يشارك في الانفاق عليهم لولا ان — الشيخ تقي الدين رفض ذلك قائلا ان آل النبهاني موسرون .

بهذا نفسر الحاح النبهاني على ممدوحيه في مساعدته وهو يلفت نظرهم اليه تلميحا وتصريحا مثل قوله في مدح أحمد عزت باشا العابد في قصيدته (عنوان التهاني ببلوغ الاماني) .

يابهجة العصر يا زين الزمان ويا ** بحر المكارم لاتنفك توليها
أتعبتني فاتئد لاتولني نعما ** جديدة قد كفاني منك ماضيها
عجزت والله عن شكري لسالفها ** فكيف امكان شكراني لآتيها
هذي مكارمك الاولى وفت وكفت ** والان نفسي التفات منك يكفيها (١)

وفي مدحه لاحمد فارس الشدياق يقول :—

نعتك فاعطف بالقبول مؤكدا ** ليبدلني دهري المنايا أمانيا
ودونك مني غادة عربية ** أتتك عجبا بالمديح تهاديا
درت أنني مهديكها فتبسمت ** فقالت : بخ ماللملوك وماليا
فغفرا حماك الله ماأنا واصل ** علاك ولو صفت النجوم قوافيا
وحسبك أني في اغترابي لم أجد ** سواك امرأ مما جنى الدهر واقيا
فدم لابسا ثوبا جديدا من العلا ** وعد تكسب العيد الجديد التهانيا
تكامل فيك الفضل لازلت حائزا ** كما لا على كرا لجديدين باقيا (٢)

وفي قصيدة أخرى يقول مادحا الاستاذ احمد فارس الشدياق :

لك من صفاتك روضة ومدائح ** ورق عليها بالثناء تغرد

---

(١) عنوان التهاني ببلوغ الاماني " الشيخ يوسف النبهاني
(٢) بخ : كلمة اطراء وثناء
(٢) كنز الرغائب في منتخبات الجوائب جـ ٤ ص ١٤٠

خذها اليك من الغريب غريبةً ** لولاك ليس لها مَعينٌ مُسعدُ
رقّت محاسنها فقلت رقيقة ** تُهدى اليك وانت نعم السيد
وأعذر فتى درست معالم أنسه ** ومشى عليها الدهر وهو مقيد
جمع الاسى جملا لديه وشمله ** عِقد بايدى الحادثات مبدد
أوطانه بعدت عليه وانما ** أوطاره وهى المعالى أبعد
يبغى اجتماعهما ويعلم أنه ** شىء بحكم زمانه لايوجد
ولعل هذا الحكم ينقضه فتى ** انت المراد به كريم أمجد
فاسلم ودم سندا لمثلى والملا ** عن فضلك العالى حديث مسند (1)

فالشيخ النبهانى بمدائحه للغير لم يكن يقصد الا ايجاد النصير الذى يأخذ بيده الى مايسمو اليه طموحه حيث أنه ولد فى اسرة معروفة بعلمها وتدينها ولكن ليس لها وجاهة اجتماعية تهيىء المكانة المرموقة لولدها .

فالنبهانى ماكاد ينهى تعليمه الاول فى أجزم على والده الذى حفظه القرآن وبعض المتون حتى انطلق الى الازهر وهذه هى الحلقة الثانية وتخرج من الازهر وعمل واعظا فى مسجدى أجزم وعكة وهذه هى الحلقة الثالثة ثم انطلق الى الاستانه عاصمة الخلافة وعمل محررا ومصححا فى جريدة "الجوانب" وهذه هى الحلقة الرابعة ثم صعد على سلم القضاء وعين قاضيا حتى أصبح رئيس محكمة الحقوق وهذه هى الحلقة الخامسة .

ولقد كان فى كل حلقة يتلمس شخصيته فيجدها أعلى مما وصل اليه فيتجاوزها الى الحلقة التى تليها وهكذا حتى استطاع ان يصبح رئيسا لمحكمة الحقوق فى ولاية بيروت ولعل العناد والاصرار كان أهم ما اتصفت به شخصيته فهو وان كانت مؤهلاته الاسرية المحكومة بظروف عصره لاتمكنه من تحقيق طموحه لم يربدا من مسايرة العصر بمدح الوجهاء ليصل الى أهدافه ولم تكن هذه الاهداف شخصية أو دنيوية بل كانت مبدئية عقديّة تعلمها وحفظها فى قريته اجزم وتلقاها عن معلمه الاول ـ والده ـ وفى ذهابه الى الازهر زاد ثباتا وقوة فى نفسه بما تعلمه فيه وبما لاقى من مشايخه الذين تلقى العلم عنهم أمثال الشيخين الشربينى والانبابى وغيرهم . ولم يستطيع جمال الدين الافغانى بقوة

---

(1) كنز الرغائب فى منتخبات الجوائب ج ٤ ص ١٣٢

سحره ونفاذ كلمته ان يؤثر فيه مع انهما قد التقيا اذ ان النبهانى سرعان ماابتعد عنه وكرهه عندما سمع منه ماينافى ماتعلمه فى قريته وعلى والده ٠

الى هذا أشار النبهانى بقوله عن الافغانى :

أتى مصر مطرودا فماث بقطرهـا ** فياقبحه شيخا وياحسنه قطـرا

وكنت بذاك الحين فيها مجـاورا ** بازهرها صاحبت أنجمه الزهـرا

بتاريخ ست والثمانين قد تلـت ** مع المائتين الالف فى الهجرة الغرا

حضرت بفقه الشافعى خطيبـه ** على شيخ شربين فالغيته بحـرا

وجاء جمال الدين يوما لدرسـه ** فالقى على الاستاذ اسئلة تترى

ففاضت عليه من معارف شيخنـا ** سيول أرته علمه عنده قطـرا

واذ شم منه الشيخ ريح ضلالـه ** والحاده أولاه مطروده زجـرا

وذاكرته يوما فأخبر انـه ** كأستاذنا لم يلف فى مصره حبـرا (١)

ان المبدأ الذى تعلمه الشيخ النبهانى فى قريته اجزم ـ هو الايمان الصافى النقى بالاسلام والدفاع عنه بلا هواده وليس الشيخ النبهانى وحده ولا قريتـه وحدها هما اللذان يؤمنان بالاسلام نقيا ولكن الصفات السيكولوجية الموجودة فى القرية من العناد وعدم اللين وظهور المبادىء التى يعتنقها كما هو متعارف عن أهل هذه القرية بين القرى المجاورة لها فمن مشهور المعتقدات ان فى "اجزم" بئرا من شرب منه يصبح عنيدا ولا يقبل التفاهم ولا يتنازل عن رأيه وهذا البئر اسمه " البئر الغربى " ٠

وهو يطلق على أهل القرية كناية عن عنادهم وتمسكهم برأيهم ٠

ومن امثلة عنادهم انه عندما دخلت جنود ابراهيم باشا فلسطين ووصلت حيفا وقف سكان اجزم وحدهم يقاومون هذا الجيش وقتلوا منه عددا كبيرا حتى وجه الجيش لهم قوة كبيرة بقيت تلاحقهم حتى اجزم نفسها وذبح ابراهيم باشا شيخ القرية مسعودا الماضى امام مسجدها بعد ان هدم وشرد وسلب من أهلها الشىء الكثيـر ٠

---

(١) الديوان ص ٣٥٥ ٠ وقد تقدمت هذه الابيات مع سائر القصيدة فى ص ٤٠٥ و ٤٠٦ ٠

كل هذا لتمسكهم بالخلافة العثمانية مع ان اهالي القرى المحيطة بها مثل جبع وعين غزال والطيرة وغيرها سلمت بدون مقاومة ولذلك كافأ السلطان عبد الحميد القرية بأن جعلها عاصمة قضاء حيفا كله بدلا من حيفا نفسها (١) كما ان ابناء القرية " اجزم " ــ معروفون بطموحهم وبعد آمالهم وتسليمهم للمناصب القيادية في فلسطين خصوصا في القرن الثامن عشر فهذا الشيخ مسعود الماضي كان ينعت بشيخ مشايخ جبل نابلس وكان نفوذه في القرن الثامن عشر يشمل نواحي الناصرة ــ وقراها والمرج ــ مرج ابن عامر ــ وحيفا والطنطورة (٢) وكان الشيخ عيسى الماضي متسلم يافه (٣) وقد ظهر لنا من شعر الشيخ النبهاني الخاص ــ على قلة ما وصلنا منه ــ طموحه واصراره على السير قدما نحو المعالي على الرغم من معاكسة الايام له .

وقد ذكر هذا في اثناء مدحه لابي الهدى الصيادي حيث يقول :ــ

وانى على وجدى بليلى وأرضها ** أرى وصلها قبل المعالي محرما
وما انا ممن يرتضي موطنا به ** يجوز عليه ان يهان ويظلما
ورب نصوح قال لي وهو همتي ** لك الله سافر تلق في الارض مغنما
فطالبت عزمي بالرحيل ولم اكن ** لارجع عن عزم سوى ان اتمما
وودعت اوطاني وأهلي قائلا ** الا بعد بعدى ياحبيبي فاسلما
وقالت لي اللوام اياك والنوى ** فما هي الا ان تسير فتندما
فقلت لهم كفوا فلست بمحجم ** عن السير الا ان أرى الدهر احجما
دعوني فلن انفك اركب ادهما ** من العمر بعدوبي وآخر ادهما
الى حين ادراك الاماني فأنثني ** حميدا وقد ابدلت عيشي المذمما
وان كانت الاخرى التي عباؤا لها ** فسوف تراني ضاحكا متبسما
وقالوا اغتراب المرء هون وذلة ** نعم والقصارى ان يعز ويكرما
فلولا فراق الخلد هو .... وآدم ** لما جاءت الرسل الاكارم منهما
وأحمد خير الخلق لولا فراقه ** لمكة يظفر بما كان صمما
وموسى كليم الله لولا رحيله ** لمدين لم يرجع رسولا مكرما

---

(١) راجع ماكتبه الاستاذ محمد عزت دروزه في كتابه تاريخ العرب والعروبة ج٢ ص ٣٣٥ ــ ٣٤٣

(٢) تاريخ الشيخ ظاهر العمر ص ٢٥

(٣) الاصول العربية لتاريخ سوريه في عهد محمد علي باشا الدكتور أسد رستم ج ١ ص ٢٧ــ٢٨ راجع ايضا المحفوظات الملكية المصرية الدكتور اسد رستم ج ١ ص ٣٠ ١ ــ ١٣١ / ٩٤٠ ا راجع ايضا بلادنا فلسطين مصطفى مراد الدباغ ج٤ ق ٢ ص ٣ ١٨

وفى غربة الصديق يوسف عبره ** اما صار فى مصر العزيز المعظما
وماضرنى لوم اذا كنت سالكا ** طريقا اتاه الرسل فيما تقدما
فقالوا : دعوه انه غير سامع ** فقلت وان عدتم فلن اتكلما
ويممت دار الملك احسب انها ** الى الآن لم تبرح الى المجد سلما
فالفيتها قد اقفرت من ربوعها ** ولم يبق فيها الفضل الا توهما
حوت قوم سوء اسلموا أى نفوسهم ** الى الكفر الا من له الله سلما
والفيت فيها امة عربية ** يرى القوم منها أمة الزنج أكرما
وما نقموا منا بنى العرب خصلة ** سوى ان خير الخلق لم يك اعجما
بنى اللوم انى ما تكلمت هاجيا ** ولكن قلبى من جفاكم تكلما (١)

فى هذه القصيدة يظهر الشيخ النبهانى ذلك العنيد الذى لا يلتفت الى العذال فى تحذيراتهم له وانما يمضى قدما نحو هدفه بكل اصرار ، وهو بهذا اشبه مايكون بالمتنبى .. صياغة ومعنى ، فكلاهما كانت ظروفه تقعده عن الوصول الى امنيته فاتخذ من عزيمته مطية للوصول ، وقد وصل النبهانى وأصبح رئيس محكمة الحقوق لبيروت اما المتنبى فقد مات دون أن يصل الى ماكان يتمناه من ولاية حيث قتله بنضوبه لشعر هجاهم به .

ومن أثر القرية فى عقلية النبهانى الاصرار فى الخصومة مع من يخالفونه فى الرأى والمعتقد كخلافه مع اتباع مدرسة الافغانى . حيث يعتقد أن خصومته معهم لن تنتهى حتى بعد موته حيث يقول :

" ولا تائب منهم وهل ثم توبة ** وهم لايرون الوزر فى نفسه وزرا
فقد ملك الشيطان ملكا مؤيدا .. ** نواصيهم واللحم والعظم الشعرا (٢)
أجاهدهم مادمت حيا فان أمت ** تركت لهم جيشين نظمى والنشرا
ولست أبالى ان افز بجهادهم ** اذا فاتنى فتح لرومية الكبرى (٣)

وشعره فى خصوماته مع الافغانى ومدرسته طافح بهذا مثل قوله :

مضى اثنان للاخرى بأسوا عبرة ** ومقلة ابليس لموتها عبرى (٤)

---

(١) قصيدة مخطوطه للشيخ النبهانى كتبها الشيخ عبد الهادى راوية شعر النبهانى
(٢) النواصى : جمع ناصية وهى شعر مقدم الرأس
(٣) ورد فى الحديث ان المهدى فى اخر الزمان يفتح رومية الكبرى الديوان ص ٣٦٥
(٤) العبرة فى الاعتبار اى يعتبر بسوء حالتهما الناس فان كل واحد منهما جمال الدين ومحمد عبده فلج بلسانه فقطع قبل الموت والمقلة شحمه العين التى تجمع البياض والسواد والعين العبرى التى سالت عبرتها وهى تحلب الدمع جريانه .

وثالثهم مازال مع شر عصبــــــة ** على ملة الاسلام الحاتهم تــــترى(١)
فمن مات منهم مات اقبح ميتــــة ** فلا رحم الرحمن سحنته الغبــرا
ومن عاش منهم عاش نحو جهنــــم ** يحث على آثار أشياخه السيـــرا
فيارب اصلحهم فان لم ترد لهـــم ** صلاحا فلا تنجح الهى لهم أمـرا

وهذه الطباع نجدها عند العلماء الذين يمتلئون اقتناعا بمبادئهم وأفكارهم بحيث لايكون هناك متسع لغيرها ولذلك يقفون مواقف صلبه في الدفاع عما اقتنعوا به • ومثل هذا المنطق نفسر مواقف خصوم النبهاني منه ممن دافعوا عن الافغاني ومحمد عبده ورشيد رضا وقد كانوا أعنف من النبهاني في هجومهم •

وما خلافات العلماء الاوائل أمثال ابن تيمية ومن أيده وتقى الدين السبكي ومن ايده الا من هذا القبيل •

وله قصيدة في مدح الاستاذ احمد فارس الشدياق تظهر فيها روحه وعزيمته الماضية التى لاتلتفت الى العذال في شيء حيث يقول : في مقدمة غزلية رائعة :

أيخفى على العذال معنى غراميا ** وعينى بلفظ الدمع تشرح حاليــا
وهيهات أن تخفى عليهم صبابتى ** وقد ظهرت أياتها من مآقيـــا
بدر الثنايا البيض أو مض بــارق ** فصار عقيق الدمع أحمر قانيــا
وكانت عيونى لاتجود بقطــــرة فأصبحن في سبى الغرام جواريــا
وحر دموعى رق من حر زفرتـــى ** وفي الخد اضحى بالكتابة ساعيــا
فمن لى بكتمان الهوى عن عواذلـى ** فقد كثرت اقوالهم في ملاميــا
يقولون حب المرء جالب حتفـــه ** اناشدهم الا يردوا حياتـــا
ولاموا على سلب الفؤاد وعنفـوا ** فهل منهم كنت استعرت فؤاديــا
وقالوا صديق الصب من يسخط الهوى ** وأعدى العدا من كان بالحب راضيا
فياليته لم يبق لى ذو صداقـــة ** وياليت كل الناس كانوا عداتيــا
فيامن رأى شهدا به الداء كامــن ** ويامن رأى سم الاراقم شافيــا

---

(١) ثالثهم صاحب المنار رشيد رضا •

نعم من شعور الغيد دبت لمهجتي ** أراقم فيها قد وجدت شفائيا(١)

فالشيخ النبهاني لم يهمل شخصيته في شعره اذ كثيرا مايتكلم بضمير المتكلم مثبتا لها وهو صورة من صور الاعتداد بالشخصية .

يقول الاستاذ الدكتور عبد الرحمن ياغي معلقا على قصيدة النبهاني التي يمدح بها احمد فارس الشدياق وهي :ـ

الفضل ماتفقت عليه الحسد ** ودنا لرفعته السها والفرقد(٢)

" ..... ولكنها على كل حال نفس جديد ورصانة تشعرك بشيء من رصانة المتنبي وتماسك في الصور ومتانة في التعبير تكاد تبعد بنا عن مطلع النهضة وتعود الى العصر العباسي دون أن نحس تقليدا فاضحا وطول نفس لاتسمع فيه لهاثا .

ولم يختم النبهاني قصيدته بالحمد التقليدي وانما انتقل الى حياته الخاصة وحنينه الى وطنه الصغير وبعد آماله وطموحه وهذه طريقة لانعهدها عند غيره من رواد الشعر في مطلع هذه المرحلة من حياة الشعر في هذا القطر(٣) .

وهو لون من الوان تلمس الشخصية نكاد نفتقده في الشعر الذي سبق(٤)"

ولم ينس النبهاني حتى في مدائحه النبوية نفسه بل كثيرا كان مايتفقدها طالبا لها المغفرة والرحمة والشفاعة أو ناسبا لها القصور وكثرة الذنوب .

خذ على ذلك مثلا قصيدته الهمزية الالفية المسماه "طيبة الغرا في مدح سيد الانبياء" والتي مطلعها .

نورك الكل والورى أجزاء ** يانبيا من جنده الانبياء
علة الكون انت ولو ** لاك لدامت في غيها الاشياء

فقد جعل لها مقدمة بلغت اربعة عشر ومائة بيت ذكر فيها نفسه في ستة وخمسون بيتا .

وفي قصيدته "سعادة المعاد في موازنة بانت سعاد" التي مطلعها :

هواى طيبة لابيضاء عطبول ** ومنيتي عينها الزرقاء لا النيل
غراء جلت عن التشبيب اذ جليت ** هامت بها الخلق جيلا بعده جيل

والتي بلغت اربعة واربعين ومائة بيت ذكر فيها نفسه في اثنين واربعين بيتا

---

(١) راجع ص (٦٠١) حيث ذكر فيها سبعة ابيات
(٢) فلسطين .
(٣) حياة الادب الفلسطيني ص ١٤٥ ـ ١٤٦

وفى قصيدته عنوان التهانى ببلوغ الامانى التى مطلعها :

بشرى فقد سرت الدنيا ومن فيهـــا ** وعم داعى التهانى كل اهليهـــا
وأنجزت وعدها الايام محسنـــة ** لنا عفاالله عن ماضى مساويهـــا

والتى مدح بها احمد عزت باشا العابد وبلغت ابياتها اربعة ومائة بيت فقد ذكر نفسه فيها فى خمسة وعشرين بيتا وذكر الممدوح فى ثلاثة وأربعين بيتا

وفى قصيدته التى مدح بها أبا الهدى الصيادى والتى مطلعها :

تذكر دهرا بالعتيق تصرمـــا ** فواصل سفح الدمع فى خده دمـــا
وهبت عليه من ربا الشام نسمـــة ** فكاد يفيض النفس لما تنسمـــا

وقد بلغت اربعين بيتا ذكرنفسه فيها فى ثمانية وعشرين بيتا • وذكر الممدوح فى تسعة ابيات فقط •

وفى قصيدته التى مدح بها احمد فارس الشدياق التى مطلعها •

أيخفى على العذال معنى غراميـا ** وعينى بلفظ الدمع تشرح حاليـــا
وهيهات ان تخفى عليهم صبابتـــى ** فقد ظهرت آياتها من مآقيـــا

والتى بلغت ثلاثة وخمسين بيتا ذكر نفسه فى اثنين واربعين منها وذكر الممدوح فى سبعة عشر بيتا •

وهذا ان دل على شىء فانما يدل على صدق النبهانى الوجدانـــى فى شعره فهو قبل ان يذكر الممدوح وصفاته الجميلة انما يعبر عن نفسه وحبه تجاه الممدوح اولا ولذلك كان يذكر نفسه غالبا فى مطلع القصيدة وفى ختامهـــا وفى اثناء ذكره لاوصاف الممدوح فكل قصيدة صاغها النبهانى تجدها تعبر عنـــه أصدق تعبير فهـــو يخلص لشعره حتى يذوب فيه فالباحث اذا افتقد النبهانـــى فى بعض صفاته أو جوانب شخصيته سرعان مايجدها فى شعره •

أغراض شعره :

قال الشيخ النبهانى الشعر لاغراض محدودة ولم يستوف جميع أغراضـــه المعروفة وليس للنبهانى الا غرض واحد هو غرض المديح سواء أكان مديـــح الرسول صلى الله عليه وسلم او مديح السلطان عبدالحميد ورجال الدولة ووجهاء المجتمـــع •

ففى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم خلف لنا ديوانا عامرا بالقصائد المطولة التى بلغ بعضها الف بيت وبعضها خمسة وعشرون وسبعمائة بيت
وبعضهـــــا خمسة وعشرين وخمسمائة بيت ولم أجد له

قصيدة مدح بها الرسول صلى الله عليه وسلم أقل من اربعين بيتا .

ونستطيع ان نقسم أغراض شعره الى قسمين .

الاغراض الدينية ومنها :

أ ـ محامد الهية مثل المزدوجة الغرا في الاستعانة بأسماء الله الحسنى يفتتحها بقوله :

" باسم الاله وبه بدينا ** ولو عبدنا غيره شقينا "
" ياحبذا ربا وحب دينا ** وحبذا محمد هادينا "

لولاه ماكنا ولا بقينا

" اللهم لولا انت مااهتدينا ** ولا تصدقنا ولا صلينا "
" فأنزلن سكينة علينا ** وثبت الاقدام ان لاقينا "

نحن الالى جاء واك مسلمينا

" والمشركون قد بغوا علينا ** اذا أرادوا فتنة ابينا "
" وقد تداعى جمعهم علينا ** طبق الاحاديث التى روينا "

فاردد هم اللهم خاسرينا

" الله يارحمن يارحيم ** الله ياحى وياقيوم "
" الله ياقوى ياقديم ** الله ياعلى ياعظيم "

لاينبغى للقوم ان يعلونا

الله ياوارث أنت الابد ** الله ياباعث انت الاحد
يامالك الملك الاله الصمد ** لاكفوء لا والد لا ولد (١)

كف العدا عنا فقد اوذينا

ب ـ المدائح النبوية :

وقد تفنن رحمه الله فى مدائحه النبوية فعارض الموشحات الاندلسية ولنذكر الان مثالا لمدائحه النبوية التى صاغها صياغة الموشحات والتى يقدمها بقوله:

وقلت امدحه صلى الله عليه وسلم معارضا الموشحات السبع لعلماء دمشق فقد شببوا بمتنزهات الشام وشببت بمعالم الحرمين الشريفين على مشرفهما الصلاة والسلام ، يقول النبهانى رحمه الله .

---

(١) الديوان ص١٣٨ ـ ١٤١ .

لست أنسى زمنا قد سلفـــــا ** فيك يامكة بالعيش الهنـــى
اذ من المروة اسعى للصفـــا ** وبذات الخال وجدى عنـــى
حين اغد و طائفا من حولهـــا ** اتهادى مثل صب ثمـــل
أبتغى عارفه من نولهـــا ** وهى ترعانى تحت الحلـــل
ومتى تمت مساعـــى طولهـــا ** بلغتنى من رضاها أملـــى
أدخلتنى فى مقام شرفـــا ** كل من يدخله فى مأمـــن
واصلتنى ولكم قبل هفـــا ** نحوها قلبى وزادت شجنـــى
اجلستنى كرما فى حجرهـــا ** بعد تقبيل فمى منها اليميـــن
ولقد منت بأوفى برهـــا ** اذ دعتنى ادخل البيت الاميـــن
فلسانى عاجز عن شكرهـــا ** واليها لم يزل منـــى حنيـــن
قربتنى بعد ماطال الجفـــا ** وبدت تزهو بوجـــه حســـن (١)
فمضى همى وصافانى الصفـــا ** وأتى انسى وولـــى حزنـــى
أشرب الخمرة شرب النهـــم ** دون أثم غير سكران ملـــوم
انما أعنى سلاف زمـــزم ** صانها الرحمن لابنت الكـــروم
فأرانى كالمليك الاعظـــم ** من سرورى وتجافينى الهمـــوم
قد أزالت وهى طعم وشفـــا ** سقمى عنى وزادت سمنـــى
من رمى الدنيا ومنها رشفـــا ** مرة فى عمره لـــم يغبـــن
والمنى تمت لدينا فى منـــى ** حين نرمى من هوانا الجمـــرات
واجتمعنا بســـرور وهنـــا ** عند جمع وعرفنا عرفـــات
ذاك يوم كل ماالدهر جنـــى ** قد محاه بالايادى الطائـــلات

الى ان يقول :

ياترى أحظى ولو من بعد حيـــن ** بحماها وأرى فيها القـــرار
ثاويا ثمـــة فى الحـــرز الامين ** فى جوار المصطفى اكرم جـــار
خيرة الاخيار اوفى من وفـــى ** الكريم ابن الكرام المحســـن
كل خلق من نداه اغترفـــا ** وهو بالله عن الخلق غنـــى
آدم شيث ونوح ابراهيـــم ** رسل الله وهم خيـــر الجدود

---

(١) تزهو : لغة ضعيفة ، والاقوى – تزهى – بصيغة المبنى للمجهول .
د / عبد السلام سرحان

وجميع الرسل عيسى والكليـــــم ** وسواهم وشاهيـــر الوجـود

وختمها بقوله :

سيدى يا أيها المولى المـــــلاذ ** ياحبيب الله ياخير رســـول
كل جاه فى البرايـــا ذى نفـــاذ ** فعليه جاهك الضافى يطـول
ليس لى غيرك فى الخلق معـــاذ ** ولحالى سيدى شرح يطـول
ادرك ادركنى صبرى قد غـــا ** وغدا ربع الصفا كالدمـــن
عدك الدهر بحقــــى أجحفـــا ** ونفى عنى لذيـــذ الوسـن
ولكم من حاجة فى خلـــــدى ** أنت تدريها وماعنك استتـار
انا فى الدارين أبغى رشـــدى ** منك فى الدنيا وفى دار القرار
لاتخصصنى بخير سيــــــدى ** عُمَّ اهلى وأُحينا منك الجــوار
وأبحنا من حماكم كنفـــــا ** واقيا من شـــر كل الفتـــن
حسبنا الله الهنا وكفـــــى ** بك للمحسوب اقوى رُكُـــن (١)

والقصيدة بلغت بيتين بعد المائة من الابيات

وللنبهانى رحمــه الله موشحــة أخرى عارض فيها الموشحات الاندلسيـــة السينيات يقول فيها

حى ياسعد قِبَاباً بالحمــــى ** تحتها ربع المنى لم يــدرس
جاده الغيث اذا الغيث همــى ** لا زمان الوصل بالاندلـــس
ان يكن مابى شوقى قربــــه ** فلسانى دائما يذكـــــره
وقلبى مستقـــر حبــــــه ** بهواه لــم أزل أعمـــره
أعظم النعمة أنى صبــــه ** دائما احمَدُه أشكُــــره

---

(١) الديوان ص ٢٨٠ ــ ٢٨٨

سعد ان جئت اليه فانما ** واستفىء من نوره واقتبس
واذا بحر اياديه طما ** فانتبه من فيضه واحترس
وأفض ياسعد من دمع الهنا ** مايروى الارض ان شح الغمام
كنت حال البعد تبكى حزنا ** ان رأيت البرق أوغنى الحمام
وبهذا اليوم قد نلت المنى ** فابك واستبك فما ثم ملام
آه منزلى بالحمى ان الثما ** تربه لو نهزة المختلس
لم يحن بعد اللقا فابكى دما ** وأهجسى يانفس اولا تهجسى

الى ان يقول :

أى شوق فى فؤادى أضطرما ** جفف الدمع فلم ينجس
ولكم فاضت عيونى ديما ** بشواظ الوجد لم تنبجس
كيف ياسعد ثنيات اللوى ** أتراها بنداها تبسم
زاد فى قلبى للقياها الجوى ** فمتى ارشفها او الثم
طاب لى فى حبها شرح الهوى ** فيه ان عز وصل أنعم
واذا ليل غرامى أظلما ** ولنفسى لم أجد من مؤنس
أجد الراحة فى شعرى فما ** نفس الكربة الا نفسى
انا ذا أشدو بسلع والنقا ** وروابى حاجر والمنحنى
لا أرى الورقاء منى اخلقا ** اننى اعظم منها حزنا
خير أرض الله فيها مشرقا ** انا اهوى وهى تهوى الدمنا
فارحمى طيبة صبا مغرما ** بك ان يرج اللقا أو ييأس
هو لاينفك عدا تيما ** شددى فى هجره أو نفسى
لست والله بذا الخلق خليق ** انما ذلك تمويه الكلام
ان اكن حقا بما قلت حقيق ** فعلام ولمه هذا المقام
ولماذا ان يجىء ذكر العقيق ** لست اجريه بدمع كالغمام

الى ان يقول :

قال ماأملت حتى تغنما ** ومتى تمت امانى مفلس
قلت املت النبى الاكرما ** احتسى من جوده ماأحتسى
سيد الخلق له الكل عبيد ** وهو عبد الواحد الفرد الصمد
فائق فى فضله فذ وحيد ** مُفْرَدٌ فى قرب مولاه الاحد

كل آى الرسل من آياتـــه ** قد رأى ذلك أرباب العقـــول
قل لمن يزعم مثـلا : هاتـــه ** ليس بين الخلق مثل للرســـول

الى أن يختمها بقوله :

يا أبا الزهراء كن لى مسعـــدا ** فلقد أوهى زمانى جلـــدى
لست أبغى من سواك المـــددا ** أنت من بين الورى معتمـــدى
وعلى ضعفى اذا صـال العـــدا ** جاهك الاعظم أقوى عـــددى
أنا ان أسلمتنى لم أسلمـــا ** فعدانى كل ذئب أطلـــس (١)
أدرك ادركنى مادام الذمـــا ** لا تدعنى مضغـة المفـــترس (٢)
أنا والله ضعيف وفقـــير ** باحتيـاج زائـــد للمـــدد
أنا والله ذليـل وحقـــير ** انما عزى أنـــى مـــن سيـــدى
ليس لى غيرك فى الناس مجـــير ** أنت بعد الله أقوى سنـــد
لا تدعنى سيدى مهتضمـــا ** ليس عندى من سهام أوقـــى (٣)
كل من حاربنـى أو ظلمـــا ** ما وفـى حق الجنـاب الأقـــدس (٤)
يا عمادى أنت أدرى بالزمـــان ** مالأهليـه وفـاء وعهـــود
كلما اخترت فتى للصـــدق مـــان ** قابلـوا المعروف منى بالجحـــود
ضعف الايمان فيهم والأمـــان ** ودهم مذق وجدواهم وعـــود (٥)
ليس يجدينى جداهـم انمـــا ** أجتدى من جودك المنبجـــس
فأجبنى وأجرنـى كرمـــا ** يا ملاذ البائس المبتئـــس (٦)

والقصيدة بلغت بيتين ومائة بيت وسنفصل الدراسة عن المدائح النبويـــة النبهانية فى الباب الأخير ان شاء اللــه .

---

(١) أطلس اغبر وهولون الذئب .
(٢) الذماء : مقصور " الذماء " وهو الحركة ، وبقية النفس ، وقوة القلب .
(٣) اهتضمه : ظلمه وسلب حقه .
(٤) الجناب الجانب والأقدس الاطهر والمراد : جانب النبى صلى الله عليه وسلم .
(٥) مذق مختلط .
(٦) الديوان ص ٢٧٣ـ ٢٨٠ .

(ج) التغزل بالديانة الاسلامية :

وذلك فى قصيدة رائية تغزل فيها بالدين الاسلامى وفضله على جميع الاديان ، وقد جعل هذه القصيدة خاتمة لقصيدته الرائية الكبرى التى بلغت خمسة وعشرين وسبعمائه بيت ويقول النبهانى – رحمه الله – ولا أعلم أحدا سبقنى الى هذا الأسلوب البديع من الشعر الاسلامى وقد بلغت هذه القصيدة واحدا وثمانين بيتا .

يقول النبهانى منها :

لعمرى لئن فضلت دين محمد ** وملته لم آت بدعا ولا نكرا
وان هام قلبى فى محبتها فكم ** بها من كرام الناس من مغرم مغرى
وانى لم أخدع بظاهر حسنها ** وما دون تحقيق فؤادى بها اغترا
ولكن على علم بسر جمالها ** تعشقتها قدما وكنت بها أدرى
ففى كل معنى قد حوت حسن يوسف ** وقد زهرت أزهارها بأبى الزهرا
وكل فتى منا غدا فى غرامها ** زليخا وكل الأرض قد أصبحت مصرا
وقد أشرقت بين البرايا شموسها ** كما أطلعت فى كل أفق لها بدرا
ومذ نشأت طاب الزمان كأنما ** به نشرت فى كل ناحية عطرا
ومن عجب أنى أحن لقربها ** ولم أخل من قلبى وقولى لها ذكرا
وما فارقتنى لحظة منذ نشأتى ** وما ذقت فى عمرى بوقت لها هجرا
ومن لطفها تدنو ذراعا لعاشق ** اذا ما دنا بالحب من حيها شبرا
ومن جاءها يمشى لها متقربا ** فمن فضلها تأتيه هرولة طفرا
فلله من محبوبة كل وصفها ** جميل فدع فى الحب عمرة أو عمرا
حبت لمحبيها المكارم كلها ** بكل ارتياح وهى تبدى لهم شكرا

الى أن يقول :

اذا قلت : أخت الروح أنت فصادق سوى أنك الكبرى وروحى هى الصغرى

فدتك نفوس العالمين مليكة ** وأسأل ربى أن يديم لك الأمرا
ولست كهاتيك الغواني كلها ** عواهر بين الناس أسست العهرا (١)
وعنها انتهى فى العاشقين أولو النهى ** ولم تغرر اللخناء الا امرأ غرا (٢)
وكل جمال أنت فى الكون أصله ** وأصل جميع القبح ضراتك الأخرى

ويقول أيضا :

فهاك أيا خير الحسان قصيدة ** تجدد من حسان فى عصرنا ذكرا
تنافح عن خير الأنام ودينه ** وتكشف عن أديان أعدائه السترا
حقائق حق لا خيالات شاعر ** ولكنها سحار وتسحروا السحرا
عروس المعانى فى بديع بيانها ** تزف على أسماع أهل النهى بكرا
تكاد لحسن السبك لوفاه منشد ** بشطر أتم السامعون له الشطرا
اذا ما رواها راهب صار راغبا ** بحسنك يا حسناء مهما غدا غِرّا
تحلى بها جيد الزمان لأننى ** نظمت بها بالدر أوصافك الغرا
وعفوا أيا ذات المحاسن إننى ** حَصِرتُ ولم أبلغ بمدحي لك الحَصْرا (٣)
وقصر شعرى عن محاسنك العلا ** وان عبر البحر الطويل الى الشعرى (٤)
ولست على الأقران مفتخرا به ** ولكن لى فى خدمة المصطفى الفخرا
أنافح عن خير الأنام ودينه ** وأمته والناس قد رهبوا الكفرا
وليس لخير الخلق حسان واحد ** يدافع عنه الإفك والشِرك والشرا
ولكن له فى كل عصر جماعة ** وانى بهذا العصر منهم ولا فخرا

---

(١) فى القاموس : عهر يعهر : من باب منع يمنع ، وفى الصحاح : عَهَرَ من باب تعب وقعد .. تقول : عَهِرَ يَعْهَرُ ، وعَهَرَ يَعْهُرُ . د . سوحان .

(٢) لخن السقاء وغيره : أنتن والامة اللخناء : التى لم تختتن .

(٣) حصرت عييت وعجزت مقولة لم ابلغ بمدحي لك الحصرا من حصر الشئ يحصره حصرا استوعبه واحاط به .

(٤) البحر الطويل هو بحر هذه القصيدة وفيه توريه والشعرى كوكب .

ويختمها بقوله :

ولله كل الحمد في كل لحظـــــة ** يضاعف لا يحصى بدنيا ولا آخـــرى (١)

وقد بلغت هذه القصيدة واحدا وثمانين بيتا وقد بدأها بالتغزل ليدل على مدى ايمانه وتمسكه بها - اى الملة الاسلامية - ثم أخذ يعدد صفاتها الجميلة ثـم تعرض للملل الأخرى ووصفها بأنها " عواهر " ثم يذكر أنه يشبه حسان ابن ثابت رضى الله عنه وأن قصيدته هذه التى يدافع بها عن الرسول صلى الله عليه وسلم هى حقائق لا خيالات شاعر ، وفى كل عصر يبعث الله من يدافع عن الاسلام والرسول كحسان بن ثابت رضى الله عنه وان الله يمدهم بروح القدس حين يدافعون عـن الاسلام كما مد حسان بن ثابت ثم يفتخر بآثاره المنظوم منها والمنثور والتى يدافع فيها عن الاسلام ، وقصائده هذه يفرح بها صاحب الذوق السليم ويذوق مرارتها صاحب الذوق السقيم ، ثم يفتخر بالرسول مباشرة ويقول لولا أن الرسول قبله لما استطاع أن يمدحه ثم يختم قصيدته بالصلاة والسلام على الرسول وبالحمد والتسبيح لله تعالى . والحقيقة أن قصيدته "الرائية الكبرى فى الكمالات الالهية والسيرة النبوية ووصف الملة الاسلامية والملل الأخرى " هى مجموعة أغراض دينية متعددة لذلك سأفرد كل غرض بحديث وحده .

(د) الفضائل المحمدية والسيرة النبويـــة :

قد بلغت القصيدة ثمانية وسبعين بيتا .. وفيها يقول الشيخ النبهانى :

قد اختار من كل الخلائق رسلـــه ** لتعريفهم ما كف عن علمه الفكــرا
ومنهم قد اختار الحبيب محمـــدا ** نبى الهدى روح الوجود أبا الزهـــرا
نبى جميع الأنبياء مليكهـــم ** وفى قومهم عن حكمه نفذوا الأمـــرا
ولو جاء فى أعصارهم آمنوا بـــه ** وكانوا له من خير أجناده نصـــرا

---

(١) الديوان ص ٣٤٢ - ٣٤٨ .

الى أن يقول :

أتى داعيا فى الأرض لله وحـــــده ** وقد ملئت شركا وقد طفحت شــــرا
فأيده بالنصر مع كثرة العــــدا ** وقد سجروا نيران بغضائهم سجرا (١)
وعارضه فى الحق كفار قومـــــه ** وحثوا الى تدمير دعوته السيرا
وصاحوا به وهو الهزبر فما انثـــنى ** وهم بقر من خوفهم جأروا جـــأرا
وقد عرفوه صادقا غير أنهـــــم ** أصروا على أديان آبائهم كبـــرا
ولم يبرحوا فى ظلمهم وظلامهـــم ** الى أن رأوا منه بأفق الوغا بـــدرا (٢)

(هـ) الثناء على الخلفاء الأربعة وسائر الصحابة السابقين للاسلام وما وقـــع من التعذيب والتخريب والآلام رضى الله عنهم :

والقصيدة بلغت واحدا وثلاثين بيتا ..

يقول النبهانى رحمه اللــه :

وآمن منهم سادة سبقوا الــــورى ** بصحبته أكرم بهم سادة غـــرا (٣)
أجل بنى الاسلام كانوا وانمـــــا ** أبو بكر الصديق كان أبنه البكـــرا
ففى حلبة الايمان جاء مجليــــا ** وعثمان صلى خلفه مع ذوى البُشـرى (٤)
بنوريه ذو النورين ضاء شؤونـــه ** وحاز على كل الورى بهما الفخـــرا
ولما دعا الهادى لاعزاز دينـــه ** أتى عمرٌ يسعى لحضرته حُضُــــرا (٥)

---

(١) سجروا اوقدوا

(٢) الديوان ص ٢٩٦ـ٣٠٢ .

(٣) الاغر الصبيح وسيد القوم .

(٤) الحلبة خيل تجمع للسباق والمجلى السابق فى الحلبة والمصلى الفرس الذى تبع المجلى ففى قوله صلى خلفه تورية لان عثمان اقتدى بأبى بكر فى الاسلام والصلاة قال فى السيرة النبوية أسلم على يد أبى بكر من العشرة المبشرين فى الجنة خمسة وهم عثمان وطلحة بن عبيدالله والزبير ابن العوام وسعد بن ابى وقاص وعبد الرحمن ابن عوف وزاد بعضهم سادسا وهو أبو عبيدة رضى الله عنهم .

(٥) قال صلى الله عليه وسلم اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو

وأما على فهو عبد ابن عمــــــه ** تربى صغير السن لم يعرف الكفــرا
فلا عجب أن كان بابــا لعلمــه ** وفى الحرب ذمرا لم نجد مثله ذمرا(١)
وأحرز خصل السبق منهم عتيقهــم ** ولا عجب أن يسبق القارح المهرا (٢)
وقد سبقت كل الجيــاد خديجــة ** وألحق بها أولاده السادة الغــرا
ومهما علت كل النساء بفضلهــــا ** فقد فضلتها فى العلا بنتها الزهرا(٣)

و ـ ذكر الهجرة ومشروعية الجهاد للكفار ومدح المجاهدين والمهاجرين والأنصار ·

والقصيدة بلغت اثنين وأربعين بيتا يقول فيها :

ولما أراد الله نصــرة دينــــه ** أتاح له من نحو انصاره نصـــرا
فهاجر من أم القرى نحو طيبـــة ** نبى الهدى والصحب قد هجروا الهجرا(٤)
وفى قرية الأنصار حتى نساؤهــــم ** وصبيانهم فى مدحه أنشدوا الشعــرا

الى أن يقــــول :

فكم جاهدوا فى نصرة الدين كافــرا ** وخاضوا اليه الحرب والحر والقـــرا
ربيع خريف صيفهــــم كشتائهــــم ** فلم يرهبوا بردا ولم يرهبوا حــــرا
وكم رمضان جاءهــــم ما تسحـــروا ** وقد أطعموا سمر القنا النحر والسحــرا(٥)

= بن هشام وهو أبو جهل فاستجابها الله فى عمر وحضرة الرجل قريته وفناؤه والحضر معناه فى الاصل ارتفاع الفرس فى عدوه يعنى أنه جاء مسرعــا ·

(١) الذمــر الشجــاع ·

(٢) أحرز خصل السبق غلب وسبق وخصله فضله والعتيق الفرس السابق الكريم والشىء القديم والجميل والمعتوق من نحو الرق وهو اسم أبى بكر الصديق رضى الله عنه لجماله ولعتقه من النار ففيه تورية والقارح الفرس الذى انتهت أسنانه وانما تنتهى فى خمس سنين والمهر : الفرس أول ما ينتج ·

(٣) الديوان ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣ ·

(٤) الهجر : الفحش ·

(٥) السحر الرئة وقيل ما لصق بالحلقوم والمرىء من أعلى البطن ·

وصاموا وما صاموا عن الطعن فى العدا ** ولكن على أرواحهم جعلوا الفطرا(١)
وأصبح فطر الشرك عيدا لفطرهم ** سعيدا ونحر المشركين غدا نحرا(٢)
وقد زهدوا فى مالهم وجمالهم ** فما عشقوا بيضا ولا عشقوا صفرا(٣)
أحب اليهم لثم سيف مورد ** بحمر الدما من لثم وجنتها الحمرا
سل البيض والسمر العوالى عنهم ** وسل عنهم الحمر المذاكى والشُقرا(٤)
فكم خفضوا بالكسر رأسا لمشرك ** وكم للعدا جروا كتائبهم جرا
وكم رفعوا رمحا وضموا مهندا ** وكم نصبوا حربا وكم فتحوا ثغرا(٥)

ز ـ نظم أسماء النبى صلى الله عليه وسلم ، وللشيخ النبهانى قصيدة مزدوجة " أحسن الوسائل الى نظم أسماء النبى الكامل " افتتحها بقوله :

الحمد لله الغنى الاحد ** الواحد الفرد العلى الصمد
السيد المطلق خير سيد ** مولى أساسى عبده محمد
خير الورى ذاتا ووصفا وسما
محمد أحمد طه الملجأُ ** السيد المقدس المبرأُ(٦)

---

(١) الصوم فى اللغة مطلق الامساك عن الشىء .
(٢) الفطر الشق .
(٣) البيضاء الصفراء يطلقان على الفضة والذهب أو النساء ففيها تورية .
(٤) البيض السيوف والسمر العوالى الرماح والمذاكى من الخيل التى أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان فتكون فى كمال قوتها من ذكاء النار وهو شدة لهيبها .
(٥) الديوان ص ٣٠٥ ـ ٣٠٨ .
(٦) الملجأ الذى يلتجىء الناس اليه والمقدس المطهر من كل عيب والمبرأ المنزه عن كل وصف ذميم

وهو الضوء والضياء القمرىء ** النور نور الله ليس يطفأ

في نور مولاه بدا مجسما

محمد العاقب والمعقب ** الغالب الراغب والمرغب (١)

الشهم ذو المدينة المشذب ** وصاحب المدينة المنتخب

قد فاخرت به السماك والسما

محمد النقى والنقيب ** المضرى المنتقى اللبيب (٢)

القرشى المرتضى النسيب ** الهاشمى المجتبى الحسيب

أشرف كل العالمين منتمى

محمد المهيب والمهاب ** شمس وبدر وقمر شهاب

النجم نجم ثاقب رهاب ** فجر منير كوكب وهاب (٣)

ونوره أزال عنا الظلما (٤)

كما نظم الشيخ النبهانى موشحا في مولد الرسول صلى الله عليه وسلم سماه " النظم البديع في مولد الشفيع " افتتحه بقول تعالى " لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ، فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم " .

---

(١) العاقب هو الذى جاء عقب الانبياء فليس بعده نبى وكذلك المعقب .

(٢) الشهم الذكى القلب وقال الزرقانى السيد النافذ الحكم ذو المدينة أى صاحب المدينة المنورة والمشذب الطويل المعتدل القامة والمنتخب المختار .

(٣) رهاب كثير الخوف من الله تعالى .

(٤) الديوان ص ١٤٥ ـ ١٤٧ .

" بسم الله الرحمن الرحيم "

الحمد لله على آلائه ** حمد امرئ أخلص فى أدائه[(١)]

أحمده والحمد من نعمائه ** أن خصنا بخير أنبيائه

محمد سيد كل عبد

أشهد أن الله فرد يعبد ** وأن خير خلقه محمد

رسوله المتمم المجدد ** وكل من صدقه مخلد[(٢)]

بغير شك فى جنان الخلد

صلى عليه ربه وسلما ** وآله ومن اليهم انتمى

وصحبه الهداة أنجم السما ** وتابعيهم وجميع العلما

وكل هاد فى الورى ومهدى

وبعد فاسمع أيها السعيد ** ومن أنار قلبه التوحيد

عقد بيان دره نضيد ** أسلوبه فى نظمه فريد[(٣)]

بذكر طه جاء خير عقد

نظمته بأنمل الأفكار ** من در بحر المصطفى المختار[(٤)]

خير البرايا صفوة الأخيار ** وسيد العبيد والأحرار[(٥)]

---

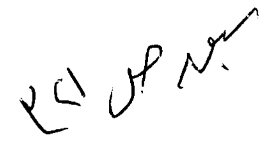
(١) الآلاء النعم واحدها آلى بالفتح وقد يكسر ويكتب بالياء كمعى وامعاء كما فى المختار .

(٢) المتمم قال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق .

(٣) نضيد منظوم .

(٤) الانمل رؤوس الاصابع .

(٥) الديوان ١٦٧ ــ ١٦٨ .



ح ـ هجاء مدرسة الافغانى :ـ

للشيخ النبهانى قصيدة مطولة اسمها " الرائية الصغرى فى ذم البدعة ومدح السنة الغرا " بلغت أبياتها خمسة وعشرين وخمسمائة هجا فيها كلا من جمال الدين الافغانى ومحمد عبده ورشيد رضا ومحمود شكرى الألوسى والوهابية ، وقد وضعت هذه الأغراض ضمن الأغراض الدينية لشعر الشيخ يوسف لان خلافه معهم كان خلافا دينيا فى أساسه ، فهو يعدهم أصحاب بدعة لتركهم الأخذ من المذاهب الاربعة واجتهادهم فى الدين عن طريق تلقى الأحكام من القرآن والسنة مباشرة ، فلم يوافقهم الشيخ النبهانى على هذا ، وهو الذى يدعو الى التمسك بآراء الأئمة الأربعة دون الخروج عنهم ولذلك كتب الشيخ النبهانى هذه القصيدة وسماها " الرائية الصغرى فى ذم البدعة ومدح السنة الغرا " علما بأن الشيخ النبهانى كانت له صداقة مع كل من الأفغانى ومحمد عبده ورشيد رضا خصوصا الشيخ محمد عبده الذى كان يزور الشيخ النبهانى فى بيته فيتناول معه الطعام بدعوة وبدون دعوة حتى ان الشيخ محمد عبده استعار من الشيخ النبهانى كتاب " الكامل " للمبرد ولم يرده له .

يقول الشيخ النبهانى " .... وأعلم أيها الواقف على كلامى فى هؤلاء الخاسرين أعداء الدين أنى لا عداوة دنيوية بينى وبين أحد منهم تدفعنى الى الحملة عليهم والتنديد بهم بل كانت بينى وبين بعضهم صحبة ومودة قبل اشتهارهم بهذا الضلال ، وكذلك شيخهم وأصل ضلالهم جمال الدين الأفغانى فانى كنت عرفته فى مصر وكنت أزوره وأرى منه القبول والاقبال الى أن ظهر لى أمره فهجرته مرة واحدة لفساد عقيدته وسوء سيرته ثم انى بعد أن توظفت فى رياسة محكمة حقوق بيروت سنة ١٣٠٥ هـ كان الشيخ محمد عبده مقيما فيها وصار يزورنى فى أكثر الايام وأكرمه واحترمه ويتناول معى الطعام بدعوة وبدون دعوة

لما صار بيننا من المودة حتى انه استعار منى كتاب الكامل للمبرد " ولم يرده والظاهر أنه استحل ذلك باجتهاده فبئس المجتهد وبئس الامام "(١) .

أما عن علاقته بالشيخ رشيد رضا فيبدو أنه كان يجتمع بالشيخ النبهاني وتجرى بينهم محاورات سجل لنا الشيخ النبهاني بعضها اذ يقول " لما اجتمعت بالشيخ رشيد رضا ذاكرته فى شأن شيخه الشيخ محمد عبده فقلت له فى شأنه : انكم تتخذونه قدوة فى دينكم وتدعون الناس الى ذلك وهذا غير صواب فانه لم يكن محافظا على الفرائض الدينية فلا يصح أن يكون قدوة فى الدين فمن المعلوم المسلم أنه كان يترك كثيرا من الصلوات بلا عذر وأنا نفسى رافقته من وقت الضحى الى قبيل المغرب عند رجل كان دعانا فى جبل لبنان فلم يصلى الظهر ولا العصر ولم يكن له عذر بل كان بكمال الصحة ورآنى صليت الظهر والعصر ولم يصلهما " ، وبعد أن ذكر الشيخ النبهاني القصة قال فى خاتمة حواره مع الشيخ رشيد رضا " .... فانظر رحمك الله لهذا الضلال وهذه المكابرة فانه ــ رشيد رضا ــ يعلم أنه كان تاركا للصلاة والحج وأنه كان ماسونيا ويقول انه مثل الغزالى وفى الحقيقة كل واحد من هذه الفرقة الضالة يعتقد أن نفسه أجل من الغزالى لأنهم يدعون الاجتهاد المطلق صغيرهم وكبيرهم والامام الغزالى لم يدع الاجتهاد المطلق ، بل صرح فى الاحياء بعدم وجود المجتهد المطلق فى عصره بقوله : كما هو حكم جميع أهل العصر وكذلك صرح الفخر الرازى بذلك ، وغيرهم من الأئمة الأعلام (٣) .

لهذا عدت فن الهجاء عند النبهاني من الأغراض الدينية .

---

(١) البشائر الايمانية فى المبشرات المنامية ص ٣٦ ــ ٣٧ .

(٢) ذكرنا القصة كاملة عند الكلام عن خصومة النبهاني مع مدرسة الافغانى الفصل الخامس من الباب الثانى .

(٣) البشائر الايمانية فى المبشرات المنامية للنبهاني ص ٣٤ ــ ٣٥ .

هجاء جمال الدين الأفغانى :

من المآخذ التى أخذها على جمال الدين الأفغانى دعوته الى الاجتهاد أى أن يأخذ المسلمون أحكامهم الشرعية من الكتاب والسنة مباشرة دون التقيد بأقوال الأئمة المجتهدين التى تناسب عصرهم فقط يقول الشيخ النبهانى :

يقول هذا المصلح الأكبر الذى ** به صار حكم الدين فى عصرنا يسرا

مذاهب أهل العلم ممن تقدموا ** توافق أحوال الزمان الذى مرا

وأبدع هذا الشيخ للناس مذهبا ** يوافق فى تيسير أحكامه العصرا

ثم تحدث النبهانى عن طرد الشيخ الشربينى للشيخ الأفغانى من الأزهر حيث تبين للشيخ الشربينى أن الأفغانى يسأله من واقع الحادة حيث يقول :

واذ شمه الشيخ ريح ضلاله ** والحاده أولاه مع طرده زجرا

ودعوة الأفغانى كما يراها النبهانى هى لمحو المذاهب الأربعة حيث يقول :

أسر لهم محو المذاهب كلها ** ليرجع هذا الدين فى زعمه بكرا(١)

ويناقش النبهانى دعوة الأفغانى الاصلاحية للدين بأنه لم تأت فرقة اسلامية تدعى لنفسها اصلاح الدين الاسلامى الا هذه الفرقة لذلك تبين أنهم المعنيون بقوله تعالى :

" واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا انما نحن مصلحون ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون " (٢) يقول الشيخ النبهانى :

---

(١) أى تلاميذه مثل محمد عبده وغيره .

(٢) سورة البقرة آية ١١ ـ ١٢ .

قد اختصروا بالجهل دين محمد ** وما تركوا من عشر أحكامه العشرا

لقد زعموا اصلاحه بفسادهم ** وكم حملوه من ضلالاتهم اصرا

وقد جاء فى القرآن ذكر فسادهم ** وزعمهم الاصلاح فى السورة الزهرا

يقول النبهانى فى تعليقه على هذا البيت بعد أن أورد الآية السابقة " ... قلت لا شك أن المنافقين المذكورين فى هذه الآيات السابقة واللاحقة والخوارج الذين خرجوا على سيدنا على رضى الله عنه وغيره من أئمة الاسلام متصفون بهذه الاوصاف الذميمة الا أنهم لم يدعوا أنهم مصلحون لدين الاسلام ويلقبوا أنفسهم بهذا اللقب مثل هذه الفرقة الضالة فرقة جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده المصرى فى مطابقة الآية لهذه الفرقة أكثر من مطابقتها للمنافقين والخوارج وان شملتهم جميعا احكامها وتسمية هؤلاء أنفسهم المصلحين تبعوا فيها فرقة البروتستانت النصرانية فانهم سموا أنفسهم المصلحين لدين النصارى بتركهم العمل بما زاد على التوراة والانجيل ورفضهم كلام أئمة النصارى الأقدمين أصحاب المجامع وغيرهم[1] فتبعهم من المسلمين هؤلاء الضالون فرفضوا مذاهب أئمة الاسلام وادعوا الاجتهاد المطلق وأنهم قادرون على أخذ الاحكام من الكتاب والسنة مع أنهم من أجهل الجهال فى دين الله وأفسق الفساق ولكنهم كانوا مظهرا لمعنى هذه الآية القرآنية بعد أربعة عشر قرنا من نزولها ، كما أنهم كانوا مظهرا لتصديق قوله صلى الله عليه وسلم " لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ، قالوا اليهود والنصارى قال صلى الله عليه وسلم فمن ؟ فهذا الحديث الصحيح ينطبق على هذه الفرقة الضالة تمام الانطباق[2] والى هذا أشار النبهانى بقوله :

---

(١) يقول جرجى زيدان فى ترجمته تحت عنوان " محمد عبده الاصلاحى "

((..... فجعل همه رفع منار الاسلام وجمع كلمة المسلمين بالتعليم والتهذيب وتقريبهم من أسباب المدنية الحديثة ليستطيعوا مجاراة الامم الراقية فى هذا العصر ورأى ذلك لا يتأتى الا بتنقية الدين مما أعتوره من الشوائب التى طرأت عليه بتوالى العصور وتغالب الدول واختلاف أغراض اصحابها وائمتها كما أصاب النصرانية فى القرون المتوسطة اذ تمسكوا بالعرض وتركوا الجوهر واستغرقوا فى الاوهام ونبذ الحقائق والسبيل الوحيد لمغالبة الاوهام والخرافات انما هو العلم الصحيح على ما بلغ اليه فى هذا العهد)) تراجم مشاهير الشرق حـ ١ ص ٣٠٥

(٢) الديوان ـ هامش ـ ص ٣٥٦

وها هم أتونا مثل ما قال ربنــــا ** بأوصافهم فأعجب لها آية كبــرى[1]

خوارج لكن شيخهم غيـر نافـــع ** ولكنه قد كان أزرق مغبـــــرا

بفصل البروستنت اقتدوا باجتهادهم ** لقول رسول الله لو دخلوا جحــرا

أولئك قد الغوا زوائـــد دينهــم ** وقد ضللوا فى ذلك القس والحبــرا

ومع كونهم مثل البروستانت فارقـوا ** أئمتهم كل غدا عالما حبــــرا

فقد قلدوا أهل المجامـع منهـــم ** بمؤتمر للبحث فى الدين فى مصــرا

يشير النبهانى الى انشاء جمعية باسم المؤتمر الدينى فى مصر ١٣٢٧ هـ وقد خدعوا شيخ الازهر الشيخ سليم البشرى وكما يقول النبهانى جعلوه رئيســا للجمعية ووظيفة المؤتمر هى البحث فى دين الاسلام لتحسينه من الزيادة والنقص ، ولم تزاول هذه الجمعية أى نشاط ولم يحصل أى اجتماع كما أسسوا جمعيــــة للدعوة والارشاد ـ أهم أركانها رشيد رضا وغرضها تخريج دعاة لتعليم النــاس عدم الاقتداء بالأئمة السابقين وهم بهذا يشبهون البروتستانت ، وبذلك تتــم المشاكلة والمشابهة بينهما لمطابقة الحديث الذى قاله الرسول صلى الله عليــــه وسلم " لتتبعن سنن من قبلكم " .

ويقول الشيخ النبهانى فى نهاية تعليقه " وقد سهل على هؤلاء المبتدعين تقليد البروتستانت ولم يسهل عليهم تقليد أئمة المذاهب الاربعة ، كما أنهــم سهل عليهم تقليد اخوان الشياطين مثل محمد عبده وجمال الدين الأفغانـــى ولم يسهل عليهم تقليد أئمة الأمة المحمدية بأسرها منذ أكثر من ألف سنة[2] .

---

(١) الفصيح : وها هم أولاء أتونا ، ولكن الناس يخطئون كثيرا فيتركون اســـم الاشارة ، والمثل فى ذلك قوله تعالى " ها أنتم أولاء تحبونهم ولايحبونكم " د . سرحان .

(٢) الديوان ص ٣٥٨ ـ ٣٨٩ الهامش .

ويقول النبهانى شارحا دعوتهم :

أمن بعد قول الله أكملت دينكم ** يريدون فى الاسلام أن يحدثوا أمرا
يقولون لا نرمى كتابا وسنة ** ونتبع زيدا فى الديانة أو عمرا
وذلك حق قصدهم فيه باطل ** وخير كلام قد أرادوا به شرا

ويقول أيضا :

وما يدعيه اليوم غير حثالة ** بأسفل حوض العلم كدرت المجرى
قد اجتهدوا فى خذل دين محمد ** وان زعموا بالاجتهاد له نصرا
قد اجتهدوا أن لا تكاليف عندهم ** فصاروا اباحيين لا نهى لا أمرا
وفى العلم شرط الاجتهاد هو التقى ** لديهم ولكن كل عبد غدا حرا
فيفعل فى الأحكام فعل دوابه ** اذا أطلقت من دون قيد الى الصحرا
وأقوى شروط الاجتهاد لديهم ** وقاحة وجه حده يفلق الصخرا
وكم ذا رأينا فى الأولى يدعونه ** تيوسا وكم ذا قد رأينا بهم حمرا
نعم جهلها جهل بسيط وجهلهم ** بتركيبه قد صار أقواهما ضُرا(١)
فما قط شاهدناه حمارا مسابقا ** جوادا وتيسا صارع الليث والنمرا
يقولون انا كالائمة كلنا ** رجال وما زادوا على أحد ظفرا
ولو ثم مرآة يرون نفوسهم ** بها لرأوها بين أهل النهى ذرا(٢)

ويبين النبهانى شيئا مما يأخذه عليهم فيقول :

وأخبرنى من لا أشك بصدقه ** بأن قد رأى من بال منهم بلا استبرا

---

(١) الجهل البسيط أن يجهل الانسان شيئا والجهل المركب أن يجهل انه جاهل بذلك الشىء فيكون جهله مركبا من جهلين •

(٢) الذر صغار النمل •

ولازمه حتى أتى بعد مسجدا ** فصلى ولم يحدث من الحدث الطهرا
وآخر منهم قد أقام صلاته ** بدون اغتسال من جنابته الكبرى
بهم غربة الدين استبانت بعصرنا ** فيا قبحهم قوما وياقبحه عصرا

ويركز النبهانى فى هجاءه وغضبه فى هذه الابيات حيث يقول :

معادن سوء يتقى المرء شرهم ** يجاملهم جهرا ويلعنهم سرا
ويجلب مغناطيس العداء هم لهم ** من الناس لعنات وان لعنوا الغيرا
ذئاب على الاسلام صالوا وما اكتفوا ** بأنيابهم حتى به أنشبوا الظفرا
مقاريض أعراض بألسنة لهم ** حداد بها قد أشبهوا الجرذ والفأرا
لهم أوجه كالصخر مثل قلوبهم ** ولكن بها ماء الحيا ماله مجرى

ونحن نلاحظ أن النبهانى ينتزع صور هجائه من الظواهر الكونية المجسمة التى هى أبلغ فى الهجاء ويقول أيضا :

وانى وان أحكم لظاهر حالهم ** باسلامهم بالقول لا أكفل السرا
ففى وجه كل قد بدا من ظلامه ** دخان يرينا أن فى قلبه جمرا
ولم أجتمع والله منهم بواحد ** وذاكرته الا وددت له القبرا
ولم استمع دعواه الا مقته ** والا قرأت الحمق فى وجهه سطرا
ولم أر الا ناقص الدين والحجا ** بهم فاسد الأفكار من أدب صفرا
وأعداؤهم من بيننا كل عالم ** ولا سيما ان كان فى فقهه بحرا
وان كان مشهور الولاية ضمنت ** جوانحهم من بغضه الحصة الكبرى
وأحبابهم أهل الغواية مثلهم ** ومهما يكن أغوى يكن عندهم أحرى
جبلاتهم بالسوء قد جبلت وهم ** على خلق الاشرار قد فطروا فطرا
فاياك ان تغتر منهم بفاجر ** وان أنت قد شاهدت من فعله خيرا
فذلك شىء جاء ضد طباعهم ** وقد فعلوا أضعاف أضعافه شرا
وكم أيد الاسلام ربى بفاجر ** فنهدى له لا الفاجر الحمد والشكرا
على ديننا ساقوا كتائب كتبهم ** وفى حربه جاءت جرائدهم تترى
بها فتحوا للناس باب ضلالهم ** بها رفعوا الدنيا بها خفضوا الأخرى
لقد أخرجوا فى صورة النصح كذبهم ** ببهرجة غروا بها الجاهل الغرا

وفى الخاتمة يوجه نداء وتحذيرا للمسلمين من هذه العصبة ليأخذوا حذرهم حيث يقـول :

فيا أمة الاسلام يا خيـر أمـة ** بسبل الهدى تقفو أئمتها الغـرا
عليكم بكتب الدين من كـل مذهـب ** ومنهم ومن أقوالهم فالزموا الحـذرا
سفينة دين الله فيهـا نجاتكـم ** اذا فار تنور الفساد لكم فـورا
ألا فاحذروا الأسـد الضوارى مرة ** ومن هوءلاء المارقين احذروا الشـرا
مجاذيم من داء الضلالـة كلهـم ** فما أحد من دائه أبدا يبـرا
تجارت بهم أهواؤهم كالذى جرى ** به كلب يعدى اذا نهش الغيـرا
وهم كل يوم فى ازدياد كأنهـم ** أبالسة بالحك قد ولدت أخـرى
وَكُلُّهُمُ رِجْسٌ ولكـن دعاتهـم ** نجاستهم جاءت مغلظة كبـرى
فلو غُسِلوا فى البحر والبحر طافح ** لما أثر البحر المحيط بهم طهـرا
كأسنان مشط كلهم فى ضلالهـم ** فلا أحد يبدى على أحد فخـرا
فقد ملك الشيطان ملكـا موبـدا ** نواصيهم واللحم والعظم والشعـرا
أجاهدهم ما دمت حيا فان امـت ** تركت لهم جيشين نظمى والنثـرا
ولست أبالى ان افـز بجهادهـم ** اذا فاتنى فتح لرومية الكبـرى(١)

من هذه القصيدة نلاحظ أن العداء بين النبهانى وجمال الدين الأفغانـى كان دينيا بعيدا عن الأطماع الدنيوية ، فهو يتهمه بأنه يدعو الى الاجتهـاد المطلق ، ومحو المذاهب ، ويتهمه بفساد عقيدته وأنه أراد تقليد البروتستانـت الذين دعوا الى اصلاح المسيحية عن طريق الالتزام بالانجيل دون الأخذ بـآراء الرهبان والقساوسة ، كذلك الأفغانى يدعو الى الالتزام بالقرآن والسنـة دون

---

(١) ورد فى الحديث فى آخر الزمـان بفتـح رومية الكبرى الديوان ص ٣٥٤ ـ ٣٦٥ .

الأخذ برأى العلماء ويحسب[1] النبهانى أن هذه الدعوة كلمة حق يراد بها باطل •

وقد استطاع النبهانى ان يوازن بينهم وبين المقصود من قوله تعالى " واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون ، ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون " •

ومن أوجه الموازنة أيضا أن تتكون جمعية " تسمى الموتمر الدينى لتحسين دين الاسلام بالزيادة والنقص وأخيرا تتكون "جمعية الدعوة والارشاد " التى أحد أركانها رشيد رضا ووظيفتها تخريج مرشدين ومبشرين بمبادىء الجمعية ، والنبهانى فى كل هذا يجعلهم مصداقا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم :-

" لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه .. قالوا اليهود والنصارى ؟ قال : فمن "[2] •

ثم تكلم عن تقصير هذه الجماعة عن الفرائض الدينية ، فهم لا يصلون أو يصلون بلا طهارة صغرى كانت أو كبرى أحيانا ، وأخيرا يحذر الناس منهم ومن أن يغتروا بكلامهم المعسول ، ثم يألو على نفسه أن يجاهد هما دام حيا وبعد موته ستجاهدهم آثاره المنظومة والمنثورة •

هجاء محمد عبده :

يبدو أن النبهانى كانت تربط صله قوية بمحمد عبده اكثر من الأفغانى .. ذلك أن محمد عبده عاش فى بيروت أثناء نفيه من مصر وكان بينهما مجاملات فهذا محمد عبده يستعير كتاب الكامل للمبرد من الشيخ النبهانى ولا يرده اليه ، وهو

---

(١) فى الاصل : ويعتبر .. وهى خطأ شائع فى أسلوب الكتاب .. د .سرحان

(٢) منتخب الصحيحين من كلام سيد الكونين ص ٣١٠ للنبهانى •

يتناول الطعام فى بيت الشيخ النبهانى بدعوة وبدون دعوة أيضا ، ومع ذلك كان موقفه منه مثل موقفه مع أستاذه . فهو يفتتح هجاءه بقوله :

لهم شيخ سوء من بنى القبط أصله ** بسحنته الشوهاء نسبته تقرا
على قلبه ساد الهوى فهو عبده ** وقد سكن الشيطان من رأسه وكرا

ثم يصفه بأنه فى مصر كأبى مرة ــ كنية ابليس ــ وأنه فى هذا العصر كأبى جهل ونمرود ، ويتكلم عن جرأته على الفتوى مع جهله بأحكام الفقه وأنه تعلم من أستاذه الأفغانى بعض علوم الفلسفة فأخذ يدّعى الاجتهاد ، وهو قد ضلل أهل العلم لاتباعهم أئمة الاسلام ، ومما قاله النبهانى فى محمد عبده

لسان له كالثور لف نباته ** ولكنه بالجهل قد غلب الثورا
فلم نر ثورا زاحم الأسد قبله ** ولا حدأة من قبله زاحمت نسرا(١)
تولع بالدنيا وصير دينه ** اليها على ما فيه من خفة جسرا
يمينا اذا كانت يمينا وان تكن ** يسارا سعى بعدو اليها من اليسرى
يذم خيار المسلمين وعدما ** يرى حاجة للكفر يستحسن الكفرا
لكيما يقال : الشيخ حر ضميره ** فيبلغ عند القوم مرتبة كبرى

ثم تكلم عن زيارته لبلاد الشام وتكوين جماعة تؤيده ثم عودته لمصر وتأييده للانجليز داعيا الناس لاعتقاد الخير فيهم ، وهو يلتمس لهم الأعذار مسوغا(٢) منكراتهم واليه أرجع ما حدث بين المسلمين من الجرأة على الفتوى وعدم التقيد بأقوال أئمة المذاهب الاربعة وعزا المنزلة التى وصلها الى الانجليز الذين كافأوه على افساده عقيدة المسلمين وهجم(٣) الدروس التى كان يعلمها فى الازهر

---

(١) حِدْأَة ــ فى اللغة : بوزن عِنَبَة ، ولكن الدال سكنت لضرورة الوزن د . سرحان

(٢) فى الاصل : مبررا ، وهو خطأ شائع يقع فيه الجميع د . سرحان

(٣) فى الاصل : وهاجم ، وهو خطأ شائع منتشر . د . سرحان

وكذلك هاجم تفسيره ومؤلفاته ، وتشتعل نار الكراهية في قلب النبهاني فيقول :

احذر كل الناس من كتب دينه ** وبالرد والاعراض تفسيره أحرى
وساوس أوحتها اليه أبالس ** بها يجد المراق ان عذلوا عذرا
عقيدته في قبحها مثل وجهه ** تشاهد في مرآة ملتنا الخضرا
محاسن ألفاظ له قد تزخرفت ** تغر امرأ لا يعرف الخير والشرا
به برزت حسناء في شر منبت ** كما نبتت في الدمنة البقلة الخضرا

ويأخذ عليه النبهاني تقليده لابن تيمية في بدعه دون زهده وورعه ويقول فيه أيضا :-

يعاشر نسوان النصارى ولا يرى ** بذلك من بأس وان كشف السترا
ويأكل معهم كل ما يأكلونه ** ويشربها حمراء ان شاء أو صفرا
ويفتي بحل المسكرات جميعها ** اذا هي بالأسماء خالفت الخمرا
ويأكل مخنوقا ويفتي بحله ** لئلا يقولوا : انه ارتكب الوزرا

وفي الهامش علق الشيخ النبهاني على هذه الأبيات فقال : الذي أعلمه عن حال الشيخ محمد عبده وكل من عرفه يعلمه كذلك : أنه حينما كان في بيروت منفيا كان كثير المخالطة للنصارى والزيارة لهم في بيوتهم والاختلاط مع نسائهم بدون تستر ، وهذا مما يعلمه كل من عرف حاله في هذه البلاد فضلا عن أسفاره المشهورة الى بلاد أوروبة واختلاطه بنساء الافرنج وارتكابه المنكرات من شرب الخمر وأكل المنخنقة وترك الصلوات ولم يدع هو نفسه الصلاح ولا أحد توهمه فيه فكيف يكون قدوة اماما في دين الاسلام ، نعم هو امام للفساق والمراق مثله ، ولذلك تراهم على شاكلته لا حج ، ولا صلاة ولا صيام ولا غيرها من شرائع الاسلام [1] .

---

(١) الديوان ص ٣٧٠ ـ ٣٧١ .

ثم يستعرض حكم المذاهب الاربعة فى تارك الصلاة ويذكر لقاءه معه فى لبنان وتركه لصلاة الظهر والعصر دون عذر ثم يقول النبهانى متهكما :

ومع كل هذا فهو أستاذ عصره ** فأف له شيخا وأف له عصرا

ثم يذكر الأفغانى وأنه أيضا كان تاركا للصلاة لذلك قاطعه ولم يعد زيارته يقول الشيخ النبهانى :

وقبل غروب الشمس صاحبت شيخه ** لقرب العشا أيام جاورت فى مصرا

ولم أره ادى فريضة مغرب ** فقاطعت شيخ السوء من أجلها الدهرا

يقول الشيخ النبهانى تعقيبا على هذين البيتين فى الهامش .

" اجتمعت فى مصر سنة ألف ومائتين وسبعة وثمانين هجرية (1) بالشيخ جمال الدين الأفغانى وأنا مجاور ولازمته من قبل الغروب الى قرب العشا فلم يصل المغرب وتحققت انه كان تارك صلاة فى بعض الاحيان والغالب عليه الترك كتلميذه الشيخ محمد عبده وفرقته كلهم تاركون الصلاة ولا أظن أنه يوجد منهم واحد مداوم على الصلاة وقليل منهم يصلى تارة ويتركها أخرى" (٢) .

ويقول النبهانى :

رمى الله كلا منهما بلسانه ** بداء فذاقا الموت فى قطعه مرا

---

(١) هذا الوضع الاسلوبى خطأ شائع ، وصحته : سنة سبع وثمانين ومائتين وألف من الهجرة ، ويلاحظ أن النبهانى قال : "وسبعة" وهو خطأ ، صوابه : سبع . د . سرحان

(٢) الديوان ص ٣٧٢ الهامش .

ويقـول فـى الهامـش شارحـا :

مات جمال الدين الأفغانى فى القسطنطينية مفلوجا بلسانه وكذلك مات بعده بسنوات محمد عبده فى الاسكندرية مفلوجا بلسانه وعظم الداء فيهما حتى قطع لسان كل منهما ولم يحصل فائدة حتى ماتا شر ميتة على أسوأ الأحوال نسأل الله العافية ومع ذلك لم يعتبر بهما هؤلاء الجهال الذين تبعوهما على الضلال والإضلال (١) .

ثم يشبه محمد عبده فى اضلاله لغيره بالسامرى الذى صنع لهم عجلا يعبدونه أما هؤلاء ـ جماعة محمد عبده ـ فقد عبدوا الثور .. أى محمد عبده .

والشيخ النبهانى يشبه محمد عبده وجماعته بالدجال لاغوائه الناس .. حيث يقـول :

فقد أشبهوه فى معـان كثيـرة ** من الدجل والالحاد والبدع الأخـرى

وما الفرق الا أنهم فـى قلوبهـم ** عما هم ودجال الورى عينه عـورا

مقدمة للجيش عمـه تقدمـوا ** وجند له من قبله مهدوا الأمـرا

تقدم فيهم نائبا عنـه عبـده ** فأغوى الذى أغوى وأغرى الذى أغـرى

فويل له ويل لمـن يتبعونـه ** ومن كان من أعدائهم فلـه البشرى (٢)

بعد كل هذا نلاحظ أن النبهانى سلك فى هجائه لمحمد عبده الأسلوب نفسه الذى سلكه مع أستاذه الأفغانى ، فهو يذكر الموقف المعادى لكل منهم من الدين ثم يبين الموقف السليم ويحذر المسلمين من الاغترار بمعسول كلامهم ثم ينهال على المهجو بالشتائم وهى منتزعة من صفات مجسمة لاصقة به كأنه يصنع من لونه أو شكله صورا لهجائه ، كذلك كان يخترع من أفعاله صورة لمثالبه ومعايبه ثم يهجوه بها .

---

(١) المصـدر السابـق .

(٢) الديوان ص ٣٦٥ ـ ٣٧٤ .

كذلك لاحظنا أن الخلاف بين النبهانى ومحمد عبده كان دينيا بعيدا عن أى مطمع دنيوى علما بأن محمد عبده كان على صلة وثيقة بالنبهانى .

هجاء رشيد رضا صاحب المنار :

ويفتتح النبهانى قصيدته بقوله :

وأما رشيد ذو المنار فانه ** أقلهم عقلا واكثرهم شرا
أتانى ببيروت بشرخ شبابه ** بمقلته السودا ووجنته الحمرا(١)

ثم أخذ النبهانى يعدد ما يعده من مساوىء رشيد رضا التى منها : أنه كان ذا لحية مقصوصة من جذورها وأن والى بيروت نصوحى بك قد وبخه على ذلك ، ثم رأى النبهانى رشيد رضا بعد خمس عشرة سنة فكانت لحيته كما هى ووصفه بأن وجهه مغبر وفعاله تدل على أنه يستر الحاده ويذكر النبهانى عن رشيد رضا أنه حاول النصب والاحتيال فانكشف أمره وضرب وطرد حيث يقول فى الهامش معلقا على قوله :

فكم ذا أراد النصب فى درس جامع ** فأولاه أرباب التقى الخفض والجرا

يقول الشيخ النبهانى : هجم عليه المسلمون فى جامع سيدنا الحسين فى مصر حينما سمعوا منه ألفاظا شنيعة فى حقه رضى الله عنه وكادوا يفتكون به لولا هروبه ، وكذلك وقع له فى الجامع الأموى مثل ذلك وكادوا يفتكون به لولا أن خلصه منهم بعض الحاضرين وأخرجه من دمشق الشام ليلا فذهب الى قريته واختفى فيها ، ثم هرب الى مصر من البلاد الشامية لما حصل له فى طرابلس من الضرب والجرح وفى دمشق الشام من الهيجان العظيم والطرد الأليم(٢) .

---

(١) المقلة شحمة العين التى تجمع البياض والسواد .

(٢) الديوان ص ٢٧٥ الهامش .

ويقول الشيخ النبهانى أيضـــــا :

وكم قام يتلو فى الكنسية خطبـــــــــه ** بها ناب عن قس وطنقه جهــــــرا

وقد علق على هذا البيت فى الهامش حيث قال " خطب فى كنيسة مـــــن كنائس مصر وصارت المسلمون تلعنه فى هذه الخطبة وهو لا يبالى .

" اذا قل دين المرء قل حياوه " ولم تر فرقة من أهل البدع أقل حيــــاء من هذه الفرقة وهو ممتاز بينهم بذلك .

ثم يذكر مجىء رشيد رضا الى مصر بعد أن بلغ أعلى درجات الفقـر فــــى بلاده فآواه محمد عبده ولقنه فلسفته وأنشأ له مجلة "المنار" ثم يذكر رؤيــــاه لرشيد رضا فى المنام أسود اللون فى حين أن بشرته حمراء ففسرها على أنهـــــا أعماله قد جعلته أسود ، ثم أخذ عليه قوله فى " المنار " فى العدد الصــــادر فى آخر رمضان سنة ١٣٢٧ هـ " من أن الأنبياء غير معصومين من الاخبار عــــن الشيء بخلاف حقيقته " قال هذا تعقيبا على قوله صلى الله عليه وسلم لأبــــى ذر حينما غربت الشمس اتدرى أين تذهب ؟ قال أبو ذر : قلت : الله ورسوله أعلم قال فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشـــك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يوءذن لها .. يقال لها : ارجعـــى من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى " والشمس تجرى لمستقر لهـــا ذلك تقدير العزيز العليم " وهو حديث متفق على صحته رواه البخارى فى ثلاثــــة مواضع من صحيحه فى بدء الخلق والتفسير والتوحيد ، ومسلم فى الايمان عــــن أبى ذر .

ثم نقل النبهانى ما قاله الامام العينى فى شرح هذا الحديث فى صحيفـــــة ٢٢٣ من الجزء السابع بعد أن ذكر أقوالا فى تفسير معنـــــاه .

وقيل المراد من قوله تحت العرش أى تحت القهر والسلطان قال بعده قلــــت لماذا الهروب من ظاهر الكلام وحقيقته على أنا نقول السماوات والارضون وغيرهمـــا من جميع العالم تحت العرش فاذا سجدت الشمس فى أى موضع قدره الله تعالـــى

يصح أن يقال سجدت تحت العرش وقال ابن العربى : وقد أنكر قوم سجود الشمس وهو صحيح ممكن ، قال العينى :

قلت هؤلاء قوم من الملاحدة لانهم انكروا ما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم وثبت عنه بوجه صحيح ولا مانع من قدرة الله تعالى أن يمكن كل شىء من الحيوان والجمادات أن يسجد له " .

انتهت عبارة الامام العينى وهو مصرح بكفر من أنكر سجود الشمس الذى أخبرنا به صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث وثبت عنه بوجه صحيح ، كما فعل رشيد رضا صاحب المنار التى تطبع فى مصر فى الجزء المؤرخ فى آخر رمضان ١٣٢٧ هـ ويصدق عليه قوله تعالى فى سورة النساء " ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا " ، اللهم الا أن يتوب ويجدد ايمانه ويؤمن بصدقه صلى الله عليه وسلم بكل ما جاء به كما هو الواقع .. لا أنه مخالف للواقع المشاهد .. كما افتراه بجهله وضلاله وليس كما قال .. من أن الأنبياء غير معصومين من الاخبار عن الشىء بخلاف حقيقته قاتله الله ما أجهله وأجراه والجهول جسور وأى وصف فى الأنبياء أفضل من وصف الصدق فيهم وعصمتهم من الاخبار عن الشىء بخلاف حقيقته ، واذا لم يكونوا معصومين من ذلك فمن أين تعلم صحة ما جاؤا به عن الله تعالى[1] .

ويأخذ النبهانى على رشيد رضا سماحه لاولاد المسلمين أن يدخلوا مدارس النصارى ويتعبدوا فيها مثل النصارى حيث يقول :

وفى جزء شعبان من العام نفسه ** ببيروت للاسلام قد جوز الكفرا

أباح لهم أن يعبدوا بكنيسة ** عبادة أهليها بمدرسة كبرى

يقول الشيخ النبهانى تعليقا على البيت الأول " جوز لهم الكفر باباحته

---

(١) الديوان ص ٣٧٧ ـ ٣٧٨ الهامش .

لهم أن يدخلوا الكنيسة الكلية الاميركانية ويعيدوا فى الكنيسة العبادة النصرانية مع أولاد النصارى (١) .

ثم يأخذ عليه فى فتاويه التى يخرجها بدون علم التغلب فى الأحكام بين الحل والحرمة بلا ضابط وأخيرا يهيب بأهل مصر أن يطردوه كما فعل أهل الشام حيث يقول :

فيا أمة الهادى لقد طال صبركم ** على فاجر بالدين والمصطفى أزرى
ويا أهل مصر كيف صار عدوه ** يكذبه ما بين أظهركم جهرا
وعهدى بكم للدين أسدا فما الذى ** لكم قد جرى حتى تهيبتم الهمرا
ألا غيرة كالشام أشكركم بها ** فلست أؤدى ما حييت لهم شكرا
أتاها وقد عم الورى نار فتنة ** على ملة الاسلام قد زفرت زفرا
طرابلس من غيظها بعثت له ** كما أظهر الضرغام من غيظه البشرا
وقد برقت كالسيف أرجاؤها له ** فجاءته بعد البرق صاعقة كبرى
وساق له الفاروق من نسل بنته ** مقدم قوم كاد يعكسه القبرا (٢)
على رأسه انصبت عصاه كأنها ** قناة له شقت واجرت به نهرا
عليه سطا كالليث شتت جمعه ** ففروا جميعا عنه اذ سمعوا الزأرا
وأدماه منه فتكة عربية ** أراد بها ذاك الهزبر له زجرا
اراد بها ارغامه لا حمامه ** كما أرغم الليث الغضنفر سنورا
أراد بها تحذيره من ضلاله ** فكانت له من عظم شقوته اغرى (٣)

---

(١) الديوان ص ٣٧٨ الهامش .

(٢) الفاروق سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومن نسله ابن المقدم من أعيان طرابلس الشام وهو سبط الولى الشهير العارف بالله شيخنا الشيخ على العمرى رحمه الله وقد نسيت الان اسمه جزاه الله عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء .

(٣) الديوان ص ٣٨٠ ــ ٣٨١ .

ويستمر الشيخ النبهانى فى وصف مالاقاه رشيد رضا من طرد فى حمص وتوعدته حماة اذا قدم اليها فتوجه الى بلده قلمون ثم عاد الى مصر ويذكر المناقشة التى دارت بينه وبين رشيد رضا حول اعتقاد الأخير بأن محمد عبده كالامام الغزالى مع تصديقه على كلام النبهانى بترك الشيخ محمد عبده للصلاة فى بعض الأوقات وكأنه لم يحج الى بيت الله الحرام وأنه دخل الماسونية التى لا تعترف بالاديان وأقره رشيد رضا على كل ذلك وأخيرا يدعو النبهانى رشيد رضا وجماعته الى حكم الله تعالى حيث يقول :

رضينا بحكم الله فينا وفيكم ** وحكم رسول الله والشرعة الغرا
تعالوا نباهلكم فلعن من غدا ** بناويكم أولى بلعنته أحرى
فيا ربنا العن شرنا وأضرنا ** بتحكيمه فى الدين مع جهله الفكرا
وخص رشيدا ذا المنار وشيخه ** وشيخهما ان شئت بالحصص الكبرى
ثلاث أثاف تحتها نار فتنة ** ومن فوقها الالحاد صار لها قدرا(١)
وقد دخلوا حزب المسون بهمة ** بها حل كل من محافله الصدرا
ومذهبهم حكم الديانات واحد ** تساوى به الاسلام والملل الأخرى
مضى اثنان للأخرى بأسوا عبرة ** ومقلة ابليس لموتهما عبرى
وثالثهم مازال مع شر عصبة ** على ملة الاسلام آفاتهم تترى
فمن مات منهم مات أقبح ميتة ** فلا رحم الرحمن سحنته الغبرا
ومن عاش منهم عاش نحو جهنم ** يحث على آثار أشياخه السيرا
فيا رب أصلحهم وان لم ترد لهم ** صلاحا فلا تنجح الهى لهم أمرا (٢)

نلاحظ فى هجائه لرشيد رضا أنه ينتزع معالم الصور التى انتزعها فى هجاء محمد عبده وجمال الدين الافغانى وذلك لتشابه احوالهم وأنهم على خط مبدئى واحد .

---

(١) الاثافى جمع اثفية بتشديد الياء وقد تخفف الياء فى الجمع وهى الحجارة التى تنصب وتجعل القدر عليها .

(٢) الديوان ص ٣٨٣ ــ ٣٨٥ ،

هجاء الوهابية ومحمود شكرى الألوسى :

كذلك كان نزاعه مع الوهابية لاسباب دينية لانهم يحرمون زيارة القبور والتوسل بالانبياء والاولياء وقد افتتح قصيدته بقوله :

واعجب شىء مسلم فى حسابه ** غدا قلبه من حب خير الورى صفرا
أولئك وهابية ضل سعيهم ** فظنوا الردى خيرا وظنوا الهدى شرا
ضعاف النهى أعراب نجد جدودهم ** وقد أورثوهم غيهم الزور والوزرا
مسيلمة الجد الكبير وعرسه ** سجاح لكل منهم الجدة الكبرى[1]

وهكذا ينتزع النبهانى صور هجائه من الخصم سواء كان عن طريق دراسة أصوله التاريخية كما نلاحظ فى ربطه قصة مسيلمة الكذاب وظهور باطله بادعاء ربطها بالدعوة الوهابية التى ظهرت فى نجد ويقول أيضا :

فقد ورثوا الكذاب اذ كان يدعى ** بأن له شطرا وللمصطفى شطرا
أشار رسول الله للشرق ذمة ** وهم أهله لا غرو أن أطلع الشرا
به يطلع الشيطان ينطح قرنه ** رؤوس الهدى والله يكسره كسرا[2]

---

(١) الديوان ص ٣٨٥ .

(٢) الديوان ص ٣٨٦ .

هجاء محمود شكرى الألوسى :

كتب الشيخ يوسف النبهانى كتابه " شواهد الحق فى الاستغاثة بسيد الخلق صلى الله عليه وسلم " وكان موضوعه يدور حول اثبات مشروعية زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم والاستغاثة به عن طريق النقل والعقل وقد تعرض فيه لابن تيمية وقوله فى الجهة وأورد الردود عليه وانتصر للامام تقى الدين السبكى على ابن تيمية ، فألف محمود شكرى الألوسى كتاب " غاية الأمانى فى الرد على النبهانى " واستعمل فيه كثيرا من الألفاظ الجارحة وأيد الامام ابن تيمية ويبدو أن حالة العصر الثقافية كانت بجانب دعوة النبهانى ، ولذلك لم يستطيع الألوسى أن ينشر كتابه الا بتوقيع مستعار وهو " أبو المعالى السلامى " ولكن الأمر لم يخف على ذوى الشأن وعرف مؤلفه الحقيقى .

يقول الشيخ يوسف فى هامش الديوان ص ٣٨٨ معقبا على قوله :

كشكرى الألوسى تابعا اثر جده ** وأعمامه لكنهم آثروا السترا

شكرى الألوسى هو شكرى أفندى ابن عبد الله أفندى ابن محمود أفندى الألوسى البغدادى صاحب التفسير الشهير ، وحفيده هذا شكرى هو مؤلف كتاب " غاية الأمانى " فى الرد على النبهانى رد به على كتابى " شواهد الحق فى الاستغاثة بسيد الخلق صلى الله عليه وسلم وحيث انه جديد فى مذهب الوهابية وانما ورثه عن أبيه وجده فقط أراد بهذا الكتاب أن يثبت عندهم أنه أرسخ منهم فى مذهبهم ولذلك بالغ فى ذم أئمة المسلمين من العلماء والأولياء والعارفين وانما أخفى حاله ولم يصرح باسمه فى ظهر الكتاب بل قال : انه تأليف أبى المعالى السلامى لان دولة بعض من يخشى بأسهم كانت قائمة فلم يتجاسر على اظهار نفسه ولكن المطبعة التى طبعته فى مصر والجماعة الذين طبعوه على نفقتهم من النجديين ومن أشدهم بغضا للاسلام والمسلمين أعنى : عبد القادر التلمسانى ترجمان قنصل الانجليز فى جده كلهم مقرون ومفتخرون بأن مؤلف هذا الكتاب هو شكرى أفندى الألوسى ليعلموا الناس أن من عائلات أهل السنة والجماعة الشريفة فى بغداد من دخلوا فى مذهبهم فالحمد لله على العافية .

يقول النبهانى من قصيدته :

الى أن رمى مجنونهم برجيعه ** على الناس فى تأليفه ذلك السفرا

ويقول معلقا على هذا البيت :

" مجنونهم شكرى أفندى ذا فان أخاه عرفا أفندى - وهو من خيار هذه العائلة الشريفة وما زال من أهل السنة والجماعة كأجداده الأقدمين - زارنى فى العام الماضى فى القسطنطينية بعد طبع ذلك الكتاب الخبيث واعتذر لى عن مؤلفه أخيه شكرى أفندى بأنه مجنون فصدقته لأن كتابه هذا لا يصدر من عاقل ولو كان كافرا ولأنى أسمع ممن يعرفونه أن فى عقله ودينه اختلالا بسببه تحصل منه هذه الجراءة على الطعن فى الدين وأئمة المسلمين حتى أخبرنى العالم الفاضل الشيخ أمين أفندى سويد الدمشقى بأنه سمعه فى بغداد يطعن فى الامام الشافعى فخاصمه على ذلك وسمعت من أهالى بغداد أنه غير متدين بدين مستقيم . أما قومه فقد اجتمعت بجماعة منهم كعمة المرحوم عبد الباقى أفندى وعلى أفندى ابن عمه نعمان أفندى واخوته مصطفى أفندى وعارف أفندى ورشدى أفندى فما سمعت ولا رأيت على أحد منهم شائبة فى دينه وكلهم من خيار المسلمين نفعنا الله بهم اجمعين وبأسلافهم الطيبين الطاهرين " (١) .

ويقول الشيخ النبهانى فى هجائه :

وما وصلت أرجاسه غير قومه ** به وبهم أرجاسه حصرت حصرا

ومهما أبانوا عذرهم بجنونه ** نصدقهم فيه ولا نقبل العذرا

فكان عليهم قيده بسلاسل ** وأن يحجروه عن فظائعه حجرا

فمن أطلق الكلب العقور فانه ** هو المخطىء الجانى الذى فعل العقرا

---

(١) الديوان هامش ص ٣٨٩ .

أتى بكتاب الشتم لا العلم داعيا ** الى لعنة بين الورى كل من يقرا
عدو رسول الله أرضى عداته ** ومنى ومن أحبابه أوغر الصدرا
ومن حمقه أو كفره قال انه ** الهى وقد أكثرت فى مدحه الشعرا

يقول الشيخ النبهانى موضحا هذا البيت " قال فى كتابه المذكور عنى انى اعتقد ألوهيته صلى الله عليه وسلم وذلك لقصور فهمه عن ادراك منزلة النبى صلى الله عليه وسلم واستعظامه المعانى التى مدحته بها عليه الصلاة والسلام وأنا أعلم يقينا أنه صلى الله عليه وسلم مع كونه أشد الخلق وأعظمهم عبودية لله عز وجل لا يمكن للخلائق أجمعين أن يقفوا على كنه حقيقته المحمدية وعلو منزلته عند الحضرة الالهية صلى الله عليه وسلم ومع ذلك فمن يعتقد ألوهيته صلى الله عليه وسلم يكفر بذلك فهو اذا كان يعتقد فى كذلك يكون كافرا بتكفير المسلم فلا جزاه الله عن نفسه وعنى خيرا فقد شغلنى بما لا حاجة بى للاشتغال به ولو اشتغل هذا الخبيث بدفع مضرات الأمير كان ونحوهم من الكفرة الهاجمين على تضليل أولاد المسلمين لكان خيرا له من أن يشغل نفسه ويشغلنى به بل هو يوالى أولئك الكافرين ويؤلف لهم التآليف ويأخذ منهم الجوائز ولا يبعد عن لؤمه واستعماله الدين للدنيا أن يكون أخذ مقدارا وافرا من كتاب " غاية الامانى " أجرة على تضليله الناس " (١) .

ومع شحنه من نظم كل مجازف ** بشعر اذا حققته تلقه بعرا
فمن مدح خير الخلق ما راح منشئا ** ولا منشدا بيتا ولا منشدا شطرا
باقراره كم صغت فيه قصيدة ** ونوعت فى امداحه النظم والنثرا
والفت فى فضل استغاثتنا به ** أجل كتاب لم يدع للسوى عذرا
شواهد حق أطلعت فى سطورها ** بدور علوم كل سطر حوى بدرا
فكانت لارواح المحبين جنة ** وكانت على أعداء خير الورى جمرا

---

(١) الديوان ص ٣٩٠ الهامش .

فلو خصنى بالشتم مع عظم جرمه ** لما لمته لكنه عم الشرا
فذم هداة الدين من كل مذهب ** وأعطى لكل من سفاهته قدرا
وهلا غدا لذنب بزعمه ** لخدمتنا روح الوجود أبا الزهرا
فلو كان من نسل المجوس غدرته ** وقلت امرؤ يبغى لاجداده ثأرا
ولكن تراه يدعى خير نسبة ** وأم الفتى منه بنسبته أدرى
فمن ذا رأى فى الناس شخصا مواليا ** لقوم يرون الحب فى جده كفرا
ومن ذا رأى فى الناس شخصا معاديا ** فتى بمعالى جده أنفق العمرا
اذن نحن فى شك من النسب الذى ** يقول وفيه الشك نحصره حصرا
كتاب عليه اللعن من كل سامع ** وصاحبه أيضا غدا ما طرا مطرا
ولكنه عشواء تخبط خبطها ** بليل من الأهواء قد فقد البدرا
وأعقل منه الكلب يستر رجسه ** وهذا رأى فى نشر أرجاسه فخرا
كتابى لخير الخلق قد جاء ناصرا ** وهذا لأعداء النبى أتى نصرا
فذلك من أعلى وأعلى مناقبى ** وذا له أقوى مثالبه الكبرى
وذلك فخرى فى الحياة وبعدها ** وهذا له خزى بدنياه والأخرى
وقرظ قولى عندما تم طبعه ** مشايخ اسلام الشريعة فى مصرا
وقرظ سفر السوء بالزور أهله ** ومن كان عن سبل الشريعة مزورا
يذم خيار المسلمين وينتقى ** لاشرارهم أمثاله الحمد والشكرا
فمثل الرفاعى القطب يختار ذمه ** وشيخ منار السوء يمنحه شكرا

يقول النبهانى معقبا على هذا البيت والذى قبله " هو رشيد رضا القلمونى ــ لا رضى الله عنه ولا عن كل من كان على شاكلته من أعداء الدين ــ الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

وقد ذكر شكرى أفندى كثيرا من أشرارهم - وكلهم أشرار - فى كتابه هذا وأثنى عليهم الثناء الجميل وذكر كثيرا من أئمة المسلمين كالقطب الرفاعى وذريته والسبكى وابنه التاج وابن حجر الهيثمى والجلال السيوطى والامام اليافعى ونجم الدين الكبرى والشيخ البكرى وذريته والشيخ عبد القادر الجيلانى وغير هؤلاء ممن لم يخطر فى بالى الان من أئمة الهدى وأكابر الأولياء رضى الله عنهم ونفعنا ببركاتهم

شتمهم بأقظع الشتم ووصفهم بأقبح الأوصاف مما يستحى النصارى واليهود أن يصفوا أدنياء المسلمين فضلا عن أكابرهم بشىء منها ، وذلك فضلا عن ثنائه الثناء الجميل على ابن تيمية فاذا جمعت جميع ما ذكر ودققت فيه النظر تتحقق صحة شهرته بالجنون لأن مجموع ذلك لا يصدر من عاقل وان كان كافرا ومع ذلك نؤكد انهم ان صحت نسبته الطاهرة يسامحونه كلهم فى الآخرة .

ويقول الشيخ النبهانى أيضا :

خبائث أرواح تحن لبعضها ** فسحقا لهم سحقا وخسرا لهم خسرا

يقول الشيخ النبهانى معقبا (.... ومن حنو هذه الأرواح الخبيثة لبعضها ثناء شكرى أفندى الجميل عليهم وثناء شيخ المنار فى مناره على شكرى أفندى وعلى كتابه المذكور الذى ذكره مرارا فى مناره ورغب الناس فى اقتنائه لطعنه فى أعدائه الأولياء الكرام وأئمة الاسلام ولقد بالغ فى ذمى فسرنى ذلك لأنى أحب انتشار عداوتنا الدينية ليحذرهم المسلمون وكل مسلم عاقل يرجح ذمه فى مناره على مدحه لانه يدل على سلامة دينه)[1] .

ويقول النبهانى أيضا :

هم الكل أعداء النبى فبعضهم ** عداوته كبرى وبعضهم صغرى

وخصوا محبيه بنسبة حبهم ** فأعطوا لكل من عداوتهم قدرا

وقد جعلوا لى حصة من كبارها ** لما علموا من حبه حصتى الكبرى

فيا رب زدنى فيه حبا وزده بى ** وفى طيبة اختم لى على دينه العمرا[2]

---

(١) الديوان ص ٢٩٤ الهامش .

(٢) الديوان ص ٣٨٨ - ٣٩٥ .

ملاحظات عامة على هجاء النبهانى :

!؟ لم أجد فى شعر النبهانى غير هذه القصائد فى الهجاء وهى فى الحقيقة أقرب الى الردود الدينية منها الى الهجاء لانه لم يقصد منه هجاء الخصم بل توضيح فكرة الدينى ، والشيخ النبهانى لم يثبت فى ديوانه من شعره غير ما هو فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم أو ذو الطابع الدينى منه فقط ، فوجود هذه القصائد فى ديوانه يدل على أنها من الأغراض الدينية وللدفاع عن شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم حيث ينكر خصومه جواز الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم أو التوسل اليه ، ولم يهج أحدا لأغراض دنيوية (١) بل لم تكن الدنيا سببا لخصومته مع أحد . والذى يقرأ هجاءه فى رائيته الصغرى يجد عدة ملاحظات .

الأولى : أن النبهانى يستمد صور الهجاء من شخصية المهجو فقط دون أن يذكر أجداده أو عرضه بسوء كما هو المعهود فى قصائد الهجاء ففى هجائه لجمال الدين الأفغانى يصنع من كلمة " جمال الدين " صورة هجائية حيث يقول :

" تسمى جمال الدين مع قبح فعله ∴ كما وضعوا لفظ المفازة للصحرا "

وفى هجائه لمحمد عبده يصنع من كلمة "عبده " صورة هجائية حيث يقول :

على قلبه ساد الهوى فهو عبده ** وقد سكن الشيطان من رأسه وكرا

وفى هجائه لرشيد رضا اتخذ من لحيته المهجو صورة هجائية وصورة أخرى من لون بشرته الحمراء حيث يقول :

أتانى ببيروت بشرخ شبابه ** بمقلته السودا ووجنته الحمرا

له لحية مقصوصة من جذورها ** تترجم عنه أن فى نفسه أمرا

---

(١) راجع اعلام الادب والفن الاستاذ أدهم الجندى جـ ٢ ص ٣٤٢ .

وفى هجاء الأفغانى يقــول :

لقد كان تنورا لطوفـان غيهــم ** ولكن محل الماء فار لهم جمــرا

لقد جعل من الأفغانى طوفان الضلال على حد تعبيره كالتنور الذى حصل منه طوفان نوح عليه السلام ، أما طوفان الأفغانى فقد كان جمرا ونارا ، وطوفان التنور كان ماء . وهو يصف جماعة الأفغانى بالفساد مقابلة مع دعوتهم للاصــلاح وفى هجائه لمحمد عبده يتخذ من لدن بشرته السمراء صورة لهجائه أيضا حيــث يقــول :

لهم شيخ سوء من بنى القبط أصلــه ** بسحنته الشوهاء نسبته تقــرا

الملاحظة الثانيــة :

انه يدعم رأيه بالحجة والأدلة الشرعية وكأنه يعطى لنفسه مسوغا شرعيــا لهجائه يتفق مع شخصيته الدينية الملتزمة فجماعة الأفغانى التى تنادى باصــلاح الاسلام وسموا أنفسهم المصلحين . هجمهم النبهانى من واقع دينى يتضح فـى قوله تعالى " واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا : انما نحن مصلحــون الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون[1] ، ويفسر النبهانى هذه الآيــة ويورد الأدلة على أنهم هم المقصودون بها ، ولذلك يرى مقاومتهم وهجاءهــم واجبا عليه وذلك حيث يقــول :

وقد جاء فى القرآن ذكـر فسادهــم ** وزعمهم الاصلاح فى السورة الزهــرا
وفى دره المنثور سلمان قائـــــل ** هم بعد لم يأتوا فخسرا لهم خسرا
وها هم أتونا مثل ما قال ربنــــا ** بأوصافهم فأعجب لها آية كبــرى
خوارج لكن شيخهم غيـر نافـــع ** ولكنه قد كان أزرق مغبــــرا

---

(١) البقرة آية ١٢ ـ ١٣

يقول النبهانى موضحا هذا البيت خوارج ـ أى : مثل الخوارج الذين خرجوا على سيدنا على وغيره من أئمة الاسلام السابقين غير أن أولئك الخوارج كان من رؤسائهم نافع بن الازرق وهؤلاء شيخهم فيو نافع ففى نافع تورية وكذلك فى أزرق ، والمراد بالازرق شديد السمرة مع الغبرة ، وهكذا كان لون جمال الدين الافغانى ومحمد عبده المصرى -- يصلح أن يطلق على كل واحد منهم الأسود السالخ وهو اسم الحية (١) .

وكذلك يستند النبهانى على الحديث فى هجومه اذ يعدهم خوارج فيقول فى قصيدته :

وقد جاء فى الأخبار وصف مروقهم ** من الدين مثل السهم للجهة الأخرى

يقول النبهانى موضحا هذا البيت بعد أن أورد قول الرسول صلى الله عليه وسلم " يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية " وهؤلاء خوارج هذا الزمان فانهم خرجوا على أئمة الاسلام أصحاب المذاهب الأربعة وخالفوهم فى الأحكام كما أن أولئك خرجوا أيضا على أمراء المؤمنين وخالفوا أئمة الدين وهؤلاء لم يكتفوا حتى دعوا ـ باسم الاجتهاد ـ صبيان المدارس لرفض المذاهب الأربعة والاستهانة بأئمة الدين وعلماء المسلمين أحياء وأمواتا ، فصار التلميذ يخرج من المدرسة وهو يبغض أئمة الاسلام وما ينسب اليهم من الأحكام (٢) .

كما أن الشيخ النبهانى كان يتخذ من الحديث الشريف الذى يقول " لتتبعن سنن من قبلكم .... الخ " شاهدا لاثبات وجه الشبه بين جماعة الأفغانى والبروتستانت اذ كلاهما دعا الى اصلاح دينه ، ويقول النبهانى :

بفضل البروستنت اقتدوا باجتهادهم ** لقول رسول الله : " لو دخلوا جحرا "

فهو لذلك يعد شذوذهم وخروجهم صحيحا ومطابقا لما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم -- يقول النبهانى :

---

(١) الديوان ص ٣٥٧ الهامش .

(٢) الديوان ص ٣٥٧ الهامش .

فلله در المصطفى سيد الورى ** فقد طابقت أخباره كلها الخبرا

كما أنه يتخذ من تقصيرهم فى الفرائض ـ على حد تعبيره ـ وسيلة لهجائهم حيث يقول :

وأخبرنى من لا أشك بصدقه ** بأن قد رأى من بال منهم بلا استبرا
ولازمه حتى أتى بعد مسجدا ** فصلى ولم يحدث من الحدث الطهرا
وآخر منهم قد أقام صلاته ** بدون اغتسال مع جنابته الكبرى

وهو أيضا يأخذ على محمد عبده معاشرته لنساء النصارى ويتهمه بشرب الخمر وأكل المنخنقة وتحليل لبس البرانيط والربا ، وعدم الحج الى بيت الله الحرام وعدم المواظبة على الصلاة ويذكر اجتماعه به فى لبنان وعدم قيامه للصلاة بلا عذر شرعى .. يقول النبهانى :

يعاشر نسوان النصارى ولا يرى ** بذلك من باس وان كشف الستر
ويأكل معهم كل ما يأكلونه ** ويشربها حمراء ان شاء أو صفرا
ويفتى بحل المسكرات جميعها ** اذا هى بالأسماء خالفت الخمرا
ويأكل مخنوقا ويفتى بحله ** لئلا يقولوا انه ارتكب الوزرا
وتحليله لبس البرانيط والربا ** به بعض أهل العلم قد ألحق الكفرا

ويقول أيضا :

وقد كنت فى لبنان يوما صحبته ** لقرب غروب الشمس من ضحوة كبرى
وصليت فرض الظهر والعصر بعده ** لديه وما صلى هو الظهر والعصرا
وكان صحيح الجسم لا عذر عنده ** بلى ان ضعف الدين كان له عذرا

يقول الشيخ النبهانى موضحا " قد دعانى رجل من أهل جبل لبنان سنة خمس وثلاثمائة والف من الهجرة الى بيته فتوجهت معه فوجدت هناك الشيخ محمد عبده فتصاحبنا من الصباح الى المساء لم أفارقه نهارا كاملا فصليت الظهر والعصر وهو لم يصل ظهرا ولا عصرا ولم يكن به علة ولا عذر له الا خوفه من أنه اذا صلى بحضور يقول أولئك الحاضرون الذين كان لا يصلى أمامهم انه مراء فى هذه الصلاة لأجلى

فغلب عليه شيطانه وأصر على عدم الصلاة والا فقد بلغنى عنه أنه كان يصلى تارة ويترك تارة والترك أكثر[١] .

ويخبر أحد الناس الشيخ النبهانى بأنه رأى الشيخ محمد عبده فى النوم أعور فيفسرها النبهانى على أن محمد عبده كان دجالا فى حياته حيث يقول :

حكى حسن الأسطوانى وهو من ** بدور الهدى فى الشام اكرم به بدرا
حكى أنه من بعد ما مات عبده ** رأى عينه فى النوم مطموسة عورا
فأولت أن الشيخ دجال عصره ** ومازال دجالا وان سكن القبرا
فقد مات لكن أحيت الدجل كتبه ** وورث كلا من تلاميذه قدرا

يقول الشيخ النبهانى موضحا ذلك : " أخبرنى العالم العامل الصوفى الكامل الشيخ حسن أفندى الأسطوانى خطيب الجامع الأموى فى دمشق الشام وهو من المداومين على حج بيت الله الحرام وزيارة النبى صلى الله عليه وسلم فى كل عام بأنه رأى فى منامه الشيخ محمد عبده بعد وفاته أعور العين ففسرت رؤياه بأن ذلك لكونه من أعظم الممهدين فى هذا العصر للأعور الدجال[٢] .

هكذا يتبين لنا أن الشيخ النبهانى يلتمس أى سبب لادانة محمد عبده ومدرسته وفى هجائه للسيد رشيد رضا يتخذ من المظهر الدينى أساسا فى هجائه فهو يرى لحية الشيخ رشيد رضا قصيرة فيتخذها سببا للهجاء حيث يقول :

له لحية مقصوصة من جذورها ** تترجم عنه أن فى نفسه أمرا

وكذلك يذكر النبهانى أن رشيد رضا قد ضرب وطرد من جامع سيدنا الحسين فى مصر حيث يقول :

فكم ذا أراد النصب فى درس جامع ** فأولاه أرباب التقى الخفق والجرا

---

(١) الديوان ص ٣٧١ الهامش .
(٢) الديوان ص ٣٧٣ الهامش .

وكذلك فى خطبة رشيد رضا فى أحد كنائس مصر حيث يقول :

وكم قام يتلو فى الكنيسة خطبة ** بها ناب عن قس وعانقه جهرا

ويرى الشيخ النبهانى رشيد رضا فى المنام أسود اللون فيتخذ هذا أيضا وسيلة لهجائه يقول النبهانى :

ووالله انى فى المنام رأيته ** بدا حبشى اللون أسود مغبرا
رأيت سواد اللون قد عم وجهه ** وعهدى به من قبل أبيض محمرا
وأدركت فى رؤياى أن مناره ** عليه غدا نارا ونال به الخسرا
فذاك الذى من أجله أسود وجهه ** فأصبح فحما كان من قبله جمرا

يقول النبهانى معقبا : " قد رأيت فى منامى منذ سنوات الشيخ رشيد رضا هذا وهو أسود اللون بلون الحبشى وعرفت وأنا فى المنام أن هذا من الغضب الالهى عليه وأنه حصل له بسبب جريدة المنار فنصحته فى المنام أن يتركها وقلت له تقدر أن تستفيد ما تستفيده منها من الدنيا بجريدة اخبارية تنشئها عوضا عنها فلم يرد علىّ جوابا فى المنام ثم استيقظت وجاء الى بيروت بعد سنوات فى رؤياى هذه فأخبرته بها فما أثرت فيه شيئا " .

وكذلك يرتكز النبهانى فى هجائه لرشيد رضا والنظار اليه حيث يقول :

ومنه حديث الشمس بعد غروبها ** فتسجد تحت العرش تستأذن السيرا
بآخر شهر الصوم فى عام سبعة ** وعشرين قد أبدى المنار له ذكرا
رواه الامامان البخارى ومسلم ** فصحته كالشمس قد طلعت ظهرا
وما شك فى صدق الحديث وانما ** رأى خبر المختار ما طابق الخبرا(١)
وصرح فيه أنه غير واقع ** وأن رسول الله لم يعرف الأمرا
فهل بعد ذا التكذيب يحتاج كفره ** لاثباته بين الورى حجة أخرى

وكذلك من المآخذ التى أخذها على رشيد رضا سماحه لأولاد المسلمين بالتعلم فى مدارس النصارى يقول النبهانى :

---

(١) الخبر بالضم العلم بالشىء

وفي جزء شعبان من المنار نفسه ** ببيروت للاسلام قد جوز الكفرا
أباح لهم أن يحبدوا في كنيسة ** عبادة أهليها بمدرسة كبرى

كما اتخذ من طرد رشيد رضا وضربه في الشام وطرابلس ومصر طريقا لهجائه حيث يقول مهيبا بأهل مصر ان يطردوه من بلادهم كأهل الشام حيث يقول :

ألا غيرة كالشام أشكركم بها ** فلست أؤدى ما حييت لهم شكرا
طرابلس من غيظها بسمت له ** كما أظهر الضرغام من غيظه البشرا

ويقول أيضا :

وجاء دمشق الشام من بعد يختفي ** دراسة شوك قد توهمه بسرا

الى أن يقول :

جزا الله أهل الشام خير جزائه ** وتاب على من تابعوا ذلك العيرا(١)
وجاء الى حمص فخاب وأرسلت ** اليه حماة ان أتو أرضها النذرا
فعاد الى مثواه في قلمونه ** ومن خوفه كالضب قد لزم الجحرا

كما اتخذ النبهاني من دخول جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده الماسونية ومن تركه للصلاة وعدم حجه الى بيت الله الحرام طريقا لهجاء رشيد رضا .

يقول الشيخ النبهاني :

ولكنكم مع تركه الحج مرة ** وحج لباريز ولندرة عشرا
ومع تركه فرض الصلاة ولم يكن ** يسر بذا بل كان يتركها جهرا
ومع كونه شيخ المسون مجاهرا ** بذلك لا يخفى أخوتهم سرا
ومع غير هذا من ضلالاته التي ** بها سار مثل السهم للجهة الأخرى
تقولون استاذ امام لديننا ** فما أكذب الدعوى وما أقبح الأمرا

وفي هجائه لمحمود شكري الألوسي لم يجد الشيخ النبهاني سببا دينيا يهجوه به فأتخذ من كون أعامه وجده وهابية سببا لهجائه حيث يقول :

---

(١) العير الحمار .

ولم ينفرد شذاذ مذهب أحمـــد ** فقد ضل قوم من مذاهبنا الأخرى
كشكرى الألوسى تابعا اثر جـده ** وأعمامه لكنهم آثروا الستـرا[١]

كما فاضل الشيخ النبهانى بين كتابه " شواهد الحق فى الاستغاثة بسيد الخلق صلى الله عليه وسلم " وبين كتاب محمود شكرى الألوسى " غاية الأمانى فى الرد على النبهانى " بمن قرظ كل كتاب منهما حيث يقول النبهانى :

وقرظ قولى عدما تم طبعـه ** مشايخ اسلام الشريعة فى مصـرا
وقرظ سفر السوء بالـزور أهلـه ** ومن كان عن سبل الشريعة مـزورا[١]

فقد قرظ كتاب النبهانى من شيوخ الازهر الشيخ على محمد الببلاوى والشيخ عبد الرحمن الشربينى ومفتى الديار المصرية الشيخ عبد القادر الرافعى والشيخ بكرى محمد عاشور الصدفى مفتى الديار المصرية أيضا وغيرهم من العلماء وقرظ كتاب محمود شكرى الألوسى كل من أبى العباس البنجابى وعبد الودود بن محسن وعبد الله السلامى ومحمد الحجازى • واحمد الفرجى • وغيرهم[٢] • ولكن الشيخ النبهانى لم يعترف بهذه الأسماء وعدها وهمية للترويج للكتاب • حيث يقول " اما كتابه فقد قرظه هيان بن بيان والحارث بن همام وان كان لا بد من وجود أشخاص لتلك الأسماء المجهولة فهم من أعداء دين الاسلام[٣] •

كما استطاع الشيخ النبهانى أن ينتزع صورة هجائية للألوسى لكونه من الأشراف حيث شكك النبهانى فى صحة نسبه واتهم أمه فيه لأنه عادى النبهانى لاكثاره من مدح جده الرسول صلى الله عليه وسلم حيث يقول النبهانى :

وهلا عفا لذنـب بزعمـه ** لخدمتنا روح الوجود أبا الزهـرا[٤]
فلو كان من نسل المجوس غذرتـه ** وقلت امرؤ يبغى لأجداده ثـأرا

---

(١) الديوان ص ٣٩٣ ـ ٣٩٤ •
(٢) راجع غاية الامانى فى الرد على النبهانى ج ٢ ص ٣٧٨ ـ ٣٨٦ •
(٣) الديوان ص ٣٩٤ الهامش •
(٤) روح الوجود من حيث ان كل شئ العرش بما حواه وكل ما خلق الله مخلوق من نوره صلى الله عليه وسلم فنوره سار فى جميع العوالم فهو بمنزلة الروح لها عليه الصلاة والسلام •

ولكن نراه يدعى خير نسبــــه ** وأم الفتى منه بنسبته أدرى
فمن ذا رأى فى الناس شخصا مواليا ** لقوم يرون الحب فى جده كفــرا[١]
اذن نحن فى شك من النسب الذى ** يقول وفيه الشك نحصره حصـرا[٢]

هكذا يستمد النبهانى معانى هجائه من مواقف الخصم الدينية التى وجدها تثير اهتمامه وهذا ما نفهمه من قولــه :

فلو كان من نسل المجوس غدرتــه ** وقلت امرؤ يمضى لأجداده ثـأرا

المـلاحظة الثالثة :

ان الشيخ النبهانى كان يستمد هجائه من صور محسوسة واضحة تكاد تلمس مما يجعل وقعها أكثر ايلاما لسرعة فهمها مثل قوله فى هجاء جمال الدين الأفغانى :

تسمى جمال الدين مع قبح فعلــه ** كما وضعوا لفظ المفـازة للصحـرا

وقولــه :

لقد كان تنورا لطوفــان غيهــم ** ولكن محل الماء فـار لهم جمـرا

وقولــه :

كفئران قصر أفسدت فيه جهدهـا ** ترى نفسها قد أصلحت ذلك القصرا

وقولــه :

فما قط شاهدنا حمارا مسابقـا ** جوادا وتيسا صارع الليث والنمـرا[٣]

---

(١) من مذهب الوهابية تكفير المستغيثين بالنبى صلى الله عليه وسلم لله تعالى فى قضاء حاجاتهم ومثله فى ذلك غيره من الانبياء وهذا المراد بقولى يرون الحب أى الافراط فيه بزعمهم . الديوان ص ٣٩٢ الهامش .

(٢) الديـوان ص ٣٩٢ .

(٣) نبهنا فى هامش ص ٤١٣ ان هذا التعبير خطأ ، والصواب : " ولا تيسا " . ولكنها ضرورة الشعر فيما يظهر .

وقولـــــه :

لقد اخطأوا أين الثريا من الثـــرى ** وما لبغاث الطير أن يشبه النســـرا

وقولـــه :

معادن سوء يتقى المرء شرهـــم ** يجاملهم جهرا ويلعنهم ســـرا
ذئاب على الاسلام صالوا وما اكتفـــوا ** بأنيابهم حتى به انشبوا الظفـــرا
مقاريض اعراض بألسنـة لهـــــم ** حداد بها قد أشبهوا الجرذ والفأرا
لهم أوجه كالصخر مثل قلوبهـــــم ** ولكن بها ماء الحيا ما له مجـــرى
ففى كل وجه قد بدا من ظلامـــه ** دخان يرينا أن فى وجهه جمـــرا
مجاذيم من داء الضلالة كلهـــم ** فما أحد من دائه أبدا يبـــرا
تجارت بهم أهواؤهم كالذى جـــرى ** به كلب يحدى اذا نهش الغيـــرا
كأسنان مشط كلهم فى ضلالهـــم ** فلا أحد يبدى على أحد فخـــرا

وقوله فى هجاء محمد عبده :

فنون جنون الجاهليـــن كثيـــرة ** وأقبحها قرد يرى نفسه بـــدرا
لسان له كالثور لـــف نباتــــه ** ولكنه بالجهل قد غلب الثـــورا
فلم نـــر ثورا زاحم الأسد قبلـــه ** ولا حدأة من قبله زاحمت نســـرا

وقولـــه :

بها باض بيضا كان ابليس حاضنـــا ** له فصحت أفراخه تتبع الاثـــرا

وقولـــه :

به برزت حسناء فى شـــر منبـــت ** كما نبتت فى الدمنة البقلة الخضـــرا

وقولـــه :

فمن قال كالكلب العقور فصادق ** سوى أنه فى الدين قد فصل العقـــرا
به نالهم كالسامرية فتنـــــة ** ولكن محل العجل قد عبدوا الثورا

وقوله فى هجاء رشيد رضا :

طرابلس من غيظهـا بسمت لـــه ** كما أظهر الضرغام من غيظه البشـرا
وقد برقت كالسيف أرجاؤها لـــه ** فجاءته بعد البرق صاعقة كبــرى
وأدماه منه فتكـــة عربيــة ** أراد بها ذاك الهزبر له زجــرا
أراد بها ارغامه لاحامـــه ** كما أرغم الليث الغضنفـر سنـورا
فلما علا فى السامعين جـــؤاره ** وشاهد أسد الدين هاجت به قـرا

وقولـــه :

فعاد الى مثـواه فى قلمونـــه ** ومن خوفه كالضب قد لزم الجحـرا

وقولـــه :

ومن نحو عام جاءنى فنصحتـــه ** كما تنصح الثعبان أو تنصح الفـأرا

وقولـــه :

ثلاث أثاف تحتها نـار فتنـــة ** ومن فوقها الالحاد صار له قـدرا

لم تكن الصور المحسوسة وحدها هى التى استمد النبهانى منها هجاءه بـل هناك صور معنوية كثيرة مزجها بالتعاليم الدينية المخالفة لآراء خصومـــه كقولـه فى هجاء جمال الدين الأفغانى :

وكم من قرون قد توالت ولـم تجـــل ** بدعوى اجتهاد مطلق عالم فكـرا
فكيف ادعاه الجاهلون بعصرنـــا ** فما أقبح الدعوى وما أفظع الأمـرا
وأولهم قد كان شيخـا مشـــردا ** بد ملك الأفغان أجرى الذى أجرى
أراد فسادا فى ديانـة قومـــه ** طوى قربه منه فأبعده قهـــرا

فقد صنع لنا النبهانى صورة هجاء معنوية من الجهل للذين يدعون الاجتهـاد فى عصرنا مع عدم ادعائه طيلة قرون طويلة من علماء كبار ، ووضع صورة أخرى مـــن التشرد والضياع للأفغانى الذى أراد افساد قومه بالاجتهاد فيه فطردوه ٠

أسر لهم محو المذاهب كلهــا ** ليرجع هذا الدين فى زعمه بكــرا
فلم يلف منهم غير خل موافــق ** سميع له قولا مطيع له أمــرا

وقولــه أيضــا :

فساق على الاسلام منهــم جحافــلا ** يرى فرقة سارت فيتبعها أخــرى
شياطين بين المسلمين تفرقــوا ** باغوائهم كم أفسدوا جاهلا غمــرا

فقد صور اقناع الأفغانى تلاميذه بمبدئه بالشياطين-الاجتهاد المطلــق-وهم طائعون له ، ثم انتشارهم فى البلاد وانتشار دعاتهم الذين ينتشرون بيـن المسلمين لاغوائهم .

والصور المعنوية كثيـرة فى هجاء النبهانى وهى مع دقتها وعمقها واضحة ومفهومــة .

ط-مدح نعال الرسول صلى الله عليه وسلم :

مدح الشيخ يوسف النبهانى نعال الرسول صلى الله عليه وسلم فقال :

على رأس هذا الكون نعـــل محمــد ** علت فجميع الخلــق تحت ظلالــه
لدى الطور موسى نودى اخلع وأحمــد ** على العرش لم يؤذن بخلع نعالــه[1]

وقد عقب النبهانى على البيت الأخير فقال : ذكر بعض الصوفية أن النبــى صلى الله عليه وسلم علا على العرش بنعله ونقله عنه سيدى على الأجهورى فــى معراجه ولم يثبت ذلك عند غيرهم[2] .

وقال فى مدح النعال أيضــا :

انى خدمت مثال نعــل المصطفى ** لأعيش فى الدارين تحت ظلالهــا
سعد ابن مسعود بخدمة نعلــه ** وأنا السعيد بخدمتى لمثالهــا[3]

---

(١) الديوان ص ١٣٧ .
(٢) المصدر السابق الهامش .
(٣) المصدر السابق .

وقد عقب الشيخ النبهانى على البيت الأول فقال " خدمت مثال نعله الشريف صلى الله عليه وسلم بأن صورته بالنحاس على أصح مثال من الأمثلة السبعة التى ذكرها العلامة المقرى فى " فتح المتعال فى وصف النعال " وطبعت عليه أربعين ألف نسخة ووزعتها مجانا ، وذلك بعد أن ذكرت معه فوائد كثيرة تتعلق به ، ثم انى اختصرت كتاب " فتح المتعال " وقد تيسر لى منه عدة نسخ كل واحدة فيها الزيادات على الأخرى فضمت زوائد الجميع مع الفوائد الأصلية فى مختصر أنفع من أصله وذكرته بأجمعه فى كتاب جواهر البحار فى فضائل النبى المختار صلى الله عليه وسلم (١) .

وقال أيضا :

مثال حكى نعلا لأفضل مرسل ** تمنت مقام الترب منه الفراقد (٢)
ضرائرها السبع السماوات كلها ** غيارى وتيجان الملوك حواسد (٣)

وقال أيضا :

مثال لنعل المصطفى ماله مثل ** لروحى به راح لعينى به كحل
فأكرم به تمثال نعل كريمة ** لها كل رأس ودلو أنه رجل

وقال أيضا :

ولما رأيت الدهر قد حارب الورى ** جعلت لنفسى نعل سيدنا حصنا
تحصنت منه فى بديع مثالها ** بسور منيع نلت فى ظله الأمنا (٤)

---

(١) المصدر السابق . راجع جواهر البحار جـ ٣ ص ٢٤٦ .
(٢) الفراقد والنجوم .
(٣) الديوان ص ١٣٧ .
(٤) المصدر السابق .

ى ـ مدح الشيخ محي الدين بن العربي :

ذكر الشيخ النبهاني هذه القصيدة في ديوانه مع أنه قصره على المدائح النبوية اجلالا للشيخ محيي الدين بن العربي وبهذا ذكرت هذه القصيدة من ضمن الأغراض الدينيــــة .

بلغت ص ٤٧٢

والقصيدة بلغت واحدا وثلاثين بيتا . يقول الشيخ النبهاني :

يا نسيما سرى الـى قاسيونـــــا ** حي حبـرا بسفحه مدفونـــــا(١)
حي عني بالصالحيـــة بحـــرا ** ملأ الكون لؤلؤا مكنونـــــا(٢)
حي عني شمسا هنالك صينت ** طبق الشام نورهـا والصينـــا
هي تحت الثرى بجلـق غابــت ** وعلى نورهـا لعلييـــــــنا
ذلك الحاتمي مولاي محيي الديــــــن أكرم بـه اماما أمينـــــا
فاز من فتح ربـه بعلـــــوم ** عرفتـه الأكوان والتكوينــــا
رب قوم لم يعرفـوه فعاشـــوا ** عن سنا فضله المنيـر عمينا(٣)
مثل ناموسة تريـد لشمس الشمـــس سترا عن أعين الناظرينـــا
كل فرد من كتبه خيـر كنــز ** بين أهليـه لا يـزال مصونــا
في فتوحاتـه الفتـوح فمنهـــا ** كم ولي قد نال فتحـا مبينــا
غير أن الأبواب فيهـا انغـلاق ** ومفاتيحها هـم العارفونـــا
ان تكن عارفـا فبـادر اليهـا ** تلق فيها ما شئت دنيـا ودينـا
واذا جئتها بغيـر دليـــل ** عدت في شر صفقـة مغبونـا
ألف فن في كل سطـر وزدهـا ** شئت عدا فلست تحصي الفنونـا
هي ليست تأليـف فكر ولكـن ** واردات للمتقيـن جبينـا
أحمد الله أن حبانـي حبـا ** واعتقادا بسادتي العارفينـا

---

(١) قاسيون جبل في دمشق الشام في سفحه بلدة الصالحية وفيها قبر سيدنا محي الدين ابن العربي رضي الله عنه ، وقد تقدمت القصيدة ص ٤٤٩ .

(٢) المكنون المستـور .

(٣) القوم أي ابن تيمية (ومقلديه) حيث طبع رشيد رضا كتاب " الفرقان بين أوليـاء الرحمن وأولياء الشيطان " .

رضى الله والنبى وأهل الحق هم ومن بهم يقتدونا
فاقصدوهم ولو بشد رحال ** وارتحال يا أيها الزائرونا
واستغيثوا بهم الى الله وادعوا ** ودعوا الفاسقين والمارقينا
فهم خير معشر عرف الله ** فكانوا لخلقه مرشدينا (1)

تصدير كتبه بالشعر :

نهج الشيخ النبهانى على تصدير معظم مؤلفاته بشىء من شعره عن موضوع الكتاب . فقد صدر كتابه " سعادة الدارين " فقال :

كتاب " سعادة الدارين " سفر ** بديع هو بين الكتب مثلا (2)
وجدناه كتابا مستطابا ** اتى لرشادنا أهلا وسهلا (3)
أحاديث عن المختار تروى ** وآيات عن الرحمن تتلى
وأقوال الى العلماء تعزى ** بدت كعرائس بالحسن تجلى (4)
حوى فضل الصلاة على نبى ** عليه الله فى القرآن صلى
فبين حكمها فرضا ونفلا ** وفصل نفعها نقلا وعقلا
به خير الأمانى والأمالى ** فرائد لن تمن ولن تملا
أرانا المصطفى منا قريبا ** وسهل للوصول اليه سبلا
هو الكنز المباح لمن أتاه ** عليه لم نضع رصدا وقفلا (5)

---

(1) الديوان ص ٤١٩ ـ ٤٢١
(2) السفر الكتاب الكبير
(3) أهلا وسهلا أى ذو اهلية وسهولة وفيه تورية بكلمات الترحيب
(4) تعزى تنسب
(5) رصدة راقبه والرصد الحافظ الديوان ص ١٣١

وصدر كتابه "حجة الله على العالمين فى معجزات سيد المرسلين" فقال :

كتاب تسمى " حجة الله " من وعى ** مسماه فهما يلفه طابق الاسما
أتى جامعا من معجزات محمد ** نبى الهدى خير الورى عددا جما
نجوم بأفق الدين كم ذا اهتدى بها ** بصيروكم أودى ولم يرها أعمى (١)
ومعجزة القرآن كالشمس أشرقت ** ودامت وسارت عت العرب والعجما
هو الحجة الكبرى على كل جاحد ** نبوة خير الخلق والآية العظمى (٢)
ورب امرئ من نوره متضرر ** يرى الشرك والخفاش تعجبه الظلما
ووالله لولا الله قاض على الورى ** قضاء بعدل وافق القدر الحتما (٣)
لما اختار ذو عقل سوى دين أحمد ** ولكن قضاء الله فى خلقه تما (٤)

وصدر كتابه "جواهر البحار فى فضائل النبى المختار" فقال :

للمصطفى نصبت للمجد رايات ** من تحتها الخلق أحياء وأموات
روح الوجود مدد الخلق قاطبة ** لو زال لحظة عين منهم ماتوا
لا تعجبن لكفار به جهلوا ** أما بأرواحهم منهم جهالات
نور الورى فى جميع الكائنات سرى ** مصباحها وهى للمصباح مشكاة (٥)

---

(١) الافق ناحية السماء .

(٢) الاية المعجزة .

(٣) قال من لسان العرب القضاء الخلق والقدر التقدير وهما امران متلازمان لا ينفك احدهما عن الاخر لان أحدهما بمنزلة الاساس وهو القدر الاخر بمنزلة البناء وهو القضاء .

(٤) الديوان ص ١٣٠ .

(٥) المشكاة : كوة فيها المصابيح .

سقى جميع البرايا نور فطرتهم ** فنوعته لديها القابليات(١)

لا غرو أن صار نارا بالجمود نقد ** تغير الوصف فى الشىء استحالات

مثاله الماء أنواع النبات سقى ** الحلو منها ومنها الحنظليات

صفاته فى العلا ما مثلها صفة ** وذاته فى الورى ما مثلها ذات

له المعارج فى الدنيا لها خضعت ** كل المعالى وفى الأخرى الشفاعات(٢)

ماذا أقول به من بعد ماوردت ** فى مدحه من كلام الله آيات

وكل أمداحنا مهما علت وغلت ** فانما هى اخبار صحيحات

نحكى به حالة من فضله ثبتت ** بقدر ما ساعدت منه العنايات

وخير أوصافه عبد الاله وان ** تمت لديه على الخلق السيادات(٣)

وهكذا فعل مع الكتب الأخرى حتى ديوان " العقود اللؤلؤية فى المدائح النبوية " حيث صدره بهذه الابيات :

ذا كتاب جمع الفضل وان ** كان كالنجم بعينهم صغيرا

من مزايا المصطفى شمس الهدى ** أفقه أطلع للناس بدورا

واذا حققتها تلقاه فى ** واحد منها على الخلق أميرا

قل به ما شئت من مدح ولا ** تخف اللوم ولا تخشى النكيرا

فجميع المدح من كل الورى ** لو أتى فى حقه كان قصورا(٤)

---

(١) الفطرة الخلقة وفى الحديث كل مولود يولد على الفطرة قيل معناه الفطرة الاسلامية والدين الحق وانما أبواه يهودانه وينصرانه .

(٢) عرج يقظة بجسمه وروحه مرة وتكررت المعاريج بروحه الشريفة مناما صلى الله عليه وسلم .

(٣) الديوان ص ١٢٩ ـ ١٣٠ .

(٤) الديوان ص ١١ .

الأغراض الدينية لشعره :

قال الشيخ النبهاني الشعر لأغراض غير دينية وهذا أمر طبيعي لان الشاعر الذى يعيش فى مجتمعه لابد أن يعبر عما يحسه ويجده من مجتمعه فيكون شعره معيار تأثره بالمجتمع سلبا أو ايجابا . ولكن الشيخ النبهاني اهمل هذا الجانب فى شعره ولم يصلنا منه الا النزر القليل . ذلك انه تنسك فى الشطر الاكبر من حياته ووقف طمه وأدبه على الرسول عليه الصلاة والسلام ولم يكتف بهذا بل عمل على طمس كل ماقاله سابقا فى غير الاغراض الدينية .

وقد حدثني الاستاذ أمين النبهاني فى دمشق قال :

كان الشيخ عبد الهادى عبد الهادى راوية شعر الشيخ يوسف النبهاني يداعب الشيخ يوسف بأن يذكره ببعض ماقاله فى الغزل أو الطبيعة أو الخمرة فغضب الشيخ يوسف وقال " ياشيخ عبد الهادى أنا لا أسامح كل من يروى لى شعرا بغير مدح الرسول صلى الله عليه وسلم "فقال الشيخ عبد الهادى لو لم يكن لك لاقولك فى الخمرة :

وان شئت فأشدخ رأسها بابن مزنة   تريك دموعا مثل در القلائد

لكنت أشعر العرب .

لم أجد لهذه الظاهرة شبها عند شاعر أو أديب آخر فهناك من الأدباء من ضن بكتبه على أهل زمانه الذين لم يقدروه فأحرقها كأبى حيان التوحيدى الذى يقول عنه الدكتور شوقى ضيف " ...... اذ كان يعانى غربة فى أهل زمانه ولم يجد من بينهم من يعرف فضله ويقدره حق قدره ... وقد بلغ من سخطه على الناس أن احرق كتبه فى أواخر حياته وكتب اليه بعض أصحابه يعذله على صنيعه. فأجابه برسالة ومن قوله فيها .

" انى فقدت ولدا نجيبا وصديقا حبيبا وصاحبا قريبا وتابعا أديبا ورئيسا منيبا فشق على أن أدعها لقوم يتلاعبون بها ويدنسون عرضى اذا نظروا فيها ... وعيانى بهم فى الحياة هو مايحقق ظنى فيهم بعد الممات وكيف أتركها لأناس جاورتهم عشرين سنة فما صح لى من أحد وداد ولا ظهر لى من انسان منهم حفاظ. ولقد اضطررت بينهم بعد الشهرة والمعرفة فى أوقات كثيرة الى أكل الخضر فى الصحراء والى التكفف الفاضح عند الخاصة والعامة

والى بيع الدين والمروءة والى تعاطى الرياء والنفاق ، والى ما لا يحسن أن يرسم بالقلم ويطرح فى قلب صاحبه الالم[1] .

ولكن ابن حيان مع هذا يختلف مع النبهانى اذ أن النبهانى لم يتلف جميع مؤلفاته وشعره بل اقتصر على شعره الذى قاله فى غير مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وهو لم يتلفه لأنه لم يجد رواجا بين الناس فى وقته فقد استطاع النبهانى ان يحصل على الرتب العالية فى الدولة بمدحه لبعض الشخصيات المرموقة كمدحه لابى الهدى الصيادى وأحمد عزت باشا العابد وقصيدته التى مدح بها أحمد عزت باشا العابد "عنوان التهانى ببلوغ الامانى" والتى طبعت منفصله وحدها على طبق من الورق كبير وقد زخرفت بجوانبها وما بين الشطرين بزخارف مشجرة جميلة يبدو لى أنها كانت تعلق فى البيوت كما تعلق الان صور الملوك والرؤساء مما يصدق قول شكيب أرسلان فى النبهانى اذ يقول ((كان من رؤس الادباء ومن الشعراء المفلقين وله القصائد الطنانة التى يحفظ الناس كثيرا منها وله يتأتم سائره فى الافاق[2] .

اذن لم يتلف النبهانى شعره لكساده كما فعل الآخرون بل انه قد اخلص التوجه لله ونذر نفسه لخدمة دينه ومدح حبيبه صلى الله عليه وسلم مما يدل على صدقه العاطفى وخلوص نيته لخدمة الاسلام والمسلمين وقد ذكرلنا النبهانى شيئا من حاله فى كتابه أسباب التأليف من العاجز الضعيف" فقال " اعلم أنه قد سبق منى قصائد مدحت بها بعض الاكابر من أهل العصر ولم أدونها لانى ان لم أكن آثما بها فلا أحسبها من أعمال البر وكان الحامل عليها الدنيا لا الدين فى استعطاف بعض أكابر المسلمين لقضاء حاجاتى ومساعدتى فى مهماتى ولم آخذ من أحدهم جائزة على شئ من ذلك ولست بحمد الله ممن يتخذون الشعر صنعه ويأخذ عليها الجوائز ٠٠٠٠٠ فان قال قائل ان قصائدك التى ذكرت أنك مدحت بها بعض الاكابر ولم تلتزم فيها الصدق والحق سيئات لا حسنات فى صحيفة أعمالك مرقومة ومثالب لاتنقلب فى جملة آثارك مرسومة قلت نعم لو كان القصد منها وصف الممدوحين بحقيقة تلك الاوصاف لكان الامر كما ذكرت ولكن الشعر صنعه من أدق الصنائع والماهر فيه يجتهد بقدر حذقه

---

(١) الترجمة الشخصية للدكتور شوقى ضيف ص ٣٧ـ٣٩

(٢) كتاب السيد رشيد رضا ص ٧٧ الهامش

فى بهرجة الفاظه والمبالغة فى معانيه بقدر استطاعته يجتهد فى تحسين صنعته ليظهر المهارة والحذق لا ليخبر بالحق والصدق ومثل هذا يعفى عنه ان شاء الله ومع ذلك أقر واعترف بأنى لاورع عندى يحجزنى عن المحارم والشبهات ولو كان لما نظمت تلك القصائد فانى لو تحريت فيها الصدق فيما أصف به الممدوحين لكانت من أبرد الشعر وأركه اذ الشعر صنعه لايحسنها الا الكذب والمبالغات فيه فقد قيل أعذبه أكذبه الا أن يكون فى مدح الانبياء والاولياء والصالحين ولاسيما اذا كان فى مدح سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فانه مهما بالغ الشعراء لايصلون الى مايجب له عليه الصلاة والسلام ..... ولخوفى من تبعة تلك القصائد لم اجمعها فى ديوان كعادة الشعراء ولم أذكر شيئا منها فى كتاب من هذه المؤلفات الدينية التى اعدها ان تقبلها الله بفضله من الاعمال الصالحات غير أنى أرجو أن تكون من المباحات لا من الحسنات من السيآت وهى لاتتجاوز خمس عشر قصيدة سوى المقاطيع وكلها أو جلها طبعت كل واحدة منها وحدها ولم يكن شئ منها فى مدح أحد من الكفرة ولم أهج أحدا من المسلمين ولا غير المسلمين الا أن يكون ذلك من القصائد النبوية فى ذم أعدائه صلى الله عليه وسلم وقد ذكرت هذا البحث لئلا يسئ الظن بى من اطلع على شئ من تلك القصائد المطبوعة ومبالغاتى فيها بينهما من الاباطيل التى لاتقال والعثرات التى لاتقال فيقل اقباله على كتبى فيحرم خيرا كثيرا وأحرم انا الاجر الذى يترتب لى على انتفاعه بها[1] .

من هنا كان ديوانه لايساعدنا فى الكتابة عن أغراض شعره الغير الدينية . وقد وجدت منها بعض القصائد فى المكتبات الخاصة مثل مكتب الشيخ زهير الشاويش فى بيروت وجدت عنده قصيدة النبهانى التى مدح بها أحمد عزت باشا العابد (عنوان التهانى لبلوغ الامانى) .

وجدت قصيدتين بخط يد راوية شعره الشيخ عبدالهادى عبدالهادى فى مكتبة الاستاذ اكرم زعيتر سفير الاردن السابق فى بيروت ووجدت قصيدة مخطوطة فى كراسة لدى الاستاذ يحيى النبهانى فى دمشق موضوعها الحنين

---

(١) اسباب التاليف من العاجز الضعيف ص ٣٩٠ـ٣٩٣

الى الوطن ووجدت له قصيدتين فى مدح الاستاذ احمد فارس الشدياق صاحب الجوائب فى " كنز الرغائب فى منتخبات الجوائب " ووجدت قصيدة مخطوطة لدى الاستاذ خير الدين الزركلى (صاحب الاعلام) فى بيروت موجهة الى السلطان عبد العزيز يستمنحه عطايا ووجدت قصيدة مدح بها شكيب ارسلان معارضا قصيدته التى قالها فى مدح النبهانى ذكرها شكيب ارسلان فى كتابه السيد رشيد رضـــا .

أما القصائد الخمسة عشرة التى ذكرها النبهانى فلم أحصل منها الا على القصيدة التى وجدتها فى مكتبة الشيخ زهير الشاويش وهى " عنوان التهانى ببلوغ الامانى " فمن اهم أغراض هذا اللون من شعره .

المدح : يعد المديح فى شعر النبهانى الغرض الرئيس سواء فــى شعره الدينى او غير الدينــى ولا ينقص من قدر الشاعر ان يقول مديحا فى أحد العظماء لتمجيد أعماله .

يقول العقاد :

والذى نعتقده ان شعر المديح من أفضل المقاييس لقياس حال الامـــة والشاعر والادب فى وقت واحد فيخطىء من يظن أن الامم المترقية لاتمدح أو لا تقبل المدح فى الشعراء اذ المديح جائز فى كل أمة ومن كل شاعر فلا ضير على أعظم الشعراء ان يصوغ القصيد فى مدح عظيم يعجب به ويؤمن بمناقبـــه ولا ضير على الادب ان يشتمل على باب المديح بين أبوابه الكثيرة التى يعرفها الغربيون أو الشرقيون وانما الخلاف على نوع المديح لا فى موضوعه على اطلاقه فمديح الامم المتعلمة غير مديح الامم الجاهلة والشاعر الذى يملك امره يتبـــع فى مدحه اسلوبا غير الذى يتبعه شاعر مغلوب على أمره ومكانة الاديب فــى الامة تظهر أتم الظهور فى أساليب الشعراء فى هاتين الحالتين فلن يقـال ان للأدب مكانا فى الامة والشاعر مضطر فيها الى اذلال عقله وتسخير كرامته فى مديح لاتسيغه العقول ولا يليق بالرجل الحر المريد لما يقول ولن يقال ان الامة متعلمة والمبالغات الشعرية تؤخذ بمبلغ الجد والوقار وهى أقـرب الى الهزل والهجاء المستور لم يقال ان الامة حرة تشعر بوجودها وأنــت تقرأ مدائح شعرائها فلا ترى فيها ذكرا لغير الرؤساء ولا ترى فى الصفات

التي يمدحون بها صفة ترجع الى الامة وتعتمد على تقديرها أو تستفاد من خدمتها والعمل بمصلحتها (١) ٠

مما تقدم من كلام العقاد نفهم ان المدح في حد ذاته لاينقص من قيمة الشعر ولا الشاعر خصوصا اذا كان في المدح تمجيدا لاعمال البطولة من رجال الامة اما المبالغات فقد اعتذر عنها النبهاني في مدائحه لانها جاءت لاظهار الحذق في صناعة الشعر لا للاخبار بالحق والصدق وهذه قضية ثابتة لدى النقاد وقد قيل اعذب الشعر أكذبه ٠ والشخصيات التي مدحها النبهاني في شعره احتلت مراكز عاليه في الدولة وهم من العرب لذلك كانوا محط آمال الامة العربية لدى الدولة العثمانية ولم يكن بالأمر الغريب ان يلتجئ النبهاني الى وجهاء عصره فيمدحهم بقصائده لاطمعا فيما لهم بل في وظيفة تحقق طموحه وتيسر له العيش الشريف اولا ثم لحمايته من اعدائه الذين يخالفونه في آرائه التي لم يحد عنها على الرغم من المؤامرات التي سعت لابعاده عن بيروت او لعزله من وظيفته كما كان يشكو كثيرا ٠

يقول صاحب كتاب (عصر رجال) : (فما من شاعر الا وكان له قوى يلوذ به ويجرى عليه الرزق ويحميه كان شوقي شاعر القصر وكان حافظ في حماية محمد عبده ثم الوزير حشمت ثم بيت محمود باشا وأبنائه والاباظية ثم سعد والوفد فمن لم يجد من الشعراء من ينشر شعره ويروج له بقى خاملا وان كان شعره جيدا فنسيم ومحرم لم يذع شعرهما ذيوع شعر شوقي وحافظ لانه لم يكن لهما ماالشوقي من جاه وما كان عند حافظ من موهبه الحديث الممتع والفكاهة الخلابة وذرابة اللسان والميل الى المجتمعات مما فتح له أبواب البيوت الكبيرة وأكسبه عطف أصحابها وقد انعكس هذا كله على شعر هؤلاء فأنت تقع على قصائد لهم اقتضتها الظروف العابرة وميلهم الى تملق الاقوياء وترضى ذوى السلطان وتعجب كيف لم يلمهم الرأى العام عليها ويشتد في اللوم وكيف بقى صوتهم مسموعا واسمهم ذائعا وشعرهم مقروءا فقد مدح حافظ الانجليز ومدح شوقي اعوان الانجليز وعملاءهم من امثال مصطفى فهمي وأضرابه (٢)

اما الذين مدحهم الشيخ النبهاني فكلهم من بيوتات عربية عريقة وقد كانوا يمثلون النفوذ العربي في السلطنة العثمانية وكانوا الناطقين باللسان العربي

---

(١) شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي ص ١٨–١٩

(٢) عصر ورجال ص١٨

لدى البلاط السلطاني بالاضافة للاعمال العظيمة التي خدموا بها دولتهم وامتهم .

فالاستاذ احمد عزت باشا العابد ينتمي الى عشيرة عربية تسكن الخيام في بادية الشام بين دير الزور وتدمر وهي تنتسب الى قبيلة بكر بن وائل الحجازية القرشية وقد ولد عام ١٨٥٥ م وقرأ مبادىء العلوم على أشهر جهابذة عصره كالشيخ عبد الرحمن الاسنوي والشيخ احمد الشطي والشيخ احمد عابدين فأخذ عنهم الصرف والنحو والفقه الحنفي وأصول الحديث وقسما من الرياضيات وتعلم مبادىء اللغات التركية والانجليزية والفرنسية في مدرسة الآباء العزيزيين وعلى اساتذة متخصصين في بيت أبيه ثم انتقل الى المدرسة البطريركية في بيروت فأتقن بها اللغة الفرنسية وأخذ العلوم العربية العالية على الشيخ ناصيف اليازجي كالمنطق والبديع والمعاني والبيان وكان والده هولويك من المتقدمين في وظائف الحكومة العثمانية حيث أحرز رتبه (بيلربك) وتوصل الى ان يكون متصرفا على بعض الالوية مع انه عربي الاصل وقد عهدت الحكومة الى احمد عزت بتحرير القسمين العربي والتركي من جريدة سورية الرسمية لبراعته في فنون الانشاء فنزعت به نفسه الى خدمة المعارف بطريق الصحافة وأصدر باسمه سنة ١٨٧٨ جريدة " دمشق " ودافع فيها عن الدولة والوطن وقد نشر على صفحاتها فصولا كثيرة اشار فيها الى مآثر العرب ومفاخرهم وعلومهم وفضائلهم لا يخفى من ذلك كله ربحا ماديا الى ان كثرت اشغاله فترك الجريدة وفي سنة ١٨٧٦ تعين كاتبا لمجلس ادارة ولاية سورية وبعد ثلاثة أعوام صار رئيسا لمحكمة الحقوق ثم مسيطرا على جميع المحاكم في ولايات سورية وبيروت والقدس وأخذ يتدرج في القضاء وانتقل للعمل في عدة ولايات الى أن انتدبه السلطان عبد الحميد الثاني فجعله كاتبا وقرينا له وأحرز من المجد وعلو المنزلة مالم يحرزه أحد أبناء العرب المسلمين أو غيرهم قبل هذا العهد في دولة الاتراك منذ تأسيسها حتى طرأ الانقلاب العثماني في ثلاثة وعشرين تموز ١٩٠٨ .

آثاره العلمية :

سبق القول ان المترجم تعلم اللغات العربية والتركية والفرنسية والانجليزية وأحكم اصولها تكلما وكتابة وانصرف الى خدمة الدولة بطريق السياسة ونقل

من اللغة التركية الى اللغة العربية كتاب " حقوق الدول " لحسن فهمي باشا والمجلد الاول من تاريخ جودت باشا لاحتوائه على فلسفة التاريخ وترجم كتاب (الاحكام الشرعية في الاحوال الشخصية من اللسان العربي الى التركي وانشأ جريدة " دمشق " وحرر جريدة " سورية " في قسميها التركي والعربي مدة من الزمن وشيد في المدينة المنورة مدرسة لمائتين من الاطفال وأنشأ لها أوقافا تضمن بقاءها .

آثاره الوطنيــة :

طلبت نظارة التلغراف (١٣٠) الف ليره عثمانية لتنشىء خطا برقيا بين فزان وطرابلس الغرب ولدى مراجعته استكثر هذا المبلغ فأخذ على عاتقه انشاء الخط المذكور مع خط آخر يمتد من بنغازي الى طرابلس الغرب بأقل من نصف المبلغ المشار اليه ثم أحدث بين " كلموش " من اعمال ولاية أزمير وبين بنغازي خطا برقيا بلا سلك فسهل للدولة العثمانية حرية المخابرة بينها وبين أملاكها في شمال افريقية ولم يكلف الخزينة أكثر من عشرة آلاف ليره وبهذا العمل أنقذها من استغلال شركة استرن التي كانت تضمن من الدولة في كل سنة ثمانين الف ليره ماعدا اجور المخابرات غير الرسمية ثم مد خطا تلغرافيا بين دمشق والمدينة المنورة ولم يكلف الدولة اكثر من خمسة آلاف ليره لانه تبرع بأكثر أعمدة الخط من أخشاب احراشه الخاصة واستعان بالبعض الاخر مما تبرع به أهل الخير في دمشق وفي ذلك الحين طلبت الشركة التلغرافية الهندسية رخصة بمد خط مستقل بين أوربة والشرق الاقصى للمخابرات التلغرافية مع حق السيطرة عليه فأبت أريحية صاحب الترجمة اجابة هذا الطلب وعهد على نفسه مد الخط المذكور على نفقة الخزينة تخلصا من السيطرة الاجنبية فأنجز العمل في اقل من شهر ولم يكلف الخزينة بأكثر من ستة الاف ليره مع أن نظارة التلغراف كانت قد قدرت احتياج هذا التلغراف بـ ١٣٠ الف ليرة وعند اتمامه مثل أقونور سفير بريطانية العظمى في القسطنطينية لدى السلطان عبد الحميد شاكرا ومستغربا قصر مدة العمل وقلة تكاليفه ولما كانت المدينة المنورة تأتيها المياه في مجرى تتخلله جراثيم الاوبئة القتالة أراد أن يضع حدا لهذا الخلل الذي طالما ذهب بأرواح الكثيرين من السكان والحجاج وافتتح اكتتابا جمع فيه نحوا من خمسة الاف ليره وابتاع بها قساطل حديدية وآلات بخارية

رافعة وأنابيب على الطراز الصحى ثم ذهب بها لحصر مياه الينابيع فى القساطل وجرها الى المدينة المنورة سالمة من الاقذار التى تلقى فى مجاريها ليستقيها للناس ماء قراحا خاليا من تلك السموم وما كاد يشرع فى العمل حتى اضطر أن يغادر الوطن فتوقف الشغل ولم تزل القساطل والالات البخارية وفروعها ملقاة فى محطة حيفا وسائر السكة الحجازية •

ومن مآثره تولى رئاسة لجنة المهاجرين مدة لاتتجاوز ثمانية عشر شهرا — فأنشأ فى خلالها نيفا وأربعين قرية وأسكن فيها نحوا من خمسين الف مهاجر أكثرهم من ولايتى سورية وحلب ثم شيد من ماله الخاص فى المدينة المنورة مستشفى لخمسين مريضا ورباطا لخمسين أسرة ومدرسة لمائتين من الاطفال وجعل لهذه المبانى اوقافا مسجلة فى الاستانه وفى المحكمة الشرعية فى القاهرة •

السكة الحديدية الحجازية :

كان المترجم منذ حداثة سنة يستعظم الاتعاب التى تلم بالمسلمين فى ذهابهم الى الحج فأخذ يتتبع مافعلته حكومة روسية بانشاء السكة الحديدية لسيبرية وبعد أن أتم بحوثه عرض على السلطان وجوب انشاء السكة الحديدية الحجازية بأيدى العساكر ثم أوضح له الاخطار التى تتولد عن بقاء الحالة على ماهى عليه وما يلحق بالدولة من الاضرار السياسية والاقتصادية وأخذ على عاتقه القيام بهذا المشروع الخطير الذى لم يقم بالدولة العثمانية مشروع آخر يضاهيه أهمية ونفعا حتى الان •

فاستحسن السلطان رأى كاتبه وأذن له بمباشرة العمل بينما لم يكن فى يده دانق واحد ولاآلة ولا مورد يستند اليه فافتتح احمد عزت باشا لوائح ... الاكتتاب مقترحا على الشعوب الاسلامية وملوكها وامرائها واغنيائها وعلمائها ان يشتركوا فى المساعدة فلبى جميعهم ندائه فبلغ مجموع التبرعات ٣٫٥ ملايين جنيه فأنشأ خطا طوله ١٥٠٠ كم يمتد من حيفه الى دمشق والمدينة المنورة فى مدة وجيزه أدهش الاختصاصيين وكان يؤمل ان يمد خطين من المدينة المنورة احدهما الى مكة وجده وصنعاء والآخر الى البصره وأن تكون تكاليف اتمامهما من ربح خط الحجاز ومن الرسوم الطفيفة التى أحدثتها السلطنة

لهذه الغاية ولكن ابت الظروف الا ان يضطر للخروج من وطنه فذهبت تلك الآمال ادراج الرياح ولما تم خط المدينة المنورة أدخل اليها النور الكهربائي ولم يكن له حينذاك أثر في المدينة العثمانية وقد عهد بانشائه الى ضباط الجيش البحري ولم يصرف في سبيله دانقا واحدا من خزينة السلطنه • وقد حاز أحمد عزت باشا على مختلف الاوسمة ومن أعلى الدرجات اثر كل عمل انجزه •

صفاتـــه :

كان رجل اقدام لطيف المعاشرة حسن الاخلاق شديد الاكرام للضيف محبا لبني جنسه وعندما كان في أوج مجده لدى السلطان عبد الحميد الثاني نفع كثيرا من العرب من طلاب الوظائف وما رد احدا منهم خائبا بل سعى لكل من لجأ اليه في تعيينه بوظيفة او ترقيته الى منصب أعلى بحسب كفاءته ولياقته فاكتسب بذلك ثناء الخاص والعام وفاز بمحبة ابناء وطنه على اختلاف النحل والملل وتدفقت عليه مدائح الشعراء والبلغاء من داني البلاد وقاصيها (١)

هذه شخصية أحمد عزت باشا العابد الذي مدحه الشيخ النبهاني وهي شخصية عربية استطاعت أن تأخذ مكانها في الدولة العثمانية فكانت دعامة من دعائم الوطنية والعروبة في الاستانه كما كان محجة العرب لقضاء مصالحهم في الدولة كما ان الاعمال المجيدة التي قام بها من خطوط البرق الى الخط الحديدي الحجازي خير شاهد على اخلاص الرجل لقومه وعروبته وكذلك آلاف الجنيهات التي وفرها على خزانة الدولة لمباشرته الاعمال بنفسه وتعهده اياها برعايته وكل هذا دليل صادق على صفاء عقيدته واخلاصه لدولة الخلافة بالاضافة الى عنايته الخاصة بالمدينة المنورة من ايصال الخط الحديدي اليها وجلب المياه النقية وفتح المدارس والمستشفيات فيها كل هذا يدل على قوة ايمان الرجل وصحة اسلامه •

فالنبهاني بمدحه للاستاذ العابد انما يعبر عن لسان الامة العربية بتمجيد أبنائها الاوفياء الذين وصلوا اعلى الدرجات في الدولة ولم ينسوا ابناء قومهم وأمتهم بالاضافة الى ان العابد كان يتمتع بروح اسلامية عربية جعلته موطن الاحترام والتقديس لدى الشيخ النبهاني •

---

(١) تاريخ الصحافة العربية ص ٢١٨ – ٢٢١ ج ١ لعل الشيخ النبهاني كان من جملة هؤلاء المهنئين •

أما القصيدة التي أشرنا اليها فهي بين يدى القارئ الكريم كما صورناها ومكانها هنا

مدح السلطان عبد الحميد :

لقد كان الشعراء يتبارون في تهنئة السلطان عبد الحميد في مختلف المناسبات من عيد ميلاد الى عيد الجلوس وعيد الاضحى وعيد الفطر وغيرها ومن يتصفح الصحف الصادرة في البلاد العثمانية يجد كثيرا من القصائد التي تستحق ان تكون موضوعا لدراسة وافية مستقلة •

وقد تصفحت صحيفة ثمرات الفنون التي كان الشيخ عبد القادر القباني يصدرها في بيروت وصحيفة الجوائب التي كان الاستاذ احمد فارس الشدياق يصدرها في الاستانه فوجدت القصائد الكثيرة بتهنئة السلطان في مختلف المناسبات للعديد من الشعراء وعلى رأسهم الشيخ ابراهيم الاحدب والشيخ يوسف الاسير وكلاهما مزامن للشيخ النبهاني ولكني لم أجد للشيخ النبهاني أي قصيدة ولما سألت الاستاذ خير الدين الزركلي عن السبب قال كان هناك سوء حال بين الشيخ عبد القادر القباني والنبهاني • ولكن هذا غير مقنع لان النبهاني نشر فيها اعلانا عن جمعه لقصائد المجموعة النبهانية ثلاث مرات ونشر ثمرات الفنون له صورة الاستدعاء الذى نشرته الجوائب حول ما حاق من ظلم بمكان اجزم من أحد المسئولين اذ لو أراد النبهاني ان ينشر قصائد في هذه الصحيفة لكان له ذلك ولكن الذى أراه ان الشيخ النبهاني اشتهر بالعلم والقضاء اكثر مما اشتهر بالشعر وهكذا أراد هو لنفسه فهو الذى سعى حثيثا للحصول على منصب القضاء وترك الجوائب على الرغم من حرص الاستاذ احمد فارس الشدياق على بقائه مع زيادة مرتبه أو مشاركته فيها وهو الذى لم يقل الشعر تغنيا بل لقضاء حاجة من مدح أحد الوجهاء أو تغنيا بمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن تكون هذه حالة يكون لرجال العلماء والقضاء اقرب منه الى الشعراء ،لذلك كان الشيخ النبهاني يعد كتابته في الصحف منقصا لمنزلته الادبية من حيث هو عالم وقاض ،وقد اوضحت هذا الموقف مما دار بين الاستاذ حسين الجسر والافغاني في الاستانه(1) لذلك كانت قصائد النبهاني في مدح السلطان عبد الحميد تطبع مستقلة وتنشر ضمن اطار جميل من الرسوم والصور كما هو

---

(1) راجع مكانة النبهاني العلمية في الفصل الثالث من الباب الثاني

واضح من قصيدة احمد عزت باشا العابد • وقد ضاعت هذه القصائد كغيرها ولكني وجدت له عدة أبيات في مدح السلطان عبد الحميد أثناء تقديمه لديوان أبي الهدى الصيادي" الفيض المحمدي والمدد الاحمدي "الذي جمع قصائده •

يقول " ••••• فجمعت هذا الديوان ليكون أثرا في أعتاب الملك المجاهد الاعظم والسلطان الغازي الافخم مشيد ممالكه المحروسة ••• ظل الله الظليل في أرضه المنوط به اجراء سنته وفرضه المتصل سببه بالخلافه العظمى الى سيد المرسلين نائبه عليه السلام في حماية الاسلام والمسلمين مكن الله له في البلاد وافترض طاعته على العباد وجعل مخالفة مناهيه وأوامره حجرا محجورا ••••••• الا وهو السلطان الأمجد ، الخليفة الأسعد ، المقتدر بالقدرة الربانية المعتز بالعزة الالهية ناصر الشريعة المحمدية أمين الله على البرية فرع الشجرة العثمانية التي اصلها ثابت وفرعها في السماء حامي الملة الاسلامية التي فاقت سائر الملل سنا وسناء خادم الحرمين الشريفين المقتدى بسيرة العمرين امام المسلمين أمير المؤمنين(١) •

اجل الورى عبد الحميد مليكنا * * مجدد هذا الدين احسن تجديد
أتى وعماد الملك واه لحكمه * * فشيده بالحزم أرفع تشييد
وأذكرنا عبد المجيد وعدله * * فقلنا سليمان أتى بعد داود
شهدت ولم أشهد على الغيب أنه * * أجل ملوك الارض بالعدل والجود
وأشرفهم أصلا والا فقل لهم * * ليأتوا بآباء كآبائه الصيد
فمن منهم في الاولين كفاتح * * ومن منهم في الاخرين كمحمود
لئن حسد الحساد مظهره فما * * رأينا شريفا غيره غير محسود
علا بسرير الملك بالعدل والتقى * * وباب لامحاء المظالم(٢) مورود
فلا زال في الحفظ الالهي قائما * * بعز على هام السعادة ممدود
ولا ريب ان الله ناصر حزبه * * وأن له في لطفه خير تأييد
فدام له من ربه خير مسعد * * وطالعه في العز أشرف مسعود(٣)

---

(١) أردت بهذه المقدمة من كلام النبهاني ان اثبت أنه كان يقدس السلطان عبد الحميد فلا يعقل الا يكون قد كتب فيه قصائد مطولة كغيره ممن مدحهم •

(٢) ليس في اللغة أمحاء — الرباعي — والذي فيها ، محاه يمحوه ويمحاه محوا ومحاه يمحيه ويمحاه محيا •• فهو ممحو أو ممحي ، د / سرحان •

* (٣) الفيض المحمدي والمدد الاحمدي ص٦-٧ ومسعود : صيغة شاذة عن اسم المفعول من اسعد فلا يقال : اسعدته فهو مسعد بل : مسعود ، وهناك باب في اللغة اسمه "باب افعلته فهو مفعول " كأسعدته فهو مسعود وأحببته فهو محبوب ويستكر على الاخير قول عنتره : —
ولقد نزلت فلا تظني غيره * * حتى بمنزلة المحب المكرم

والنبهاني يدعو للسلطان عبد الحميد في كل مناسبة حيث يذكره باسمه

وفي مدحه لاحمد عزت باشا العابد كثيرا ما يمدح السلطان ناسبا له كل فضل ؟

٢ـ مدح الشيخ النبهاني أبي الهدى الصيادي شيخ السلطان عبد الحميد الثاني وقد أورد صاحب نزهة الالباب بعض أبياتها الاولى هكذا .

((حضرة الالمعي الامجد " نبهاني زاده السيد يوسف افندي))

ومن شعره قصيدة طويلة رفعها لصاحب السماحة والسيادة الاستاذ الاكرم السيد / محمد ابي الهدى الصيادي الرفاعي المقيم في حظوة جلالة مولانا السلطان الاعظم منها قوله :

يا ساري البرق بل ياساري السحب * * حي المنازل بين البان فالكثب

أنخ هناك مطايا الحي مثقلة * * من كل منهمر بالقطر منسكب

وقف على الدار وسط الحي منتسبا * * لثغر ساكنها وافخر بذا النسب

ما الدار ياابرق في المعنى سوى صدف * * ودرة الخدر فيها منتهى أربي

موهت بالدار والمقصود ربتها * * كذكرنا الكأس والقصد أبنة العنب

فأذكر لها عجبا من أمر مدنفها * * دان على البعد لم يحضر ولم يغب

زفيره من أوار الوجد في صعد * * ودمعه من مجاري الخد في صبب

الى أن قال

لم أنس ما وجدت في البيد اينقنا * * من الوجا ونفاء الماء والعشب

والليل ملق خياما من غياهبه * * قامت بلا عمد فيها ولا طنب

حتى اذا أحتبكت في الارض ظلمته * * وانجم الافق في حجب من السحب

محمد خلف الصياد صفوته * * الهاشمي الرفاعي الفتى العربي (١)

والليل ملق خياما من غياهبه * * قامت بلا عمد فيه ولا طنب

حتى اذا احتجبت في الافق أنجمه * * وغيهب الافق في حجب من السحب

حرنا فلما هتفنا باسم سيدنا * * أبي الهدى ضاء نور السبعة الشهب

أبو السراج أخو النور ابن حيدرة * * أجل عصبة طه وابنه العربي

الطاهر النسب ابن الطاهر النسب ابن الطاهر النسب ابن الطاهر النسب .

---

(١) نزهة الالباب في تاريخ مصر وشعراء العصر ومراسلات الاحباب ص ٢٠٨ ــ ٢٠٩ محمد حسن افندي العامرية مطبعة الهلال بالفجالة بمصر ١٣١٤ هـ .

هادى الخليقة مهدى الحقيقـــة ** كشاف حيرته جالى ظلمة الريب

أثى ومن كل علم حزن تأكلـــة ** فما ستراح الى ان قال واطربى

ترى بصيرته الازمان حاضـــرة ** ماكان مقتربا اوغير مقتـــرب

وتشهد الكرة الارضية اجتمعـــت ** كأنها وضعت للهو واللعـــب

يادولة اتخذت منها لها ولـــدا ** يهنيك خيرا فى يهنيك خيـــراب

يهنيك ذو الادب المطبوع والحسب المرفـــوع والنســـب

يهنيك مولى على الاعدا نقرتـه ** اشد فى حاملات الجحفل اللجب

ابا السراج وانت المصقع اللسن الشهم البليغ امام النظم والخطب

خذ نبذة من لباب الشعر لو تليت ** فى منتهى الشرق كان الغرب فى طرب

اقسمت ابى على الاعدا لو فهموا ** اشد وقعا من الهندية القضب

يرى روءوس اليتامى او يقبلهـــا ** اشهى له من خدود الخرد العرب

اما العفاة فلو شاهدت قربهـــم ** اليه حققتهم من اقرب النســب

ارضا ان جيوش الحمد هاجمـــة ** عليه والمال من كفيه فى هـــرب

للجمع بين الدجى والصبح فى قرن ** ادنى من الجمع بين الحمد والذهب

ودونك العبد فاستبشر بمزورتـه ** انالك الله فيه منتهى الادب (١)

للاستاذ الفاضل الشيخ يوسف افندى النبهانى

تذكر دهرا بالعقيق تصرمـــا ** فواصل سفح الدمع فى خده دمـا

وهبت عليه من ربى الشام نسمة ** فكاد يفيض النفس لما تنسمـــا

وبان له من جانب الحى بـارق ** تألق فى جو السما فتألمـــا

وأبكاه قوس السحب لما بدا لـه ** فأذكر فى ليلى سوارا ومعصمـــا

كأن الهوى منه عليه بصـــارم ** سطا ورمى عن ذلك القوس اسهما

كأن احمرارا فيه محنى اضلـــع ** طوت من غرامى مارجا متضرمـــا

يقولون طبع النار تقويم ما انحنى ** ولم ار ضلعا فى ضلوعى تقومـــا

وانى على وجدى بليلى وارضهـــا ** ارى وصلها قبل المعالى محرمـــا

وما انا ممن يرتضى موطنا بــــه ** يجوز عليه ان يهان ويظلمـــا

---

(١) مخطوطة وجدتها لدى الاستاذ اكرم زعيتر سفير الاردن فى بيروت سنة ١٩٧٤

ورب نصوح قال لی وهو همستی ** له الله سافر تلق فی الارض مغنما
فطالبت عزمی بالرحیل ولم اکن ** لارجع عن عزم سوی ان اتمما
وودعت اوطانی واهلی قائلا ** الابعد بعدی یاحبیب فأسلما
وقالت لی اللوام ایاك والنوی ** فما هی الا ان تسیر فتندما
فقلت لهم کفوا فلست بمحجم ** عن السیر الا ان أری الدهر احجما
دعونی ظلن انفك ارکب آدهما ** من العمر یعدو بی وآخر ادهما
الی حین ادراك الامانی فانثنی ** حمیدا وقد ابدلت عیشی المذمما
وان کانت الاخری التی عبثوا لها ** فسوف ترانی ضاحکا متبسما
وقالوا اغتراب المرء هون وذلة ** نعم والقصاری ان یعز ویکرما
فلولا فراق الخلد حوا ٠٠ وآدم ** لما جأت الرسل الاکارم منهما
وأحمد خیر الخلق لو فراقه ** لمکة لم یظفر بما کان صمما
وموسی کلیم الله لولا رحیله ** لمدین لم یرجع رسولا مکرما
وفی غربة الصدیق یوسف عبرة ** اما صار فی مصر العزیز المعظما
وما ضرنی لوم اذا کنت سالکا ** طریقا أتاه الرسل فیما تقدما
فقالوا دعوه انه غیر سامع ** فقلت وان عدتم ظلن اتکلما
ویممت دار الملك احسب انها ** الی الان لم تبرح لها المجد سلما
فالفیتها قد اقفرت من ربوعها ** ولم یبق فیها الفضل الا توهما
حوت قوم سوء اسلموا ای نفوسهم ** الی الکفر الا من له الله سلما
والفیت فیها امة عربیة ** یری القوم منها امة الزنج اکرما
وما نقموا منا بنی العرب خصلة ** سوی ان خیر الخلق لم یك اعجما
ولکن حجاب الحقد اعمی قلوبهم ** فلم ینظرونا من ورا حجب العمی
بنو اللوم انی ما تکلمت هاجیا ** ولکن قلبی من جفاکم تکلما
ولو لم یکن تصدی مدیح ابی الهدی ** لجرعتکم لو ذقتم والهجر علقما
فانی علی رأی لزوم هجائکم ** اری المدح فی فرع النبوة الزما
محمد المولی الذی فی جبینه ** بهاء ارانا النور کیف تجسما
اخو النسب العالی وحسبك انه ** الی صفوة الرحمان من خلقه انتمی

وبابن الرفاعي حاز اكرم نسبه ** بها فوق هامات الكواكب قد سما
وأورثه الصياد برد سيادة ** وشيا بالوان الفخار مسهما
واما كمال النفس فهو ابو الهدى ** وماكان مجهولا وماكان مبهما
فتى المجد وفاه فقيد بهمه ** وقد اوشكت اركانه ان تهدما
وقوم رمح الفضل مالت كعوبه ** وماكان ظنى فيه أن يتقوما (١)

ترجمة الشيخ محمد أبى الهدى الصيادى :

هو السيد ابو الهدى محمد بن حسن وادى بن على بن خزام بن على ـ وينتمى نسبه الى زين العابدين بن الحسين بن على أبى طالب رضى الله عنه وكان نقيب أشراف حلب وشيخ السجادة الرفاعية ولد سنة ١٨٥٩ م فى خان شيخون من اعمال معرة النعمان وقرأ القرآن وهو ابن سبع سنين وأتقن فن التجويد وعلم القراءات وقرأ غالب كتب النحو ثم اشتغل بتحصيل علوم الفقه والحديث والتفسير ثم اشتغل بكتب الادب وقرأ كتب الحكمة النظرية وفن القيافة وتلقى العلم عن أشهر علماء عصره ثم تولى نقابة الاشراف فى حلب وكانت له الحظوة لدى السلطان عبد الحميد اليه يرجع فى تنصيب القضاة والمفتين ولما خلع السلطان عبد الحميد نفى الى جزيرة "رينكبو" وفيها توفى .

وكان من المشتغلين بالعلم المحبين لنشره وكان يتقن التركية وقيل كان يتكلم الفرنسية وكان بحرا زاخرا فى العربية يقول الاستاذ سامى الكيالى : كان المترجم من الرجالات الذين لعبوا دورا خطيرا فى حياة السلطان عبد الحميد ـ الثانى ، وكان له شأن يذكر فى سياسة الدولة العثمانية وكان قصره فى بشكطاش بغية الرواد من مختلف الاقطار والامصار وكانت كلمته فى المملكة العثمانية تجرى فى نفوس الحكام مجرى السحر ، توفى فى سنة ١٩٠٩ (٢) .

وقد كان أبو الهدى الصيادى هدف سهام الحاقدين على الدولة العثمانية

(١) مخطوطه وجدتها لدى الاستاذ اكرم زعيتر سفير الاردن فى بيروت سنة ١٩٧٤

(٢) الاعلام الشرقية جـ ٣ ص ١١٨ ـ ١٢٠ وعبارة "لعبوا دورا" تعبير خاطئ وان كان شائعا ، والصواب : ادوا دورا ، د / سرحان

وقد حاولوا ابعاده عن السلطان عبد الحميد عن طريق الوشايات كطمعه في الخلافه وعزل السلطان عبد الحميد ونقل الخلافه للعرب وغيرها وقد كانت الجمعيات المضادة للسلطان عبد الحميد هي التي تهجم الصيادي من حيث كان يمثل الدولة وأهمها جمعية الماسون التي كانت تخلق الاكاذيب للايقاع بين الخليفة والصيادي باعتراف احد كتابها وهو الاستاذ ولي الدين يكن الذي يقول "

ذهب كثير من الناس الى ان أبا الهدى كان يريد ان يجعل نفسه خليفة وان يجعل الخلافة في العرب كما كانت وهذا محض افتراء أجل كانت نفس الصيادي طامحه لكل مايعليه كما اسلفنا في الفصل المتقدم ولكن لم تحدثه نفسه بشر في ذلك وانما هجمه أعداؤه بمثل هذه الاقاويل طلبا للايقاع به واقصائه عن عبد الحميد وماغاظ أبا الهدى احد مثل كاتب هذا الكتاب وقد قلت فيه مالم يقل غيري وزعمت أنه كان يسعى في قلب الخلافه والاستئثار بها ولكنه زعم ليس بصحيح وانما أردت ان يبعد عن عبد الحميد ويخف ضرره عن الدولة(1) .

ولقد ترك من آثاره العلمية ستة وثلاثين كتابا جميعها في التصوف وديوان شعر الفيض المحمدي والمدد الاحمدي وقد شرح غريبه يوسف النبهاني وجميع آثاره مطبوعة " .

مدح الاستاذ احمد فارس الشدياق صاحب الجوائب التي كانت تصدر في الاستانه والاستاذ الشدياق هو :

احمد فارس الشدياق : ولد في قرية عشقوت في لبنان سنة ١٨٠٤ وكان مسيحيا مارونيا قصد القطر المصري وكتب في الوقائع المصرية وفي ١٨٣٤ دعاه المرسلون الامريكان الى مالطة وولوه ادارة مطبعتها فاعتنق المذهب البروتستانتي وطبع في مالطة بعض مصنفاته والف كتابه " الواسطة في معرفة احوال مالطة " وتجول في أوربه وألف كتابه " الفارياق " ثم اشتغل في لندن في تعريب التوراة فزادت شهرته ودعاه باي تونس للعمل في دولته فلبى الدعوة وحرر جريدة " الرائد التونسي " وفي تونس اعتنق الدين الاسلامي وفي سنة ١٨٥٧ طلبته الصداره العظمى في الاستانه وعهدت اليه بتصحيح مطبوعاتها وفي سنة ١٨٦٠ أصدر جريدة " الجوائب " فصدرت ٢٣ سنة وتوفي في الاستانه عام ١٨٨٧ ودفن في بيروت وقد هجاه في موته أحد المسيحيين فقال :ــ

(1) مناهل الادب العربي ص ١٠٧

يامن رحلت الى الجحيـم موكرا ** لم يبق بعدك للسفاهة بـاقى
ناداك ابليس الرجيم مؤرخـا ** هنئت بأحمد فارس الشديـاق

وقد زعم الاب لويس شيخو أنه أسر الى احد الكهنة الكاثوليك ارتداده عن الاسلام وتوبته بالرجوع الى الكاثوليكية (١) ولكن زعمه هذا مردود لان الاستاذ الشدياق لم يعتنق الدين الاسلامى مكرها ولم يكن المسيحيون مستضعفين فقد كانوا يتمتعون بامتيازات فى الدولة العثمانية اكثر من باقى رعايا الدولـة بفضل حماية القناصل الاجانب ولكن الاب أنيس المقدسى لمع الى سبب اعتناق الشدياق للاسلام فقال :

انه نقم على القساوسة الكاثوليـك لانهم حبسوا أخاه أسعد فى أحد الاديرة حتى مات ١٨٣٠ لانه اشتغل مع الاميركان واقتنع بالمذهب البروتستانتى (٢) .

آثار الشدياق فى اللغة :

١ـ الجاسوس على القاموس
٢ـ سر الليالى فى القلب والابدال

وفى الادب :ـ

١ـ مجلة الجوائب
٢ـ الساق على الساق فيما هو الفرياق
٣ـ كشف المخبأ عن فنون أوروبه
٤ـ الواسطة فى معرفة احوال مالطـة

وللنبهانى فى مدحه قصيدتان وثلاثة أبيات اما الابيات فهى :ـ

يأيها المولى الاديب هديـة ** من بائس أهداكها مخجـولا (٣)
قلت وجلت بالمديح وكم غـدا ** ذو قلة عند الجليل جليـلا
فاسمح فديتك مايروق فاننـى ** بثناك قد رتلتها ترتيـلا

والقصيدة الاولى هى قوله :

ما فائدة سردها وهى ملموسة ؟

الفضل مااتفقت عليه الحسـد ** ودنا لرفعته السها والفرقـد
وتكفلت بعلاه نفس حـرة ** طار الفخار بها وطاب السؤدد

---

(١) الاداب العربية فى القرن التاسع عشر ج ص ٨٦ـ٨٧
(٢) الفنون الادبية واعلامها فى النهضة العربية الحديثه ص ١٤٢
(٣) خجل ـ كفرح ـ فعل لازم لايشتق منه اسم المفعول ـ لكن النبهانى كان متسامحا .

نفسى كنفس ابى سليم لم تـــزل * * تبنى ربوط للعلا وتشيـــد
بطل سرى فوق الجوائب قاصـــدا * * سر الليالى وهو تمم المقصـــد
اكرم به من فارس حمد السـرى * * غد الصباح فقال انى احمـد
لو حارب القمرين فى برجيهمـــا * * وسطا وطال لماد وهو مؤيـد
وسلاحه من فكره ويراعـــه * * هذا ردينى وذاك مهنـد (٢)
لولا همـا لم أدر رمحا مشرعـــا * * لايستقر وصارما لايغمـد
ماانفك شمل الفضل وهو مجمـع * * بهما وعقل الحاسدين مشـرد
بل لم تزل نخب الفضائل عنهمـا * * من غير رد فى الملا تتـردد
جابت بها أقصى البلاد جوائـب * * لاعزمها واه ولاهى تجهـد
مثل الحمام البيض ترسل بالبشـا * * ئـر والعدو هو الغراب الاسـود
حكت السماء الارض من شرف بهـا * * كلتاهما لسرى الكواكب محتـد
ابوابها حرست بنجم ثاقـب * * برجيس بل ابليس عنها يطـرد (٢)
أمنت غوايات المضلين وكيـف لا * * وأمامها من نور احمد مرشـد
علامة الدنيا الذى فى صـدره * * بحر جواهر علمه لاتنفـد
رحب لقوم بالمكارم متـرع * * ولآخرين نما لمكاره مزبـد
ذو فكرة هى جنة لاولى الـولا * * وعلى الاعادى جذوة تتوقـد
كنز أباح جمانه اهل النهـى * * والكنز عن أربابه لايرصـد
عشق العلا طفلا فلم تستهـوه * * كأس المدام ولا الحسان الخرد
من كل سافرة الجمال بديعـة * * بالحسن منها يفتن المتعبـد
هيفاء من الحاظها قد فوقـت * * نبلا سوى المهجات ليست تقصد
ومن القوام اللدن هزت عامـلا * * براع البواسل وهو غصن أملـد (٢)
فتكت بالباب الفوارس وانثنـت * * عن فارس علما بما يتقلـد
يافكر مالك حاجة فى وصفهـا * * عد المديح فان ذلك احمـد

---

(١) ردينى اسم
(٢) برجيس اسم صحيفة كانت تنشر ود الاستاذ رزق الله حسون على الاستاذ الشدياق.
(٢) الاملد الناعم .

الفاضل اللسن الذى ببيانـــــه ** وبنانه عقد القريض منضـــد
أم القوافى حول كعبة فضلـــه ** فى الطرس اما ركع أو سجــد
تلك الكواكب لاأذم شروقهـــا ** لكن لدى اشماره لاتحمـــد
كلا ولست ألومها غـــدت ** لكلامه المنثور ممن يحســد
نظم ونثر صادران عن امـــرئ ** هو للفضائل والفواضل مـــورد
ياأيها المولى الذى من فكـــره ** سهم على كبد البغيض مســدد
ومن الدفاتر والمحاضر لم تـــزل ** بثبوت دعواه المعالى تشهـــد
الله قلدك المعالى والـــورى ** قد قلدوك بها فأنت مقلـــد
لك من صفاتك روضة ومدائحـــى ** ورق عليها بالثناء تغـــرد (١)
خذها اليك من الغريب غريبـــة ** لولاك ليس لها معين مسعـــد
رقت محاسنها فقلت رقيقـــه ** تهدى اليك فأنت نعم السيـــد
واغرفتى درست معالم انســه ** ومشى عليه الدهر وهـــو مقيـــد
جمع الاسى جملا لديه وشملـــه ** عقد بأيدى الحادثات مبـــدد
أوطانه بعدت عليه وانمـــا ** أوطاره وهى المعالى أبعـــد
يبغى اجتماعهما ويعلم أنــــه ** شىء بحكم زمانه لايوجــــد
ولعل هذا الحكم ينقضـــه فتـــى ** أنت المراد به كريم أمجـــد
فاسلم ودم سندا لمثلى والمـــلا ** عن فضلك العالى حديث مسنـــد (٢)

ما فائدة سردها فى المطبوعة؟

والقصيدة الثانية هى قوله (٢):

أيخفى على العذال معنى غراميـــا ** وعينى بلفظ الدمع تشرح حاليـــا
وهيهات أن تخفى عليهم صبابتـــى ** وقد ظهرت آياتها من مآقيـــا
بدر الثنايا البيض او مض بـــارق ** فصار عقيق الدمع أحمر قانيـــا
وكانت عيونى لاتجود بقطـــرة ** فأصبحن فى سبل الغرام جواريـــا
وحرد موعى رق من حر زفرتـــى ** وفى الخد اضحى بالكتابة ساعيـــا
فمن لى بكتمان الهوى عن عواذلـــى ** فقد كثرت اقوالهم فى ملاميـــا

---

(١) كنز الرغائب فى منتخبات الجوائب ج ٤ ص ١٢١ــ١٢٣

(٢) تقدم منها ١٢ بيتا فى ص ٦٠٧/٦٠٨ وعددها ٧٧ بيتا

يقولون حب المرء جالب حتفــــه ** أناشدهم الا يردوا حياتيــــا
ولا مواطى سلب الفؤاد وعفــوا ** فهل منهم كنت استعرت فؤاديا
وقالوا صديق الصب من يسخط الهوى ** * وأعدى العدا من كان بالحب راضيا
فياليته لم يبق لى ذو صداقـــة ** ويا ليت كل الناس كانوا عداتيـا
فيامن رأى شهدا به الداء كامـن ** ويامن رأى سم الاراقم شافيـــا
نعم من شعور الغيد دبت لمهجتى ** أراقم فيها قد وجدت شفائيـــا
وتلسعنى اصداغهـــم بعقـــارب ** ويأبى مقامى فى المحبة راقيـــا
وأغيد منهم لا أدم طباعـــــه ** وان هو لم يحمد دلالا طباعيـا
أوكد بالاشعار وجدى بحسنـــه ** عسى ولعل الشعر يعطفه ليـــا
اقول له خدها لالى نظمـــت ** فكانت على رخص القريض غواليـــا
فيبسم لابشرا الى وانمـــا ** يرينى من اين استفدن اللاليــا
وكم قلت ترضانى فداك فقال لـــى ** ومن انت حتى ارتضيك فدائيـا ؟
فياليت شعرى هل أنا غير مدنـــف ** بسحر الهوى ظن المنايا أمانيـا
تبدت له الاساد فى صور الظبـــا ** فلما صبا عادت عليه ضواريـــا
فياصبى بل ياليت هلا وعيت لـــى ** عهودى كما أصبحت للقلب راعيـا
وهلا منت اليوم كالأمس باللـــى ** فما زلت للسلوى بمناك ساليـــا
أتعبس فى وجهى وتضحك للعـــدا ** ألم أدع العذال فيك بواكيـــا
وياويلاح قال رب الهوى علـــى ** شفا جرف هار فلاك هاويـــا
فقلت له دع عنك لومى فاننـــى ** أرى كل من لم يهد بالحق غاويا
ينابيع عينى فجرتها يد النـــوى ** وزند الجوى فى القلب ماانفك واريا
وما صدنى عن جنة الحب سلـــوة ** وان كان جسمى من لظى البعد صاليا
دريت حميد الرأى فى مذهب الهوى ** وما ذم فى شرع الاخـــــاء
تساوى لدى الموت والغدر فيهمـــا ** وياخجلى ان كنت أرضى التساويـا
تعاطيهما مر المذاق وانمـــا ** لدى الحر طعم الموت أحلى تعاطيا
لقد صرت عندى الصبابة فى البقـــا ** على العهد سين اللقا والتنائيـــا

وأقسم لولا الجسم تمحقه النـــوى ** لما طلبت نفسي المحب التدانيــا
ولولا حسود شاكر لفراقنـــــا ** لما كنت من هذا التباعد شاكيــا
لئن بعدت عن رسم شخصي أحبتـــي ** فصورتهم مرسومة في خيالـيا (١)
وان لم يكن بيني وبينهم ســـرى ** فحسبي ضيف الطيف بالليل ساريا
وان كان قد جر الزمان من الاســى ** جيوشا أتاحت لي العنا متواليا
فقد قبض الرحمن احمد فـــارس ** وأفرس محمود وقاني زمانــا (٢)
فتى ان يكن سعي الورى لغناهـم ** تراه الى السعي المكارم ساعيا (٣)
وان عشقوا أهل الجمال فانـــه ** قد اختار مشوقا اليه المعاليا
وان هم حموا الاموال فهو أباحهـا ** وما زال للمجد المؤثل حاميـا
سرى لطلاب المكرمات ولم يـــزل ** يجد وقد فاق النجوم السواريـا
عجبت له ماذا الذي هو طالـــب ** وقد صار من فوق السماكين ساميا
فلو قال كيوان لعلياء فوقـــه ** لمن هذه العليا لقال ليا .. ليا
ولو نظمت زهر النجوم قلائــدا ** لحلت علاه لو فرضنا تراقيـا
ولكنه شهم يرى كل قاعـــد ** عن المجد عريانا وان كان كاسيا
متى قيل هذا منهل الفضل أمـــة ** فأصبح ريانا وما كان صاديــا
أديب له أبكار شعر كأنهـــا ** خرائد يخجلن الحسان الغوانيـا
اذا انشدت أهدت الى السمع راحة ** يروح بها ذو اللب سكران صاحيا
تبوأ من نادي المكارم صـــدره ** وخلد اهل الخافقين الايا ديـا
رقى مارقى من سؤدد ومفاخـــر ** ولم يتخذ الانهاء مراقيـــا
وقام خطيبا فوق منبر فضلــــه ** فكان له مثل الورى الدهر صاغيا
وأحرز خصل السبق في حومة العـــلا ** وأفكاره كانت جيادا مذاكيـــا

(١) الفاء الداخلة على جملة الجواب هنا "فصورتهم" .. الخ "خطأ" — لان الجملة جواب للقسم وليست جوابا للشرط ، وجواب الشرط محذوف والمغني عنه جواب القسم غير ان الادباء والكتاب في جملتهم يخطئـــون في هذا خطأ واضحا .

(٢) احمد — هنا — وصف لا علم — وهو من صور التورية . د / سرحان

(٣) كارمه فكرمه — كنصره — غالبه في الكرم فغلبه — د /سرحان

(٤) الخصل — بفتح مسكون : ان يقع السهم بلزق القرطاس .

حلاحل سمته المعالى بفارس * * فجر من الاقلام سمرا عواليا (١)
وجرد سيف الفكر راق فرنده * * ودام عن الاسلام ليثا محاميا (٢)
جوانبه العليا رياض معارف * * وأفكاره دامت عليه غواديا
فلا عجب أن أنبتت لاولى النهى * * أزاهر فضل يانعات زواهيا
فكاهاتها مثل الفواكه أنما * * جناها من الاسماع ما زال دانيا
جوائب أن حققت فيها وجدتها * * بحور علوم للورى لا جوابيا
ذوائب فى الاقطار من جئن ربعه * * سرورا يقل أهلا بكن جوائبا
صحائف لكن الصفائح دونها * * اذا هى أبدت للبغيض التماديا
جميع أحاديث الزمان وأهله * * وعتها فأدتها الانام كما هيا
هنيئا لشخص حائزا بعض طيبها * * فقد أحرز الدنيا ولوبات طاويا
أتى بعدها سر الليالى منقحا * * فأصبح سرا فى الممالك ساريا
أتى كاسمه سرا خفيا لجاهل * * وكان بنور الفهم للحبر باديا
أتانا كما شاء اللبيب مهذبا * * فقال أيا قاموس لاتك هاذيا
وفاضت على كل الورى حسناته * * فصار به البحر المحيط مساويا
أمولاى انى عائذ بك سائل * * وأسأل تكرارا جواب سواليا
عرفتك فردا فى العلوم بأسرها * * ولم أر عن كسب العلا لك ثانيا
بحقك قل لى هل زمانك عالم * * بهذا فأولاك الانام مواليا
فان كان لم يمنحكم فهو لم يزل * * غبيطا أو حاسدا متغابيا
نعت ك فاعطف بالقبول مؤكدا * * ليبدلنى دهرى المنايا أمانيا
ودونك منى غادة عربية * * أتت لك عجبا بالنسيج تهاديا
درت أننى مهديكها فتبسمت * * فقالت بخ ما للملوك وماليا
وعفوا حماك الله ما أنا واصل * * علاك ولا صفت النجوم قوافيا
وحسبك أنى فى أغترابى لم أجد * * سواك أمرأ جلا جنى الدهر واقيا

---

(١) حلا حل السيد الشجاع أو الضخم كثير المروءة •

(٢) الفرند السيف لا نظير له •

قدم لابسا ثوبا جديدا من العـــلا ** وعش تكسب العيد الجديد التهانيا
تكامل فيك الفضل لازلت حائـــزا ** كما لاعلى كسر الجديدين باقيـا (١)

على لسان الجوائب :

أورد الاستاذ سليم فارس فى كتابه "كنز الرغائب" عدة مقطوعا للشيخ النبهانى على لسان الجوائب هى :ـ

أقبل على ولا تكن لى هاجـــرا ** او ماترانى بالمحاسن معلمـــا
فى كل أسبوع أريك صحائفـــا ** فى طيها اخبار من تحت السما

وقال ايضا :ـ

اجوب بلاد الله شرقا ومغربـــا ** فلا غرو ان سميت باسم الجـوائب
وأهدى من الاخبار فى كل بلـدة ** غرائب اشهى من ورود الرغائـب

وقال ايضا :ـ

أنا الجوائب يدنو لى على شحط ** قاصى البلاد وسرى فى الورى سارى
حسن الحديث دعا لى الناس قاطبة ** أهلا واشرف دار جئتها ٠٠ دارى

وقال أيضا :ـ

هلموا فهذا المورد المذب انه // وحقكمو أهنا جميع الموارد ٠
احاديث رقت لو تجسم لفظهـــا ** لكانت عقودا فى نحور الخرائـــد

وقال ايضا :

لم لايكون لدى الـــــورى ** يعلو بحسن القول قــدرى
ولو حويت تأمـــــــــــــــ ** ـــل حكمه فى كل سطـــر

وقال ايضا :ـ

جبلت على الصدق من نشأتـــى ** وطبعى ريق الحواشى نضيـــر (٢)
وانى لأقسم أن امـــــرءا ** على يحوز أديب خبيـــر

---

(١) كنز الرغائب فى منتخبات الجوائب جـ ٤ ص ١٣٧ ـ ١٤٠ فضلت ان اذكـر القصيدتين بتمامهما لصعوبة الرجوع الى المصدر المذكور وليطلع القارئ على مزيد من شعره غير الدينى لقلة مالدينا منه ٠

(٢) الريق ـ اللامـع ٠

وقال ايضـــا :ـ

عليك بقولى انما هو راحـــــة ** يروح بها الشهم الاريب مهـــدا
ودع كل صوت غير صوتى فاننـــى ** انا الطائر المحكى والاخر الصدى (١)

وقال ايضا :ـ

قالوا : الجوائب ذات الصدق ؟قلت نعم ** الحق قلتم وهذا بعض أوصافـى
انى لا لطف من مر النسيم على الـ ** ـمـاء النمير مشوبا كان أوصافى

وقال ايضا :ـ

عجبا لما قال الجهول بأننـــى ** فى القول الحن وهو غير صـواب
ولقد لحنت لكم لكيما تفهمـوا ** واللحن يفهمه ذ و والالبـــاب

وقال ايضا :ـ

لله اخبار زهـــــت ** بصحيفتى بين الانـــام
فى طيها النشر الذكـــى ** فى البدء فاح وفى الختـام (٢)

الحنين الى الوطن :ـ

قضى الشيخ يوسف النبهانى معظم عمره خارج قريته اجزم التى فيها أهله ووطنه حيث خرج من قريته لطلب العلم وعمره سبع عشرة سنة وتخرج من .. الازهر ولم يعد اليها الا لقضاء اجازة الصيف حيث عمل محررا فى الاستانـة فى تحرير الجوائب وتصحيح مايطبع فى مطبعتها ثم قاضيا فى شمال العراق واللاذقية والقدس واخيرا فى بيروت التى فيها توفى بحكم نشأته غذته قريته بالوفا ... والاخلاص لها ولسكانها الذين كانوا يعيشون كالاسرة الواحد تمع تباين طبقاتهم وأسرهم وهم يشعرون بقرابتهم لبعضهم البعض بانتمائهم لهذه القرية فالشيخ يوسف على الرغم من انه عاش فى بيروت رئيسا لمحكمة الحقوق العليا التى ترتبط مباشرة بالاستانه وتضعه فى مرتبة رفيعه كان يعيش مع أهل قريته افراحهم ـ وآلامهم فعندما وقع الظلم عليهم من أحد ضباط الشرطة فى عكة كتب الشيخ يوسف النبهانى فى مجلة " ثمرات الفنون " التى كانت تصدر فى بيروت ونقلت عنها الجوائب فى الاستانه يستصرخ رجال الحكم والمروءة ان ينصفوا أهالى هذه القرية الابرياء من ظلم هذا الرجل وقد ذكرت نص الاستدعاء كاملا عنـد

(١) هذا البيت من شعر المتنبى على التضمين
(٢) كنز الرغائب فى منتخبات الجوائب جـ٤ ص ١٤٤ ــ ١٤٥

الكلام عن أدبه المنثور فى الفصل الاول من الباب الثالث •

حدثنى والدى قال " حدثت فتنة بين أهالى القرية (اجزم) وكان الشيخ يوسف فيها فاتجه نحو تجمع الناس فوجدوا واحدا من احدى الفئتين يهم بحرق أحد بيوت الفئة الاخرى فوقف الشيخ يوسف فى وجوههم وطلب منهم ان يصفحوا عنه لاجله ولكن احدهم غلظ عليه أو شتمه فركب الشيخ يوسف فرسه وأتجه الى عكة فخرجت قوة من شرطة الخيالة وأدبت هؤلاء المعتدين " وهكذا اسهم الشيخ فى اطفاء نار الفتنه •

والشيخ يوسف كثيرا مايضمن قصائد المديح حنينه لقريته وأهله والمه لفراقهم معتذرا عن ذلك بأنه من طلاب المعالى ولا يحصل له ذلك فى قريته وبين أهله وهو الذى يقول من قصيدته فى مدح الشدياق :ـ

أوطانه بعدت عليه وانما ** أوطاره وهى المعالى أبعد

يبغى اجتماعهما ويعلم انه ** شىء بحكم زمانه لايوجد

وفى مدحه للاستاذ احمد فارس الشدياق فى قصيدته اليائية يصطنع النبهانى حوار بينه وبين عواذله فيقول :ـ

فمن لى بكتمان الهوى عن عواذلى ** فقد كثرت أقوالهم فى ملاميا

يقولون حب المرء جالب حتفه ** اناشدهم الا يردوا حياتيا

ولاموا على سلب الفؤاد وعنفوا ** فهل منهم كنت استعرت فؤاديا

وقالوا صديق الصب من يسخط الهوى ** وأعدى العدا من كان بالحب راضيا

فياليته لم يبق لى ذو صداقه ** وياليت كل الناس كانوا عداتيا

والحقيقة انه لم يكن له عواذل بل هى عادة الشعراء ان يعمموا بالرمز وقصدهم يفهم من دراسة حياتهم الاجتماعية والثقافيه •

فعذاله هنا هو نفسه التى تنزع به للعودة الى مسقط رأسه وملاعب صباه لتعود الى ذكريات الطفولة والصبا البعيدة عن هموم الوظائف ومنافساتها التى اقل مايدفع ثمنا لها هو الغربة وألم الحنين •

ثم تراه لشدة المه وجواه يصطنع السلوى والصبر مظهرا عدم اكتراثه فيقول :

ولولا حسود شاكر لفراقنـــا ** لما كنت من هذا التباعد شاكيـا

وهو مثله كمثل من يودع حبيبه أو اهله ولشدة لوعته وألمه تراه يصطنع العبث بشيء ما أو يركز النظر بعيدا وكأنه يرقب شيئا باهتمام وهو ملتهب باحساسه وعواطفه لفراق احبته الذين لم يطق النظر اليهم فأخذ يتلهى بغيرهم وهو مع هذا لم يصطبر عن التصريح ببعض أشواقه فقال :ـ

لئن بعدت عن رسم شخص أحبتـي ** فصورتهم مرسومة في خياليـا

وان لم يكن بيني وبينهم ســرى ** فحسبي ضيف الطيف بالليل ساريا

والنبهاني رحمه الله يلمح ببعض الرموز الى الاسباب التي دعته أن يهجر قريته مع شوقه وحبه لها •

وهذا الرمز الذى حللته في تعريفي بأسره النبهاني حيث ذكرت عند كلامي عن أسرته انها كانت من الأسر المغمورة في القرية أن افرادها قليلون وقد توجهوا نحو العلم فتعلم منهم الكثير ون بالازهر ولما عادوا اقتنعوا بالمكوث في القرية فلم يشتهروا خارجها •

اما الشيخ يوسف النبهاني فقد كانت نفسه طموحة وآماله واسعـة فرأى ان البقاء في القرية لايشبع طموحه ولا يحقق أمله فعمل خطيبا وواعظـا في مسجد الجزار في عكه وقرية اجزم ولكن ذلك لم يملأ الفراغ الذى كان يشعر به فتوجه نحو الاستانه العلية عاصمة الخلافة ومحط الآمال ولم يكن له سنـد يوصلـه لمن بأيديهم تصريف البلاد وتحقيق المطامع والامال فاضطـر أن يمدح بعض الشخصيات لتتحقق آماله ونظم هذا الشعر على مضض ولذلك سرعان ماتخلص من هذا اللون من الشعر وحرص على عدم حفظه في ديوانـه فضاع ولكن هذه النفس الطموح الوثابة وجدت في مدح شخصية الرسول والدفاع عن الاسلام في بيروت مركز التبشير المسيحي في العالم الاسلامي ما يملأ طموحها فركزت طموحها وأفرغت فيها زخمها[1] وقوتها في الادب المنثور والمنظوم وتحول هذا الطموح من طلب للمعالي الدنيوية الى طلب للمعالي الاخروية ولذلك حرص النبهاني

(١) زخمة ـ كمنعه ـ دفعه بشده

الا يذكر اي شيء عن نفسه مما يعجل له الجزاء من شهرة وظهور في الدنيا ليدخره ليوم الاخر ويشبع طموحه في نيل أعلى الدرجات في الجنه انشاء الله .

بهذا نستطيع ان نفسر تفسير طموح النبهاني وحبه للمعالي الذي كان يبوح به في شعره وعن طريق حنينه . لقريته .

وقد أخبرني الاستاذ عزة دروزه الذي قابلته في بيته في دمشق بانه لم يظهر من اسرة النبهاني الا الشيخ يوسف ولولاه لبقيت تلك الاسرة خاملة لاذكر لها قال لي ذلك ليعللني ويصبرني على الجفاء الذي لاقيته من الشيخ تقي الدين النبهاني في بيروت حيث لم يسمح لي بمقابلته لسؤاله عن جده الشيخ يوسف . . بل ولم يوافق أن اكتب له ماأريد على شكل اسئلة ليجيبني عليها كتابة

لذلك كان الاستاذ دروزه يشيد بأن عمل هذا سوف يشهر اسرة النبهاني وانه كان يجب عليهم جميعا أن يساعدوني ماديا ومعنويا .

وقد رمز الشيخ يوسف الى هذا الشوق والحنين بقوله من قصيدة يمدح بها أبا الهدى الصيادي :

وانى على وجدى بليلى وأرضها ** أرى وصلها قبل المعالي محرما
وأما انا ممن يرتضى موطنا به ** يجوز عليه ان يهان ويظلما
ورب نصوح قال لى وهو همتى ** لك الله سافر تلق فى الارض مغنما
فطالبت عزمى بالرحيل ولم أكن ** لارجع عن عزم سوى أن اتمما
وودعت أوطانى وأهلى قائلا ** الابعد بعدى ياحبيبى فاسلما

وهذا هو مانستطيع ان نلقيه من اضواء على حنين النبهاني لوطنه واختياره العيش بعيدا عنه .

ويذكرلنا الشيخ النبهاني المحاورة التى تدور بينه وبين اللوام او العذال حول السفر والبعد عن الاوطان وهو يشتد في العزيمه والاصرار كلما اشتدوا في اللوم والعتاب وهو في كل هذا يعبر عن دوافع نفسيه خفية في شخصيته استطاع أن يدافع عنها ويبرزها بشكل مقبول بل ويتخذ لها مسوغا شرعيا فيقول عقب الابيات السابقة

وقالت لى اللوام اياك والنوى ** فما هى الا ان تسير فتندما
فقلت لهم كفوا فلست بمحجم ** عن السير الا أن أري الدهر احجما
دعوني فلن أنفك اركب ادهما ** من العمر يعدو بى وآخر أدهما

الى حين ادراك الامانى فأنثنى ** حميدا وقد ابدلت عيشى المذمما
وان كانت الاخرى التى عشوا لهــا ** فسوف ترانى ضاحكا متبسمـا

ثم يعود الشيخ النبهانى لاثارة القضية من جديد ولكن بشكل آخـر ذلك انه فيما مضى من ابياته كان سادرا فى أضراره وثباته غير ملتفت الى اقوال النصحاء والعذال وأنه احرص بكبريائه عليهم فأراد ان يسوغ موقفه بايراد الحجج على صحة عزيمته وقد كانت هذه الحجج شرعية مستمدة من أعمال الرسل والانبياء فهو يقول :ـ

وقالوا اغتراب المرء هون وذلــه ** نعم والقصارى ان يعز ويكرمـا
فلولا فراق الخلد حـوا ٠٠ وآدم ** لما جاءت الرسل الا كارم منهما
واحمد خير الخلق لولا فراقــه ** لمكة لم يظفر بما كان صممـا
وموسى كليم الله لولا رحيلــه ** لمدين لم يرجع رسولا مكرمـا

وفى غربة الصديق يوسف عبـرة ** اما صار فى مصر العزيز المعظما
وماضرنى لوم اذا كنت سالكـا ** طريقا اتاه الرسل فيما تقدمـا

ثم يعيد الحوار بعدها ليظهر ان اللوام قد اقتنعوا بصدق اصراره ومضائـه وانه يعد غربته عن اوطانه هى طريق الانبياء والرسل لذلك فهو قانع بصحة ماهـو ماض فيه ومن هنا يختم هذه المحاورة بيأس العذال منه فيقول :

فقالوا دعوة انه غير سامـع ** فقلت وان عدتم فلن اتكلمـا

وفى هذا البيت يصور النبهانى قمة الاصرار والعناد اذ انه بالنسبة الى عذالة الذين يتناهون عن عذلة وملامه لانه مصر على ماهو عليه غير آسف لتركهم ايـاه وان عادوا للومه مرة اخرى فلن يكلمهم ٠

وقد وجدت لدى الحاج يحيى النبهانى قصيدة للشيخ يوسف النبهانى فى كراسة مع قصائد لشعراء غيره بلغت اربعة عشر بيتا وأنا انقلها كما وجدتهـا دون تصرف فى مبناها من حيث هى نص تاريخى لايجوز التصرف فيه كما يقول :

الدكتور أسد رستم " ٠٠٠٠ علينا ان نتثبت من الاخبار كما رواها شاهدها لا ، كما يجب عليه ان يرويها وعلينا أيضا أن نتحاشى جميع الطرق التى تعرض الاصل لمثـل

هذه المخاطر(١) يقول الشيخ النبهانى :

أى راح حادى المطى سقاهــــا ** فانبرت تضرب البرى ببراهـــا
يعملات كأنها فى سراب الـــدو ** سفن نجادها من حشاهــــا (٢)
تنظر الشام منجبال فـــروق ** فتراها من بعد لحظ وراهـــا (٤)
ارم سهما مابين آذانها وانـــ ** ـظر اليه تجده خلف خطاهـــا
حملت فتية كراما دعاهـــم ** لركوب القفار شوق دعاهـــا
ايها الركب هل تقضى لديكـــم ** + حاجة للمشوق سهل قضاهـــا
ان تمروا بالشام عن ايمن الكـــر ** مل حيث الروحا وحيث رباهـــا (٥)
حيث قومى وحيث مسقط رأســـى ** لاربع النقا وسقط لواهـــا (٦)
ثم تقروا الديار سلمها اللـــــ ** ـه سلاما من نازح ماسلاهـــا
كم حميم ودعت فيها ولـــــولا ** نوب الدهر لم أودع حماهـــا
ياأخلاى لاتخالوا فؤادى .... ** + مقلعـــا عن هواكم وهواهـــا
ان نفسى لم ترض بالبين لكـــن ** رب أمر ألم لاعن رضاهـــا
ذكرت قربكم وبعد الامانـــى ** فنأت عنكم لتدنو مناهـــا
سلكت للعلا صراطا سويـــا ** طالما امه فضل سواهـــا

فى الابيات الخمسة الاخيرة يصرح النبهانى بخوالج نفسه تجاه مسقط رأسه ذاكرا سبب فراقه وهو نوب الدهر " والحقيقة انه لم تكن هناك نوب مباشرة توثر على حياة النبهانى سوى أن وضعه الاجتماعى والاسرى يقصر به عن طموحه فهو بالنسبة لطموحه وآماله كان مصيبة لذلك اختار البعد عن هذا الوطن لاكراهية

---

(١) الاصول العربية لتاريخ سوريا فى عهد محمد على جمعها الدكتور اسد رستم م ٤_٥

(٢) اليعملات جمع يعمله وهى الناقة /المطبوعة النجيبة ـ القاموس المحيط والدو الفلاة ونجادها حبالها .

(٣) فروق : بفتح الفاء ـ لقب قسطنطينية وضمها مكان بديار بنى سعد

(٤) الروحا اسم مكان فى اجزم . والكرمل : موضع بجبلى طىء أو على ساحل الشام او قرية بفلسطين .

(٥) ربع النقا و سقط اللوى باسم مكانان

له وانما طلبا لمكان آخر فى الاستانه محط الآمال والطموح ويظهر تصريحه بذلك فى قوله :ـ

ذكرت قربكم بعد الامانـــــى ** فنأت عنكم لتدنو مناهـــــا

التكسب المالى :

فى زيارتى للاستاذ خير الدين الزركلى ـ صاحب الاعلام ـ فى بيروت لسؤاله عن شخصية الشيخ يوسف النبهانى ـ أخرج لى ورقة مخطوطه مكتوبا فيها ما يأتى "بعث اليه المولى عبد الحفيظ مع الشيخ عبد الحى الكتانى خمسين لويزا ذهبا فاستقلها وكتب اليه بعد الافتتاح : الى مولاى عبد الحفيظ ملك فاس السابق حفظه الله ووفقه لما يحبه ويرضاه واعطاه من كل خير مناه وكفاه شر عداه آمين :ـ

أعبد الحفيظ مليك الـــــورى ** وأنت الكريم ونسل الكـــــرام
اتتنى خمسونك المرســــــلات ** على يد ذاك الامام الهمـــــام
تناولتها مثل شرب الـــــدواء ** بدون ابتهاج ودون ابتســـــام
أخوك العزيز حبانى النهـــــى ** بدون سؤال مئات جســـام (1)
سأبقى لاحسانه شاكـــــرا ** وتشكره بعد موتى العظـــــام
وأنت كذلك أهل الثنـــــا ** ولكن عطاؤك أهل المـــــلام

قالها بفمه ورقمها بقلمه "يوسف النبهانى فى غرة رجب ١٣٣٢ هـ سأتوجه الى بيروت وأبقى فيها مدة الصيف ثم ارجع الى المدينة المنورة فى عيد الاضحى ان شاء الله تعالى .

ولقد أوردت عدة أدلة على بطلان نسبة هذه الابيات للشيخ يوسف النبهانى فى الفصل الرابع من الباب الثانى عند الكلام على حالته المالية واضيف الان فأقول ان روح الشيخ يوسف النبهانى الشعرية وطريقته الخاصة فى شعره لا تتمثل فى هذه القصيدة مطلقا عكس القصيدتين اللتين وجدتهما عند الحاج يحيى النبهانى بالاضافة الى أنه ليس من عادة الشيخ يوسف ان يعقب على قصائده بخاتمه نثرية مثل قوله "قالها بفمه ورقمها بقلمه ..... الخ

ثم ان الشيخ النبهانى لايذكر اسمه فى كتبه مطلقا الا اذا سبقه او عقبه بعبارات التواضع والتذلل لله تعالى كأن يقول : الفقير الى رحمة ربه يوسف النبهانى او نحوها كما ان الشيخ يوسف كان يقضى فترة الصيف فى قريته اجزم

---

(1) النهى . الكساء والمقصود المال الوافر

فى بيت ابنته حيث كان ينصب له عريشه على سطح البيت وبيروت غير صالحة للاصطياف مطلقا لحرارتها ورطوبتها •

المساجلات الشعرية :ـ

حفظ لنا امير البيان شكيب أرسلان قصيدة للشيخ يوسف النبهانى رد بها على قصيدة ارسلها امير البيان للشيخ النبهانى من باب المساجلة ولو لم يحفظها لنا امير البيان لضاعت كما ضاع الكثير من شعره •

يقول امير البيان "كان من(١) روؤس الادباء ومن الشعراء المفلقين وله القصائد الطنانه التى يحفظ الناس كثيرا منها • فكان النبهانى كما تقدم مشهورا بالشعر وكنت أستحسن كثيرا من شعره ولا سيما قوله من قصيدة امتدح بها أبا الهدى الصيادى •

ويممت دار الملك أحسب أنها ** الى اليوم لم تبرح الى المجد سلما
فالفيتها قد اقفرت من كرامها ** ولم يبق فيها الفضل الا توهما
والفيت مثلى أمة عربية ** يرى القوم منها أمة الزنج اكرما
وما نقموا منا بنى العرب خلة ** سوى ان خير الخلق لم يك اعجما

وله يتائم اقوال سائرة فى الافاق غير هذه • فأحببت انا اذ ذاك فى ريعان صباى أن أساجله فى الشعر لعلى أظفر منه بشىء يؤثر فنظمت له أبياتا لم احفظ صورتها عندى ولا بقى منها فى خاطرى الا بيت أو بيتان • فأجابنى عنها بهذه الابيات :

راقنى ياشكيب منك قصيد ** باتفاق هو البليغ الفصيح
قيل در وقيل زهر وبعض ** قال سحر والكل قول صحيح
نظمته افكارك الغر عقدا ** أى عقد لو ثم جيد مليح
من نسيب كصنوك الماجد اسما ** وسموا فهو النسيب الصريح(٢)
ومديح لو كنت أنت مرادا ** فيه عنى لقلت : جل المديح +
لست أجزيك حق طولك فى الشعـ ** ـر وفكرى كما علمت طليح(٣)
وسأجزيك عن ودادك •••• ودا ** انا فيه على كثير شحيح(٤)

---

(١) اى الشيخ يوسف النبهانى

(٢) الصنو الاخ الشقيق وهو يقصد الامير نسيب شقيق شكيب

(٣) الطول الفضل والقدرة والسعة • الطليح الضعيف المهزول

(٤) كتاب السيد رشيد رضا هامش ص ٧٦ـ٧٧

وساجل امير البيان ايضا ، محمود سامى البارودى (١)
وعبد الله باشا فكرى (٢) وخليل مطران (٣) .

شكوى الزمان :

كثيرا ماكان النبهانى يشكو الزمان فى ثنايا كلامه منوها بالحالة السيئة التى وصل اليها . ولى شعره لم أجد له قصيدة منفصلة لهذا الغرض ولكنها ظهرت فى خواتيم قصائده التى مدح بها الرسول صلى الله عليه وسلم أو دافع عن الاسلام ففى ختام الهمزية الالفية يقول :—

وآجرنى وغيرى من زمانى ** فدواهيه كلها دهياء
عاد فيه الدين المبين كما قلت ** غريبا وأهله غرباء
فتداركه قبل ان تخطر الاخطار ** فاليوم مسه الاعياء (٤)
وتكرم بشده فقواه ** نالها بالشدائد اسرخاء
صار للشرك فى أذاه اشتراك ** حين ماللنفاق عنه انتفاء
كم أبو جهل استطال على الدين ** وكم ذا ازرت به الجهلاء (٥)
ولكم فى ثيابه ابن سلول ** شاكه من نفاقه سلاء (٦)
ماغترارى بمن تلون منهم ** والافاعى اشرها الرقطاء (٧)

ويقول فى قصيدة " سعادة المعاد فى موازنة بانت سعاد "

ياسيد الرسل يامن لايزال به ** لكل صعب باذن الله تسهيل
أشكو اليك زمانى شاكرا نعما ** ماعند مثلى لها لولاك تأهيل
لقد بليت بعصر كله فتن ** فيه أخ الحق مغلوب ومغلول
عصر على الخير صال الشر فيه .. ولا ** تهوين الا علاه فيه تهويل
هذا الزمان الذى بينت شدته ** فكل ماقلتها فيه اليوم مفصول

---

(١) راجع ديوان الامير ص ١٠
(٢) المصدر السابق ص ١٨
(٣) المصدر السابق ص ٤١
(٤) يقال خطر الرمح اذ اهتز للطعن
(٥) استطال عليه قهره
(٦) السلاء شوك واحده سلاءه
(٧) الديوان ص ٨٨

الدين فيه بحكم الجمر قابضـــه ** بنار دنياه بين الناس مشمـــول (١)

وفى احدى تخ اميسه فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم يقول :ـ

صرنا من المحنة فى غمـــار ** من كثرة المصائب الطـــواري (٢)
فى زمن دبر بالادبـــار ** الليث فيه انقاد للحمـــار (٣)

والخير مغلوب غدا بالشر

رمت لظى الالحاد بالشـــرار ** والدين ان يسلم من الكفـــار
توخذ يه منا عصبة الاغمـــار ** فاحرسه يارب من الاشـــرار (٤)

من اهل بدعة واهل كفـــر

واحفظه بالانجاد والاغـــوار ** كما حفظت الكنز بالجـــدار (٥)
فانه احيط بالاخطـــار ** + يخشى الردى من قلة الانصـــار

ابدل الهى عسره باليسر (٦)

ويقول ايضا فى احد موشحاته :ـ

ياأبا الزهراء كن لى مسعـــدا ** فلقد اوهى زمانى جلـــدى
لست ابغى من سواك المـــددا ** انت من بين الورى معتمـــدى (٧)

وفى موضع اخرى يقول :ـ

كل جاه فى البرايا ذو نفـــاذ ** + فعليه جاهك الضافى يطـــول
ليس لى غيرك فى الخلق معـــاذ ** ولحالى سيدى شرح يطـــول
ادركن ادركنى فصبرى قد غـــا ** وغدا ربع الصفا كالدمـــن (٨)
عدك الدهر بحقى اجحفـــا ** ونفى عنى لذيذ الوســـن (٩)

---

(١) الديوان ص٩٧ ومشمول موقد
(٢) الغمار جمع غمره ـ بالتحريك وهى الشدة
(٣) الادبار ضد الاقبال
(٤) الاغمار جمع غمر اى الجهال
(٥) الانجاد الاماكن المرتفعة الاغوار الاماكن المنخفضة
(٦) الديوان ص٢٦٨ ـ ٢٦٩
(٧) الديوان ص ٢٨٩
(٨) الربع المنزل الدمن من اثار الديار جمع دمنة
(٩) الديوان ص ٢٨٩ •

وفى ختام رائيته الصغرى يقول :ـ

مضى عصرنا شر العصور وانـــــه ** بنسبة هذا العصر اكرم بره عصرا
أرى ذمه فرضا اذا ماذكرتـــــه ** فان قسته بالبوم أوليته شكرا
تبدلت الاحوال من كل وجهـــــة ** واصبح عرف الدين بين الورى نكرا (١)
وصار تقى القوم احقر قومــــه ** وصار شقى القوم ارفعهم قدرا
وكان الريا فى ان يرى العبد صالحا ** فصار الريا فى ان يرى فاسقا جهرا
فكم من تقى صار يظهر نفســـه ** شقيا لكيما يتقى بالشقا الشرا
وكم من شقى حين يوصف بالتقـــى ** تبرأ حتى لا يهان ولا يـــزرى
وكم كان قبل اليوم فينا منافـــق ** على غيه من خوفه اسبل السترا
فلما غدا فى سربه اليوم آمنـــا ** بكشف مخازيه غدا يظهر الفخرا (٢)

هذه اهم القصائد التى اظهر فيها شكواه من الزمان بصور متميزة ظاهرة وان كانت معانى الشكوى منتشرة فى جميع شعره وتظهرها استغاثته بالرسول صلى الله عليه وسلم لينقذ الامة مما دهاها من مصائب وكرب وفى محاربته للتبشيـــر المسيحى داعيا المسلمين الا يغتروا بمدارسهم التى تخرج اولادهم عن الاسلام وكذلك فى غيرها من مظاهر كفاحه وجهاده .

---

(١) العرف المعروف والنكر المنكر
(٢) الديوان ص ٣٩٧ ـ ٣٩٨ .

الفصل الثالث

مؤلفاته وآثاره

طريقته في التأليف :

كانت الروح الدينية مسيطرة على الشيخ النبهاني في أفكاره وتصرفاته وقد انعكست هذه الروح على نتاجه الفكري فحجبت عنا الكثير من المعلومات التي تفيدنا في تقويم هذه الشخصية واعطائها حقها .

فالشيخ النبهاني سيطر عليه الخوف من حب الظهور والرياء فلم يتكلم عن مقدرته العلمية والأدبية الا في النزر القليل . وهو ممزوج بالخوف والرهبة من الرياء لذلك ما ان كان يتحدث عن جانب من جوانب أدبه وفكره حتى يقطعها بالاعتذار مظهرا ضعفه وقلة علمه . مكثرا من الدعاء والاستغفار .

وللشيخ النبهاني رسالة تحدث فيها عن تأليفه سماها " أسباب التأليف من العاجز الضعيف " . ومن عنوانها يظهر ما ذهبنا اليه من حرصه على ألا يداخله رياء من كثرة مؤلفاته وهو يوضح في مقدمتها أسباب تأليف هذه الرسالة فيقول .

" الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .. أما بعد فهذا كتاب لم أقصد لنفسي التواضع ولا التفخيم ولا التحقير ولا التعظيم ولا التنصل مما لا بد أن يكون وقع في بعض مؤلفاتي بحسب جهلي أو سهوي من الخطأ الذميم ولا الافتخار بمقام التأليف وهو مقام كريم ونفعه اذا صحبه الاخلاص نفع عظيم عميم وما أبرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم . وأنا قصدت بيان الحقيقة في شأن هذه المؤلفات لصلحاء الناس لأدفع عني وعنهم شر الوسواس الخناس وأعوانه الأرجاس وقانا الله من شرورهم ورد كيدهم في نحورهم بجاه حبيبه الأعظم صلى الله عليه وسلم وكم رأينا من أكابر المؤمنين كالامام الشعراني رضي الله عنه فضلا عن أصاغرهم قد جمعوا تقاريظ العلماء في أواخر كتبهم استجلابا لاقبال الناس عليها وانتفاعهم بها مع أنهم في غنية عن ذلك بما لهم من العلم والعمل والمقامات العالية وكتبهم في غاية الاتقان ونياتهم في غاية الاخلاص وانما الاعمال بالنيات وقد سميته " أسباب التأليف من العاجز الضعيف " (١) .

---

(١) أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٢١ .

فالنبهانى حتى فى هذه الرسالة الصغيرة التى يشرح فيها شيئا عن حياته العلمية كأنه يعتذر عن تأليفها بأن له قدوة حسنة بغيره من العلماء فهو تابع لهم واذا كان هناك لوم مثلا فاللوم ينصب عليهم •

يقول الشيخ النبهانى " اعلم أن صدور هذه المؤلفات عن رجل مثلى قليل العلم والعمل كثير الجهل والزلل لمن أعجب الأمور الدينية فى هذا الزمن وأقسم بالله العظيم أنى لو كنت أنا ابو بعض المؤلفين الآن فى الزمان الأول لأدبونا على دعوى العلم فضلا عن التأليف •

نعم هذا الزمان أبو العجائب وأكرر القسم بالله العظيم أنى أعلم نفسى علما صحيحا يقينا لا أشك فيه بلا تواضع منى ولا اظهار لخلاف ما هو الواقع الذى أتيقنه من نفسى أنى غير متقن لعلم واحد من العلوم النقلية والعقلية فلا أعد فقيها فى الفقهاء ولا مفسرا فى المفسرين ولا محدثا فى المحدثين ولا متكلما فى المتكلمين وهكذا غيرها من سائر العلوم لست ماهرا فى علم منها مع قلة محفوظاتى فى جميعها اللهم الا أن تكون مهارتى فى جودة الشعر وذلك احسان من الله تعالى فى الجبلة مع علم بعض الأدوات ، اللازمة من العربية والفنون الادبية والحمد لله على ذلك وعلى جميع نعمه الباطنة والظاهرة وأسأله سبحانه كما أجزل احسانه فى الأولى أن يجزله فى الآخرة •

هذه هى حقيقة حالى التى أتيقنها من نفسى ويعلمها منى كل من أطلع على ما أنطويت عليه من أهل العلم وفوق ذلك لست من الصالحين المشتغلين بالعبادات المتورعين عن المحرمات والشبهات وذلك ظاهر جلى فكونى من جملة حكام هذا الزمان ولو كان عندى أدنى صلاح وورع لما قبلت ذلك ولما رضيت أن تكون معيشتى ومعيشة عيالى من هذه الأموال فلا أسامح من يعتقد فى الصلاح أو كثرة العلم فى حياتى وبعد مماتى فان ذلك اعتقاد باطل غير صحيح وهو خلاف الحقيقة والله على ما أقول وكيل (١) •

" اذا كان الامر كذلك وهو كذلك فقد لزمنى أن أبين الأسباب التى نتجت عنها هذه المؤلفات لأكون قد أزلت من نفوس الناس ولا سيما الذين لم يعرفوا من أهل البلاد البعيدة ما يتوهمونه فى بسببها من كثرة العلم والعمل وأكون قد

---

(١) أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣٢ •

قد أزلت بعض أسباب التعجب ممن عرفوني فتعجبوا من صدورها عن مثلي وهي قلما صدر مثلها عن كثير من أكابر العلماء في هذه الأزمنه الاخيرة فضلا عن الطلبة الضعاف أمثالي " .

ثم أخذ النبهاني يذكر شيئا عن تعلمه في الأزهر واشتغاله بتحرير جريدة الجوائب حيث تدرب على الكتابة مع معرفته بالفنون العربية والأدبية فأصبحت عنده المقدرة على ابراز المعاني المقصوده بعبارة فصيحة خالية من الركاكه والغرابة ثم يوضح النبهاني قصته مع أول مؤلف له فيقول .

" ...... ولم أزل كذلك الى أن ورد على يوما أحد السادات الكرام من أشراف مكة المشرفة واسمه الشريف علي وهو موجود في القسطنطينية الى الآن نفعنا الله به وبأسلافه الطاهرين وأعقابهم اجمعين ، وذكر لي حفظه الله تعالى أن بعض المحرومين من محبة السلالة الطاهرة النبوية طبعوا كتاب " نوادر الأصول " للحكيم الترمذي في تلك الأيام وأن الحامل لهم على طبعه وجود عبارات فيه تصرف بعض الآيات والاحاديث الواردة في فضل أهل البيت الى غيرهم كقوله تعالى " أنما يريد الله أن يذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا " فقد حصر معناه في الزوجات الطاهرات أمهات المؤمنين وشنع على من يفسر أهل البيت فيها بالحسن والحسين وذريتهما الطاهرة .... فقال لي الشريف علي المذكور : أن نشر هذا الكتاب ربما يؤدي الى استخفاف بعض الجهال بحقوق أهل بيت النبوة وألح على في تأليف كتاب أرد فيه ذلك وأبين فيه ما هنالك فأعتذرت له بعدم أهليتي وليس ذلك من قبيل التواضع بل لم أكن أتصور في نفسي الأهلية لشيء من التأليف ولا سيما في الرد على مثل هذا الامام الشهير والولي الكبير الذي ذكره الشيخ الأكبر سيدي محيي الدين بن العربي في فتوحاته وأثنى عليه كثيرا وشهد له بأنه من أكابر الأولياء وأئمة الأصفياء فلم يقبل عذري وكرر الالحاح على في ذلك حتى أجبته ، واستعنت بالله على ذلك ، فصرت أكتب في أوقات فراغي ما يتيسر وأذهب الى خزائن الكتب الموقوفة فأنقل ما شئت منها حتى تم كتابي " الشرف المؤبد لآل محمد " على وجه حسن تكفل برد ما قاله صاحب نوادر الاصول " مع المحافظة على مقامه الشريف والأدب معه كما ينبغي (1) ثم خفت مع ذلك من ألا يكون عملي هذا مبرورا ومقبولا عند الله تعالى بسبب ردي على هذا الامام فأخرت طبع الكتاب ونشره عدة أعوام وكان تأليفه سنة ١٢٩٨ في القسطنطينية وبقي في مسودته الى أن استخرت الله تعالى وأقدمت

---

(1) في هذه الاسطر تظهر أخلاق النبهاني وورعه .

على طبعه فى بيروت سنة ١٣٠٩ ثم مرضت فى بيروت مرضا شديدا ويئست فيه من الحياة فحزنت لكثرة ذنوبى وقلة أعمالى الصالحة فصرت أتفكر فى تأليف شئ من الكتب النافعة السهلة ليكون من العمل الصالح الذى لا ينقطع بالموت كما ورد فى الحديث الشريف فخطر لى أن التجئ الى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بجمل ما ألفه فى شؤونه الشريفة صلى الله عليه وسلم فصممت فى آن واحد على جمع كتاب فى شمائله وكتاب فى الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم واشتغلت بكتاب أفضل الصلوات " وكتاب " وسائل الوصول " وقبل أكمالهما خطر لى لزوم اختصار المواهب اللدنية " فأعان الله من فضله على اتمام هذه الكتب وطبعها ونشرها مع " الشرف المؤبد " فوقع لها كل قبول تام من سائر البلاد التى وصلتها من بلاد الاسلام • وقبل أن أكملها خطر لى الشروع فى غيرها ولم يزل الامر كذلك الى الان كلما تم كتاب أشرع فى غيره والغالب أن يكون فى يدى عدة كتب أؤلف فيها فى آن واحد (١) •

ثم يدافع النبهانى عن تأليفه كتاب " هادى المريد الى طرق الأسانيد " الذى ذكر فيه اجازاته المختلفة وأسناده فى كثير من الصلوات والأدعية والكتب •

يقول الشيخ النبهانى : " فان قال قائل اذا كان الأمر كما تقول من عدم اتقانك للعلوم المذكوره فما بالك ألفت هذا الثبت الذى سميته " هادى المريد الى طرق الأسانيد " فانك بتأليفه جعلت نفسك مثل العلماء الكبار أصحاب الأثبات •

قلت " : عذرى فى ذلك أنى لما أظهر الله على يدى من فضله واحسانه هذه المؤلفات وانتشرت فى الآفاق طلب منى الكثير من الفضلاء اجازات لحسن ظنهم بى وحرصهم على العلم فلم أجبهم اذ ذاك لعلمى من نفسى خلاف ما ظنوه بى ثم تفكرت فى أنى اذا لم أجبهم تبقى هذه المؤلفات منقطعة الأسباب وليس لى تلاميذ يروونها عنى ويرويها عنهم غيرهم وهكذا ككتب العلماء •

ومعلوم أن روابط الأسانيد التى توصل روايات الكتب الى مؤلفيها هى من أقوى الروابط الدينية ومن أحسن مزايا الأمة المحمدية التى أمتازت بها على سائر البرية فان أسانيد الكتب انسابها ورواياتها بالاجازات أحسابها وما خلا منها عن ذلك

---

(١) أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣٢ ـ ٣٣٣ •

بعد من المجاهيل فلا يعول عليه كل التعويل ، وهكذا نسبة العلماء من المؤلفين وغيرهم الى مشايخهم فانهم فى حكم الاباء والأجداد ، ومن يأخذ عنهم وعن تلامذتهم فى حكم الأبناء والأحفاد والرابط لاسناد العلم بينهم هو الأسناد هذا هو الباعث لى على تأليف هذا الثبت (١) .

ثم يشرح الشيخ النبهانى كيفية تأليفه لكتبه فيقول " فان قلت كيف تيسر لك التأليف مع عدم اتقانك للعلوم العقلية والنقلية كما ذكرت ؟ قلت ان الصفات التى تفضل الله على بها من فضله وكرمه وجعلها آلة للتأليف هى ما اذكره لك هنا تحدثا بنعمة الله تعالى وبيانا للحقيقة ودفعا للتناقض ولا أكذب والله فى شىء مما أذكره على ما أعلمه من نفسى ، فكما أنى صادق فى ذلك أنا أيضا صادق فى هذا والا لم يمكن صدور هذه التأليف مع عدم اتقان العلوم قطعا فأقول أن الاصل الأصيل فى الاعانة على هذه المؤلفات هو توفيق الله تعالى وخلقه فى هذا العبد العاجز القدرة على ذلك وتسهيله له سبيل هذا الخير العظيم ببركة حبيبه الأعظم عليه أفضل الصلاة والتسليم ومن أسباب التسهيل أنه تعالى قد رزقنى من فضله وله الحمد والمنة مع قلة بضاعتى فى العلم المعرفة الكافية لتأليف ما ألفته فى الشئون المحمدية وغيرها وجلها مجاميع جمعتها فى كتب الأدب وتحريت ما قدرت عليه من الاصابة فى جمعها وحسن ترتيبها ووضعها ، وليس ذلك من دقائق العلوم التى تحتاج الى التبحر وزيادة التحقيق والتدقيق واتقان جميع هذه العلوم على وجه الكمال فان مؤلفاتى لا تخلو من أن تكون نثرا أو نظما فى مدحه صلى الله عليه وسلم وقد تفضل الله على بالسليقة الشعرية على الوجه المطلوب وليس هذا من المناقب الكبيرة فان كثيرا من جهال العرب فى الجاهلية قد كانوا متصفين بذلك فغاية الأمر أن أكون شاركت الجاهلية فى وصف سبقونى به ، نعم قد زدت عليهم بمعرفتى من الأوصاف النبوية والمعانى الاسلامية والمحاسن البديعية مالم يعرفوه فكان مدحى له صلى الله عليه وسلم جامعا للفصاحة والبلاغة مع محسنات البيان والبديع مشتملا على الأوصاف الجميلة الجليلة التى أختص بها الحبيب الشفيع صلى الله عليه وسلم ولا يخفى عليك أن هذا غير محتاج لاتقان تلك العلوم والتبحر فيها ، وقد رزقنى الله وله الحمد والمنة ملكة قوية فى العربية بعد قراءتى فى الأزهر على مشايخى الذين ذكرتهم فى ثبتى

---

(١) أسباب التأليف عن العاجز الضعيف ص ٣٣٣ للاطلاع على مزيد من أهمية الاسناد عند العلماء راجع كتاب الدر الفريد ص ٢٧٨ ـ ٢٩١ .

" هادى المريد الى طرق الأسانيد " جميع الكتب التى أعتادوا قراءتها فى علم النحو فى نحو سبع سنوات من الآجرومية الى الاشمونى بالشروح والحواشى مع حفظ الاجرومية والالفية ومطالعتى العوامل والاظهار وكافية ابن الحاجب بنفسى ولبعض الطلبة ومع ذلك فقد نسيت الان أكثر قواعد النحو لتركى قراءتها واقرائها اكثر من ثلاثين سنة فلا أعد متقنا لعلم النحو لكن ملكتى التى تعصم قلمى من اللحن قوية والحمد لله وقد طالعت من كتب الأدب والتاريخ شيئا كثيرا ولا أخلو دائما من المراجعة فى كتب اللغة وغريب الحديث •

وقد رزقنى الله وله الحمد والمنة الفهم الصحيح والذوق السليم فى كل ما ألفت فيه وهذا الوصف ليس مختصا بأكابر العلماء بل قد يكون فى أذكياء العوام فضلا عن طلبة العلم وكثير ممن يقضون أعمارهم فى الاشتغال بالعلم لم يرزقهم الله الفهم الصحيح والذوق السليم • وقد رزقنى الله وله الحمد والمنة حسن التعبير عما أريد أن أعبر عنه بعبارتى وحسن الترتيب لما أريد أن أنقله من كتب العلماء مع معرفتى المعتمدين منهم وغير المعتمدين المقبولين عند الامة وغير المقبولين لكثرة ما طالعته فى كتبهم ولا سيما كتب الامام الشعرانى رضى الله عنه وعنهم مع حسن أعتقادى فيهم أجمعين وهذا من أكبر نعم الله على فانهم أحباب الله تعالى وخاصته من خلقه فلم يعتقد فيهم أحد الاربح الدنيا والآخرة ولم ينتقد عليهم أحد الا خسر الدنيا والآخرة ومن لحسانه تعالى العظيم على أن الهمنى التأليف فى مواضع مهمة جدا فى شؤون الدين وأحوال سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم مع عجزى وضعفى وقلة بضاعتى العلمية ولم يلهم ذلك الكثير من أكابر العلماء الذين لا أصلح تلميذا لأحدهم فضيعوا أعمارهم فى تأليف الكتب المنطقية والنحوية وما أشبهها مما لا حاجة له اليوم لكثرة كتبها التى فى عشر معشارها كفاية ومع ذلك هم مأجورون على حسن نياتهم [1] • فقد رزقنى الله وله الحمد والمنة كثيرا من الكتب النافعة المعتبرة [2] المقبولة

---

(١) يروى عن الشيخ بدر الدين الحسنى علامة الشام أن تلاميذه كانوا يحثوه على التأليف فى بعض المسائل التى فيها كلام طويل فيقول الموجود بين أظهرنا من كلام العلماء فيه الكفاية راجع الدر الفريد ص١٨ ، كما زاره الشيخ بخيت مفتى مصر فحضر درس الشيخ بدر الدين الحسنى العام يوم الجمعة فدهش من سعة علمه وقال لو كان عندنا بمصر لم تحمله العلماء الا فوق رؤوسهم " الدر الفريد ص١٦ وممن رغبوا عن التأليف سيدى ابوالحسن الشاذلى فقد قيل=

(٢) من الاخطاء الشائعة ، والصواب : الجيدة أو المعتد بها ، أو القيمة • ونحوها
د • سرحان

المتفق على جلالة مؤلفيها من الطبع والخط كما يسر لي من فضله سبحانه وتعالى استعارة كثير من كتب الخط النفيسة التي يندر وجودها في المواضع التي ألفت فيها ومن اطلع على كثرة النقول التي نقلتها منها يعلم حقيقة ذلك ، فقد كان يبلغني أن عند فلان كتاب كذا فأطلبه ولو كان في بلدة أخرى فيرسله الي فآخذ حاجتي منه وأرجعه اليه ومع كثرة الكتب التي يسرها الله لي رزقني النشاط والمداومة على المطالعة والجمع بلا ملل ولا سآمة مع معرفة مظان المسائل والأبحاث (١) التي أريد أن أنقلها بحيث أني أستوفي النقول في البحث الذي أريد أن أولف فيه لدرجة ربما لا تتيسر لكثير من أكابر العلماء من استيعاب كلام المؤلفين وعباراتهم كما وقع لي ذلك في حجة الله على العالمين " وسعادة الدارين " " ومجموعة المدائح النبوية " وشواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق " صلى الله عليه وسلم " وجامع كرامات الأولياء " وبعض الكتب الصغيرة التي جمعت فيها أنواعا مخصوصة من الدعوات وغيرها "كمفرج الكروب ومفرح القلوب " وأسماء النبي صلى الله عليه وسلم" وحزب الاستغاثات الذي جمعت فيه استغاثات أربعين وليا بالنبي صلى الله عليه وسلم ٠ كل ذلك مع كمال الصدق والأمانة التامة في النقل ونسبة كل شيء الى أصحابه وحسن الاختصار فيما اختصرته كالأنوار المحمدية ومختصر المواهب اللدنية فانها بحمد الله تعالى من المختصرات التي فاقت أصلها ولم أقدم على تأليف كتاب منها لمجرد تكثير عدد المؤلفات فتزيد الشهرة بأزديادها بل لم أذكر عبارة فيها لمجرد تكبير حجم الكتاب اذا لم أعتقد نفعها ولزوم اثباتها ٠ لا والله لم يخطر لي شيء من ذلك قط فيما أعلم الآن ولم أشرع في تأليف شيء منها الا بعد أن أتيقن الحاجة الى التأليف في ذلك الأمر ولا سيما في شؤون نبينا محمد سيد الخلق وحبيب الحق صلى الله عليه وسلم التي نرى كثيرا من العلماء ـ فضلا عن العوام ـ مشغولين عنها بقراءة كثير من كتب العلوم العقلية وغيرها عدة سنين من دون أن يعرفوا شؤونه الشريفة وسيرته المنيفة صلى الله عليه وسلم المعرفة اللائقة بأمثالهم فهذا ليس من الصواب واللازم على المرء أن يتعلم الاهم فالأهم مما تلزمه معرفته في دينه ثم الأهم فالأهم مما تلزمه معرفته في دنياه أو يكون الحامل لي على التأليف الرد على

= له لما لا تؤلفوا لنا كتبا فقال تلاميذي بعدي هم كتبي ويبدو أن الشيخ النبهاني سار على هذا المنهج لولا دوافع الاصلاح في نفسه والذي لم تخرج مؤلفاته عن هذا الغرض ٠

(١) جمع غير وارد في اللغة ، والصواب : البحوث ٠ د ٠ سرحان

بعض الكفار وبيان مفترياتهم على دين الاسلام أو كشف زلات بعض أهل البدع الذين انتشرت بدعهم في هذه الأيام ولا سيما ما يتعلق منها بسيد الأنام الذين يغيرون عقائدهم الدينية وينقلونها من النور الى الظلام كما هو واقع في كثير من بلاد الاسلام فالتأليف في هذه الأبواب لا يخطر في بالي حتى الاقدام عليه طلبا للثواب بل أجد من نفسي داعيا قويا لا أقدر على مخالفته للمحاماة عن هذا الدين المبين والانتصار لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم والنصيحة للمسلمين وأولاد ولو رأيت غيري من العلماء ألف في ذلك كتبا تغني عن كتبي لما أقدمت على تأليفها وكنت أقول قد حصل المقصود على من شاء الله من خلقه ولا سيما أن التأليف في ذلك يتسبب في كثرة الأعداء من الكفار والفجار كما وقع لي وقد قصدوا ما يؤذيني فوقاني الله شرهم ببركة حبيبه الأعظم صلى الله عليه وسلم . ولم يخطر لي التأليف في علم الأدب مع امكان ذلك نظما ونثرا لكون النفع الأخروي فيه قليلا الآن وان كان من وسائل معرفة العلوم الدينية لأن المؤلفات الموجودة منه ليست بقدر الكفاية فقط بل هي أكثر من الكفاية بأضعاف مضاعفة ولذلك لا ينبغي لعلماء المسلمين الان تضييع الاوقات في التأليف في ذلك وما أشبهه من العلوم الآلية والفنون العقلية وترك المقصود بالذات وهو الأمور الدينية ولا سيما التي تناسب هذا الزمان وما طرأ فيه على الاسلام وأهله من هجوم الكفر والأضاليل والبدع والأباطيل فيجب على علماء المسلمين السالمة عقائدهم من الزيغ المبادرة الى تأليف مؤلفات تحفظ عقائد العوام وتدفع عنهم الضلالات والأوهام ولا سيما مشايخنا وأخواننا علماء الأزهر والمحفل الأنور فان هذه البلايا التي طرأت على الدين وهي الان في بلدهم مصر أكثر منها في سائر بلاد المسلمين فبعد أن كانت معدن الرشاد ومنها يتفرع الى العباد كثر فيها في هذه الأيام في الدين الفساد . وصار ينتشر منها الى سائر البلاد . فبادروا أيها العلماء الأعلام حماة الاسلام وجاهدوا بسيوف الأقلام أهل الضلال والظلام فقد صار الدين كما ترونه ملعبة بأيدي الجهال يتصرفون بعقولهم السخيفة في تحليل الحرام وتحريم الحلال فكثرت المفاسد في الدين وتشوشت عقائد بعض جهال المسلمين فاتركوا رحمكم الله الاشتغال بما لا ضرورة له من تأليف الحواشي والتقارير وانتبهوا من غفلتكم لهذا الأمر الخطير والحكم لله العلي القدير (١) .

---

(١) أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣٦ .

ثم يقول الشيخ النبهاني مجملا ما تقدم من سبب اقدامه على التأليف " قد علمت أن السبب القوى الذى حملنى على الهجوم على التأليف مع عدم أهليتى هو طمعى فى كرم الله تعالى فى بقاء الأجر بعد موتى لما أؤلفه من العلوم النافعة الدينية وكثرة الأجر لمن دل على الهدى وحذر من الضلال [1] ثم أورد ما ذكره الامام مسلم النووى فى رياض الصالحين بهذا الخصوص .

ثم يقول الشيخ النبهاني " وكان أقوى الأسباب لبروز هذه المؤلفات على يدى مع عجزى المحقق أن الهمنى الله تعالى التجائى الى سيد المرسلين وحبيبه الأعظم صلى الله عليه وسلم فجعلت تلك المؤلفات بعونه تعالى فى شئونه الشريفة صلى الله عليه وسلم فشملتنى وشملتها أنواره المحمدية ونفحاته النبوية صلى الله عليه وسلم حتى يسرها الله على أحسن الوجوه ورزقها القبول التام وكل ذلك لا شك ولا ريب ببركته عليه الصلاة والسلام . وعلامة صحة ذلك ما تفضل الله على به من رؤياه فى المنام صلى الله عليه وسلم مرارا وذلك من أكبر نعم الله على التى أعجز عن شكرها وما تفضل به عز وجل من تيسير تأليفها وطبعها ونشرها وقبولها والاقبال عليها من المسلمين وقلما حصل ذلك فى هذا العصر لكتب العلماء المحققين الذين لا أصلح أن أكون تلميذا لأحدهم فى بعض العلوم الدقيقة التى تبحروا فيها واشتهروا بين الأنام وصارت تلاميذهم من العلماء الأعلام ولكن الله له التصرف المطلق فى خلقه فهو سبحانه وتعالى يخص من شاء بما شاء وقد جرت عادته عز وجل أنه لا يخيب من التجأ اليه بخدمة هذا النبى الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم ولذلك كان توفيقه أحدا من عبيده لخدمة هذا الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم وهى من أجل المنن وأكبر النعم والحمد لله رب العالمين [2] .

والنبهاني يستمد هذه المعانى من كتب الصوفية ونظرتهم الى الكون والحياة حيث يبدو مغرقا فى صوفيته . ثم يفصح عن اسماء بعض كتبة محكمته الذين ساعدوه فى نقل النصوص من مصادرها . فيقول :

" ومن أسباب تسهيل تأليف هذه الكتب أن يسر الله لى وله الحمد والمنة بعض الكتاب النبهاء النجباء من كتبة محكمة الحقوق التى أنا رئيسها وهم عبد الباسط أفندى الفاخورى ومحمد على افندى الأنسى وسليم أفندى السروجى ومحى الدين

---

(١) أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣٦ .

(٢) أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣٧ .

أفندى علم الدين غير أن الأول منهم انتقل الى محكمة أخرى (١) فانقطع عنا منذ سنين والثانى لم نزل ننتفع به فى بعض الأحايين • وهو أنفعهم من جهة تصحيح الطبع لأنه من فضلاء الطلبة الصالحين وأنفعهم من جهة المداومة على الشغل والاثنان الاخيران لأنهما ما زالا يلازمانى فى كل يوم الى الان • فتح الله علينا وعليهم أجمعين فتوح العارفين وحشرنا فى زمرة عباده المؤمنين تحت لواء سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم •

وممن كان يساعدنا بالتصحيح صديقنا العالم الفاضل الشيخ محمد أفندى طبارة عضو محكمتنا الحقوقية •

وهو ممن وقع منه النفع فى هذا السبيل ترغيبه بعض الأغنياء فى طبع هذه الكتب الصغيرة على نفقته وتوزيعها مجانا تقبل الله أعمالنا جميعا ورزقنا حسن القبول وبلغ كلامنا غاية المأمول •

وصورة التأليف أنى أملى على الكاتب ما أريد أن أنقله من كتب العلماء وقد أدله على العبارة اذا كانت طويلة ولا أريد اختصارها وأتركه ينقلها وحده ثم أقابلها معه وأشتغل بشىء آخر اما بكتابة أو بمراجعة وبعد الاملاء أقرأ جميع ما كتبه وأصحح ما يحتاج للتصحيح منه وفى وقت انفرادى فى ليل أو نهار أطالع وحدى الكتب التى أريد أن أنقل منها وأضع علامات على العبارات التى أريد نقلها هذا ما يتعلق بنقل عبارات العلماء أما كلامى الذى لم أنقله عن أحد من نظم أو نثر فانى أسوده غالبا بخطى ثم أمليه على الكاتب وأصلح منه ما يظهر لى اصلاحه وقت الاملاء وقد أعطيه المسودة فيكتبها ثم أراجع ذلك النظم أو النثر بالتحرير والتهذيب حتى أرضاه وربما يظهر لى بعد التبييض ترتيب أحسن من الأول فأرجع عن ذلك وأجعل على الثانى المعول بل حصل لى هذا فى بعض الكتب فعطلت المطبوع منها وجددت طبع ما رأيته صوابا •

والسبب فى ذلك أنى أشغل فكرى كثيرا فى حسن ترتيبها وتهذيبها مادام فى الامكان اصلاح ما يظهر لزوم اصلاحه منها ولا ينقطع عنى التفكير فى شأنها من

---

(١) يقول الشيخ عبدالله بن العلايلى اصبح رئيسا لمحكمة التمييز الشرعية فى بيروت وله كتاب فى علم الحديث اسمه " كشف الخفى عن أحاديث المصطفى " كان السيد محى الدين علم الدين كاتبا عند الشيخ يوسف وأصبح بعد ذلك مأمور أجراء مقابلة مع الشيخ عبدالله العلايلى فى بيته فى بيروت فى ١٩٧٥/١/٤ •

جهة التهذيب والترتيب الا بطبعها فمتى طبعت ينصرف فكرى عنها الى غيرها وأنا صاحب روية لا صاحب بداهة فقد لا يظهر لى الصواب فى أول وهلة ولذلك أكثر التروى فكلما زدت الأمر ترويا يظهر لى فيه من الصواب مالم يكن ظهر لى من قبل .. الى أن يستقر الحال على الصواب الذى يحسن السكوت عليه والحمد لله رب العالمين .

ومن أسباب اقدامى على تأليف هذه الكتب أن الله تعالى وله الحمد والمنة ببركة حبيبه الأعظم صلى الله عليه وسلم قد سهل طبعها ونشرها فى أكثر البلاد الاسلامية ولولا ذلك لما حصل لى كل هذه الرغبة فى تأليفها .... وكان من أقوى تلك الاسباب تقدير الله تعالى اقامتى فى بيروت بوظيفتى رئيس المحكمة الحقوقية التى هى مع شرفها أقل المحاكم أشغالا فصرت بهذا السبب أتمكن من الاشتغال فى أكثر أوقاتى فى بيتى بالتأليف ولا يتيسر ذلك فى غير هذه البلدة لكثرة مطابعها وسهولة مخابرات البلاد القريبة منها والبعيدة عنها .

كذلك كان من هذه الاسباب شمولى بأنظار العلماء العاملين والأولياء العارفين ولا سيما ساداتنا أهل البيت الكرام فان من أكبر نعم الله على ما حصل لى من كثير منهم من المكاتبات الدالة على محبتهم للحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم فهم يحبون من خدمه بوجه من الوجوه وكلما زادت الخدمة زادت محبتهم .....

وبهذا ازدادت رغبتهم[1] فى الاقبال على العمل ولم يحصل لى ببركة النبى صلى الله عليه وسلم وبركتهم من هذه الأشغال أدنى ملل ، مع كثرة ما وجدته فى هذا السبيل من أنواع الأتعاب الكثيرة فى تأليفها وطبعها ومصاريفها ثم فى نشرها وبيعها فى البلاد البعيدة والقريبة مع ضياع كثير منها وذلك شىء لا يقدر مثلى على القيام ببعضه فضلا عن كله لولا أن الله تعالى من فضله أعانني على ذلك وسهل لى سبيل الخير اليه ببركة حبيبه الاعظم وآل بيته الطيبين الطاهرين ومحبيه من الأولياء والعارفين والعلماء العاملين وصلحاء المسلمين رضى الله عنهم أجمعين[2].

ثم يعتذر النبهانى عن بعض الأخطاء التى وقعت فى كتبه سواء أكانت مطبعية أو وقعت سهوا وذلك لكثرة أشغاله فيقول " ..... ولا حاجة لأعتذارى

---

(١) أى الكتاب الذين ساعدوه على التأليف .
(٢) المصدر السابق ص ٣٣٥ ـ ٣٣٩ .

عن ذلك لأني كثير الاشغال وأني وقت طبعي هذا الكتاب (١) كنت مشغولا بتصحيحه وطبع وتصحيح كتابي " حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين " وكتابي " صلوات الثناء على سيد الانبياء " صلى الله عليه وسلم ومشتغلا بالزيادة والنقص في هذه الكتب الثلاثة في حين طبعها ومراجعة الأصول اللازمة وفي جمع قصائد نبوية للمجموعة النبهانية في المدائح النبوية وفي جمع كتابي " جامع الثناء على الله " كل ذلك مع شغلي في وظيفتي التي أستغرق فيها معظم النهار ويضاف اليه ما يطرأ من الأشغال الدنيوية والحاجات الضرورية وحسد الحساد ونصبهم حبائل الكيد والفساد وغير ذلك من الموانع الزمانية والاحوال المدوانية التي يتعجب معها من امكان التأليف في هذا الزمان المجيب لولا توفيق الله تعالي واعانته سبحانه على هذه الأعمال مع تلك الأحوال وما ذلك الا ببركة سيد المرسلين وحبيب رب العالمين صلى الله عليه وسلم (٢) .

وتكلم الشيخ النبهاني عن أمانته العلمية فقال " اعلم اني قد نسبت جميع ما ذكرته في كتبي من الأحاديث والأحكام والفضائل والمعجزات والمناقب والكرامات وجميع ما أحتوت عليه من منقول العبارات الى الكتب المعتمدة التي نقلتها منها ورويتها عنها ونبهت على ذلك في خطبها وعند النقل عنها ومع ذلك فأكثر الاحاديث مخرجة منسوبة الى رواتها مع عزوها الى أصولها ، فالمدح والقدح في شئ من ذلك راجعان لأولئك العلماء الأعلام أئمة الاسلام ، وأما أنا فان نسبني أحد الى قلة العلم والتقوى فوالله انه لصادق في ذلك وأنا أقربه ولكنني أمين فيما نقلته في هذه الكتب عن غيري محق فيما صنعته من نظمي ونثري ، ولم أضع شيئا فيها الا بعد التروي والتثبت ، وهي لعمري بشهادة المنصفين من المسلمين وغير المسلمين تعد من محاسن الاسلام في هذا العصر ولا أقول ذلك على سبيل الفخر بل لبيان حقيقة الحال في هذا الشأن وانظر هذه الجمعيات النصرانية الدينية تجدها لم يظهر على يد جمعية منها في مدة مائة سنة أو أكثر مع كثرة أموالها وأعوانها مقدار هذه الكتب وقد أظهرها الله تعالى بفضله وكرمه على يدي وأنا واحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم مع قلة بضاعتي وعجزي وفقري بكثرة أشغالي وتشويش بالي في هذه المدة الوجيزة وهي نحو خمس عشرة سنة ومنها عدة مؤلفات كبيرة وصغيرة

---

(١) يقصد كتاب سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين .

(٢) ٣٣٩ ـ ٣٤٠ المصدر السابق .

لم يتيسر طبعها الى الان ٠

فان قلت ليس الفضل فى ذلك لك وانما الفضل لله تعالى ثم لسيد الأنام ودين الاسلام فان مجال الكلام واسع ورأس المال كثير فيها نظمت ونثرت ومهما صنفت ونقلت فانك تجد من المعانى الحقة الغزيرة والعلوم الصحيحة الكثيرة ما هو أكثر من آناء الدهر واغزر من مياه البحر وما أنت فى ذلك الاكما قال القائل ٠

لقد وجدت مكان القول ذا سعة ＊＊ فان ملكت لسانا قائلا فقل

والأمر فى تلك الجمعيات ليس كذلك وانما هى كما قيل " ضاق شبر عن مسير " فمن أين يأتون بالمعانى الحقة وليس هناك حق وانما هى أباطيل يلفقونها وأكاذيب يجمعونها ويفرقونها ٠

قلت نعم ٠٠ لا شك أن الأمر كذلك ولكن سعة مجالنا وكثرة رأس مالنا لا تمنعان من أن نعلم أن ظهور هذه الكتب على يد من شاء الله من خلقه هو من أكبر نعم الله علينا معاشر المسلمين فلنتفق على الخير ونتق الله ونحمده سبحانه وتعالى على ما نعم به وأولاه ٠

وبعد هذا كله فلا شك أن هذه الكتب المجموعة فى الفضائل والسير لا تخلو من بعض الاحاديث التى قيل فيها انها موضوعة أو واهية وان قل ذلك جدا فضلا عن الأحاديث الضعيفة التى هى فى السير والفضائل أكثر منها فى غيرها ٠ ومع ذلك لا يخلو مؤلف مهما كان صاحبه عالما من الخطأ قل أو أكثر ٠ فقد أبى الله العصمة لكتاب غير كتابه وانما ينظر فى الاشياء كلها لكثرة المحاسن والمساوئ فاذا غلبت المحاسن كان ذلك الشئ حسنا واذا غلبت المساوئ كان ذلك الشئ سيئا سواء الكتب وغيرها ٠٠٠٠

ثم أورد ما كتبه فى آخر الباب الثانى من كتابه " سعادة الدارين " فى شأن العمل بالحديث الضعيف (1) ٠

ونلاحظ بعد ما تقدم أن طريقته العلمية فى التأليف كانت موجهة بمشاعرة الدينية حتى انه ــ وهو يتحدث عن تأليفه ــ يشعرك بحرجة فى التحدث عن نفسه

---

(١) أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٨٦ ــ ٣٨٧ ٠

لخوفه من أن يداخله رياء أو حب للظـــهور .

مؤلفاتـــه وآثـــاره :

سأقدم مؤلفات النبهاني وآثاره حسب تاريخ طبعها مستعينا بفهارس مكتبات دار الكتب المصرية والمكتبة الظاهرية في دمشق ومكتبة الجامعة الامريكية والجامعة اليسوعية ببيروت والمكتبة المركزية بجامعة بغداد ومكتبة المتحف العراقي في بغداد ومكتبة الخلاني في بغداد أيضا ومكتبة الجامعة الأردنية في عمان .

١) **أفضل الصلوات على سيد السادات :**

صدر النبهاني كتابه هذا بهـــذه الأبيات :

قال قطب زمانه سيدي محمد البكري الكبير رضي الله عنه

ما أرسل الرحمن أو يرســـل * * من رحمة تصعد أو تـــنزل

في ملكوت الله أو ملكــــه * * من كل ما يختص أو يشمـــل

الا وطه المصطفى عبـــده * * نبيه مختاره المرســـل

واسطة فيها وأصل لهـــا * * يعلم هذا كل مـــن يعقل

وجاء في المقدمة ((أما بعد فيقول الفقير المذنب يوسف بن اسماعيـــل النبهاني اني تفكرت في كثرة ذنوبي وقلة أعمالي الصالحة فعظم بذلك بلائي وغلـــب خوفي على رجائي ثم ألهمني الله سبحانه أن لا دواء لهذا الداء أنفع من صـــدق الالتجاء الى سيد المرسلين وحبيب رب العالمين فقد قال تعالى " وابتغوا اليـــه الوسيلة " وهو صلى الله عليه وسلم أعظم الوسائل والوسائط لديه وأفضل الخـــلائق وأحبهم اليه ، وها أنا (ذا) قد التجأت الى جناية الكريم صلى الله عليـــه وسلم وخدمته بهذا المجموع الذي جمعته في فضل الصلاة عليه صلى الله عليـــه وسلم وسميته " أفضل الصلوات على سيد السادات وجعلته قسمين وخاتمة " للقسم الاول أبين فضلها اجمالا وفوائدها والقسم الثاني أفصل فيه غرر كيفياتها وفوائدهـــا وأنسب كل صيغة الى أهلها مع بيان رواتها وفضلها ، وليس لي في ذلك أدنى فضل الا مجرد النقل ولم آل جهدا في اختيار الكتب المعتمدة وأهليها وعزو جميع الاقوال الى قائليها .

ثم أخذ يسرد المصادر الذي نقل عنها فقال : " ..... وفيما عـــدا الاحاديث اصرح باسم المنقول عنه في محله وأنسب كل قول الى أهله ، ثم جعـــل

القسم الاول سبعة فصول ، ثم ذكر القسم الثاني الذي يشتمل على سبعين كيفية للصلاة عليه صلى الله عليه وسلم هي أكمل الكيفيات وأفضل الصلوات مع بيان فوائد هـا ومن رواها وتشتمل الخاتمة على سبع قصائد فرائد جملتها لخرائد هذه الصلوات قلائد فعليك بهذا الكتاب أيها الأخ المسلم المحب لنبيه الراغب في الصلاة عليه لصلاح دينك ودنياك ، فانك مهما فتشت لا تكاد تجد ما اشتمل عليه مجموعا في كتاب سواه ، وانى أبتهل الى الله تعالى أن ينفعني به وكل مسلم سليم القلب من الامراض نقي اللسان والجنان من داء الأهواء انه ولي ذلك" (١) .

وقد افتتح القصيدة الاولى من القصائد السبع بقوله :

عج بالمدينة تلق ثم كريما * * خير الورى نسبا وأكرم خيما

هو من غدا بالمؤمنين رحيما * * هو خيرة الله القديم قديما

صلوا عليه وسلموا تسليما

والقصيده مثبتة في الديوان (٢) .

وقد ختم كتابه بترجمة موجزة له مع ذكر مشايخه وأجازاتهم وقد طبع الكتاب في بيروت عام ١٣٠٠ هـ وتبلغ صفحاته ٢٦١ صفحة وقد أعيد طبعه عام ١٣٠٩ هـ حيث طبع منه ٧٠٠٠ نسخة بالحجم المتوسط .

٢) الشرف المؤبد لآل محمد صلى الله عليه وسلم :

وقد صدر المؤلف كتابه بهذه الأبيات :

آل طه يا آل خير نبي * * جدكم خيرة وأنتم خيار

أذهب الله عنكم الرجس * * أهل البيت قدما فأنتم الاطهار

لم يسل جدكم على الدين اجرا * * غير ود القربى ونعم الاجار

حبكم جنة لكل فؤاد * * فيه حب الأصحاب والبغض نار

رضي الله عنكم وأتم النور فيكم وان أبى الكفار

وقد أوضح النبهاني شيئا عن اقدامه على تأليف هذا الكتاب في كتابه (أسباب التأليف من العاجز الضعيف) (٣) . وفي مقدمة الكتاب يقول الشيخ النبهاني

---

(١) أفضل الصلوات على سيد السادات ص ٢ ـ ٥ .

(٢) راجع الديوان ص ١٩٢ ـ ٢٥٨ .

(٣) ص ٣٣٣ ، وقد ذكرت ذلك في مقدمة هذا الفصل .

بعد أن أورد ظروف تأليفه وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن ينفعني به والمسلمين ويحشرني تحت لواء سيد المرسلين في زمرة المحبين له ولآله الطاهرين وأرجو من أهل العلم والفهم أن يعذروني في عدم استيفاء الكلام ويغتفروا لي زلة القلم أن عثروا عليها فقلما سلم أحد من زلة الأقلام .

وقد رتبته على ثلاثة مقاصد وخاتمة .

فالمقصد الاول في الكلام على آية " انما يريد الله " وحديثي " اني تارك فيكم الثقلين " " وأهل بيتي أمان لأمتي " .

والمقصد الثاني في الكلام على شرفهم ومزاياهم وما أختصهم الله به دون من عداهم .

والمقصد الثالث في الكلام على ما في حبهم وتوابعه من الفوز العظيم وما في بغضهم وتوابعه من المرتع الوخيم .

والخاتمه في بيان فضل الصحابة وأن محبة آل البيت لا تجدي نفعا اذا خالطها بغض أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (1) .

وقد طبع الكتاب طبعتين الأولى سنة ١٣٠٩ هـ ، ومكان الطبع غير معروف ، وطبع منه ألفا نسخة والطبعة الثانية سنة (١٣٨٢ هـ - ١٩٦١ م) في مطبعة مصطفى الحلبي بمصر ، والكتاب يقع في ٢٦٦ صفحة من الحجم الصغير .

٣) وسائل الوصول الى شمائل الرسول :

طبع في المطبعة الادبية في بيروت عام ١٣٠٩ هـ وأعاد طبعه مصطفى الحلبي في مصر عام ١٣٨٠ هـ والكتاب يبلغ ٢٠٨ صفحة .

ويقول الشيخ النبهاني في دواعي تأليف هذا الكتاب .

أما بعد فقد خطر لي أن أجمع كتابا أجعله وسيلة لبلوغي من رضى الله ورسوله المرام وذريعة للانتظام في سلك خدامه عليه الصلاة والسلام .... فجمعت هذا الكتاب من آثاره في شمائله الشريفة صلى الله عليه وسلم وأدخلت فيه جميع الشمائل

---

(١) الشرف المؤبد لآل محمد ص ٩ - ١٠ .

التى رواها الحافظ أبو عيسى الترمذى بعد حذف مكررها وأسانيدها ولم أتقيد بترتيبه وتبويبه بل سلكت أسلوبا غير اسلوبه وأضفت اليها من كتب الأئمة الآتى ذكرهم أكثر منها بكثير والحقت بغريب الألفاظ ما تدعو اليه الحاجة من ضبط أو تفسير فجاء كتابا حافلا ليس له فى بابه نظير " (١) ثم أورد أسماء المصادر التى نقل عنها وقسم الكتاب الى مقدمة وثمانية أبواب الباب الأول فى نسب الرسول صلى الله عليه وسلم ، والباب الثانى فى صفة خلقه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والباب الثالث فى صفة لباس الرسول صلى الله عليه وسلم ،والباب الرابع فى صفة أكل الرسول وشربه ونومه ، والباب الخامس فى صفة خلق الرسول ، والباب السادس فى صفة عبادة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والباب السابع فى أخبار شتى من أحوال الرسول ، والباب الثامن فى طب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وجعل للكتاب خاتمة تشتمل على خمسين حديثا من أدعية الرسول صلى الله عليه وسلم .

٤) كتاب أطباق الذهب للعلامة شرف الدين عبد المؤمن بن هبة الله المغربى الأصفهانى :

شرح غريب ألفاظه الشيخ يوسف النبهانى وطبعته المكتبة الأدبية ببيروت ١٣٠٩ والكتاب يقع فى ١١٢ صفحة ، وهو عبارة عن مائتين ومائة مقالة ،ويقول مؤلفه فى المقدمة . " وبعد فقد أشار الى ولى من أولياء الله تعالى أو قلادة الرقاب وطاعته عوذة المقلب (٢) أخ شقيق وصنو (٣) رفيق طالما تراكضنا فى مهول الطين (٤) وتساقطنا فى مثبر الدين (٥) وقلبنا أرض الجنة ظهرا وبطنا ، حتى أخرجنا وهبطنا ، هو القطب السالك والحى الهالك والثمل (٦) الناسك (٧) ،

---

(١) وسائل للوصول ص ٣ ـ ٤ (٢) العوذه وهو ما يتعوذ به وهى الرقية
(٣) الصنو أحدى الشجرتين فى أصل واحد .
(٤) هو الرحم أو أقصاها ، أو مسلك الذكر منها أو فمها ، أو موضع الولد فيها
(٥) المثبر كمنزل : المجلس. (٦) السكران
(٧) العابد .

والنجم الزاهر ، والشمع الساهر ، والطالع الفائر ، والواقع الطائر ، ظهير الدين[1] وظهيره ، وظهيره[2] الحق وظهره أحمد بن محمود بن علي الخوي زاده الله توفيقا وحشره من الصديقين وحسن أولئك رفيقا أمرني أن أجمع له مائة مقالة في الوعظ والنصيحة والخطب الفصيحة أسلك فيها مسلك العلامة جار الله عمر بن محمود الزمخشري ، وهو الذي يضيق عنه الطوق البشري[3] والقول المرضي والعطاء الفيضي مدده سماوي وأتيه أتاوي[4] كأنما يوحى اليه ايحاء فيحيي به السمع احياء ، وأين الثمد[5] من الخضوم؟[6] وأين من السلا فماء الحصرم؟ وأين دوى الزنبور من نغم الزبور؟ ، وكم بين بسوس[7] بمنيف الحلب ورفود[8] رسله ينبع من القلب ويقع في القلب .... الخ "[9] .

وهكذا يستمر المؤلف بمثل هذا الأسلوب الى نهاية المقدمة وكل مقالة لا تتجاوز العشرة الأسطر والشيخ يوسف النبهاني هو الذي شرح المفردات الصعبة كما هي في الهامش وهكذا الى نهاية الكتاب .

ولم يذكر الشيخ النبهاني أي تعليق له على الكتاب كما فعل في ديوان أبي الهدى الصيادي .

٥) الرائية الكبرى في وصف الملة الأسلامية والملل الأخرى ـ المطبعة الأدبية : ١٣٠٩ .

لم يذكر مكان الطبع ، والكتاب بلغ ١٢٢ صفحة . وعليه ختم دار الكتب السلطانية . ويقول الشيخ النبهاني في المقدمة : (أما بعد فيقول ناظمها الفقير يوسف النبهاني عفا الله عنه : ان هذه القصيدة فريدة في بابها ، قد أشتملت على ما تلزم معرفته من محاسن الديانة الأسلامية ومساوئ غيرها مع

---

(١) المعين

(٢) الظهر وقت الزوال

(٣) الطوق أسم من الطاقة

(٤) الاتى والأتاوي بتثليث الهمزه : السيل الغريب .

(٥) الثمد الماء القليل

(٦) الخضوم البحر

(٧) البسوس الناقة التي لا تدر الا على الابساس أي التلطف بأن يقال لها بس بس .

(٨) الرفود الناقة تملأ الرفد وهو القدح الفخم بحلبة واحدة .

(٩) أطباق الذهب ص ٢ ـ ٣ .

كمال الفصاحة والبلاغة والسهولة وقلما يخلو بيت منها من النكت الأدبية والمحسنات البديعية وقد شرحت بعضها يلزمه الشرح من ألفاظها ولم أنبه على ما فيها من المحاسن البديعية مع كثرتها سوى التورية لمزيتها في الكلام ، وقد سيرها الله في أكثر من ثلاثين موضعا منها ، وعدة أبياتها خمسة وعشرون وسبعمائة بيت منها أربعمائة بيت لم تتكرر فيها القوافي وما وقع فيه تكرارها اما أن تكون فيه احدى القافيتين معرفة والاخرى نكرة واما أن يكون بينهما سبعة أبيات فأكثر ، وذلك جائز في فن العروض ، ونصيحتي للمسلمين أن يعلموها أولادهم ويحفظوهم اياها فقد أشتملت على ما لا بد منه من أحكام العقيدة " الاسلامية والسيرة النبوية والثناء على سيد المرسلين ودينه المبين وأصحابه أجمعين وتزييف ديانة المخالفين الذين يجتهدون في هذا العصر في اضلال أولاد المسلمين وقد ختمتها بالتغزل بمحاسن ديانتنا الاسلامية بأبدع أسلوب تتعشقه الطباع السليمة وتميل اليه القلوب واعلم أني نظمتها وهذبتها فكررت نظري عليها مرارا كثيرة في نحو سنة مع اشتغالي بتآليف أخرى ".(١)

٦) <u>الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية</u> :

طبع في بيروت سنة ١٣١٢ بالمطبعة الأدبية وبلغت صفحاته ٦٣٢ من الحجم الكبير ، وطبع منه ٧٠٠٠ نسخة .

وقد صدر الشيخ النبهاني كتابه هذا بالقصيدة التالية :

تبدى سنا الأنوار من دون أستار * * فأسفر عن شمس الهدى أي اسفار
كتاب حوى أوصاف أفضل مرسل * * محمد المختار من كل مختار
ليس سوى القرآن سفر يفوقه * * كما لم يفق طه سوى الخالق الباري
مواهب مولاه له قد تجمعت * * به فهو سفر جاء جامع اسفار
على أنه لم يحو معشار فضله * * ولا عشر عشر العشر من عشر معشار
عليك به فاقرأه ما استطعت تلق ما * * يسرك في الدارين يا أيها القاري
وبالله سل لي من النهي رحمة * * تبدل بالحسنى مساوي أو زاري (٢)

---

(١) الرائية الكبرى ص٢ .

(٢) راجع الديوان ص ١٣٢ .

بعد أن قدم الكتابة بكثير من الحمد والثناء على الله تعالى وتفنن فى ايراد الصلوات والتبركات على الرسول صلى الله عليه وسلم تكلم عمن ألف كتبا عن الرسول عليه السلام فقال : " فمنهم من اختصر فى تأليفه فأجاد ومنهم من أطال فأصاب وأفاد ، ومنهم من توسط وكان مذهبه حسن الاقتصاد " .

فمن المختصرين الامام البارع القاضى عياض وحسبك بكتابه الشفاء " الذى سار فى الافاق ، ووقع على قبوله الاتفاق .

ومن المطولين الامام الهمام الحسن بن عبد الرحمن الانصارى ، ولم أطلع على كتابه وانما رأيت فى آخر نفح الطيب بعد أن نقل منه شيئا من المدائح النبوية ما نصه : " نقلته من المجلد الخامس والعشرين من كتاب منتهى السول فى مدح الرسول " للحسن بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن عذرة المغربى الأنصارى رحمه الله تعالى ورضى عنه " .

ومن المتوسطين الامام العلامة الشيخ أحمد بن شهاب الدين القسطلانى فى كتابه " المواهب اللدنية بالمنح المحمدية " وهو مجلدان ضخمان سارت بهما الركبان .... ومع كثرة تداولة بين العلماء الأعلام وظهور وجوب اختصاره لينتفع به الخاص والعام ، لم أر له مختصرا ولم أسمع له خبرا .. مع اطلاعى من اسماء الكتب على ما لا أكاد احصيه .

نعم رأيت بعد شروعى فى اختصاره فى " خلاصة الأثر " فى ترجمة العلامة الشيخ أحمد الوارثى أنه شرع فى أختصاره ومات قبل اكماله رحمه الله .... وقد اختصرته أحسن اختصار ، واقتصرت به منه على لبابة وجردت سيفه الصقيل من قرابه ..... وقد جاء بحمد الله أقل من نصف حجمه مع بقاء كل المقصود من علمه مع الحرص على بقاء عبارات مصنفة العلامة النحرير ، وربما تصرفت بها فى النزر اليسير بتقديم وتأخير أو اكمال الحديث أن تبديل بيسير أو زيادة تفسير من الشارح أو نهاية ابن الاثير عقب بعض الألفاظ الغريبة التى تركها بلا تفسير ، ولما تم اختصاره وأشرقت أنواره سميته " الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية " فدونكه مختصرا طاب أصله فطاب وتجلت شموس معانيه من تحت سحاب الاسهاب "[1] ثم

---

(١) الانوار المحمدية ص ٤ ـ ٦ .

ذكر روايته " للمواهب اللدنية " بالاجازة من عدة طرق منها طريق أستاذه الشيخ ابراهيم السقا المصرى وقد رتبه على عشرة مقاصد كأصله وكلها تدور حول شخصية الرسول وفضله وكحقيقته وآله وفى طبه وعبادته ووفاته .

٧) النظم البديع فى مولد الشفيع صلى الله عليه وسلم :

وهو عبارة عن تخاميس بلغت اثنين وعشرين ومائة تخميس وجعل بعد كل عشرين تخميس عبارة " ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم " وقد بدأ المولد بقوله تعالى : " لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم . فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم " .

ومن تخاميسه التى افتتح بها المولد :

الحمد لله على آلائه (١) * * حمد امرئ أخلص فى أدائه
أحمده والحمد من نعمائه * * أن خصنا بخير أنبيائه
محمد سيد كل عبد
أشهد أن الله فرد يعبد * * وأن خير خلقه محمد (٢)
رسوله المتمم المجدد * * وكل من صدقه مخلد
بغير شك فى جنان الخلد
صلى عليه ربه وسلما * * وآله ومن اليهم انتمى
وصحبه الهداة أنجم السما * * وتابعيهم وجميع العلما (٣)
وكل هاد فى الورى ومهدى
وبعد فاسمع أيها السعيد * * ومن أنار قلبه التوحيد
عقد بيان درة نضيد * * أسلوبه فى نظمه فريد (٤)
بذكر طه جاء خير عقد

---

(١) الآلاء والنعم واحدها الى بالفتح وقد يكسر ويكتب بالياء كمعى وأمعاء كما فى المختار .

(٢) المتمم قال صلى الله عليه وسلم بعثت لأتمم مكارم الأخلاق وهو خاتم النبيين والمجدد لملة ابراهيم بعد اندراسها .

(٣) قال صلى الله عليه وسلم أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم .

(٤) البيان الفصاحة والمراد بالنضيد المنظوم والاسلوب الطريق والفن .

نظمته بأنمل الافكـــــار * * من در بحر المصطفى المختــار[1]
خير البرايــا صفوة الاخيــار * * وسيد العبيـد والاحـــــرار
وكل جمع فى الورى وفـــــود

ويختم المولـــد بقولـه :

الحمد لله فقد تـــم الخـــبر * * عن مولد المختار سيد البشـــر
الف ثلاث مائة واثنـــا عشــر * * بتاريخ نظم عقد هذه الســدر
فى شهـره قد تم خير عقـــــد

وقد طبع من هذا المولد تسعة عشر الف نسخة وبلغت عدد صفحاته ٢٤ ص وقد كان طبعهــا فى بيروت سنة ١٩١٢[2] وهو مثبت فى ديوان النبهانى[3] .

(٨) الاحاديث الاربعون فى وجوب طاعة أمير المؤمنين :

المطبعة الأمويــة ببيروت ١٣١٢/ ٢٤ صفحـــة .

يقول الشيخ النبهانى فى المقدمة : أما بعد فانى جمعت هذه الاحاديث الأربعين فى وجوب طاعة أمير المؤمنين ونوابه وأكثرها صحاح وحسان راجيــا أن أنتظم فى سلك قوله صلى الله عليه وسلم : من حفظ من أمتى أربعين حديثا فى أمــر دينها بعثه الله فى زمرة الفقهاء والعلمـــاء " .... وقد فسرت غريبهـــا من " النهايـــة " وشرح البخارى ومسلم ومشكاة المصابيح[4] .

وجاء فى نهاية الرسالة : تنبيه " اعلم أن الاصول التى جمعت منها هـذه الاربعين ثلاثة " مشكاة المصابيح " للخطيب التبريزى " والترغيب والترهيب " للحافظ المنذرى والجامع الصغير " للحافظ السيوطى ثم راجعت الصحيحين فى الأحاديث المروية عنهما وكان الفراغ فى ذى الحجة ١٩١٢ هـ[5] .

---

(١) الانمل رؤوس الاصابـــع .

(٢) المجموعة النبهانية . حـ ٢ ص ٤٧١ .

(٣) الديوان ص ١٦٧ ـــ ١٩١ .

(٤) الاحاديث الاربعين فى وجوب طاعة أمير المؤمنين ص ٢ .

(٥) المصدر السابق ص ٢٤ .

٩) الفيض المحمدي والمدد الاحمدي :

وهو ديوان الشيخ محمد أبي الهدى الصيادي الرفاعي الحسني ٠ وقد طبع في مطبعة " الجوائب " بالقسطنطينية ١٢٩٨ هـ وحققه وشرح غريب ألفاظه الشيخ يوسف النبهاني ٠

كتب الشيخ يوسف النبهاني مقدمة طويلة للديوان وألقى فيها بكل ما أوتي من بلاغة وفصاحة وقد جاء في مقدمته أما بعد فيقول الفقير اليه سبحانه يوسف ابن اسماعيل النبهاني :

ان الشعر قطب الأدب الذي تدور عليه رحاه وكنزه الذي لا يعثر عليه الا من وفقه الله لاستخراج خباياه ٠ وسره الذي لا يدركه سوى صاحب الذوق السليم ولا يطلع عليه الا من ظفر بأكرم آلاته وهو الطبع الكريم ٠ وبدره الذي تشرق به سماؤه ويظهر به سناه وسناؤه ٠ وعماده الذي عليه قيامه بل روحه التي بها قوامه ٠ وهو روض السمع ورياضة الطبع وعنوان الفضل وبرهان العقل وترجمان الجنان ٠ وصيقل الأذهان ٠

فمنهم قوم شببوا بسعدى وسعاد وهاموا من وصف الحسان في كل واد وتحمسوا بطعانهم وجلادهم ٠ وافتخروا بشرف نفوسهم وأجدادهم ٠ وحنوا الى المعاهد والأوطان وتمدحوا بحفظ وقري الضيفان ٠ ووصفوا الابل وسراها والصحاري ومهاها ٠ وذكروا الكواكب وأنواءها ٠ والبروق ولألاءها ٠ ونعتوا الرسوم والطلول ٠ والحزون والسهول ٠ والسحاب والسراب ٠ والنديم والشراب ٠ والزهور والرياض ٠٠ وكانوا يقدحون ويمدحون ٠ فيفسدون ويصلحون ٠

ومنهم قوم عارفون أنفوا من أن يسكنوا بعض هذه المعاني في بيوتهم العامرة ويشتغلوا بتجارة هي غير رابحة ان لم تكن خاسرة ٠ فصرفوا نقد اشعارهم في توسلات الهية ٠ ومدائح نبوية ٠ وذكروا وقائع أنسهم ومشاهد قدسهم ٠ ونعتوا الاحوال والمقامات ٠ وضمنوا العبارات اشارات ٠ ورمزوا في قصيدهم رموزاً ٠ أبوابها — الا عنهم موصدة وكنزوا فيها كنوزاً هي عن غيرهم بطلاسم الاسرار مرصودة ٠ فكم سلكوا سبيلا وهو ليس لهم بسبيل ٠ وذكروا بثينة ولم يقصدوا غير جميل ٠ ووصفوا هنداً ولا هند ٠ ونادوا سعداً وما فارقهم سعد ٠ ومدحوا الخمرة والحسان والكئوس والقناني وأبيك لم يذوقوا لابنة العنب طعماً ٠ ولا عرفوا من رسومها رسماً ٠ وعلى هذا لم تخل اشعارهم من حكم تنتفع

بها الامم ونسيب يستحسنه الأديب ولطائف ونوادر توافق أهل الظاهر .

وهؤلاء هم الذين أحرزوا القدح المعلى ، وفازوا بالمقام الأعلى وقد أنعم الله — وله الحمد — على هذا العصر بحبر من أحبارهم وذمر[1] من حماة ذمارهم وصل فى طريقهم الى المقاصد التى وصلوا اليها فجدد دوارس رسومهم وأجياد رفات علومهم ، وارتقى الى مقاماتهم بعد معرفة أحوالهم فنسج ديباجة شعره على منوالهم ، وهو شيخنا العالم العامل المرشد الكامل .... حضرة مولانا السيد الشريف الشيخ محمد ابى الهدى أفندى الصيادى الرفاعى ....

... وقد أطلعت له — أبقاه الله — على فرائد قصائد هن للبة الدهر قلائد ، وبدائع أشعار هى لزند الأدب سوار ، اشتملت على معان جزلة ضربت فيها البلاغة خيامها ، وألفاظ سهلة ركزت فيها الفصاحة أعلامها ....

... فاستأذنته — متعنا الله بحياته — فأحسن وسجيته الاحسان ، وأذن لى فجمعت هذا الديوان ، ليكون أثرا فى أعتاب الملك المجاهد الاعظم والسلطان الغازى الافخم مشيد مملكة المحروسة على الأساس الاقوى من العدل والفضل والقوى والتقوى ..... امام المسلمين أمير المؤمنين .

أجل الورى عبد الحميد مليكنا * * مجدد هذا الدين أحسن تجديد

الى آخر القصيدة .

ثم يذكر الشيخ النبهانى رعاية السلطان عبد الحميد للعلماء والصوفية وآل البيت منوها بحظوة ابى الصيادى لديه[2] .

وقد كان عمل الشيخ النبهانى فى الديوان ليس فقط جمع القصائد بل ترتيبها على أبواب ، والتقديم لكل قصيدة بما يناسب موضوعها .... يقول فى تقديم الباب السادس فى ملح شتى ما بين أمدوحة سلطان وسانحة عرفان ورثاء فاضلة ومديح فاضل ، وهجاء ملحد ، ونصيحة جاهل ، وحكم رقيقة وأمثال رشيقة ومواعظ

---

(١) الذمر — بفتح فكسر ، أو فتح فسكون ، وبوزن اميرء وفلز= الشجاع .

(٢) الفيض المحمدى والمدد الاحمدى ص ٢ — ٧ .

أصفى من الزلال منبعهــا عين الحقيقة (١) .

١٠) طيبة الغراء في مدح سيد الأنبياء أو الهمزية الألفية :

لقد بلغت أبياتها ألف بيت صدرها بالتنويه التالي :

يقول ناظمها قد وازنت بهمزيتي هذه همزية الامام الأبوصيري " أم القرى في مدح خير الورى " عالما أن الفضل للمتقدم ، وأنه بمنزلة المعلم وأنا بمنزلة المتعلم وان كانت هذه قد حوت أضعاف ما حوته تلك من السيرة النبوية والفضائل المحمدية وامتازت عنها بحسن التقسيم والترتيب حتى سارت بفضل الله فريدة في بابها ، لا نظير لها فيما أعلم بين أترابها ، حرية بتدريسها وحفظها والاعتناء بشرح معناها ولفظها لمن يهمه مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعرفة سيرته وفضائله ، ومعجزاته وشمائله ، لأنها أقوى أسباب محبته وقوة الايمان به صلى الله عليه وسلم .

هذا وقد شرح النبهاني معاني مفرداتها على الهامش وجعل للشرح مقدمة جاء فيها :

أما بعد فهذه حاشية مختصرة بينت فيها مالا بد منه في همزيتي هذه معتمدا في حل غريبها على النهاية ولسان العرب والقاموس والمصباح والمختار ونبهت من أنواع البديع على جميع ما جاء فيها من التورية لشرفها وكونها أعلى أنواع التحسين واشتمالها منها على ما لا يشتمل عليه عدة دواوين " (٢) .

يقول فيها :

نورك الكل والورى أجزاء * * يانبيا من جنده الانبياء (٣)
علة الكون كنت أنت ولولا * * ك لدامت في غيبها الأشياء (٤)
منتهى الفضل في العوالم جمعا * * فوقه من كمالك الابتداء
لم تزل فوق كل فوق مجدا * * بالترقي ما للترقي انتهاء (٥)

---

(١) الديوان ص ١٦٧ ـ ١٩١ .

(٢) طيبة الغراء ص ٢ .

(٣) قوله من جنده الانبياء اى من انصاره قال تعالى " واذا اخذ الله ميثاق النبيين " .

(٤) علة الكون أي سبب تكوين الخلائق فقد خلقت جميعها لاجله صلى الله عليه وسلم كما ورد في عدة أحاديث .

(٥) مجدا مستعجلا .

جزت قدرا مما أمامك خلق * * فوقك الله والبرايا وراء
خير أرض ثويت فيها سماء * * بك طالت ما طاولتها سماء (١)
يا راعى الله طيبة من رياض * * طاب فيها الهوى وطاب الهواء (٢)

وقد أستعرض النبهانى فى هذه القصيدة حياة الرسول من مولده حتى وفاته وجعل فصلها الأخير فى التوسل بالرسول ، وجعل لها خاتمة أعتذر فيها عن تقصيره فى مدحه لأن صفات الرسول لا يدرك حقيقتها غير الله تعالى ، وهى تعد ملحمة أسلامية كما قال الأستاذ خير الدين الزركلى .

وقد ختمها الشيخ النبهانى بقوله الحمد لله رب العالمين ، قال ناظمها : قد مضى فى شروعى فى نظمها الى ختام طبعها سنتان لم أخل فيهما من تهذيب وتنقيح فيها ، وزيادة ونقص فى ألفاظها ومعانيها ، حتى جاءت لعين كل مؤمن بحمد الله وبركة ممدوحها قرة وفى جبين هذا العصر غرة (٣) .

وقد طبعت فى المطبعة الأدبية فى بيروت عام ١٣١٤ هـ طبع منها خمسة عشرة ألف نسخة والقصيدة مثبته فى الديوان ص ١٢ ـ ٨٩ .

١١) الأحاديث الأربعون فى فضائل سيد المرسلين :

طبعت فى بيروت سنة ١٣١٠ هـ فى ١٦ صفحة ، ١٠ آلاف نسخة :

١٢) الأحاديث الأربعون فى أمثال أفصح العالمين :

طبعت منها ١٠ آلاف نسخة فى بيروت فى ١٦ صفحة .

١٣) سعادة المعاد فى موازنة بانت سعاد :

طبعت منها ١٠ الاف نسخة ببيروت فى سنة ١٣١٥ هـ ، من عشر صفحات ولم أعثر على هذه القصيدة حسب طبعتها ولكنها موجودة فى الديوان (ص ٩٠ ـ ٩٨)

---

(١) ثويت اقمته .
(٢) طيبة أى المدينة المنورة .
(٣) طيبة الغراء ص ١٠٤ .

وقال في مقدمتها : وفي أعتقادي أنها تفوق جميع ما أشتملت عليه المجموعـــة النبهانية في موازنات بانت سعاد التي نظمها مشاهير البلغاء سوى قصيدة امامنا الأبوصيري رضى الله عنه " (١) يفتتحها بقولـــه .

هواى طيبة لا بيضاء عطبـــــول * * ومنيتي عينها الزرقاء لا النيـــل (٢)
عذراء جلت عن التشبيب اذ جليت * * هامت بها الخلق جيلا بعده جيل (٣)
كل المحاسن جزء من محاسنهـــا * * اجمالها بجمال الكون تفصيـــل
فما سعاد اذا قيست ببهجتهـــا * * وكل أمثالها الا تماثيـــــل
ما كنت أسأل لولها الركائب عـــن * * سلع ولا كان لي بالجزع مسئول (٤)

١٤) رسالـة في مثال النعل الشريـف :

طبع مصطفى البابي الحلبي بمصر سنة ١٣١٦ هـ صفحة واحدة طبع منهـــا ٤٠ ألف نسخة .

ملحوظة : توضع هنا صورة المثال للنعل الشريــف

١٥) حجة الله على العالمين من معجزات سيد المرسلين :

طبع في المطبعة الاميرية ببيروت عام ١٣١٦ هـ ثلاثة الاف نسخة منها — وصفحاته ٨٩٦ صفحة .

وقد أعادت مكتبة الجندي طبعه عام ١٩٧٢ في جزئين وقد صدره بالأبيات التاليـــة :

كتاب تسمى حجة الله من وعــــى * * مصاحفها يلفه طابق الاسمـــا
أتى جامعا من معجزات محمـــــد * * نبي الهدى خير الورى عددا جما
نجوم بأفق الدين كم ذا اهتدى بها * * بصير وكم أودى ولم يرها أعمـــى

---

(١) الديوان ص ٩٠ .
(٢) هواى أي محبوبي والعطبول المرأة الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنـــق وفي كل من عينها والزرقاء والنيل تورية .
(٣) عذراء في أسماء المدنية المنورة والعذراء البكر فيها تورية .
(٤) سلع جبل بالمدينة والجزع موضع بها وأصله منعطف الوادي ومسئول : سؤال

ومعجزة القرآن كالشمس أشرقت * * ودامت وسارت عمت العرب والعجما
هو الحجة الكبرى على كل جاحد * * نبوة خير الخلق والآية العظمى
ورب امرئ من نوره متضور * * يرى الشرك والخفاش تحجبه الظلما
ووالله لولا الله قاض على الورى * * قضاء بعدل وافق القدر الحتما
لما اختار ذو عقل سوى دين أحمد * * ولكن قضاء الله في خلقه تما (١)

وفي المقدمة ـ بعد أن أسهب الشيخ النبهاني في الثناء على الرسول صلى الله عليه وسلم ذاكرا معجزاته عن سائر الأنبياء والرسل ـ تكلم عن المصادر التي اعتمد عليها في كتابه فقال : :

" وقد تناقل معجزاته صلى الله عليه وسلم في جميع الأزمنة والأمكنة جيل عن جيل وخلف عن سلف ورواها التابعون عن الصحابة ومنهم من بعدهم من علماء الامة وجها بذة الملة وحفاظ الحديث في القديم والحديث ودونوا فيها الكتب والأسفار . ونشروها في جميع البلاد في جميع الأعصار .

فمنها الكتب المسمى كل منها دلائل النبوة للحافظ أبي بكر البيهقي وأبي نعيم الاصفهاني وأبي الشيخ الأصبهاني وأبي القاسم الطبراني وأبي زرعة الرازي وأبي بكر بن الدنيا وأبي اسحق الحربي وأبي جعفر الفريابي وأبي عبدالله المقدسي وكتاب الوفا في فضائل المصطفى " للحافظ أبي الفرج بن الجوزي وغيرهم . وهؤلاء يذكرون ما يذكرون بالأسانيد المعروفة والطرق المتعددة وكتبهم كلها كبيرة يشتمل الواحد منها على مجلدات كثيرة وكتاب شرف المصطفى " للحافظ أبي سعد النيسابوري في ثمان مجلدات .

ومن الكتب المدونة في هذا الشأن بخصوصه " أعلام النبوة " للامام أبي الحسن الماوردي " والخصائص الكبرى " لخاتمة الحفاظ جلال الدين السيوطي .

ومن الكتب المؤلفة في عموم أحواله الشريفة صلى الله عليه وسلم " الشفا بتعريف حقوق المصطفى " للامام البارع القاضي عياض " والمواهب اللدنية " للامام شهاب الدين القسطلاني " والسيرة النبوية " للعلامة السيد أحمد دحلان الجامعة

---

(١) القصيدة مثبته في الديوان ص ١٣٠ . وقد تقدمت هذه الابيات ص ٦٦٧ .

لأكثر الكتب المؤلفة من سيرته صلى الله عليه وسلم .

وهؤلاء يذكرون معجزاته بدون سند وربما أسند الشفاء . أما الصنف الأول من هذه الكتب فانها يندر وجودها وقل تداولها في الأعصر الاخيرة لطولها بكثرة الاسانيد وتعدد الروايات وقصور الهمم عن بلوغ تلك المراتب العاليات وقد أقبل الناس على الصنف الثاني منها لتخليصه المقاصد وجمعه الفوائد .

ولما كان قد يوجد من بعض الكتب الخمسة المذكورة ما لا يوجد في الاخر اتخذتها أصولا لهذا الكتاب وجمعت منه معظم ما أشتملت عليه المعجزات ودلائل النبوة والايات ونقلت من غيرها من كتب الأئمة المعتمدة كثيرا من دلائل نبوته صلى الله عليه وآياته البينات . وما يناسب ذلك من النقول الصحيحات والفوائد المهمات وعزوت جميع الأقوال الى قائليها ولم أتصرف الا في النادر بشيء من ألفاظها ومعانيها .

أما الكتب الخمسة فقد أعزو اليها وقد لا أعزو لكونها الاصول ومنها معظم المنقول . فاذا لم أعز شيئا الى كتاب فهو منها أو من بعضها البته .

وهناك كتب صنفت في صنف مخصوص . من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم ككتاب البشر لابن ظفر " ومصباح الظلام في المستغيثين بخير الانام " لابن عبد الله النعمان " والاشاعة لاشراط الساعة " للسيد محمد البرزنجي فهذه لخصت جميع المقصود منها وأدخلته في الابواب التي تناسبه فجاء هذا الكتاب بحمد الله مجموعا جامعا . ومؤلفا ان شاء الله نافعا . لا أعلم كتابا في هذا الشأن في حجمه . جامعا فوائده وعلمه " (1) . وقد رتبته على مقدمة وأربعة أقسام :

القسم الاول : فيما ورد من التنويه بنبوته والبشائر به صلى الله عليه وسلم في الكتب السماوية عن الاحبار والرهبان وغيرهم من الانس والجان وقسمه الى ثمانية أبواب .

القسم الثاني: في خلق نوره صلى الله عليه وسلم وأنتقاله في أصلاب أجداده . الطاهرين وفيما وقع له من الخوارق الى حين بعثه وقسمته الى أربعة أبواب .

---

(1) حجة الله على العالمين حـ ١ ص ٨ ـ ٩ .

القسم الثالث : فيما وقع له من المعجزات الدالة على نبوته من حين بعثته الى حين وفاته وقسمته الى أثنى عشر بابا •

القسم الرابع : فيما وقع من خوارق العادات الدالة على صحة نبوته وصدق رسالته صلى الله عليه وسلم وقسمته الى ثلاثة أبواب •

١٦) خلاصة الكلام في ترجيح دين الاسلام :

مطبوع فى بيروت ١٣١٦ هـ من تسع صفحات وطبع منه ثلاثة الاف نسخة وقد ألحقته بكتاب حجة الله على العالم فى طبعته الثانية عام ١٩٧٢ •

هذه الرسالة كتبتها بأسلوب نصيحة واقناع مستخدما فيها المفاهيم السهلة وكأنه يوجهها لغير المسلمين من اليهود والنصارى ولذلك استعمل فيها الادلة العقلية ولم يستشهد بالقرآن الا مرة واحدة •

وقد جاء فى رسالته " ٠٠٠٠٠٠ فأقول أنت تعلم أن الانسان من حين ولادته الى مماته يغلب عليه بالطبع حب العادات التى يعتادها ولا سيما اذا طال الزمان ، وتصير هى الحاكمة عليه ولا يقدر على مفارقتها الا بكره عن نفسه فبعد ولادته بحسب الرضاع فلا يفارقه بالفطام الا فى غاية المشقة ويألف داره ومحلته وبلدته وقطره ولا يفارق شيئا منها الا كارها وكذلك دكانه وسوقه وصنعته وفنه وكذلك أهل بيته وأسرته وعشيرته وجنسيته ولغته وديانته التى ينشأ عليها فلا يفارق شيئا من جميع ما ذكر هو وأمثاله الا كارها لفراقه وهنا نشأت الفرق والجماعات المختلفة وهذا أمر ظاهر بديهى لا ينكره من عنده ادنى ادراك •

اذا علمت ذلك تعلم يقينا أن مجرد محبة الناس لأديانهم وتمسكهم بها لا يكفى دليلا لكل واحد منهم على أن ديانته خير الديانات كما أن محبته لصنعته التى ينشأ عليها لا تدل على أنها خير الصنائع بل قد تكون أخس الصنائع وأحقرها "(١) •

وهكذا يستمر فى تقريب المعنى حتى يزحزح المخاطب عن التمسك بصحة عقيدته الى أن يقول " واذا كان الأمر كذلك وهو كذلك فيجب على العاقل البحث والتفتيش عن حقيقة دينه الذى هو عليه وغيره من الأديان حتى يظهر له الحق فيتبعه

---

(١) خلاصة الكلام فى ترجيح دين الاسلام ص ٥١٨ ـ ٥١٩ •

أينما كـــــان •

ثم يوازن بين الأديان الثلاثة موازنة عقلية ذاكرا السلبيات في اليهودية والنصرانية وما يقابلها من ايجابيات خصوصا ما يتعلق بالذات الألهية والرســـــل •

١٧) القول الحق في مدح سيد الخلـــق :

قصيدة طبعت في بيروت سنة ١٣١٧ وبلغت ٦ صفحات طبع منها عشرة آلاف • نسخة ولم أجد القصيدة بطبعتها هذه ووجدتها في ديوانه حيث بلغت ثلا ثـــة عشر بيتا ومائة بيت يقول فيها :

لمن ربع بأكنـــاف المصلـــــى * * علا السبع العلا شرفا وفضـــلا (١)

وغاة الله منية كل نفـــــس * * وحيا الله تربته وأعلـــــى

وبلـــغ من غوادي السحب عـــنى * * قباب قبـــا بسيل القطر سئـوءلا (٢)

ودام على العقيق عهاد غيـــث * * تروى دوحه سلمـــا وأثـــلا (٣)

ولا برح النسيم على العوالـــي * * يجــو هنــاك فوق النجم ذيــلا (٤)

وحيا الله من أحد محبـــــا * * حبيبا لن يمل ولـــن يمـــلا

فيا ركب الحجاز فدتك نفســـي * * تحمل ما يخـف عليك حمـــلا

متى جزت النقا وربوع سلـــع * * وجئت أعز أرض الله أهـــلا (٥)

فبادر بالسجود على ثراهـــا * * وأد بلثمه فرضا ونفـــلا (٦)

١٨) سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونـين :

المطبعة الأدبية بيروت عـام ١٣١٨ هـ طبع منه ١٠ الاف نسخة " يحتـــوى على ٧٢٠ صفحة بالحجم الكبير والحرف الصغـير •

---

(١) الربع المنزل الاكناف الجوانب المصلى مكان في المدينة المنورة •

(٢) الغوادي السحاب تنشأ غدوة أي أول النهار والسؤال ما يسأله ويتمناه •

(٣) العهاد الامطار الدائمة الدوح الشجر الكبير السهم نوع من الشجر وكذلك الاثل وهو الطرفـــا •

(٤) النجم وهو النبت مالا ساق له خلاف الشجر وفيه تورية بنجم السماء •

(٥) النقا وربوع سلع أماكن في المدينة المنورة •

(٦) الديـــوان ص ٩٩ •

وقد صدره بقولـــــه :

كتــاب سعادة الدارين سفـــــــــر * * بديع عزيـــــين الكتب مثـــــــلا
وجدنـــاه ، كتابا مستطابـــــــا * * أتى لرشادنا أهلا وسهـــــــلا
أحاديث عن المختار تـــــــروى * * وآيـات عن الرحمـــن تتلـــى
وأقوال الى العلمـــاء تعـــــزى * * بدت كعرائس بالحســـن تجلـــى
حوى فضل الصلاة علـــى نـــبى * * عليه الله فـــى القرآن صلـــى
فبين حكمها فرضا ونفـــــــلا * * وفصل نفعها نقـلا وعقـــــلا
به خـــير الأماني والأمالــــى * * فراشفى لن تمـــن ولن تمـــلا
آرانا المصطفى منا قريبـــــا * * وسهل للوصـــول اليه سبيلا
هو الكنز المبـــاح لمن أتـــاه * * عليه لم نضـع رصـــدا وقفـــلا
فمن شـاء الغنى دنيـــا وأخـــرى * * بلا تعب فقـد وافاه سهــــلا (١)

يقول الشيخ النبهاني بعد أن أسهب في الحمد والتسبيح والثناء علـــى الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليــه وسلـــم :

" أما بعد فقد أجمعت الامة على أن الصلاة على سيدنا محمد صلى اللـــه عليه وسلم من أفضل الطاعات وأنفع العبادات ، ولذلك اعتنى العلماء في شأنها فألفوا فيها الكتب والرسائل وبينوا مالها من الفوائد والفضائل " ثم ذكــر التصانيف التـــى اطلع عليها في الصلاة على الرسول موضحا خاصية كل منها من حيث الأسهـــاب أو الاختصـار " الى أن يقول " فمن أطول ما رأيت كتاب " تنبيه الامام " للشيـــخ عبد الجليل محمد بن عظوم القيرواني في مجلد حافل أبدع وأغرب ومن المتأخرين القطب الكامل سيدى محمد المعطى بن عبد الخالق بن عبد القادر بن القطب أبى عبد الله محمد الشرقي التادلي في مجلدات أطال فيها رحمه الله ، ومن القصار الكتاب المسمـــى " بدلائل الخيرات وشوارق الانوار " للقطب أبى عبد الله الجزولي وكان في أواخـــر الثمانمائة وكان في عصره رجل آخر يشيرا زالف كتابا وسماه بهذا الاسم وعلى هذه الطريقة الا أن الله سبحانه وتعالى قد رزق القبول والاشتهار لكتاب الجزولي فولعت به الخاصة والعامة وخدموه بشروح وحواشى ، وتلاه من المتأخرين رجل يعرف بالبهاروشى ألـــف

---

(١) تقدمت الأبيات التسعة قبل هذا البيت ص ٦٦٦ ، ص ٦٦٧ .

كتابا سمـــــاه كنوز الأســـــرار " .

وهكذا يستمر الشيخ النبهاني في ذكر الكتب التي ألفت على منوال دلائــل الخـيرات فيذكر عشرة كتب ثم يذكر النبهاني ظروف تأليفه " لسعادة الداريـــن " فيقول : " وكنت منذ سنوات أقتديت بهم (١) في جمع كتابي " أفضل الصلوات علـــى سيد السادات " وبعد أن انتشرت نسخه في أكثر البلاد الاسلامية وحصل له القبـول التام ببركتـه عليه الصلاة والسلام ـ ظفرت بكثير من كتب الصلاة على النبي صلـــى الله عليه وسلم المعتمدة فوجدت فيها فضائل وفوائد جمة وكيفيات من الصلوات الفاضلة مهمـة خلا عنها كتاب " أفضل الصلوات " فجمعت هذا الكتاب ليكون لذلك ثانيـا وهو في الحقيقة أول ، وسيكون عليه ان شاء الله في هذا الفن المعول ، لأنـــي جمعت فيه ما تفرق في أجمع كتب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وأشبعـت الكلام على كل بحث اشباعا تاما لا يحتاج معه الى غيره ونسبت كل قول مما نقلتـــه من غير كتب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الى صاحبه وكذلك أنسـب ما أنقلـه في كتاب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بالاطراد سوى الأصول الأربعـــة الاتي ذكرهـــا .... وهذا بيان أسماء كتب الصلاة على النبي على اللـــه عليه وسلم التي هي أصول هذا الكتاب وأكثرها نادرات الوجود يعسـر اجتماعهـــا فطلبتها من مظانها وغير مظانها في البلاد البعيدة والقريبة " ثم ذكر أسمــــاء الكتب ومؤلفيها ثم قال " .... حتى صار كتابي هذا بفضل الله وحســـن توفيقه أجمع كتاب أعلمه في هذا الشأن وقد رتبته على مقدمة وعشرة أبواب " ثـــم أخذ يسـرد ما أحتوته المقدمة والابواب .

١٩) ارشاد الحيارى في تحذير المسلمين من مدارس النصارى :

طبع في الآستانة ١٣١٧ هـ والطبعة الثانية ١٣١٩ ولا مكان للطبع وطبـع للمرة الثالثـة في المطبعة الحميدية المصرية ١٣٢٢ صفحاته ٦٧ .

وقد رتبه على مقدمة وأربعين فصلا وخاتمة ووضع تنبيها جاء فيه " وقد رتبـت فصول هذا الكتاب الأربعين بحسب ما ألهمني الله تعالى وقت تأليفها وكتابتهـــا وقد تكرر فيها قليل من المعاني وقت الكتابة فأبقيتها بعد تمامها على وضعهـــا

---

(١) أي الذين ألفوا في الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقت التأليف ولم أتصرف فيها بتأخير مقدم أو تقديم مؤخر ولا بحذف شئ مما تكرر لان التكرار فيه نفع وليس في التقديم والتأخير ادنى ضرر وقد جاءت الفصول على شكل نصائح وتوضيح للأضرار التي تلحق المسلمين لتعليم أولادهم في مدارس النصارى وبيان خطط النصارى السرية من هذه المدارس وقبول أولاد المسلمين فيها مع اجراء النفقات الباهظة عليها كما وضح غرض الدول المولة لهذه المدارس من أتخاذ الطوائف النصرانية صنائع لهم كما أرسل الصيحات لأولياء أمور الأولاد خوفا على أولادهم الذين يصبحون كفارا أولا دينيين اذا بقوا في هذه المدارس وقد أهاب بكل من له من سلطة على اخراج هؤلاء من مدارس النصارى وأن من رضي بكفر الاولاد فهو كافر أيضا وحذر من مطبعة الآباء اليسوعيين وتحريفهم لما يطبعون ما يخص الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في كل ما كتب يستعمل العقل والدليل الملموس لأقناع المخاطب بدلا من الاعتماد على النصوص من الكتاب والسنة ٠٠٠٠٠ ومعدل الفصل لا يزيد عن صفحة ونصف تقريبا ٠ وهو يصلح لان يكون عمودا في صحيفة يومية وكل فصل منفصل عن الاخر من حيث أبتداؤه بكلام جديد وانتهاؤه بالدعاء للمخاطب بالهداية وقوله ـ النبهاني ـ قد بلغ وبرئت ذمته ٠ وجعل الخاتمة في لزوم أتباع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الكتاب والسنة واجتناب ما عدا ذلك من كتب أهل الكتاب وغيرهم ثم ذكر الأحاديث المؤيدة في الترغيب والترهيب للحافظ المنذري وترتيب الجامع الكبير للحسام الهندي ٠

٢٠) صلوات الثناء على سيد الأنبياء المطبعة الأدبية :

طبع في بيروت عام ١٣١٧ هـ ويقع في ٣٣٦ صفحة وقد صدر كتابه بقوله :

صلوات الثناء فيها شفاء * * وبها للنبي تحلو الشمائل
بينت فضله ودلت عليه * * كم بها من مواهب ودلائل

وقال أيضا :

عليك بهذا السفر ان كنت شيقا * * لخير الورى لازمه أي لزام
فانك ان لازمته بمحبة * * ترى المصطفى في يقظة ومنام

ثم أبتدأه بتنبيه جاء فيه :

" ولا يزهدنك فيه كون مؤلفه ليس من فرسان هذا الميدان فان الله سبحانه هو المنعم على من يشاء بما شاء وهو ولي التوفيق والفضل والاحسان ٠ على أن جلسه بل كله ما بين آيات قرآنية وأحاديث نبوية وعبارات سادات كرام من الصحابة والصوفية وليس لمؤلفه في ذلك فضل سوى حسن الترتيب وصحة النقل " ثم يقول :

" .... جمعت فيه ما ورد فى الثناء عليه صلى الله عليه وسلم من الاسماء النبوية والآيات القرآنيـــة وبشارات الكتب السماوية وأحاديث الفضائل والشمائل والمعجزات والدلائل ويقول " .... ونسبت كل ما أنتخبته من الصلوات الى أصحابه بوضع اسم لكل واحد منهم بأقصر عبارة تميزه قبل الصيغة أو الصيغ التى ينبتهـا على ما أنتخبته من كلامــــه .

وقد قسم الكتاب الى أربعة أوراد ومقدمة تكلم فيها على كيفية تأليفه الكتـــاب وقسم المقدمة الى اثنى عشر مطلبا كلها تدور حول الصلاة على الرسـول صلى اللـــه عليه وسلــــم .

أما الأوراد فقد جعل الورد الاول فى الثناء عليه فى أسمائه من الآيـــات القرآنيـة .

والورد الثانى فى الثناء عليه فى الكتب السماوية والاحاديث المرويـة .

والورد الثالث فى الثناء عليه من أكابر الأمة الصحابة فمن بعدهم .

والورد الرابع فى الثناء عليه من أكابر الأمـة .

ثم ختم الكتاب بقصيدة سماها (القول الحق فى مدح سيد الخلق) .التى مطلعهــــا :

لمـن ربـع بأكنـــاف المصلـــــى * * علا السيح الملا شرفـا وفضـــلا
رعـاه الله منيـة كل نفــــــــس * * وحيـا الله تربتـــه وأعلــــى (1)

٢١) جامع الصلـوات ومجمـــع السعادات :

طبع بالمطبعـة الأدبية ١٣١٨ هـ فى بيروت ، ويقع فى ٣٨٤ صفحة .

٢٢) الفضائـــل المحمديـــــة :

طبع المكتبة العثمانية بالآستانة ١٣١٨ هـ ويقع فى ٣٣٦ صفحة تكلم فيه عـــن فضائل الرسول صلى الله عليه وسلم كما وردت فى القرآن والسنة وعلى ألسنة الصحابـــة

---

(١) راجع الديوان ص ٩٩ .

وقد قسمه الى ستة أبواب وخاتمة وفي المقدمة لخص سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والباب الأول في أسمائه صلى الله عليه وسلم ، والباب الثاني في الآيات القرآنية الواردة في فضائله صلى الله عليه وسلم وتفسيرها ، والباب الثالث فيما ورد من فضائله صلى الله عليه وسلم في الكتب السماوية السابقة ، والباب الرابع في الاحاديث التي بين فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فضائل نفسه الكريمة عملا بقوله تعالى : " وأما بنعمة ربك فحدث " ، والباب الخامس في الاحاديث الواردة في شمائله الشريفة صلى الله عليه وسلم ، والباب السادس في ذكر شيء من دلائل نبوته ومعجزاته صلى الله عليه وسلم ، وخاتمة الكتاب في الكلام على تعظيمه ومحبته والاستغاثة به وزيارته صلى الله عليه وسلم .

٢٣) المزدوجة الغراء في الاستغاثة بأسماء الله الحسنى :

المطبعة الأدبية ١٣١٩ هـ بيروت وتقع في ست صفحات طبع منها ١٥ الف نسخة ولم أعثر على هذه القصيدة بطبعتها المنفصلة وهي مثبتة بالديوان ص ١٣٨ — ١٤١ وقد افتتحها بقوله :

" باسم الاله وبه بدينا * * ولو عبدنا غيره شقينا "
" يا حبذا ربا وحب دينا * * وحبذا محمد هادينا "
لولاه ما كنا ولا بقينا
" اللهم لولا أنت ما أهتدينا * * ولا تصدقنا ولا صلينا "
" فأنزلن سكينة علينا * * وثبت الأقدام ان لاقينا "
نحن الأولى جاءوك مسلمينا
" والمشركون قد بغوا علينا * * اذا أرادوا فتنة أبينا "
وقد تداعى جمعهم علينا * * طبق الأحاديث التي روينا
فاردد هم اللهم خاسرينا
الله يا رحمن يا رحيم * * الله يا حي ويا قيوم
الله يا قوي يا قديم * * الله يا علي يا عظيم
لا ينبغي للظالم أن يحلونا (١)

---

(١) الديوان ص ١٣٨ .

ثم ذكر في نهاية القصيدة بعض التنبيهات حول عدد أسماء الله الحسنى وكيف أنه جمعها من الاحاديث المتفرقة ، وما ورد في القرآن الكريم فبلغت (١٦٩) اسما وهي ، المنظومة في هذه المزدوجة ثم يقول " افتتحتها بما أنشده النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق " باسم الاله وبه بدينا والشطرين بعده ..الى " اذا أرادوا فتنة أبينا " وهذه الستة الاسطر نسبها الحلبي وغيره الى عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ، ولم ينسب الثلاثة الاولى الى احد فلعلها من كلامه صلى الله عليه وسلم الذي وافق وزن الشعر وليس بشعر لانه غير مقصود ، وقال : كررت اسم الجلالة لكونه الذات وكلها أوصافه [1] .

٢٤) السابقات الجياد في مدح سيد العباد :

مطبعة بيروت ١٣١٨ هـ ١٦ صفحة :

لم أعثر على القصيدة بطبعتها المستقلة ووجدتها في الديوان صفحة ١٠٧ - ١٢٧ وهي عبارة عن معشرات على عدد الاحرف الهجائية حيث جعل قافية كل عشرة أبيات أحد حروف الهجاء وافتتح قافية الهمزة بقوله :

أنا عبد لسيد الانبياء * * وولائي له القديم ولائي

وقافية الباء بقوله :

ما الشام مقصدنا كلا ولا حلب * * لكن لمكة منا ترحل النجب

وقافية التاء بقوله :

طال شوقي لطيبة الطيبات * * موطن المكرمات والبركات

وقافية الثاء بقوله :

وصل السراة وأنت ما كنت * * ألمت أحداث الحوادث

وقافية الجيم بقوله :

الفلك تمخر والمهاري تنهج * * فدعوا المقام ونحو طيبة عرجوا [2]

---

(١) الديوان ص ١٤١ - ٢٤٢ -

(٢) المهاري نوع من جياد الابل .

وقافية الحـاء بقولـه :

مهت أنسـى بأتيه بالوصل روح * * طيبة طيبه وطه المسيـح (١)

وهكذا حتى نهاية حروف الهجـاء .

٢٥) هادي المريد الى طرق الاسانيـد :

المطبعة الادبية ببيروت عام ١٣١٨ هـ ويقع في ٧٤ صفحة وطبع منه عشـرة الاف نسخـة .

وقد افتتح كتابه هذا بقوله " الحمد لله الذى أجاز نبينا محمدا صلـى الله عليه وسلم بأعلى الطريق حين عرج به الى المقام العالي ورفعه اليه حتى رآه . وفاز من اللقاء والسماع بالاماني والامال فأخذ يحدث أمته بما أخذه في رحلتـه عن العليم الخبير برفع الوسائط والوسائل ...

أما بعد " فان الله تعالى وله الحمد والمنة لما ختم بسيدنا محمد النبيـين والمرسلين وأرسلة صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين بالدين المبين قيض له من أصحابه سادات حفظوه وما ضيعوه وبالغوا في ضبطه ونشره وبلغوه ...... ولما كان مـن أكبر نعم الله تعالى على أن وصل سندي بأسانيدهم ـ أي : العلماء القائمـين بخدمة الدين ـ كما يتصل بالسادة أحقر عبيدهم رأيت أن أثبت من سلسلة أسانيدي في هذا الثبت الوجيز ما هو أنفس من سلا سل الذهب الابريز لا جمع تلك الطـرق الكثيرة في مكان واحد وقد سميته " هادى المريد الى طرق الاسانيد " واقتصـرت فيه على ذكر اربعين سندا وخمس أجازات وخمسة أثبات أنا مجاز بهـا أحدها يتضمن اثنين وأربعين ثبتا وهي تشتمل على أكثر أسانيد العلماء " (٢)

ثم ذكر أجازاته وأسانيده ، وهذا الكتاب يمثل الشهادات العلمية التي حصل عليها اذ أن الاجازة هي شهادة علمية للمجاز بالموضوع الذى أجيز به .

٢٦) الصلوات الألفية في الكمالات المحمديـة :

طبع في بيروت بالمطبعة الأدبية عام ١٣١٩ هـ طبع منه ١٥ ألف نسخـة وصفحاته ٩٢ صفحـة :

---

(١) اشتهر سيدنا المسيح عليه السلام بمعجزة أحياء الموتى ولذلك وقع التشبيه هنا الديوان ص ١٠٧ ـ ١١٠ .

(٢) هادى المريد الطرق الاسانيد ص ١ ـ ٧ .

٢٧) الرائية الصغرى في ذم البدعة ومدح السنة الغرا :

الطبعة الرابعة مكان وتاريخ الطبع غير موجودين وتقع في ٦٤ صفحة :

وقد نص المؤلف على أنها طبعت في تونس والمدينة المنورة وبتاوى •

ويقول الشيخ النبهاني : " وقد سميت هذه القصيدة بالرائية الصغرى بالنسبة الى قصيدتي " الرائية الكبرى " المشتملة على ٧٢٥ بيتا وأما هذه فأبياتها خمسون وخمسمائة بيت • ثم اختصرتها وحذفت نحو الخمسين [1] وقد قدم للقصيدة بستة تنبيهات تدور حول موضوعاتها وقد افتتحها بقوله :

هو الله لا نحصى لآلائه شكرا * * له الحمد في الاولى له الحمد في الاخرى
وكيف نؤديه بشكر حقوقه * * ونعمته بالشكر تستوجب الشكرا
وأشهد أن الله لا رب غيره * * وأن له في خلقه النفع والضرا
له كل ما قد كان أو هو كائن * * وما لسواه في الورى ذرة صغرى
ومهما يكن منهم ومهما يكن لهم * * فان له في ذلك الخلق والأمرا

ويدور موضوع القصيدة حول الشيوخ جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا والهجوم على دعوتهم التي تأخذ الأحكام من الكتاب والسنة مباشرة دون التقيد بأقوال العلماء والمجتهدين •

وقد أعقب هذه الرسالة بأربعين حديثا في مدح السنة وذم البدعة وقال في ختامها : " أعلم أن أتباع هذه المذاهب الأربعة التي أجمعت على قبولها والاقبال عليها الأمة المحمدية من عهد أصحابها الى الان والى ما شاء الله هو في حكم الاتباع للكتاب والسنة لانها شروح لها ولان أطلق لفظ أهل السنة والجماعة من أكثر من ألف سنة الى الان يفهم منه أهل هذه المذاهب الأربعة فمن خرج عن دائرتها لا يعدونه من أهل السنة والجماعة وما خرج عن دائرتها الا أهل الأهواء والبدع في سائر الأعصار والأدوار الى زماننا هذا ...... " [2] •

---

(١) بلغت قصيدته هذه في الديوان ٥٥٠ بيت ، الديوان ص ٣٤٩ ــ ٤٠٠ •

(٢) الرائية الصغرى ص ٦٢ ــ ٦٣ •

٢٨) رياض الجنة في أذكار الكتاب والسنة :

المطبعة الادبية ببيروت عام ١٣١٩ هـ ويقع في ١٦٦ صفحة وطبع منه ١٥ ألف نسخة وأعيد طبعه في ١٩٥٣ ــ ١٣٧٢ وطبعه مصطفى الحلبي بمصر .

يقول الشيخ النبهاني في المقدمة " أما بعد فانه لما كثرت في هذا الزمان الذنوب وقلت محاسن الأعمال كثرت فيه بمقتضى ذلك الكروب وزادت مساوئ الأحوال فان الطاعات تدفع الكروب والخطايا مغناطيس البلايا ....

ولشدة شفقة رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمته وعلمه بما يحصل من بعضهم من التقصيرات والكسل عن الطاعات وأنه يأتي عليهم زمان هو أبو الآفات وأم الدواهي والبليات نص لهم عليه الصلاة والسلام على سور وآيات وأذكار ودعوات عرفهم أنها مع قلة ألفاظها كثيرة المثوبات وأنها حرز من المصائب والنائبات . وأن بها كشف الكروب وقضاء الحاجات ...... وأفضل صيغها ما هو عنه صلى الله عليه وسلم مأثور . فجمعت من ذلك ومن سائر جوامع أدعيته صلى الله عليه وسلم مقدارا وافرا تقر به عيون المؤمنين ...... وسميته " رياض الجنة في أذكار الكتاب والسنة الوافية بأنواع المنة الواقية شر الانس والجنة " ولقبته " كشاف القلوب ومبلغ الطالب بغية المطلوب " وكنيته " بأبي التيسير مغني الفقير وجابر الكسير ونلها ألفاظ وافقت معناها . وأسماء طابقت مسماها . ولكن الاسم الأول هو الذي عليه الشهرة والمعول لأنه هو الذي سبق به الالهام وعليه جرى تقسيم الكتاب وتأليف الكلام (١) .

وقد قسم المؤلف الكتاب الى قسمين :

القسم الاول في أصول هذه الرياض وثمراتها .. أي : ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحاديثها وفوائدها .

والقسم الثاني في ذكر ما ورد في القرآن الكريم من الدعوات والأذكار .

وقبل أن يبدأ الشيخ النبهاني في كتابه يقول " واذا اطلعت ايها المسلم على حسن ترتيب هذا الكتاب وعرفت ما اشتمل عليه من السور والايات والأذكار والأدعية

---

(١) رياض الجنة ص ٢ ــ ٤ .

والصلوات الواردة لقضاء الحاجات ، ودفع الكربات وكثرة المثوبات ، ثم لم تدرك ما أشتمل عليه من الحسن والاحسان ولم تعتقد أنه مع صغر حجمه من أجل الكتب التي ألفت في هذا الشأن ، فابك على نفسك لانها ليس لها نصيب من الذوق السليم والعرفان ولا أخالك الا ستعرف قدره وتتلقاه بالقبول وتبلغ من ملازمته والعكوف على قراءته غاية السول ان شاء الله (١) .

٣٠) عنوان التهاني بِبلوغ الأماني :

طبعت في بيروت في ١٠ جمادى الثانية ١٣٢٠ وهي قصيدة في تهنئة أحمد عزت باشا العابد لتوليه منصب الكاتب الثاني لدى السلطان عبد الحميد وقد بلغت ابياتها ١٠٠ بيت وقد تكلمت عن القصيدة في الاغراض الغير الدينية لشعره

(٣١) المجموعة النبهانية في المدائح النبوية :

طبع عام ١٣٢١ هـ ثم أعيد طبعه بالأوفست عام ١٣٩٤ :

والكتاب يقع في أربعة أجزاء عدد صفحات الطبعة الثانية ٢٠٠٢ صفحة وقد اعلن عن جمعه للقصائد في مجلة ثمرات الفنون " بعنوان " اعلان القصائد النبوية " جاء في اعلانه " سأجمع مجموعا حافلا في المدائح النبوية أنتخبه من غرر قصائد فحول الشعراء وقد أستحضرت منها الى الآن مقدارا وافرا من الجهات البعيدة والقريبة ولما كانت القصائد النبوية كثيرة لا يمكن حصرها وقلما يخلو منها مسلم في سائر الاقطار والاعصار اما أن يكون ناظمها أو كاتبها فأرجو من كل من اطلع على اعلاني هذا من المسلمين المحبين للحضرة النبوية أن يمد الي يد المساعدة في ذلك بقدر معرفته واستطاعته وأن يرسل الي ما يقدر على الحصول عليه من المدائح النبوية وله الاجر الجزيل والشكر الجميل واني أتعهد له بكل ما يصرفه من ثمنها أو أجرة نسخها مع أجرة " البوسطة " وان سمحت نفسه بارسال ذلك أن كان ديوانا أو مجموعا ولو " بالبوسطة " فاني آخذ حاجتي منه وأعيده اليه واذا فقد فعلى الضمان ولا يلزم ارسال شيء من القصائد المأخوذة من الدواوين والكتب المطبوعة لانها موجودة عندي (٢)

التوقيع
يوسف النبهاني
رئيس محكمة الحقوق في بيروت

---

(١) المصدر السابق ص ٩

(٢) مجلة ثمرات الفنون عدد ١٢٣٤ ص ٨ الاثنين ٤ صفر ١٣١٧ هـ واعاد الاعلان عنه في عدد ١٢٣٥ الموافق ١١ صفر ١٣١٧ وفي عدد ١٢٣٧ الموافق ٢٥ صفر ١٣١٧ هـ .

وفي العبارة الاخيرة من أعلانه يظهر لنا استحواذ المؤلف على جميع المدائح المطبوعة وحرصه على القصائد المخطوطة حيث يظهر لنا جهده في جميع هذه المجموعة .

وقد صدر مجموعته بتنبيه جاء فيه : " قال جامعها اعلم أيها الواقف على هذه المجموعة الجامعة لمدائح سيدنا محمد البشير النذير التي ليس لها في المجاميع نظير – كما أنه صلى الله عليه وسلم ليس له في العالمين نظير – أني بذلت جهدي في جمعها من البلاد البعيدة والقريبة حتى حصلت على مقادير وافرة من درر بحور الأولياء والعلماء وغرر فحول الأدباء والشعراء ، وأخترت منها بحكم الذوق والاجتهاد ما أثبته فيها مع شرحي لغريب ألفاظها ومعانيها ، وقد ساعدني على جودة تصحيحها تعدد النسخ في أكثرها ومعرفتي والحمد لله بجيد الشعر وردیئه فاذا أختلفت النسخ في بعض الألفاظ أرجح منها ما هو أولى وأحرى بحيث لو أطلع صاحبها على ذلك لقال لي جزاك الله خيرا فدونكها مجموعة جامعة لأبكار المحامد المحمدية ساطعة بأنوار المدائح الأحمدية .... وهي السفينة الكبرى بل المدينة العظمى لكونها أشتملت على أكثر من عشرين الف بيت كلها عامرة بمحاسن الصفات والأسماء .

فالشكر لله على هذه النعمة العظيمة التي يلذ بها كل محب للحضرة المحمدية منله والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله (١) " .

وقد وضع لمجموعته مقدمة طويلة بلغت أثنى عشر فصلا استوعبت خمسين صفحة وقد ضمن مقدمته الكثير من آرائه النقدية في المدائح النبوية وفيها يظهر سعة أطلاعه وعلمه في جمع قصائدها اذ يقول " وقد وفقني الله وله الحمد والمنة الى الحصول على كثير من جواهر مدائحهم (٢) النبوية بعد أن بذلت جهدي لاستخراجها من كنوز الكتب والدواوين والمجاميع

---

(١) المجموعة النبهانية حـ ١ ص ٢

(٢) يقصد العلماء والاولياء كما تقدم في كلامه

وطالعت فهارس كتب القسطنطينية ومصر وغيرهما الخطية وغيرها وكاتبت للحصول عليها البلاد البعيدة والقريبة كالحرمين الشريفين والقسطنطينية ومصر والشام وحلب والعراق واليمن والمغرب ونشرت ذلك فى صحف الاخبار حتى حصلت من بحرها الطامى وأفقها السامى على مقادير وافرة من دررها الزاهية ودراريها الزاهرة اخترت منها بحكم الذوق والاجتهاد ما أثبته فى هذا الكتاب البديع والمجموعة التى لا أعلم لها نظيرا فى المجاميع وأعلم أنى قد بذلت جهدى فى تصحيحها حتى جاءت على أحسن وجه أمكننى وساعدنى على ذلك تعدد النسخ فى أكثرها ومعرفتى والحمد لله تعالى بجيد الشعر ورديئه فاذا اختلفت النسخ فى بعض الألفاظ أرجح منها ما هو الراجح حقيقة ولم أتصرف من عندى الا فى ألفاظ قليلة لم يمكن تصحيحها على أصلها لانفراد نسختها وعدم صحتها فمن وقع له بعد هذا نسخة محققة الصحة كأن تكون بخط مؤلفها ووجدها مخالفة لما هنا فى بعض ألفاظها فليصحح عليها ولو فرض ذلك لا تكون المخالفة الا فى النادر ان كانت ، وربما يكون اللفظ الذى أثبته مثل الأصل أو خيرا منه ولا يخفى أن تداول أيدى النساخ فى الشعر يوقع الخلل فى بعض ألفاظه ومعانيه لأن جلهم أو كلهم ليسوا شعراء فلا يدرون أوزانه وكثيرا من معانيه ، وأعلم أنى قد افتتحت هذه المجموعة بنظم الصحابة فيه صلى الله عليه وسلم اهتماما بشأنهم ويكون كلامهم مجموعا فى مكان واحد قسمته الى قسمين الأول المراثى والثانى المدائح سوى بانت سعاد فانى ذكرتها فى أول حرف اللام لتكون مع نظائرها فى مكان واحد ثم رتبت مدائح من عداهم على حروف المعجم وان كان لى مديح فى حرف أذكره فى آخره وذكرتها مرتبة بحسب أزمانهم غالبا بعد افتتاح كل حرف بمديح الأئمة الثلاثة الأبوصيرى فالبرعى فالصرصرى ان كان لهم كلام لأنهم أشهر مداحه صلى الله عليه وسلم وان كان قد أتى من أئمة المشارقة والمغاربة من هو مثلهم أو أعلى نظما من بعضهم ، كما ستقف على ذلك فى كلامهم ان شاء الله تعالى ٠

ومن هنا تعلم أيها الفاضل المنصف ماكابدته فى جمع هذه القصائد وتصحيحها فضلا عن ترتيبها وشرح غريبها حتى جاءت بفضل الله تعالى وبركة ممدوحها الأعظم صلى الله عليه وسلم على أحسن وجه جميل مقبول تعشقه الطباع السليمة والعقول من كل محب للرسول صلى الله عليه وسلم فتشكر صنيعى ولا تكفره وتعرف معروفى ولا تنكره وتهدى الى من دعواتك الصالحة فى حياتى وبعد مماتى ما يكون ان شاء الله

تعالى مقرونا بالقبول ، ولا ألومك ان لم تفعل ذلك اذا لم تسيء الىّ بالاعتراض علىّ كأن تقول مالذى صنعه وانما هو كلام الناس قد جمعه لأنى لم أفعل ذلك بقصد شكرك ودعائك ومحبتك وولائك وانما ذلك من الفوائد الزوائد والمقصود انما هو نشر الثناء الجميل على سيد الوجود وأفضل كل والد ومولود صلى الله عليه وسلم فان حصلت مع هذا الأصل تلك الزوائد فحبذا هى من فوائد والا فلا عتاب ولا ملام وقد حصل بحمد الله المرام (١) .

٣٢) الخلاصة الوفية فى رجال المجموعة النبهانية ومقدار ما لكل واحد منهم فيها من المدائح النبوية " وهى ملحقة بالجزء الأول من المجموعة النبهانية وعدد صفحاتها ١٢ صفحة .

يقول الشيخ النبهانى فى المقدمة " وقد ذكرت الصحابة منهم بحسب ذكرهم فيها من غير ترتيب وأرخت وفاة من أرخ وفاته منهم ابن الأثير فى كتاب أسد الغابة فى أسماء الصحابة ، أما غير الصحابة فكما رتبت مدائحهم فى المجموعة على حروف المعجم ورتبت ذكرهم هنا على الحروف بحسب ما اشتهروا به من أسمائهم أو ألقابهم أو نسبهم لتسهل مراجعة من يراد مراجعة اسمه منهم وأرخت وفاة من استحضرت تاريخ وفاته منهم واتفق ذكر الامام الأبوصيرى وهو امام هذا الشأن بحسب هذا الترتيب فى أولهم وذكر جامعها الفقير يوسف النبهانى فى آخرهم ، هو اتفاق حسن رحمهم الله أجمعين وحشرنى فى زمرتهم تحت لواء سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وقد أطلقت لفظ القصائد على ما بلغ السبعة الأبيات فأكثر والمقاطيع على ما دون ذلك والله الهادى وعليه فى كل الأمور اعتمادى " (٢) .

٣٣) صلوات الأخيار على المصطفى المختار :

بيروت المطبعة الأدبية ١٣٢١ هـ وتبلغ ٣١ صفحة :

٣٤) التحذير من اتخاذ الصور والتصوير :

---

(١) المجموعة النبهانية جـ ١ ص ٣١ ــ ٣٣
(٢) المجموعة النبهانية جـ ١ ص ٢

بيروت ١٣٢٣ واسم المطبعة غير موجود ويقع فى أربع عشرة صفحة :

افتتح الشيخ النبهانى رسالته فقال " ..... أما بعد فهذا مختصر سميته كتاب التحذير من اتخاذ الصور والتصوير " حملنى عليه ما هو مشاهد فى هذا الزمان من ابتلاء كثير من المسلمين بذلك حتى ان بعض أولادهم يتعلمونه فى المدارس ويصورون صورة الانسان وغيره من أنواع الحيوان ولا يبالون بشدة تحريمه وان باءوا بالخسران بل يصور أحدهم نفسه أو أباه أو واحدا ممن يعز عليه ويفتخر بتعليقها فى صدر بيته اما لجهله واما لعدم مبالاته بسخط الله تعالى وغضبه عليه فان ذلك من الكبائر كما سيأتى وهذا أوان الشروع فى المقصود وقد نقلت فيه عشرين حديثا صحيحا ....."(١) .

ولما أتم المؤلف العشرين حديثا قال " فهذه عشرون حديثا أكثرها من رواية البخارى ومسلم أو أحدهما .

وقد ذكر الامام النووى بعضها فى رياض الصالحين وقال فى أول الباب الذى عقده لذلك باب تحريم تصوير الحيوان فى بساط أو حجر أو ثوب أو درهم أو دينار أو مخدة أو وسادة أو غير ذلك وتحريم اتخاذ الصورة فى حائط وسقف وستر وعمامة وثوب ونحوها والأمر باتلافها " .

ثم أخذ الشيخ النبهانى يستشهد بأقوال العلماء فى التحريم سواء كان التصوير له ظل أو لا ظل له مادام موضوعا فى مكان غير مهين ثم ناقش قول القاسم بن محمد فى عدم تحريم ما لا ظل له واستشهد على تحريم ما لا ظل له بأقوال الامام النووى والثورى ومالك وأبى حنيفة والزهرى وابن حجر والامام الهيثمى .

أما أقوال المحدثين فقد استشهد بقول الشيخ محمد الشنوانى شيخ الجامع الأزهر فى وقته والشيخ ابراهيم الباجورى شيخ الأزهر فى وقته ، ثم وضح كيف انتقل اتخاذ الصور من عباد الأوثان الى النصرانية ثم الاسلام . وجعل لبحثه

---

(١) التحذير من اتخاذ الصور والتصوير ص ٢

خاتمة ناقش فيها حديث البخارى " أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن يترك فى بيته شيئا فيه تصاليب الا نقضه " ثم يورد أقوال العلماء وتخريجاتهم فى قياس تصاليب على تصاوير أو ذكر رواية تصاوير بدل تصاليب ويقول أخيرا :"والحاصل أن التصوير واستعمال ما عليه الصور والصلبان من الأشياء ليس من شأن المسلمين أما استعمالها بصفة التعظيم فهو حرام شديد التحريم وربما جر الى الكفر والعياذ بالله "(١) .

٣٥) أحسن الوسائل فى نظم أسماء النبى الكامل :

المطبعة الأدبية ١٣٢٣ بيروت وتقع الرسالة فى ٢٣ صفحة :

وقد بدأ الرسالة بأربعة تنبيهات :

الأول : استحباب قراءتها مع الكيفية .

الثانى : عدد الأسماء المنظومة فى هذه المزدوجة وهى العربية والمعربة ٨٢٤ ولم يجمع أحد هذا العدد قبل هذا ولم أنظم معها الأعجميات .

الثالث: يذكر عدم تمكنه من ادخال بعض الأسماء باللفظ الذى ذكره العلماء لاخلال ذلك بالفصاحة ولعدم مساعدة الوزن أو لأسباب أخرى .

الرابع : قد التزم فى الشطر الخامس أن يذكر فيه ضمير النبى صلى الله عليه وسلم لتتمكن الصلاة عليه .

كما التزم عدم تكرار الأسماء وعدم زيادة كلمات غيرها الا فى النادر ولم يلتزم لفظ أل فى بعض ما ذكروه من الصفات اقتداء بالامام الجزولى رحمه الله فى دلائل الخيرات (٢) ، وقد بدأ منظومته بقوله :

الحمد لله الغنى الأحد ** الواحد الفرد العلى الصمد

السيد المطلق خير سيد ** مولى أسامى عبده محمد

خير الورى ذاتا ووصفا وسما

---

(١) التحذير من اتخاذ الصور والتصوير ص ١٤ .

(٢) أحسن الوسائل فى نظم أسماء النبى الكامل ص ٢

وهى أسام كلهـا رفيعـة ** ضمنتها أرجوزة بديعـة
كانت لعمرى صعبة منيعـة ** فرضتها حتى أتت مطيعـة
أحكمت مدحه بها فاستحكما

نظمتها فى مدحه المسمى ** بلا تكلف يسوء النظما
ليست كنظم العلماء الاسما ** ليضبطوها ويفيدوا العلما
محبة يحشقها ان فهما

وختم منظومته بقوله :

محمد السخى ذو العطايا ** وصاحب الجهاد والسرايا
بجاهه اغفر ربنا الخطايا ** بلغ مُنانا واكفنا الرزايا
ما بدىء الخير به واختتما

وقد بلغت ١١٢ تخميسا . وهى مثبتة فى الديوان ص ٢٤٢ ـ ١٦٦ .

٣٦) كتاب الأسمى فيما لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من الأسما :

المطبعة الأدبية ١٣٢٣ هـ بيروت ويقع الكتاب فى ٤٣ صفحة .

يقول المؤلف فى افتتاحية كتابه " أما بعد فهذا مختصر صغير كلمه كثيره جمعت فيه الأسماء المحمدية مع شرح مالا بد من شرحه منها ، ورتبتها فيه على حروف المعجم بحسب أوائلها كما فعل الحافظ السخاوى فى " القول البديع " والامام القسطلانى فى " المواهب " وسميته (الأسمى فيما لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من الأسما " وأذكر قبل الشروع فى سردها مقدمة نافعة تشتمل على فوائد".(١)

ثم ذكر سبع فوائد تبحث حول عدد أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم واختلاف العلماء فى الصفات واعتبارها من الأسماء أم لا واشتراك الرسول صلى الله عليه وسلم

(١) كتاب الاسمى فيما لسيدنا محمد من الاسماء ص ٢

مع الله سبحانه وتعالى فى بعض الأسماء . وحول الأسماء الأعجمية وعدم الاعتداد بها واختلاف العلماء فى عدد الأسمـــاء .

٣٧) حزب الاستغاثات بسيد السادات :

المطبعة الأدبية ببيروت ١٣٢٣ هـ ، والكتاب يقع ٤٤ صفحة :

يقول الشيخ النبهانى فى المقدمة " أما بعد فهذا حزب جمعت فيـــه استغاثات أربعون وليا لله تعالى بنبيه الاكرم وحبيبه الأعظم سيدنا محمد صلى اللـه عليه وسلم وقدمت عليها الاستغاثة بأسماء الله الحسنى وأتبعتها بما ورد فـــى الأحاديث النبوية من الاستغاثة به عليه الصلاة والسلام وهى خمسة أحاديـــث " ثم قال " وذكرته فى كتابى شواهد الحق فى الاستغاثة بسيد الخلق صلى الله عليه وسلم من جملة البراهين التى لا تحصى ولا تحد على جواز واستحسان الاستغاثة الى الله تعالى بهذا العبد الكريم والسيد السند العظيم صلى الله عليه وسلـــم وشرف ومجد ، وقد رأيت أن أفرده هنا لينتفع به المحبون للحضرة النبوية "(١) ثـــم ذكر علية الزيادة الحذف التى أوجدها هنا وختمها بقوله " اللهم أختم لنــــا بخاتمة السعادة واجعلنا من الذين لهم الحسنى وزيادة بجاه سيدنا محمد صلـــى الله عليه وسلم ذى الشفاعة وآله وصحبه ذوى السيادة وصلى الله على سيدنا محمـــد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين "(٢) .

٣٨) مفرج الكروب ومفرح القلـــوب :

المطبعة الأدبية ببيروت ١٣٢٣ هـ ويقع فى ١٤٤ صفحة :

يقول الشيخ النبهانى " أما بعد فهذا كتاب نعم الكتاب ، جمعت فيـــه من مفرجات الكروب مالم يجمعه قبله كتاب ، وحملنى عليه كثرة ما رأيته نزل فى هـــذا الزمان بأهل الايمان من الشدائد والكروب بسبب كثرة الذنوب وأسأل الله تعالـــى أن يمن علينا بالرضا والغفران ويحسن الينا بأحسن الأحوال فهو ولى الاحســان

---

(١) حزب الاستغاثات بسيد السادات ص ٢

(٢) المصدر السابق ص ٤٤ .

وسميته مفرج الكروب ومفرح القلوب ومبلغ الخائف من حصول الأمن وحصونه غاية المطلوب " ورتبته على قسمين وخاتمة وهو ما بين آيات قرآنية وأذكار وأدعية نبوية وغير نبوية مما فيه الاسم الأعظم أو المعروفة باستجابة الدعاء أو المجربة لقضاء الحاجات ودفع البلاء جمعتها من كتب العلماء والمحدثين والأولياء العارفين " كقوت القلوب " لأبى طالب المكى " واحياء العلوم " للامام الغزالى " والترغيب والترهيب " للحافظ المنذرى " والأذكار " للامام النووى " ومشكاة المصابيح " لولى الدين التبريزى " والأرج فى الفرج " للحافظ السيوطى "والجامع الكبير " له وغيرها من الكتب التى يأتى التصريح بأسماء مؤلفيها عند النقل عنهما فى القسم الثانى الذى ذكرت فيه تخريج جميع الأحاديث الواردة فى هذا المختصر ونسبت كل شىء مما حواه الى صاحبه ومن رواه (١) .

ويقول الشيخ النبهانى أيضا " أما الخاتمة فقد ذكرت فيها فوائد أخرى مهمات مجربات للفرج وقضاء الحاجات ولم أذكرها فى الأوراد لاشتراط كثرة التكرار ، أو لزوم الأعمال " (٢) .

٣٩) الرحمة المهداة فى فضل الصلاة :

طبع عام ١٣٢٣ هـ ولا مكان للطبع وأعيد طبعه فى دار الدعوة فى حماة بسورية وتاريخ الطبع غير موجود ، وعدد صفحات الرسالة ٩٢ صفحة قدم لها الأستاذ محمد أديب كلكل بمقدمة طويلة : عن الشيخ النبهانى ، وجاء فى المقدمة " أما بعد : فيقول الفقير يوسف النبهانى غفر الله له ولوالديه ولمن دعا لهم بالمغفرة : انى رأيت كثيرا من الناس فى هذا الزمان يتهاونون بترك الصلوات وبعضهم يصلى ولكنه يتهاون بترك الجمعة والجماعات فحملنى ذلك على جمع هذه الرسالة المختصرة المهذبة المحررة وسميتها " الرحمة المهداة فى فضل الصلاة " (٣) وقسمتها الى ثلاثة أبواب .

---

(١) مفرج الكروب ومفرح القلوب ٣ ــ ٤

(٢) المصدر السابق ص ٣

(٣) الرحمة المهداة فى فضل الصلاة ص ٢٦

الباب الأول : فى فضل الصلاة والتحذير من تركها وأستشهد بما ورد فى القرآن والحديث وأقوال الصحابة .

الباب الثانى : فى فضل صلاة الجماعة والتحذير من تركها .

الباب الثالث : فى فضل صلاة الجمعة والتحذير من تركها .

وجعل للرسالة خاتمة تكلم فيها عن حكمة الوضوء والصلاة من الناحية الحسية والمعنوية .

٤٠) شواهد الحق فى الاستغاثة بسيد الخلق :

الطبعة الأولى بالمطبعة الميمنية فى مصر عام ١٣٢٣ هـ والطبعة الثانية عام ١٣٥٠ هـ من طبع مصطفى الحلبى بمصر والطبعة الثالثة عام ١٣٨٥ هـ من طبع مصطفى الحلبى ، والطبعة الثالثة فى ٤٥٣ صفحة ، ويعد هذا الكتاب من أهم كتب الشيخ النبهانى حيث أظهر فيه من المقدرة العلمية فى الاستشهاد بالنصوص وتوجيهها الشئ الكثير ، وقد حاز هذا الكتاب اعجاب الكثير من علماء عصره وذكر تقاريظهم للكتاب فى أوله وهم الشيخ على محمد البيلاوى شيخ الأزهر سابقا والشيخ عبد القادر الرافعى مفتى الديار المصرية سابقا والشيخ عبد الرحمن الشربينى شيخ الأزهر فى وقته والشيخ بكرى الصدفى مفتى الديار المصرية والشيخ محمد عبد الحى الكتانى من أجلاء علماء المغرب والسيد أحمد بك الحسينى الشافعى المحامى وقد ذيل تقريظه بقصيدة من خمسة أبيات مدح بها المؤلف والكتاب والشيخ سليمان العبد الشبراوى والشيخ أحمد حسنين البولاقى أحد علماء الشافعية بالأزهر والشيخ أحمد البسيونى شيخ الحنابلة فى الأزهر وقرظ الكتاب أيضا كل من الشيخ سعيد الموجى والشيخ محمد الحلبى ، وقد اشتركا فى تقريظ واحد .

وقد جاء فى مقدمة هذا الكتاب :

" أما بعد فهذا كتاب فى بابه فريد ما على حسنه من مزيد أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يجعله خالصا لوجهه الكريم ويكفينى واياه كل ذى فهم سقيم وخلق ذميم ورأى فى الدين غير مستقيم وأن ينفع به النفع التام العام

ويجعله من أعظم الوسائل الى سعادتي في الدنيا والبرزخ ويوم القيامة ولكثرة ما حواه من الشواهد والشهود على مشروعية الاستغاثة بصاحب المقام المحمود صلى الله عليه وسلم سميته شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ، " ويستنبئونك أحق هو ؟ قل اى وربي انه لحق " .

والمقدمة تشتمل على فصلين الأول في الكلام على انقطاع الاجتهاد المطلق ، والثاني يشتمل على اثنى عشر تنبيها تلزم معرفتها ومن أراد مطالعة هذا الكتاب قبل الدخول في الأبواب . وهي ثمانية : الباب الأول في مشروعية السفر الى زيارته صلى الله عليه وسلم ، والباب الثاني في مشروعية الاستغاثة والباب الثالث في نقل كلام الامام السيد أحمد دحلان في كتابه (خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام) ، والباب الرابع في نقل ردود العلماء على الامام ابن تيمية ، والباب الخامس في الكلام على ثلاثة كتب طبعت في هذه الأيام تتضمن نصرة ابن تيمية ، والباب السادس في نقل حكايات وآثار وردت عن العلماء والصالحين في الفوائد التي حصلت لهم من الاستغاثة بسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، والباب السابع في دعوات أكابر الأولياء في أحزابهم في الاستغاثة به صلى الله عليه وسلم ، والباب الثامن فيما ورد من استغاثات العلماء والفضلاء به صلى الله عليه وسلم نظما [1] .

---

(١) رد الشيخ محمود شكري الألوسي على كتاب النبهاني " شواهد الحق " بكتابه " غاية الأماني في الرد على النبهاني " ولم يذكر تاريخ الطبع وانما انتهى من تأليفه عام ١٣٢٥ هـ في احدى المطابع المصرية وأعيد طبعه حديثا في مطابع نجد التجارية في الرياض .

٤) نجوم المهتدين ورجوم المعتدين في معجزات سيد المرسلين والرد على أعدائه اخوان الشياطين :

طبع مصطفى البابي الحلبي بمصر عام ١٣٢٣ هـ .

يقول الشيخ النبهاني موضحا موضوع كتابه ودواعي تأليفه بعد مقدمة طويلة من الحمد والثناء والصلاة والتسليم : " أما بعد فاني كنت سمعت بكتاب ضلال وبهتان ، وسفر كفر وعدوان ، سماه صاحبه "الهداية" أي هداية الشيطان الى سبيل النيران ، ثم بعد أن مضى على ذلك نحو سنتين قدر الله اطلاعي عليه فوجدته صحيفة بهتان وافك ، وقد كتم مؤلفه اسمه ولا علم عليه ولا عجب فليس بعد الكفر ذنب ..... فحملني ذلك على تأليف الكتاب لادحض الباطل بالحق ...الخ

ويقول الشيخ النبهاني :ـ

" كنت ربما أكتب كراسة أو قريبا منها في نحو ساعتين أو ثلاثة بقلم الرصاص ويدي في غاية السرعة بالكتابة حتى كأن معلما يملي على ذلك بل لو أملي على لما بلغ الأمر تلك السرعة ولا أعلم لذلك سببا الا التأييد والالهام "(١) .

ويعتذر النبهاني عن خشونته في النقاش فيقول " وأعلم أنه ليس من خلقي المجادلة بالخشونة مع أهل الكتاب فقد أوحى الله تعالى الى سيدنا ابراهيم عليه السلام : " يا ابراهيم حسن أخلاقك مع الكفار تدخل منازل الأبرار ، واخلاطنا في أوطاننا معهم كثير وان اختلف المصير فهم وان خالفونا في الدين اخواننا في الطين ، كلنا أولاد آدم وآدم من تراب ، وكم لهم منا ولنا منهم في الشؤون الدنيوية أصحاب ، فلا تجوز الانسانية اساءة بعضنا لبعض ، ومجاملة كل منا للآخر هي في حكم السنة ان لم تكن في حكم الفرض ، ولكن عذري فيما صدر مني من ذلك مقبول لما صدر منهم من التعدي في حق القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم فأصبحت اجابتهم واساءتهم على من الفروض المحتمة(٢) ، وقد قسمت

---

(١) نجوم المهتدين ورجوم المعتدين ص ٦ ـ ٩ .

(٢) المصدر السابق ص ٩ ـ ١٠ ، وكلمة " المحتمة " خطأ شائع ، والصواب : المحتومة لان المضعف لم يرد من هذا الفعل . د . سرحان

الكتاب الى قسمين القسم الأول فى اثبات نبوته صلى الله عليه وسلم وقد قسمته الى سبعة أبواب والقسم الثانى فى اثبات أن القرآن كلام الله تعالى المجيد وقد قسمته الى أربعة أبواب .

ويبدو أن الشيخ النبهانى كان يناله بعض الاذى من غير المسلمين وانصارهم فى بيروت لتصديه للرد عليهم وقد ألمح لنا الى شىء من هذا فى طبعه لكتاب " نجوم المهتدين ورجوم المعتدين " .

يقول الشيخ النبهانى " رأيته فى منامى فى أحد الربيعين من هذه السنة سنة ١٣٢٢ هـ أنى جالس فى المسجد النبوى مستقبلا حجرته الشريفة صلى الله عليه وسلم ناظرا اليها وأنا أنشد هذا البيت وأكرره وهو قول الامام الأبوصيرى فى بردة المديح .

ومن تكن برسول الله نصرته ** ان تلقه الأسد فى آجامها تجم

وبعد هذا المنام صممت على طبع كتابى " نجوم المهتدين ورجوم المعتدين فى دلائل نبوة سيدنا محمد سيد المرسلين " بعد أن كنت مترددا فى طبعه خوفا من وقوع محاذير . فبعد هذا المنام جزمت بطبعه وسهل الله أسبابه فأرسلته الى مصر فطبع فيها ولم يحصل شىء من الموانع والحمد لله رب العالمين(١)"

٤٢) الأساليب البديعة فى فضل الصحابة واقناع الشيعة :

طبعه مصطفى الحلبى ١٣٢٣هـ وأعيد طبعه ١٣٥٠ والطبعة الثالثة ١٣٨٥ هـ وهو ملحق بكتاب شواهد الحق .

يقول الشيخ النبهانى فى المقدمة : " والحامل لى على تأليفه أن الشيطان قاد فى هذا الزمان بعض الجهال من أهل السنة بوسيلة حب آل البيت الكرام والتعصب لهم بمجرد الهوى والأوهام الى بغض بعض الصحابة الكرام ولا سيما

---

(١) شواهد الحق ص ٥٦٢ .

معاوية وعمر وبن العاص لخروجهما عن طاعة الامام وصلر هوءلاء الجهلة يتبجحون بذ مهما معتقدين بجهلهم أن ذلك من القوب التى ترضى الرب ، وسول لهم أبو مرة أن أئمة الأمة من أهل السنة ما أنصفوا فى الجواب عنهما وعن كل من كان على شاكلتهما من الصحابة المحاربين لعلى رضى الله عنه وربما تجاوز بهم الحال الى الاعتراض على الخلفاء الراشدين ولا سيما عثمان .... ضوء حال هوءلاء الجهلة من أهل السنة هو الذى حملنى على تأليف هذا الكتاب ليعرف من قراءه منهم أنه فى خطأ عظيم وخطل ذميم وأنه فى ذلك ليس على هدى من الله ، أما الشيعة فليس لى أمل فى رجوعهم بقراءته عن مذهبهم القديم لأنهم ورثوه عن الآباء والأجداد وسيورثونه الأبناء والأحفاد ، فان صاحب البدعة والمذهب المخالف مهما أقمت عليه الحجة وألزمته الدليل وعجز هو عن الرد ولم يجد للجواب من سبيل لا يحمل ذلك على أن مذهبك حق ومذهبه باطل وانما يحمله على أنك أمهر منه بترتيب الحجج واقامة الدلائل ، ومقصودى الأصلى هو المحافظة على رأس مالنا وهم عوام أهل السنة .... الخ (١) .

وقد قسم كتابه الى مقدمة - شرح فيها تعريف الصحابى وعدد الصحابة وطبقاتهم - وقسمين وخاتمة .. ثم قال :

والقسم الاول فى نقل عبارات أكابر العلماء من أئمة المذاهب الأربعة التى استدلوا بها من الكتاب والسنة واجماع الأمة على فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ..... ولا سيما الخلفاء الراشدين " (٢) .

والقسم الثانى فى الاحتجاج على فضلهم وكمالهم بعبارات فائقة بنيتها على الآيات والأحاديث وأقوال العلماء السابقة .

والخاتمة فى حكايات ومنامات توءكد دلائل فضلهم وتنذر مبغضهم بأسوأ الحالات " (٣) .

---

(١) الاساليب البديعة فى فضل الصحابة واقناع الشيعة ص ٤٥٦ - ٤٥٧ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٥٨ .

(٣) المصدر السابق .

٤٣) اتحاف المسلم بما ورد فى الترغيب والترهيب من البخارى ومسلم :

الطبعة الاولى عام ١٣٢٤ ومكان الطبع غير معروف وأعيد طبعه فى مطبعة التقدم ١٩٢٩م على نفقة محمد عبد الواحد بك الطوبى وأخيه ويحتوى الكتاب على ٢٥٦ صفحة .

يقول الشيخ النبهانى فى المقدمة فى أسباب تأليف هذا الكتاب :

" واعلم أن سبب جمعى لهذا المختصر أنى بعد أن طبعت كتابى " الأنوار المحمدية مختصر المواهب اللدنية " طبعا جميلا مضبوطا بالحركات ورزقه الله بفضله القبول التام وانتشر فى جل أو كل بلاد الاسلام جاءنى على أثر انتشاره من نحو عشر سنوات مكتوب من أحد علماء جزائر الغرب واسمه عبد الله القرشى نفعنى الله ببركاته وجزاه عنى خير الجزاء - مدح فيه ذلك المختصر كثيرا وطلب منى أن أختصر كتاب " الترغيب والترهيب " للحافظ المنذرى وأطبعه مضبوطا بالحركات كما فعلت فى مختصر المواهب وحرضنى على ذلك لما يحصل به من النفع العميم فلم تنبعث همتى لذلك لعلمى أن هذا الكتاب الفريد على طوله لم يخرج منه شىء عن المعنى الذى ألفه لأجله مؤلفه رضى الله عنه فلا ينبغى حذف شىء منه ولم يخطر فى بالى اختصاره الى هذا النهار وهو يوم الأحد الثانى عشر من شهر شعبان سنة ١٣٢٤ فبينما أنا فى منزلى فى بيروت أنقل منه أحاديث اذ خطر لى استحسان اختصاره بافراد أحاديث الصحيحين منه فى كتاب مستقل ولا زال هذا الخاطر يقوى حتى حصل فى اليوم المذكور التصميم والسلوك فى هذا الصراط المستقيم "(١) .

٤٤) جامع الثناء على الله :

طبع فى المكتبة العربية فى دمشق ١٣٢٤ والطبعة الأخيرة ١٣٨٦ على نفقة مكتبة الجندى بمصر .

---

(١) اتحاف المسلم ص ٤ .

يقول الشيخ النبهانى فى مقدمة كتابه ـ بعد أن أورد بعض الأحاديث النبوية عن حب الله للثناء والمدح وأورد بعض الأشعار فى المعنى الذى قصده ـ :

" خطر لى أن أجمع من ذلك كتابا حافلا فى عدة مجلدات من القرآن والحديث وكلام العارفين نظما ونثرا فجمعت جميع ما فى الجامع الكبير للحافظ السيوطى من الأحاديث التى ذكر فيها الثناء عليه تعالى لأدنى مناسبة فاجتمع من ذلك أكثر من عشرة آلاف حديث وأخذت معظم ما فى القرآن من آيات الثناء عليه تعالى ورتبتها بوضع كل شىء مع ما يناسبه فكانت نحو سدسه ووجدت أكثر من نصفها فى التوحيد ونفى الشرك وجمعت من أحزاب الأولياء وأورادهم شيئا كثيرا واشتغلت بذلك ولا سيما بالأولين عدة سنوات ثم ألهمنى الله تعالى وله الحمد والمنة الرجوع عن هذا التطويل الى الاختصار لأنه أكثر نفعا وأحسن وقعا اذ جمع الآيات القرآنية على هذا الوجه وقراءتها هكذا غير مستحسنة شرعا لما فيها من تشتيت القرآن وتقطيعه مع أن القرآن كله فى الحقيقة ثناء على الله تعالى ، فلما وقع فى قلبى هذا الخاطر الرحمانى استخرت الله تعالى وحرقت ما كنت جمعته منهما واقتصرت على ما يتيسر من ثنائه صلى الله عليه وسلم على الله تعالى فى أحاديثه المروية وأذكاره وأدعيته النبوية وانتخبت ماشاق وراق وحلا فى الأذواق من ثناء بعض أكابر عارفيه فى أحزابهم التى أخذوها عن صحيح الالهام أو تلقوها عن النبى عليه الصلاة والسلام ولم أذكر عباراتهم الدقيقة التى لا وصول الى فهم حقيقتها الا من الطريقة مما لا يفهم معناه أو ما ظاهره شرط غير محمود كعباراتهم فى وحدة الوجود ومحط نظرى فى هذا الكتاب هو الثناء عليه تعالى وهو المقصود بالذات " (١) .

وقد رتب الشيخ النبهانى كتابه على مقدمة وسبعة أوراد ، وتشتمل المقدمة على سبعة فصول .

الفصل الاول فى أربعين حديثا قدسية تتضمن ثناء الله على نفسه بما هو أهله جل جلاله .

---

(١) جامع الثناء على الله تعالى ص ٨ ـ ٩ .

الفصل الثاني في أربعين حديثا نبويا في الثناء على الله تعالى بما يليق به من الكمالات .

الفصل الثالث في كلام أربعين وليا من أكابر العارفين في توحيد الله تعالى .

الفصل الرابع في ذكر فهرست الاوراد السبعة ونسبة ما فيها من ثناء الأولياء اليهم . والاوراد السبعة كل ورد منها عبارة عن آيات قرآنية وأحاديث نبوية وأدعية للاولياء والعارفين في المحامد الالهية .

٤٥) حسن الشرعة في مشروعية صلاة الظهر اذا تعددت الجمعة :

طبع المطبعة الأدبية ببيروت ١٣٢٤ ، وأعيد طبعه للمرة الثانية ١٣٣٤ هـ بالمطبعة الأدبية والطبعة الثالثة طبعت ضمن مجموعة الرسائل المتعة ببيروت ١٩٦٤ حيث طبع معها رسالة مشابهة للشيخ على الشبراملسي . واسم المطبعة غير موجود ، وقد تولى طبعها الاستاذ سامي شعبان . وقد كتب الشيخ النبهاني هذه الرسالة ليرد بها على من يحرمون صلاة الظهر اذا تعددت الجمعة وهم من طلاب العلم الناشئين ويبدو أن هناك نزاعا فكريا أو عقديا ما حدا بالشيخ النبهاني لكتابة هذه الرسالة منتصرا للجانب الذي يؤيده .

يقول الشيخ النبهاني " ..... وقد طبع هذه الرسالة (1) قديما في بيروت بعض الفضلاء الصلحاء ونشرها مجانا ليدفع بها عن عوام المسلمين ولا سيما الشافعية الضرر الذي نشأ من ترك بعضهم اياها اعتمادا على زخارف بعض المتهورين من ضعاف الطلبة الذين أقاموا أنفسهم بتسويل نفوسهم وتزيين ابليسهم مقام

---

(1) رسالة في الرد على من ينكر صلاة الظهر اذا تعددت الجمعة للشيخ نور الدين على الشبراملسي الشافعي طبعت على نفقة الشيخ محمد سعيد بك أياس ووزعت مجانا .

المجتهدين وهم بلا شك من المجتهدين ولكن فى هدم الدين وتفريق كلمة المسلمين باعتراضهم على الائمة الاربعة ومن كان على مذاهبهم من الفقهاء المحققين وغيرهم من سادتنا الصوفية وسائر الاولياء والعارفين من الاحياء والميتين رضى الله عنهم اجمعين "(١) .

وقد ذكر الشيخ النبهانى حكم التعدد على المذاهب الأربعة ثم تكلم عن البدعة وأنواعها مستنتجا أن صلاة الجمعة هى البدعة وليست صلاة الظهر ثم جعل لرسالته خاتمة قال فيها :

" ..... وكيف يمكن اقناعهم بصلاة الظهر بعد الجمعة وأكثرهم لا يصلون جمعة ولا ظهرا ولا فرضا ولا نفلا ، فهؤلاء لا يقنعهم كلام ولا علام ، ولو كان صادرا من أكابر أئمة الاسلام اذ هم ليسوا من العلماء ولا من الصلحاء ولا من العقلاء بل هم جهال فساق مجانين ولو كان جهلهم بسيطا لكان الأمر سهلا ولكن جهلهم مركب من جهالات تراكمت على قلوبهم ..... وحسبك أنهم يصرحون من غير مبالاة ولا حياء بأنهم مجتهدون فى أحكام الدين مثل الشافعى وأبى حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم من أئمة المسلمين ..... وقد لقنهم ابليس كلمة حق يراد بها باطل وهى قولهم لا نعمل الا بالكتاب والسنة وليس لأحد قول معهما "(٢)

٤٦) سبيل النجاة فى الحب فى الله والبغض فى الله :

الطبعة الاولى بالمطبعة الميمنية بمصر ١٣٢٤ هـ والطبعة الثانية بمكتبة الكليات الازهرية بمصر ١٩٧٢ والكتاب يقع فى ٧٨ صفحة .

يقول الشيخ النبهانى فى المقدمة " أما بعد فهذا كتاب نبهت به الغافلين مثلى من المسلمين على وصف عظيم من أوصاف المؤمنين الكاملين وهو الحب فى الله

(١) الرسائل الممتعة ص ٦٥ .

(٢) الرسائل الممتعة ص ٨٩ ــ ٩٠ .

والبغض في الله ، وسميته (سبيل النجاة في الحب في الله والبغض في الله أي أحب من أحبه الله من المؤمنين والصالحين والمتصفين بما يقتضي المحبة من أسباب الدين وبغض من أبغضه الله من الكافرين والمبتدعين والفاسقين والمتصفين بما يقتضي البغض من أوصاف المخالفين وكلاهما درجات بحسب ما يتصف به من تحبه أو تبغضه من الأوصاف والحالات . ولا فرق في ذلك بين الأحياء والأموات . فأنا نحب الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم أكثر من سائر المخلوقات ونحب كل من ورد الثناء عليهم في الكتاب والسنة وكلام الأئمة الثقات من الأنبياء والأولياء والصالحين والصالحات ونبغض من يبغض الله جميع من ورد ذمهم عن الله ورسوله وأئمة الأمة من الكفار والفساق وأهل البدع والضلالات . وقد يحب الانسان من وجه ويبغض من وجه اذا اتصف بما يقتضي ذلك من الحسنات والسيئات كأن يكون مؤمنا فاسقا فنحبه للايمان ونبغضه للفسق ولكل امرىء ما نوى . فانما الأعمال بالنيات وأسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن ينفع به النفع التام العميم بجاه نبيه الرؤوف الرحيم عليه أفضل الصلاة والتسليم "[1] .

وقد قسم رسالته الى خمسة فصول :

الفصل الأول : تكلم في بعض ما ورد من الآيات في شأن المحبة وتفسيرها .

الفصل الثاني : في بعض ما ورد فيها من الأحاديث وما ورد عن بعض الأنبياء .

الفصل الثالث : في بعض ما ورد في ذلك عن بعض الصحابة والسلف .

الفصل الرابع : في معنى الحب في الله والبغض في الله من وصايا سيدي محيي الدين في الفتوحات المكية .

الفصل الخامس : في شرح معنى الحب والبغض في الله .

٤٧) دليل التجار الى أخلاق الأخيار :

طبع المطبعة الأدبية ببيروت ١٣٢٤ هـ ويقع الكتاب في ١٧٦ صفحة .

---

(١) سبيل النجاة في الحب في الله والبغض في الله ص ٥ ـ ٦

وقد افتتحه بقوله : " أما بعد فهذا كتاب مفيد جمعت أحاديثه من كتاب " الترهيب والترغيب " للحافظ المنذرى ، " ومشكاة المصابيح " لولى الدين التبريزى ، " ورياض الصالحين " للامام النووى ، " وتيسير الوصول " للحافظ ابن الديبع اليمنى الجامع لأحاديث الكتب الستة ، ثم ألحقت أحاديث وفوائد كثيرة من احياء علوم الامام الغزالى وغيره ونسبتها الى أهلها فى محلها ....(١)" ورتبه قسمين قسم يخص التجار ومن فى معناهم ، وقسم يعم معهم غيرهم .

القسم الأول : فيما يخص التجار ويشتمل على سبعة فصول :

* الأول فى بعض ما ورد فى مدح صدقهم وأمانتهم وذم كذبهم وخيانتهم .
* والثانى فيما يلزمهم من النصيحة ويحرم عليهم من الغش .
* والثالث فى منع الاحتكار والتسعير .
* والرابع فى بعض ما ورد فى التساهل والتسامح فى البيع والشراء .
* والخامس فى شفقة التاجر فى دينه .
* والسادس فى فضل الكسب وشؤون الأسواق .
* والسابع فى حكايات وآثار تتعلق بالكسب والتجارة .

القسم الثانى : فيما يعم التجار وغيرهم ويشتمل على خمسة فصول :

* الأول فى بعض ما ورد فى الربا .
* الثانى فى بعض ما ورد فى الدين .
* الثالث فى بعض ما ورد فى الزكاة .
* الرابع فى بعض حج بيت الله الحرام .
* الخامس فى أحاديث وآثار تتعلق بالمال مكسبه وانفاقه .

والخاتمة فى فضل الوصية وذكر صورة وصية امامنا الشافعى .

ثم ذكر النبهانى صورة كتاب كتبه الامام الشافعى رضى الله عنه وأشهد على نفسه

---

(١) دليل التجار الى اخلاق الاخيار ص ٢ ــ ٣

فيه بأشياء تصدق بها على ابنه أبى الحسن ثم ذكر وصية الامام الغزالى لبعض اخوانه رضى الله عنه وعنهم ، ثم ذكر وصية سيدى محيى الدين بن العربى رضى الله عنه .

٤٨) البرهان المسدد فى اثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :

وقد طبع فى بيروت ١٣٢٤ هـ والكتاب يقع فى ٣٢ صفحة .

يقول المؤلف فى المقدمة " أما بعد فقد قال الله تعالى لرسوله الأعظم صلى الله عليه وسلم : " أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين " ، وقد كنت قبل أعوام ألفت كتابا مختصرا سميته " خلاصة الكلام فى ترجيح دين الاسلام " ، فحصل له بحمد الله تعالى القبول التام العام وقد رأيت من اللازم أن أتبعه بهذا الكتاب الذى سميته " البرهان المسدد فى اثبات نبوة سيدنا محمد " صلى الله عليه وسلم ، ولا يقرؤه أحد عنده انصاف وتحقيق وينعم الله عليه بشىء من الهداية والتوفيق الا ويبادر للايمان والتصديق بهذا النبى الحق الحقيق صلى الله عليه وسلم أما من فقد تلك الأوصاف فهو لا يلام على الخلاف ، وقد رتبته على عدة فصول كل واحد منها طريق الى الوصول "(١) .

والكتاب مكون من عشرة فصول من غير عنوان لها وانما كل فصل عبارة عن معنى جديد ، وقد استشهد بالتوراة من "سفر الاستثناء " وقد ناقش ما جاء به ليستدل به على صحة نبوة سيدنا محمد بن عبد الله ثم استشهد بما قال ابن حزم فى " الملل والنحل " وما جاء فى " الاصحاح الأول من مزامير داوود " وفى كل هذا ينقاش الأمور عقليا ونقليا وقد استدل على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من حسن أخلاقه وعشرته .

ويعد هذا الكتاب ثمرة من ثمرات الصراع بين الاسلام وغيره من الاديان التى كانت تتخذ بيروت قاعدة لتبشيرها حيث وقف النبهانى برصدها منبها على خطرها

---

(١) البرهان المسدد فى اثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ص ٣ .

وهاجما لها من جهة ومن جهة أخرى اشتغل فى تأليف الكتب التى تظهر شخصية الرسول النموذجية المثال ودعوة المسلمين للاقتداء بها .

٤٩) تنبيه الافكار فى حكمة اقبال الدنيا على الكفار :

طبع ببيروت ١٣٢٤ هـ ولم أستطع الحصول على هذا الكتاب .

٥٠) جواهر البحار فى فضائل النبى المختار :

طبع المطبعة الأدبية فى بيروت ١٣٢٥ هـ وقد طبع فى جزأين ثم طبعه مصطفى البابى الحلبى سنة ١٩٦٠ فى أربعة أجزاء والكتاب يقع فى ١٦٥٥ صفحة .

يقول الشيخ النبهانى فى المقدمة :

" أما بعد فهذا مجموع بديع فى فضائل النبى الشفيع وعلو قدره الرفيع صلى الله عليه وسلم جمعت فيه كثيرا مما ورد فى الكتاب والسنة وكلام أئمة الأمة من أهل الشريعة والحقيقة فى أوصاف سيد الخليقة صلى الله عليه وسلم ولم أكثر فيه من معجزاته مع كثرتها الى غاية لا ترام لأنى بسطت عليها فى غير هذا الكتاب الكلام .... وقد نقلت ما فيه من الفرائد المهمة والفوائد الجمة عن أكابر العارفين وأئمة الدين وسميته " جواهر البحار فى فضائل النبى المختار " وحذفت من عباراتهم(1) مالا دخل له فى هذا الباب ولا يناسب هذا الكتاب اما لكونه جاريا على اصطلاح الصوفية غير مفهوم لأمثالى بالكلية واما لكون معانيه القصوية دقيقة وظاهرها يخالف الشريعة وان كان لا مخالفة فى الحقيقة ووقع ذلك كثيرا فى الفتوحات المكية وأكثر منه فى كلام الشيخ عبد الكريم الجيلى فى كتابيه " الانسان الكامل " و " الكمالات الالهية " . وكلامه فى الحقائق من أغرب وأعجب ما اطلعت عليه من كلام الصوفية ويجب أن يجتنب ويعلم ان ظاهرة المنكر شرعا غير مراد .... على أن كتابى هذا هو فى حكم مجموع رسائل جمعت فيه ما قاله كل امام منهم من كلامه أو كلام غيره وحده وقد أكثرت فى أثنائه [illegible] صلى الله عليه وسلم

---

(١) أى الصوفية والاولياء والعارفين .

من كلام غيره للمناسبة فصار ما أخذته من كل واحد منهم كأنه مؤلف فيه فيا الحساب لا يقال فى كلام بعضهم مع بعض تكرار ....

ولا تستعظم أيها المؤمن ما تراه من المعانى العظيمة مما شاهده الله من علو منزلة حبيب الله عند الله .... وهى فى الحقيقة تفصيلات وشرح لمعنى علو قدره المسلم به عند جميع المؤمنين ، وهى مبنية على مكاشفات ومشاهدات شاهدها أولئك السادات حينما خلصت أرواحهم من شوائب الكدرات .... وقد ابتدأت بما نقلته عن الامام المحدث المحقق أبى الفضل عياض الذى شفى بشفائه كثير من القلوب الأمراض ... لكونه وحيد هذا الفن وكتابه نسيج وحده ... ثم رتبتهم غالبا بحسب الزمان ولم أنظر الى تفاوتهم فى الشهرة بالعلم والعرفان ، ولا الى كثرة أو قلة ما نقلته عنهم من الفوائد الحسان ، ولو نظرت الى ذلك لقدمت الشيخ الأكبر والغوث الدباغ الأشهر على كثير من هؤلاء الأئمة الأعيان وان كان كل واحد منهم له الحظ الأوفر من حسن الخدمة لحبيب الرحمن "(١) .

٥١) أسباب التأليف من العاجز الضعيف :

ملحق بكتاب " جامع كرامات الأولياء " فكون تاريخ طبعه ومكانه واحد الا أن مصطفى الحلبى الذى طبع "جامع كرامات الأولياء " ١٣٨١ لم يلحق كتاب " أسباب التأليف به ويقع الكتاب فى ٦٣ صفحة .

يقول الشيخ النبهانى فى مقدمة الكتاب أما بعد فهذا كتاب لم أقصد به لنفسى التواضع ولا التفخيم ولا التحقير ولا التعظيم ولا التنصل مما لابد أن يكون وقع فى بعض مؤلفاتى بسبب جهلى أو سهوى من الخطأ الذميم ولا الافتخار بمقام التأليف وهو مقام كريم ونفعه اذا صحبه الاخلاص نفع عظيم عميم " وما أبرىء نفسى ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربى ان ربى غفور رحيم " وانما قصدت بيان الحقيقة فى شأن هذه المؤلفات لعلماء الناس لأدفع عنى وعنهم شر الوسواس الخناس وأعوانه الأرجاس (٢) وقانا الله من شرورهم ورد كيدهم فى نحورهم بجاه

---

(١) جواهر البحار جـ ١ ص٢ ـ ٤

(٢) يبدوا أنه كان فى ايام النبهانى من ينتقص من مؤلفاته ولا يقيمها .

حبيبه الأعظم صلى الله عليه وسلم وكم رأينا من أكابر المؤلفين كالامام الشعراني رضى الله عنه فضلا عن أصاغرهم من جمعوا تقاريظ العلماء فى أواخر كتبهم استجلابا لاقبال الناس عليها وانتفاعهم بها مع أنهم فى غنية عن ذلك بما لهم من العلم والعمل وكتبهم فى غاية الاتقان ونياتهم فى غاية الاخلاص وانما الأعمال بالنيات وقد سميته " أسباب التأليف من العاجز الضعيف " ورتبته على ثلاثة أقسام :

القسم الأول : فى أسباب التأليف وفى آخره رسالة للحافظ السيوطى سماها التعريف بآداب التأليف .

القسم الثانى : فى ذكر مكاتيب وردت لى بدون استدعاء منى من بعض العلماء ولا سيما السادات وهى فى حكم التقاريظ لهذه المؤلفات .

القسم الثالث : فى ذكر أسماء هذه المؤلفات والجواب عما تعرض لها به بعض المشهورين من الاعتراضات الساقطات .

خاتمة الكتاب فى ذكر فوائد تلزم معرفتها فى هذا الباب[1] .

والشيخ النبهانى يشرح فى كتابه هذا كيفية حصول هذه المؤلفات له والعوامل التى ساعدته على تأليفها .

٥٢) العقود اللؤلؤية فى المدائح النبوية :

وهو ديوان شعر الشيخ يوسف النبهانى ، وقد طبع فى بيروت بمطبعة صبرا ١٣٢٩ هـ ، ويحتوى الديوان على ٤٨٠٠ بيت ولم أجد له طبعة أخرى فى فهارس مكتبة دار الكتب المصرية والمكتبة الظاهرية فى دمشق ومكتبة الجامعة الامريكية والجامعة اليسوعية فى بيروت ومكتبة الخلانى ومكتبة المتحف والمكتبة المركزية لجامعة بغداد فى بغداد ومكتبة البلدية والجامعة الاردنية فى عمان ، وعليه أرجح ألا يكون هذا الكتاب قد طبع غير هذه الطبعة والديوان يقع فى ٤٢٤ صفحة وقد صدره

---

(١) أسباب التأليف من العاجز الضعيف ص ٣٣١ .

مؤلفه بتنبيه معناه أنه مهما بالغ المداح فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم فانهم لن يبلغوا حقيقته لان حقيقة الرسول لا يعرفها غير الله تعالى وأن هذه المدائح ليست خيالات شعرية يرجع حسنها الى المبالغات الفكرية بل هى حقائق ثابتة وهى أقل مما بلغه الرسول صلى الله عليه وسلم من صفات .

يقول الشيخ النبهانى فى المقدمة بعد أن حمد الله واثنى عليه لظهور هذه المؤلفات على يديه وتقبلها المسلمون مع أن العصر كثر فيه الأشرار والمبتدعة والكفار كلهم هجموا على الاسلام . أما هو فقد وفقه الله تعالى لنصرة الاسلام عن طريق شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد قدم هذا الديوان هدية لخديوى مصر عباس حلمى باشا الثانى ثم بعد أن يثنى عليه بانفراده لحج بيت الله الحرام دون امراء المسلمين فى زمنه يدعو له بالتوفيق والسداد ويذكر خبر زيارته للخديوى عام ١٣٢٩ هـ .

يقول الشيخ النبهانى " وانما جمعت باسمه ورسمه هذا الديوان المشتمل على جميع الحسن وكل الاحسان وقدمته الى سدته السنية وحضرته الخديوية لعلمى بأنه من أجل المحبين لحبيب الرحمن .... فلعلى أقابل بعض ما أسداه من المعروف الى ، وأفاضه من الاحسان على ، فقد قصدته فى ربيع هذا العام سنة ١٣٢٩ ،حينما بلغنى من بعض جلسائه الكرام أنه أثنى على وأعجبته مؤلفاتى فى حق سيد الأنام عليه الصلاة والسلام وهذا الوصف الجميل نادر فى الملوك ولا سيما فى هذا الزمان ولذلك لم أتخذ عنده وسيلة من الشفعاء سوى سيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم فهو الذى توسلت به لفضله فقضى حاجتى لأجله وقد أذن لى حبا فيه صلى الله عليه وسلم بالاجتماع عليه والمثول بين يديه ولولا نسبتى لخدمته عليه الصلاة والسلام لما تواضع لى كل هذا التواضع ولما أكرمنى كل هذا الاكرام فانه وهو الملك الجليل قد قابلنى بكمال البشاشة والترحيب والتأهيل ، وسعى لى .. الى نحو نصف ديوانه الواسع وهو كالليث الخادر بل كالبدر الطالع وأشار الى أن أجلس فى أقرب مكان منه فراعيت الأدب وبعدت قليلا عنه وكنت متحيرا حينما أذن لى بالوصول اليه والمثول بين يديه كيف أخاطب هذا الملك الكبير وأنا رجل صعلوك لا أنا فى العير ولا أنا فى النفير ولا أعرف آداب الملوك فأنستنى بشاشته وملاطفته

هيبة ذلك المقام التي كادت تمنعني الكلام وشرحت له بأمره قصتي وأسباب عشتي وأني بسبب عدم حكمي بالربا عزلت من وظيفتي ولولا قلة المعاش الذى رتبوه لي الان لعددت ذلك من النعم الحسان فقد كفاني حكم نحو ثلاثين سنة في مثل هذا الزمان وان كانت وظيفتي في الظاهر كانت رياسة محكمة الحقوق في بيروت وفي الباطن نشر فضائله عليه السلام بين الأنام والرد على أعدائه من الكفرة والمبتدعة اللئام فقال نعم نعم أنا أعرف ذلك وسترجع ان شاء الله قريبا مسرورا فأدخل على غاية السرور بهذا الكلام وكنت أرد بصرى عنه حينما يقع عليه لشدة جماله وكماله وكلما كانت هيبته تغلبني يبعث لي نشاطا جديدا بقبوله واقباله حتى انتهى الكلام وحصل بحمد الله المرام فشيعني كما استقبلني بكمال الرعاية والاحترام وصدر أمره الكريم بجباء معجل وترتيب معاش وافر في كل شهر على الدوام ولم يكن ذلك سبب سوى قوة دينه ومحبته لسيد الأنام عليه الصلاة والسلام .

ومما لاطفني به هذا الملك الجليل قوله لي : ما سألت عنك أحدا الا أثنى عليك الثناء الجميل وبلغني من بعض حاشيته الأمناء أنه سأل عنى كثيرا من العلماء والفضلاء فأجابوه بالمدح والثناء حتى بالغ بعضهم فقال له هو حسان زمانه .... وعدة من اساتذة الأزهر من لا أصلح تلميذا لهم من أكابر العلماء ولا عيب فيهم غير سكوتهم على أعداء الله ورسوله في هؤلاء المبتدعة الأشرار الذين يدعون الاجتهاد ويسعون في الأرض الفساد " واذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا انما نحن مصلحون ألا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون "(1) .

ثم ذكر انكار رشيد رضا لسجود الشمس وقوله عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه قد يخبر بغير الواقع المشاهد تعليقا على حديث الرسول صلى الله عليه وسلم " ان الشمس تسجد تحت العرش " رواه البخاري وذكره في مجلة المنار في الجزء الصادر في آخر رمضان ١٣٢٧ هـ .

وقد رد الشيخ النبهاني على قول رشيد رضا مستشهدا بالآيات القرآنية التي ورد فيها سجود الشمس ثم يقول " وقد ورد نحو ذلك في عدة آيات فلا حاجة للاطالة بذكرها فما قالوه في تفسير هذه الآية من معنى السجود هو معنى السجود

---

(1) العقود اللؤلؤية في المدائح النبوية ص ٣ ــ ٦

في الحديث الشريف من أنه الخضوع أو غيره وإذا كان قوله هذا صلى الله عليه وسلم عند الضال المضل مخالفا للواقع المشاهد كذلك قول الله تعالى هو عنده مخالف للواقع المشاهد ، لأنه مثله بلا أدنى فرق .... فكيف بعد هذا يجوز سكوتكم عليه يا أهل مصر وعلى مناره وقد صلاكم بنار ضلاله وناره ويجب على الأستاذ الأعظم شيخ الأزهر أن يخصص جمعية من العلماء لترتيب مجلة وظيفتها المحاماة عن دين الاسلام والرد على كل من يتعرض له بسوء من الكفرة والمبتدعة اللئام فانكم كلكم بسكوتكم آثمون وانا لله وانا اليه راجعون (١) .

ثم ذكر النبهاني مبشرة منامية لأحد العلماء الصالحين رأى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول النبهاني حساني ، ثم ذكر النبهاني أبياتا من عدة قصائد يفتخر بكونه حسان الرسول عليه السلام معتزا بشعره ونثره الذى قاله في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وختم ديوانه بهذه الأبيات :

خذ كتابا جمع الفضل وإن ** كان كالنجم بعينيك صغيرا

من مزايا المصطفى شمس الهدى ** أفقه أطلع للناس بدورا

وإذا حققتها تلقاه في ** واحد منها على الخلق اميرا

قل به ما شئت من مدح ولا ** تخف اللوم ولا تخش النكيرا

فجميع المدح في كل الورى ** لو أتى في حقه كان قصورا (٢)

٥٣) نموذج الحكم النبوية : ملحق بالعقود اللؤلؤية : وهو صفحة واحدة

يقول الشيخ النبهاني في المقدمة " أما بعد فهذه مائة حديث من حكمه صلى الله عليه وسلم التي جرت مجرى الأمثال انتخبتها من كنوز الحقائق للامام المناوي لتحفظ وسميتها " نموذج الحكم النبوية " وهي هذه " أبدأ بما بدأ الله به ، ابدأ بنفسك . ابدأ بمن تعول .... الخ .

---

(١) المصدر السابق ص ٦

(٢) الديوان ص ١١ .

٥٤) البشائر الايمانية فى المبشرات المنامية :

وهو ملحق بالعقود اللؤلؤية ويقع فى أربعين صفحة يقول الشيخ النبهانى فى المقدمة " أما بعد فهذا كتاب جمعت فيه ما ذكرت أكثره فى بعض كتبى مفرقا من المبشرات المنامية التى رأيتها ورؤيت لى ببركة انتسابى لخدمة الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم ، فقد كانت من جملة الأسباب التى شحذت همتى الكليلة وصححت عزيمتى العليلة للاشتغال بجمع هذه المؤلفات التى أسأل الله تعالى من فضله أن يجعلهامن الباقيات الصالحات ... ويعفو عما صحب منى شيئا منها "من العلل وعدم اخلاص النيات "(١) .

وقد جعل لكتابه مقدمة فى ثلاثة مطالب :

الأول : فى الكلام على الرؤيا المنامية وثبوتها شرط واستشهد بالآيات والأحاديث الواردة فى هذا الموضوع .

الثانى : فى شأن رؤياه صلى الله عليه وسلم فى المنام ومستشهدا بقوله صلى الله عليه وسلم " من رآنى فى المنام فقد رآنى فان الشيطان لا يتمثل بى فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار " رواه البخارى ، وفى رواية أخرى من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة وان الشيطان لا يتمثل بى ، ثم ذكر شروح العلماء وتعليقاتهم على الروايتين .

الثالث : فيما ورد فى حق الكذب فى الرؤيا وقد تكلم فيه عن قوله صلى الله عليه وسلم " من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل " وأورد أقوال العلماء فى هذا المعنى .

وفى الختام ذكر (فائدة) يقول فيها " ذكرت فى كتابى " سعادة الدارين " أربعين فائدة من المجربات لرؤيا النبى صلى الله عليه وسلم فى

---

(١) البشائر الايمانية فى المبشرات المنامية ص ٢ .

المنام فلم احتج لاعادتها هنا "(١) .

وقد قسم النبهانى كتابه الى قسميـــــن :

القسم الأول : يشتمل على المبشرات المتعلقة برويا النبى صلى الله عليه وسلم وما له فيه ذكر أو مناسبة وهو ينقسم الى فصلين :

الفصل الاول فيما رآه النبهانى أو أحد أفراد عائلته .

الفصل الثانى : فيما رآه بعض المطلعين للنبهانـــى .

القسم الثانى : من المبشرات يشتمل على فصلين :

الاول فيما رآه من الأولياء والعلماء .

الثانى فى مبشرات متفرقة .

وقد كان مجموع هذه المبشرات المنامية ستين مبشرة كان آخرها روية السيد رشيد رضا أسود اللون كالأحباش ووعظه له بشأن أستاذية الأفغانى ومحمد عبـــده وطلب منه اغلاق جريدة المنار وأنه لو أنشأ جريدة اخبارية فسيكسب منها مثـــل المنار ثم يقول الشيخ النبهانى فى ختامها ... " وحضر الى بيروت منذ سنتيـــن بعد الرويا بسنوات فجاء الى محكمتى " الحقوق " وذاكرته فى شوءون شيخـــه الشيخ محمد عبده وأخبرته بهذه الرويا لعله يتعظ فلم توءثر فيه شيئا (٢) .

وجعل لكتابه خاتمة بعنوان (خاتمة فى ذكر هوءلاء الأشرار وملامة من لم يرد عليهم من علماء الأزهر الأخيار) وقد ابتدأها بذكر اجتماعه برشيد رضا ولومه علـى اتباع الأفغانى ومحمد عبده وهما داخلان فى الماسونية التى لا تعترف بالاديـــان وكذلك ترك الشيخ محمد عبده لبعض الصلوات وموافقة السيد رشيد رضا له فـــى ذلك . ثم وجه الشيخ النبهانى لومه الى علماء الأزهر لسكوتهم على صحيفـــــة المنار ورئيسها وأستاذيه ثم ذكر بعض شيوخ الأزهر وعلمائه الذين اجتمع بهـــم وهم يوافقونه فى رأيه فى محمد عبده والأفغانى وهم الشيخ سليم البشـــرى شيـــخ

---

(١) المصدر السابق ص ٨

(٢) المصدر السابق ص ٣٤

الأزهر والشيخ بكرى الصدفى مفتى مصر والشيخ محمد بخيت المطيعى مفتى الاسكندرية والشيخ يوسف البدرشوى والاستاذ أحمد بك الحسينى والشيخ سعيد الموجى وحسنى باشا مذكور والشيخ عبد الرحمن عليشى قاضى المحكمة الشرعية (١) .

٥٥) كتاب تهذيب النفوس فى ترتيب الدروس مختصر من كتاب رياض الصالحين :

طبع المطبعة البهية بمصر ١٩٢٩ ويقع الكتاب فى ٢٥٣ صفحة .

وقد قسمه الى أربعة وعشرين بابا تشتمل على مائة وعشرين درسا جمعت كثيرا من الآيات القرآنية ونحو ثمانمائة حديث من الأحاديث النبوية من رواية الامامين البخارى ومسلم أو أحدهما اشتملت على أحسن محاسن الاسلام .

٥٦) منتخب الصحيحين من كلام سيد المرسلين :

طبع مصطفى الحلبى ١٣٢٩ هـ والطبعة الثانية ١٣٨٣ والكتاب يقع فى ٦٠٧ صفحة جمعه مؤلفه من كتب الحافظ السيوطى وهى الجامع الكبير والجامع الصغير وذيله المسمى بذيل الجامع ورتبه على الحروف كأصله ويشتمل هذا المنتخب على نحو ثلاثة آلاف حديث من رواية الصحيحين أو أحدهما فى القصائد والأحكام والحكم والترغيب والترهيب والشمائل والفضائل والمعجزات والكرامات والمواعظ والرقائق والأسرار والحقائق ثم فسر ما يحتاج الى تفسير من الأحاديث التى أوردها وسمى التفسير " قرة العين على منتخب الصحيحين " فسر بها ما يحتاج للتفسير من الالفاظ الغريبة وبعض المعانى ناقلا ذلك من كتاب " النهاية " لابن الأثير وشروح " الجامع الصغير " وغيرها .

٥٧) قرة العين من البيضاوى والجلالين : فى تفسير غريب القرآن :

طبع مصطفى الحلبى سنة ١٣٣٩ هـ والطبعة الثانية عام ١٣٦٠ هـ يقع التفسير فى ٥٠٠ صفحة كان الشيخ النبهانى يمانع فى تفسير القرآن بحجة أنه

---

(١) المصدر السابق ص ٣٤ ـ ٣٨ .

ليس أهلا لتفسيره حيث يقول " وقال لي بعض من يجتمع عليهم[(١)] ويسمع كلامهم وقد نبهت في ذهنه بعض نزعاتهم هذه وظنها حقا : قد نفعت بتأليفك المسلمين نفعا عظيما ، ولكن بقي عليك شيء واحد فقلت له ما هو ؟ قال أن تؤلف تفسيرا للقرآن على مقتضى الأذواق العصرية فان هذه التفاسير الموجودة قد ألفوها على مقتضى أذواق أهل العصور السالفة وقد تغير الحال الآن واختلفت أذواق الناس ومشاربهم فيلزم تأليف تفسير يوافقهم فأجبت بأني لست أهلا لذلك وبيني وبين مرتبة التفسير درجات كثيرة لا يمكنني الوصول اليها ... وتفسير القرآن قد فرغ منه العلماء ونقلوه عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعدهم من أئمة الدين ودونوه في تفاسيرهم هذه الموجودة وهي كافية وافية وهي كما وافقت أهل العصور السابقة توافق أهل هذا العصر ، فان الأحكام الشرعية التي اشتمل عليها القرآن هي صالحة لكل انسان وقد استوت فيها العصور والأزمان ، وليس للقرآن معان خاصة بأهل العصور السابقة ومعان أخرى خاصة بأهل العصور اللاحقة ، وأما الأذواق والمشارب فهي ان كانت موافقة للشرع فمطلوبها يوجد في هذه التفاسير وان كانت مخالفة للشرع فكيف يمكن أن يفسر القرآن بمعان توافق هذه الأذواق الفاسدة والمشارب الكاسدة ونحن لا يجوز لنا أن نفسر القرآن بعقولنا ونطبقه على الأذواق العصرية كما يقوله السفهاء المخذولون ويتجاسرون على دعوى اقتدارهم على تفسير كلام الله تعالى بأفهامهم السقيمة وعقولهم الناقصة فان تفسير القرآن بالرأي ممنوع شرعا "(٢) .

والنبهاني لم يلتزم بدعوته هذه من ناحية الشكل حيث فسر القرآن التفسير الذي نحن بصدده وان كان التزم بها من ناحية المضمون اذ لم يخرج في تفسيره عما أورده البيضاوي والجلالين .

يقول الشيخ النبهاني " أما بعد فيقول الفقير يوسف بن اسماعيل النبهاني غفر الله له ولوالديه ولمن دعا لهم بالمغفرة قد حملني القاضي الكبير الشيخ مصطفى

---

(١) أي جماعة الأفغاني .

(٢) شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق ص ٤٠

أفندى البابى الحلبى الكتبى الشهير على جمع مختصر فى تفسير غريب القرآن ليطبعه على هامش المصحف كى يأخذ القارئ حاجته منه فى وقت قصير ويستغنى به لفهم ذلك اللفظ عن مراجعة التفاسير فاستحسنت ذلك غاية الاستحسان وان لم أكن من فرسان هذا الميدان وأجبته الى ما سأل من تفسير الألفاظ الغريبة ولم أقتصر عليها بل زدت تفسير المبهمات وتوضيح ما أشكل من الآيات الكريمات فجاء والحمد لله مع اختصاره يغنى اللبيب عن مراجعة المطولات ولم أخرج غالبا عن التفسيرين الجليلين اللذين عبق نشرهما فى الخافقين أعنى البيضاوى والجلالين وسميته قرة العين من البيضاوى والجلالين فى تفسير غريب القرآن وتوضيح ما أبهم أو أشكل من معانيه الحسان ، وقد رتبته على ترتيب سور القرآن " (١) ، هذا وقد طبعت مكتبة الجندى فى مصر جزء عم من تفسير النبهانى " قرة العين من البيضاوى والجلالين " وقدم له الشيخ محمد مصطفى أبو العلا مترجما للشيخ النبهانى .

وقد مدح الأستاذ محمد عزة دروزة هذا التفسير وقال انه أحسن ما ألف فى (٢) مثله وتفسيرهم يدل على أن المفسر قد فهم دقائق القرآن ومقاصده علما بأن الأستاذ دروزه له تفسير للقرآن اسمه " التفسير الحديث " فى عشرة مجلدات وله " الدستور القرآنى فى شؤون الحياة " وله " عصر النبى وبيئته قبل البعثة دراسة وتحاليل قرآنية " ، " القرآن والمبشرون " ، " المرأة فى القرآن والسنة " . وهذه الدراسات القرآنية تعطى لرأى الأستاذ دروزه فى تفسير النبهانى أهمية كبيرة .

٥٨) مجموع أربعين الأربعين من أحاديث سيد المرسلين :

طبع المطبعة الأدبية بيروت ١٣٣٠ وأعاد طبعه مصطفى الحلبى بمصر ١٣٧٢ هـ ويقع الكتاب فى ٣٧٣ صفحة .

يقول النبهانى فى المقدمة : " أما بعد فهذا مجموع بديع جمعته من أحاديث الحبيب الشفيع .... فانه سفر قد طوى فى اهابه أربعين سفرا كل سفر

---

(١) قرة العين من البيضاوى والجلالين ص ٢

(٢) قابلته فى فندق الزعفران فى الزبدانى المصيف المشهور فى ١٧/٨/١٩٧٤

منها أطلع للهداية أربعين نجما بل أربعين بدرا فقد اشتمل على أربعين مؤلفا كل مؤلف منها يشتمل على أربعين حديثا فى مواضيع مختلفة هى من أنفع المواضيع الدينية المتعلقة بالله تعالى وحبيبه الأعظم صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من الفوائد المهمة الاسلامية والاربعون الأولى منها قدسية والباقى نبويات وقد تداخل فى بعضها للمناسبة أحاديث قدسيات[1] . وقد جمعها النبهانى من كتاب " الترغيب والترهيب " للحافظ المنذرى "ورياض الصالحين " للنووى ، " ومشكاة المصابيح " للتبريزى " وتيسير الوصول الى جامع الأصول " لابن الديبع " والجامع الكبير والصغير وذيله " ، " والخصائص الكبرى " للحافظ السيوطى[2]

يقول الشيخ النبهانى : فكل ما نقلته فى هذا المجموع من الأحاديث لا يخرج غالبا عن كتب هؤلاء الأعلام وقد أنقل عن غيرهم وأنسبه الى من أنقله عنهم من أئمة هذا الدين المبين .... وأعلم أن ما فسرت به بعض الكلمات هو من نهاية ابن الأثير غالبا وقد أنقل عن غيره وأنسب الى اصحابها تلك النقول [3]. وقد ابتدأها فى الأربعين حديثا القدسية الأولى فى الثناء على الله تعالى .

٥٩) الدلالات الواضحات حاشية مختصرة على دلائل الخيرات :

طبع مطبعة مصطفى الحلبى بمصر ١٣٣٨ هـ والطبعة الثانية ١٣٧٥ ويقع الكتاب فى ١٦٨ صفحة صدرها الشيخ النبهانى بقوله :

ان كنت ترغب أن تسر محمدا ** فاقرأ كتاب " دلائل الخيرات "
فلقد حوت مع ذكر حسن صفاته ** خير الدعاء وأفضل الصلوات

وقد جعل له النبهانى مقدمة طويلة تبلغ ٢٢ صفحة تكلم فيها عن شؤونه الخاصة ورواية الدلائل وتنبيهات كثيرة عليه .

---

(١) مجموع الاربعين أربعين ص ٢
(٢) المصدر السابق .
(٣) المصدر السابق ص ٢ ــ ٣

يقول النبهانى بعد أن ذكر بعض مؤلفاته ... لكن بقى على شىء من أهم المهمات وهو أن أخدم كتاب " دلائل الخيرات " فانها أعظم كتب هذا الشأن اشتهارا واكثرها انتشارا واحسنها وضعا وأعظمها نفعا وحيث ان كثيرا من العلماء الأعلام من عهد مؤلفها الى الان اكثروا عليها الشروح والحواشى ولا سيما الامام الفاسى فقد شرحها فى عدة مجلدات ثم اختصرها فى مجلد وهو منشور ومطبوع فرأيت أن أختصر منه ومن حاشية شيخنا الشيخ حسن العدوى المصرى رسالة أضم بها مالا بد منه من ألفاظها وأضيف اليها منها ومن غيرها جملة جميلة من الفوائد والفضائل تتعلق بالدلائل سميتها " الدلالات الواضحات على دلائل الخيرات " المشتملة على الفوائد المهمات وتفسير مالا بد منه من المعانى واللغات ناقلا ذلك من الكتب المعتمدة كشرح الفاسى وشرح الجمل وحاشية شيخنا الشيخ حسن العدوى وغيرها "(١) .

ثم ذكر صورة اجازته بدلائل الخيرات من السيد محمد سعيد أحد أئمة المالكية فى المسجد النبوى ، ويقول الشيخ النبهانى وقد قرأت على السيد محمد سعيد المذكور دلائل الخيرات من أولها الى آخرها قراءة تحقيق وتدقيق فى ثلاثة مجالس سنة ١٣٣٢ هـ والنبهانى فى شرحه لدلائل الخيرات يظهر مدى تمكنه من فهم التصوف ورموزه .

٦٠) **الفتح الكبير فى ضم الزيادة الى الجامع الصغير :**

طبع مطبعة مصطفى الحلبى فى شوال ١٣٥٠ هـ ببيروت أى انه طبع بعد وفاة المؤلف بشهر واحد . حيث انه توفى فى رمضان ١٣٥٠ هـ . والكتاب فى ثلاثة أجزاء وعدد صفحاته ١٣٥٠ صفحة .

ويقول الشيخ النبهانى فى المقدمة : " أما بعد فان كتاب " الجامع الصغير" لخاتمة الحفاظ جلال الدين السيوطى هو كتاب جليل مطابق لما وصفه به مؤلفه بقوله : أودعت فيه من الكلم النبوية ألوفا ، ومن الحكم المصطفية صنوفا ، واقتصرت فيه على

---

(١) الدلالات الواضحات ص ٤

الأحاديث المصطفية صفوفا ... ثم ان مؤلفه رحمه الله جعل له ذيلا سماه " زيادة الجامع " ، وقال فى خطبته هذا ذيل على كتابى المسمى " بالجامع الصغير من حديث البشير النذير " وسميته " زيادة الجامع " رموزه كرموزه والترتيب كالترتيب[1] ثم يقول الشيخ النبهانى : وقد رأيت من الصواب أن أجمعهما فى كتاب لان " زيادة الجامع " يجب ان تكون به متصلة ولا معنى لكونها زيادة له اذا كانت عنه منفصلة وفى جمعهما تسهيل السبيل الى اقتنائهما ومراجعة الحديث اللازم مراجعته فيهما وعسى أن يحصل للزيادة ما حصل للأصل من القبول والاقبال ... فجمعتهما فى هذا الكتاب ومزجتهما مزج مؤلف واحد ... وقد اعتنيت كمال الاعتناء بترتيب الأحاديث على الحروف ، بادئا بحروف الكلمة الأولى ثم التى تليها وهكذا الى آخر الحديث ، وقد وقع فى الجامع الصغير عدم مراعاة الترتيب فى كثير من الأحاديث كما هو مشاهد ونبه عليه الشيخ الحفنى فى حاشيته وذلك فى الزيادة أكثر ووجدت عدة أحاديث فيها هى موجودة فى الأصل بعينها فحذفتها منهما وأبقيتها على أصلها ، أما المكرر الذى فى ألفاظه بعض اختلاف أو فى تخريجه ولو بلفظ واحد أو راو واحد فانى أبقيته فى موضعه وقد سميته " الفتح الكبير فى ضم الزيادة الى الجامع الصغير ".[2] ، وقد جعل له الشيخ النبهانى ستة فوائد ذكر فى السادسة منها اجازته بجميع مؤلفات الامام السيوطى من طريقين الأول عن طريق المصريين بسبعة وسائط وطريق الشاميين بثمانية وسائط ، وفى نهاية الجزء الثالث أضيف تعريف بكتاب الفتح الكبير فى ضم الزيادة الى الجامع الصغير " للحافظ محمد حبيب الله الشنقيطى الذى تكلم عن الجامع الكبير والجامع الصغير والزيادة مقوما لعمل النبهانى فى ضم الزيادة للجامع الصغير ، وقال فى ختام تعريفه " وقد كان الشيخ النبهانى رحمه الله طلب منى قبل وفاته بنحو نصف سنة أن أشرحه لضعفه هو عن ذلك بالكبر ولحسن ظنه بالعبد الفقير كثنائه على دائما بما لست له أهلا رحمه الله ، وجعل الجنة مثوانا ومثواه وجعل سعينا وسعيه من السعى المشكور المتقبل ان شاء الله .. قاله بلسانه وقيده ببنانه خادم علوم السنة بالحرمين الشريفين ثم بالتخصص للأزهر الشريف المعمور .

تحريرا بمصر ١٤ صفر ١٣٥١هـ[3]

التوقيع
محمد حبيب الله

---

(١) الفتح الكبير ج ١ ص ٢ ـ ٣ (٢) الفتح الكبير ص ٣ ـ ٤

(٣) الفتح الكبير فى ضم الزيادة للجامع الصغير ج ٣ ص ٤٤٤

٦١) رسالة الأربعين فى فضائل القرآن العظيم :

طبع فى حلب رمضان ١٣٩٢ هـ بتحقيق محمد خير الزيتونى ، وقد أصدر المحقق المذكور سلسلة الاربعينيات الحديثية فجعل رسالة النبهانى هذه أولى الاربعينيات ويقول المحقق : " هذه هى الأربعون الأولى من سلسلة الأربعينيات الحديثية نقدمها للمسلمين فى شهر رمضان المبارك شحذا لهممهم وشدا لعزائمهم للعودة الى القرآن ولا سيما فى هذا الشهر " الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان " نسأل الله الكريم رب القرآن العظيم أن يرد المسلمين الى قرآنهم ويحكمه فى بلادهم فى سائر أمورهم انه سميع مجيب[1]

* * *

والذى نلاحظه بعد عرضنا لمؤلفات الشيخ النبهانى هو تلقى العالم الاسلامى لمؤلفاته بالقبول والاقبال وعلى اقتنائها حيث ان معظمها قد طبع أكثر من مرة فى حياة المؤلف خصوصا قصائده المطولات فقد طبعت منفصلة عدة مرات ثم جمعها الشيخ النبهانى لتكون ديوانه " العقود اللؤلؤية فى المدائح النبوية " وقد تنبه الشيخ النبهانى لاقبال المسلمين على مؤلفاته وعد هذا من مشجعات اقباله على التأليف ، يقول الشيخ النبهانى فى مقدمة الدلالات الواضحات " أما بعد فقد من الله على وله الحمد والمنة بتأليف كتب كثيرة تزيد على الثلاثين وكلها فى خدمة سيد المرسلين ودينه المبين والرد على أعدائه اخوان الشياطين من الكافرين والمنافقين أهل البدع والضلال الذين هم بصورة المسلمين .

وقد يسر الله بفضله طبعها وعم فى سائر البلاد الاسلامية نفعها فتلقتها الأمة المحمدية من أهل المذاهب الأربعة بالقبول التام ووقعت على أعداء الله وأعدائه صلى الله عليه وسلم أشد من وقع الحسام على الهام وهى كلها موافقة للكتاب والسنة ومذاهب الأئمة الهادين المهديين ... ومن أجل علامات قبول هذه الكتب عند الله تعالى ورسوله الأعظم صلى الله عليه وسلم أنى تشرفت بعد تأليفها برؤيته صلى الله عليه وسلم مقبلا على فى منامات كثيرة ... فقد رأيته عليه السلام فى منامى

---

(١) رسالة الاربعين فى فضائل القرآن الكريم ص ٥

فى المدينة المنورة ليلة الخميس الرابع عشر من شهر ربيع الاول سنة ١٣٣١هـ وهو راض هى غاية الرضـــا (١) .

ولا شك أنه من أهم الأسباب التى روجت لمؤلفات الشيخ النبهانى فى عصره غير ما ذكره من أسباب روحية أن الشيخ النبهانى كان يعد من رجالات دولـــــة الخلافة الداعين لخليفتها اللاهجين بالثناء عليه فى كل مناسبة ، وفى خاتمة كـــل كتاب وقد كانت قلوب المسلمين تهفو الى دولة الخلافة داعية لها بطول العمـــر فولاء الشيخ النبهانى للخلافة العثمانية رغب المسلمين فى قراءة كتبه حتى قيــل ان بعض الردود على الشيخ النبهانى أحرقت فى بلاد الهند . ولم يستطـــع محمود شكرى الالوسى نشر كتابه " غاية الأمانى فى الرد على النبهانى " الا باســم مستعار وفى مصر الخارجة عن سيطرة الخلافــــة .

ومن الأسباب أيضا الحالة السياسية للبلاد الاسلامية وما رافقها مـــن تكاليب المستعمرين عليها وشعور المسلمين بالضعف والعجز ازاء هذه المصائـب المتتالية مع قوة شعورهم الدينى مما جعلهم يلتمسون فى مؤلفات النبهانى المتنفـس لكربهم خصوصا أن هذه المؤلفات اقتصرت على تمجيد شخصية الرسول صلى اللـــه عليه وسلم علما بأن المدائح النبوية بمظهرها السياسى نشطت فى العصر الصليبى نشاطا ملحوظا لان المسلمين كانوا وقتها يجدون فى شخصية الرسول صلى اللـــه عليه وسلم من حيث هو الشخصية المثالية طريقا للتنفيس عن مشاعرهم ازاء ما دهمهم من مصائب . كما لا ننسى أن العصر الذى عاشه الشيخ النبهانى ١٨٤٩ـ ١٩٣٢ وهو بداية العصر الحديث كان المسلمون فيه على مفترق طرق حيث أمامهم الحضـارة الأوربية وتقدمها المبنى على أساس مادى بعيد عن الدين كما أن شعورهـــم الدينى الاسلامى الذى لا يفصل بين الدين والحياة هو الذى يسيطر على الحيـــاة ويسيرها وقد كانت غالبية المسلمين من مؤيدى الاتجاه الثانى الداعى الى التمسك بالاسلام الكفيل بسعادة الدنيا والآخرة كان أصحاب هذا الشعور يجدون فـــى مؤلفات النبهانى التى تقدس شخصية الرسول وتنشر فضائلها ضالتهم المنشـــودة

---

(١) الدلالات الواضحات ص ٢ ـ ٣

وأملهم الخائفين على ضياعه وكان الشيخ النبهاني بمؤلفاته كان يضرب على الوتر الحساس في مشاعر المسلمين . ونحن لا ندرى أكان لختيار النبهاني الموفق لمواضيع مؤلفاته بارادة منه وتدبير فهو بعد أن شخص الداء عرف الدواء أم أن الله تعالى قد اطلع على صدق احساسه وصادق شعوره فاختاره تعالى ليكتب في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم التي هي محط الآمال عند المسلمين .

الحقيقة أن من الصعب أن نوافق على أحد الافتراضين دون الآخر وان كان الفرض الثاني يمثل بداية حياة الشيخ النبهاني مع مؤلفاته والفرض الأول يمثل مرحلة متأخرة من حياته العلمية . وقد وضح لنا الشيخ النبهاني شيئا من حاله في كلا الفرضين فمن الفرض الثاني الالهامي سبق أن ذكرنا كيف أن الشريف عليا جاء القسطنطينية ليدافع عن آل البيت وكان ثمرة هذا كتب " الشرف المؤبد لآل محمد صلى الله عليه وسلم " .

ومما يؤكد هذا الفرض أنه أخر طبع الكتاب من عام ١٢٩٨ الى عام ١٣٠٩ خوفا من ألا يكون عمله هذا مبرورا بسبب رده على الامام الترمذي ثم استخار الله وطبعه وقد كانت هذه الحادثة مقدمة لاندفاعه نحو التأليف بعزم واصرار حيث انه مرض في بيروت مرضا شديدا يئس به من الحياة .

يقول النبهاني " فصرت أتفكر في تأليف شيء من الكتب النافعة السهلة ليكون من العمل الصالح الذي لا ينقطع بالموت كما ورد في الحديث الشريف فخطر لي أن ألتجيء الى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بجمل ما أؤلفه في شؤونه الشريفة صلى الله عليه وسلم فصممت في آن واحد على جمع كتاب في شمائله وكتاب في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم واشتغلت بكتاب "أفضل الصلوات" وكتاب " وسائل الوصول " وقبل اكمالها خطر لي لزوم اختصار " المواهب اللدنية " فأعان الله من فضله على اتمام هذه الكتب وطبعها ونشرها .... الخ .

أما الفرض الاول وهو تدبيره واعمال فكره في اختيار تأليفه فقد جاء في مرحلة متأخرة من حياته العلمية اذ أن اقامته في بيروت ملتقى المبشرين والمستشرقين والمنافسة القوية بين المسلمين والمسيحيين فيها واقدام بعض المسلمين على الحاق أولادهم بمدارس المسيحيين ثم انتشار دعاة التجديد

من جماعة الأفغاني بالاضافة الى أن بيروت كانت المستورد الأول للحضارة الأوربية ذلك الوقت ٠

كل هذا جعل النبهاني يشعر بالخطر تجاه المسلمين فاتجه بفكره وعلمه الى محاربة البدع والضلال مباشرة وبالاسم بدلا من محاربتها بطريق غير مباشر عن طريق نشر فضائل الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوة الناس للاقتداء به ٠

والى هذا أشار النبهاني بقوله " ٠٠٠٠ أو يكون الحامل لى على التأليف الرد على بعض الكفار وبيان مفترياتهم على دين الاسلام أو كشف زلات بعض أهل البدع الذين انتشرت بدعهم فى هذه الأيام ولا سيما ما يتعلق منها بسيد الأنام الذين يغيرون عقائدهم الدينية وينقلونها من النور الى الظلام كما هو الواقع فى كثير من بلاد المسلمين فالتأليف فى هذه الأبواب لا يخطر فى بالى حين الاقدام عليه طلب الثواب بل أجد من نفسى داعيا قويا لا أقدر على مخالفته للمحاماة عن هذا الدين المبين والانتصار لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم والنصيحة للمسلمين وأولاد المسلمين ولو رأيت غيرى من العلماء ألف فى ذلك كتبا تغنى عن كتبى لما أقدمت على تأليفها وكنت أقول : قد حصل المقصود على يد من شاء الله من خلقه ولا سيما أن التأليف فى ذلك يتسبب فى كثرة الأعداء من الكفار والفجار كما وقع لى وقد قصدوا أذيتى فوقانى الله شرهم ببركة حبيبه الأعظم صلى الله عليه وسلم " ٠

* * *

هذه حال النبهاني مع مؤلفاته التى عبرت عن شخصيته أصدق تعبير وكان هو صادقا معها فوهبها كل أحاسيسه ومشاعره ولم يجن ورائها أى نفع مادى بل جعل حقوق الطبع شائعة لجميع المسلمين بشرط جودة الطباعة ورخص الثمن والنبهاني بمؤلفاته التى اقتضاها العصر يعد مصلحا اجتماعيا كبيرا وقف بشموخ أمام التيارات الوافدة لمحاربة الاسلام ولم يضعف أمام العقبات والعداوات التى كان يلاقيها بسبب مؤلفاته كما صرح هو بذلك ، لذلك جاءت مؤلفاته معبرة عن عصره بصدق ولم يعش فى برج عاجى كما قال الشيخ عبد الله الملايلى مشبها

موقف النبهانى من عصره خصوصا فى الفترة المتأخرة من حياته مستشهدا بقول الشاعر :

" وفيت قسطك للملا فنم " (١)

مثلا لعدم مبالاة النبهانى بعصره فى حين أن المستشرق كارل بروكمان يقول " ..... وانما يتمثل الأدب الميبى فى سورية ، فى ظل عبد الحميد (بيوسف بن اسماعيل) النبهانى رئيس محكمة الحقوق فى بيروت حتى ١٩٢٦ الذى كان صديقا لأبى الهدى الصيادى امام السلطان والذى تكشف عن نشاط أدبى خصب جدا صادر عن روح الاسلام القديم ابتغاء وقايته من تيارات أوربة المسيحية (٢) ، فقد كان النبهانى بمؤلفاته يمثل موقف الملايين من المسلمين تجاه خصومهم فقد توفرت للمسيحيين حماية القناصل وتوفر للمسلمين مؤلفات الشيخ النبهانى " يقول الأب أنيس الخورى المقدسى " تأسست جمعية حفظ حقوق الملة العربية عام ١٨٨١ وقد نشرت نداء الى العرب من مسلمين ومسيحيين تحت عنوان " بيانا من الأمة العربية " وجاء فى البيان مخاطبا المسيحيين " اتحدوا مع المسلمين واستمدوا لنوال حريتكم من المعتدين فان الترك يخشون بأسكم فلا يمسونكم ولا ينتهكون حرمتكم خوفا من القناصل فاتحدوا بقلب مع اخوانكم المسلمين فان مرجع مصالحكم واحد " (٣) ، وبهذا يتضح لنا الدور الذى أداه الشيخ النبهانى بمؤلفاته فى خدمة الاسلام والمسلمين .

---

(١) قابلته فى بيته فى بيروت فى ٤/١/١٩٧٥ .

(٢) كتاب الاسلام فى القرن التاسع عشر ص ١٠٠

(٣) الاتجاهات الادبية فى العالم العربى الحديث جـ ١ ص ٧٨

فهرس الجزء الثانــــي

الباب الثاني نشأته وحياتـــه